
المجتمع الريفي في الأندلس
في عصر بني أميَّة
١٣٨-٤٢٢هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م
حسن قرني

إن قارئ هذه الدراسة بإمكانه أن يخلص إلى عدة نتائج، لعل أهمها هو خضوع المجتمع الريفي الأندلسي لعدة تأثيرات طبيعية وبشرية، وجابه البعض الآخر، فاستغل المعطيات الجغرافية والطبيعية الصعبة لصالحه باستخدام أنظمة وأساليب في الري ملائمة لوعورة التضاريس، وقلة المياه. وحافظ الفلاحون في الريف على خصوبة الأراضي الجيدة، وداوموا على زيادة خصوبتها، كما حرصوا على استغلال كافة الأراضي القابلة للزراعة، ساعدهم في ذلك استخدام أساليب وتقنيات مختلفة في الزراعة والري، تلاءم معظم أنواع التربة. ونجح الفلاحون إلى حد كبير في التغلب على تقلبات الطقس، وخطر الآفات باستخدام العديد من الأساليب والتقنيات الزراعية الذكية. وكان أتباعهم لدورة زراعية مكثفة في بعض الأراضي، ودورة زراعية غير مكثفة في بعض الأراضي الأخرى عاملا مساعداً للحفاظ على التربة، وزيادة الإنتاج في الوقت نفسه.

وقد أفضت هذه العوامل السابقة - بالإضافة إلى مهارة الفلاح الأندلسي - في النهاية إلى زيادة الإنتاج الزراعي، وتحقيق قدر كبير من الاكتفاء الذاتي، ساعد الفلاحين في الريف على مواجهة الأزمات الاقتصادية، كما ساعد الحكومة في تمويل معظم مشروعات الداخلية والخارجية، وأعان على الازدهار الصناعي والتجاري.

لوحة الغلاف: من كتاب قصة بياض ورياض – المغرب، القرن الثالث عشر الميلادي

تصميم الغلاف: هشام نوار





المجلس الأعلى للثقافة

المجتمع الريفى فى الأندلس فى عصر بنى أمية

(١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦- ١٠٣١م)

حسن محمد قرنى



٢٠١٢

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

قرنى، حسن محمد
المجتمع الريفى فى الأندلس فى عصر بنى أمية: (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦- ١٠٣١م) حسن محمد قرنى.
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠١٢
٥٣٢ص، ٢٤سم
١- المجتمعات الريفية - الأندلس
(أ) العنوان ٣٠٧,٧٢

رقم الإيداع ٢٣٥٤/ ٢٠١٠
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 -479 -432 -7
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 27352396 Fax: 27358084
www.Scc.gov.eg

إهـداء

إلى أستاذى الكريم...

أ. د. عبادة كحيلة...

تحية عرفان وتقدير

حسن محمد قرنى

مقدمة

تمثل دراسة المجتمعات الريفية فى العصور الوسطى- عمومًا- أهمية خاصة، لما كانت تقدمه تلك المجتمعات من مساهمات فعالة فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وبالنسبة للأندلس فى عصر بنى أمية، لعب المجتمع الريفى دورًا فعالاً فى مختلف نواحى التاريخ الأندلسى فى تلك الفترة، ففى الناحية الاقتصادية ساهم المجتمع الريفى بنصيب كبير فى الدخل القومى الأندلسى لما كان يمثله القطاع الزراعى من أهمية كبيرة لاقتصاد الأندلس آنذاك، وبالجملة كان المجتمع الريفى بمثابة الظهير الاقتصادى للمجتمع الحضرى أو المدينى فى الأندلس.

وشارك المجتمع الريفى فى الأحداث السياسية فى عصر بنى أمية مشاركة فعالة، فقد كان موطنًا للعديد من الثورات والفتن، التى ناوأت الحكومة الأندلسية لأسباب مختلفة، وعلى أرضه جرت كثير من المعارك الحربية بين المسلمين فى الأندلس، وبين النصارى فى الممالك النصرانية المتاخمة فى الشمال وكذا بين المسلمين والنورمان الذين أغاروا على الأندلس فى فترات متقطعة. وفى مجال الاقتصاد السياسى اعتمدت الحكومة على المجتمع الريفى- بشكل كبير- فى تمويل مشروعاتها السياسية الداخلية والخارجية.

وفى الناحية الاجتماعية كان المجتمع الريفى مستقرًا للعديد من العناصر السكانية التى شكلت فى مجملها قطاعًا كبيرًا من المجتمع الأندلسى الكبير فى عصر بنى أمية. وجرت على أرضه حركة كبيرة من الامتزاج الحضارى بين العناصر الحضارية المحلية، والعناصر الحضارية الوافدة، فكان من الأهمية بمكان توضيح أبعاد هذا الامتزاج الحضارى، وتوضيح آثاره.

وقد قصدنا إلى دراسة "المجتمع الريفى فى الأندلس فى عصر بنى أمية" بالذات، لأنه فى ذلك العصر نعمت الأندلس بوحدة سياسية، لم تتوفر لها- بهذا الشكل- طوال تاريخها- كما بلغت فى عصر بنى أمية أقصى اتساع لها، وحققت مستويات من القوة والاستقرار والازدهار لم تحققها فى أى فترة تاريخية أخرى، وتوفر لها اقتصاد قوى مكنها من الحفاظ على وحدتها السياسية، واستقرارها الاجتماعى.

لذا أخذنا على عاتقنا توضيح دور المجتمع الريفى فى شتى جوانب التاريخ الأندلسى فى تلك الفترة. وفى سبيل تحقيق ذلك، قابلتنا بعض الصعوبات منها تحديد مفهوم واضح للمجتمع الريفى، لأن أسس التقسيم الإدارى فى الأندلس، تختلف عن أسس التقسيم فى مشرق العالم الإسلامى. ولا أدل على ذلك من أن الحوز الريفى للمدينة فى الأندلس كان يتبعها إداريًا؛ رغم أنه كان يمثل وحدة إدارية قائمة بذاتها. هذا إلى أن المصطلح المستخدم فى الأندلس ليدل على الريف وأهله يختلف عن الاصطلاحات المستخدمة فى مشرق العالم الإسلامى لنفس الغرض. وقد تغلبنا على هذه الصعوبة بالرجوع إلى مختلف المصادر اللغوية والجغرافية والتاريخية، خاصة ماقدمه ابن خلدون من معايير للتفرقة بين المجتمعات الريفية والحضرية.

ولكن أهم الصعوبات التى واجهتنا، تمثلت فى قلة المعلومات، وتناثرها فى المصادر المختلفة، لأنه من المعروف أن الكُتّاب فى العصور الوسطى كانوا قليلاً ما يهتمون بالمجتمعات الريفية، بل كان جل اهتمامهم منصبًا على مجتمعات الحواضر والمدن، وبالذات الطبقات العليا، خاصة فئات الحكام من الأمراء والخلفاء والوزراء، والولاة، والعمال، وغيرهم من أفراد الحاشية. ويكفى هنا أن نشير إلى ما ذكره عبد الواحد المراكشى (ت٦٢١هـ/ ١٢٧٣م) فى خاتمة كتابه "المعجب فى تلخيص أخبار المغرب" إذ يقول: "وقد نجز بحمد الله جميع الإملاء حسب ما رسمه مولانا، وجريت فى ذلك كله على عادتى من التلخيص وتركت أسماء القرى والأنهار الصغار وغير ذلك مما لا تدعوا إليه الحاجة ولا يخل بالتصنيف تركه"[1]. هذا التصور من جانب عبد الواحد المراكشى الذى لا يعير النواحى الريفية أهمية

كبيرة كان تصورًا شبه عام من جانب كُتَّاب العصور الوسطى على اختلاف كتاباتهم، نستثنى من ذلك فئة قليلة منهم، وهى فئة الكُتَّاب الزراعيين الذين اهتموا بالفلاحة والزراعة، ولو أن كتاباتهم هى الأخرى اتَّسمت بالطابع النظرى إلى حد كبير.

وقد تغلبنا على صعوبة قلة المعلومات فى المصادر التراثية، بالاعتماد على طائفة كبيرة من المصادر المتنوعة، خاصة المصادر غير التقليدية مثل كتب التراجم والطبقات والأنساب، وكتب الجغرافية والرحلات، وكتب الأدب والأمثال والأزجال، وكتب الفقه والخراج والحسبة، وكتب الفلاحة وغيرها، كما استعنا ببعض المراجع والمقالات الحديثة، التى أسهمت فى توضيح أبعاد الموضوع.

وكان منهجنا فى دراسة الموضوع، يعتمد على دراسة "المجتمع الريفى" كظاهرة تاريخية نتبعناها أينما وجدت، لدرجة أننا حرصنا على تتبع تجلياتها أحيانًا، فى غير مواطنها الجغرافية.

وقسَّمت الدراسة إلى تمهيد، وخمسة فصول وخاتمة. تناولت فى التمهيد "مفهوم الريف الأندلسى"، والمعايير المميزة له، وخصصت الفصل الأول، لدراسة العوامل المؤثرة فى المجتمع الريفى وقسَّمتها إلى عوامل طبيعية وعوامل بشرية. أما الفصل الثانى، فقد أفردته لدراسة الحياة الاقتصادية فى المجتمع الريفى، فتحدثت عن الزراعة، ونظم الرى، والرعى وتربية الحيوان والصيد، والتعدين والصناعة والتجارة. وفى الفصل الثالث، تناولت بالدراسة، العناصر السكانية المستقرة فى النواحى الريفية، والحرف التى احترفتها، ثم تحدثت عن الحياة العائلية أو الحياة الخاصة، ووسائل التغذية والصحة العامة، والأزياء والملابس، ووسائل التسلية، والأعياد والمواسم والاحتفالات، والعادات الاجتماعية، والسمات العامة للشخصية الريفية.

وتحدثت فى الفصل الرابع عن النظام الإدارى والمالى فى المجتمع الريفى، واستهللت ذلك بنبذة عن أسس التقسيم الإدارى فى الأندلس، ثم تناولت بالتفصيل دراسة الأقسام الإدارية، ومراكز الاستقرار البشرى فى الريف الأندلسى، كما

أشرت إلى المرافق العامة فى الريف، وتحدثت فى الجانب المالى عن ملكية الأرض وفئات الملاك، وأشكال الملكية، وأشرت إلى نظام حيازة الأرض، وصور الحيازة، ثم تحدثت عن الضرائب وأنواعها، وطرق جبايتها، وتطرقت إلى الإشارة إلى موظفى الإدارة المحلية فى الريف.

واختص الفصل الخامس والأخير بدراسة الحياة الثقافية فى الريف، وتحدثت فيه عن انتشار الإسلام والتعريب، وفصّلت الحديث عن لغة أهل الريف، وعن النظام التعليمى فى الريف، فأشرت إلى التعليم الأولى، وتتبعت الطلبة الريفيين فى دراساتهم العليا فى خارج المجتمع الريفى، وأشرت إلى أماكن تعليمهم فى هذه المرحلة، ومناهجهم الدراسية، وتطرقت بالحديث إلى الحركات الثقافية التى أثْرَت الحياة الفكرية فى الريف، فأشرت إلى الزهاد والمتصوفة ودورهم فى الريف وإلى الحركة المسَرِّية، والفكر الشيعى، وختمت الحديث بالإشارة إلى أهم البارزين– من أهل الريف– فى العلوم والفنون المختلفة.

وفى الخاتمة عرضت أهم النتائج التى توصلت الدراسة إليها، وقد استعنت– فى إتمام هذه الدراسة– بالعديد من المصادر المتنوعة، المخطوط منها والمطبوع، كما استعنت ببعض المراجع والمقالات الحديثة العربية منها والأجنبية وهى على النحو التالى:

١ـ الحوليات التاريخية:

من أهم الحوليات التاريخية التى عَّولت عليها الدراسة كتاب "المقتبس" لابن حيان (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) بأجزائه المنشورة. وقد أمدنا ابن حيان بمعلومات هامة عن أخبار القحط والمجاعات، والسيول التى ضربت الأندلس فى فترات متفرقة، وكان لها تأثيرها المباشر على المجتمع الريفى، وكذا تأثيرات غارات الجراد، والعواصف المدمرة.

كما أمدنا ابن حيان بمعلومات غاية فى الأهمية عن تجاوزات بعض العمال والولاة، التى أدت فى بعض الأحيان إلى اندلاع الثورات والفتن، وما قامت به الحكومة الأندلسية- أحيانًا- من مصادرات لبعض الوزراء نتيجة لإثرائهم غير المشروع. هذا فضلاً عن المعلومات الخاصة بقيام الحكومة الأندلسية بفرض بعض الضرائب أو إسقاطها.

وأمدنا ابن حيان بفيض من المعلومات الخاصة بالثورات والفتن التى اندلعت فى الأندلس، خاصة فيما يتعلق بالفتنة الأولى التى اندلعت فى الأندلس منذ النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى والتى استمرت حتى أوائل القرن الرابع الهجرى. ولم يكتف ابن حيان بعرض أخبار هذه الثورات؛ ولكنه كان ينوه فى كثير من الأحيان إلى أسباب اندلاعها ونتائجها، متوخيًا فى ذلك قدرًا كبيرًا من الموضوعية. كما قدَّم لنا معلومات طيبة عن غارات نصارى الشمال وغارات النورمان وتأثيراتها على الريف.

وفى سرده للأحداث التاريخية، أشار ابن حيان عرضًا إلى بعض المعلومات التى تتعلق بطريقة حفر الآبار، ومواطن استقراربعض العناصر فى الريف، وإقطاعات الأمراء وأبنائهم، ومنياتهم الريفية؛ وتفصيلات هامة عن الحصون الريفية، وبعض الأنشطة الفلاحية، وبعض وسائل التسلية، ومعلومات تخص التنظيم الإدارى والوحدات الإدارية فى الريف، ووضعية الأراضى وفئات الملاك وأشكال الملكية وأنواع الضرائب ونظام جبايتها؛ هذا إلى جانب بعض المعلومات التى تخص الحياة الاجتماعية والثقافية. أما "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، فقد أمدنا ببعض المعلومات المختصرة عن فترات القحط والمجاعات، وسوء تصرُّف بعض العمال، ونتائج الممارسات السياسية والإدارية على الريف، ومواطن الفتن والثورات وغارات النورمان وتأثيرها، وأعداد العرب الداخلين برفقة جيوش الفتح وأماكن استقرارهم وأماكن استقرار بعض العناصر الأخرى فى الريف، ومعلومات تخص التنظيم الإدارى فى الريف ووضعية الأرض

وملكيتها والضرائب وأنواعها، وانتشار الإسلام والتعريب. وانفرد ابن القوطية بأول إشارة عن وجود الكتاتيب فى الأندلس، هذا إلى بعض المعلومات الثقافية، ويبدو أن الكتاب قد جمعه أحد تلامذة ابن القوطية[٢] ولم يدونه هو مباشرة.

وأمدنا صاحب "أخبار مجموعة" بمعلومات مهمة عن العناصر العربية التى دخلت الأندلس برفقة جيش موسى، والداخلين بصحبة ولاة الأندلس، وبعض الهجرات العربية الأخرى، ومواطن استقرار العناصر المختلفة، وأخبار عن سياسة بعض الأمراء تجاه الثوار والخارجين ونتائجها على الريف، ومعلومات هامة عن الصراع العربى البربرى، والعربي- العربى، ونتائج ذلك على المسلمين فى الأندلس.

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه عاش قريبًا من الأحداث، وأنه عاصر عصر الخلافة، إذ أنه عاش فى القرن الرابع أو الخامس على أكثر تقدير؛ ويرى البعض أن مؤلف هذا الكتاب يتعصب للعرب والسيادة العربية، ويتخذ من ذلك ذريعة للقول بأن المؤلف لابد وأن يكون عربى صميم على عكس ابن القوطية الذى يشتّم منه رائحة التعصب للعنصر الإسبانى ضد العنصر العربى[٣].

ومن كتب الحوليات التاريخية المهمة التى أثرت الدراسة مخطوط "كتاب فى ذكر بلاد الأندلس وصفاتها" لمؤلف مجهول، ويتضح من مقدمة المخطوط أنه يستعرض تاريخ الأندلس منذ القدم وحتى نهايته، هذا فضلاً عن بعض المعلومات القيِّمة التى تخص النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[٤].

ورغم اضطراب أوراق المخطوط، وتداخلها- أحيانًا- وتأثرها بعدوان الأرضة، وتوقف السرد التاريخى مع نهايات عصر الخلافة إلا أنه أمدنا بمعلومات كثيرة ومتنوعة أفادت الدراسة إلى حد كبير، وضاعف من أهمية معلوماته، نقله فى كثير من المواضع عن كُتَّاب قدامى، عاصروا الأحداث، مشرقيين وأندلسيين، وتتضح أمانته التاريخية فى إشارته إلى من ينقل عنهم من أمثال ابن خرداذبة، وأحمد بن موسى الرازى وابن القوطية، وابن حيان والإدريسى وغيرهم.

وقَدم المؤلف فى كتابه معلومات هامة استطعنا توظيفها فى معالجة الجزئية الخاصة بتأثير العوامل المختلفة على المجتمع الريفى، فقد أشار إلى فترات القحط والمجاعة، وأخبار السيول، وتأثيرات العواصف والزلازل، وغارات الجراد المدمرة، ومواطن حركات الصعلكة وقطع الطريق، وأخبار المتنبئين والمدعين فى الريف.

وفى النواحى الاقتصادية قَدم معلومات هامة تتعلق بالزراعة والرى والإنتاج الزراعى والحيوانى، والأنشطة الاقتصادية للفلاحين. وفى الناحية الاجتماعية أشار إلى بعض العناصر الداخلة إلى الأندلس، ومعلومات عن العبيد وأصولهم الجنسية وبعض المعلومات عن العادات والتقاليد الاجتماعية. وفى الناحية الإدارية قُدم معلومات عن التنظيم الإدارى، ومراكز الاستقرار البشرى فى الريف، وبعض الموظفين الإداريين وتجاوزاتهم.

أما كتاب "البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشى (ت٧١٢هـ/ ١٣١٣م)، فرغم أن مؤلفه متأخر، إلا أنه احتفظ بنصوص كاملة من مؤلفات معاصرة، فقد نقل عن مؤلفين قدامى خاصة ابن حيان الذى احتفظ بكثير من نصوصه، والكتاب يهتم بالسرد التاريخى ويركز على التاريخ السياسى ولكنه يشير عرضًا إلى بعض المعلومات التى تخص الجانب الاقتصادى والاجتماعى والثقافى، وقد أمدنا ابن عذارى بمعلومات أفادتنا فى دراسة تأثير العوامل الطبيعية والبشرية فى المجتمع الريفى مثل أخبار القحط والمجاعة، وتأثير الزلازل والعواصف، وأخبار الفتن والثورات وقطّاع الطرق وغارات النصارى والمجوس، وموقف الحكومة ورد فعلها تجاه هذه الأزمات، وكذا معلومات عن العناصر السكانية التى دخلت الأندلس ومواطن استقرارها، ووضعية الأرض، وكنائس النصارى، هذا فضلاً عن بعض المعلومات التى تخص الجانب الثقافى.

واستطعنا استقاء العديد من المعلومات الهامة من كتابَى ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" و"الإحاطة فى أخبار غرناطة"، إذ قدَّم ابن الخطيب فيهما معلومات متنوعة تتعلق

بالنواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فقد أشار ابن الخطيب إلى بعض الثوار وأصولهم الريفية، وعلاقتهم ببعض الممالك النصرانية، واجتهد فى تفسير أسباب الثورات والفتن فى الأندلس، وأشار عرضًا إلى بعض المعلومات التى تتعلق بالرى ووضعية الأرض ومواطن استقرار العرب والبربر، ونظام الضرائب، وبعض موظفى الإدارة المحلية، وبعض المعلومات التى تخص الجانب الثقافى.

كما اعتمدنا على كتاب "الكامل فى التاريخ" لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣١م) الذى عالج التاريخ السياسى للأندلس بقدرٍ لا بأس به من الإحاطة. كما أننا رجعنا إلى العديد من المؤلفات التاريخية الأخرى التى يضيق المقام هنا عن ذكرها بالتفصيل، وقد ضمناها قائمة المصادر فى آخر الرسالة.

٢ـ كتب التراجم والطبقات والأنساب:

وهى من المصادر التى أثْرَت الدراسة، وأفادتها بشكل كبير، ومن أهمها كتابا الخشنى (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م) "قضاة قرطبة"، و"أخبار الفقهاء والمحدثين". وترجع أهمية هذين الكتابين إلى معاصرة مؤلفهما للأحداث فى عصر الخلافة، كما أنه نقل عن مؤلفين معاصرين فيما يخص عصر الإمارة.

وقد أورد الخشنى- عرضًا- فى تراجمه معلومات مفيدة تتعلق بسياسة الحكومة وتأثيرها فى الريف، وكذا تأثيرالثورات والفتن على استرقاق كثير من الأحرار، وأثر تردى الأوضاع الاقتصادية فى ظهور حركة الصعلكة وقطع الطريق أثناء الفتنة الأولى، وكذا معلومات هامة تشير إلى شيوع ظاهرة اغتصاب الأراضى فى الريف، ودور بعض الفقهاء فى ذلك، كما أشار إلى ملكية بعض المثقفين للأراضى فى الريف، ودور وكلاء الضياع، وبعض موظفى الإدارة المختصين بالنصارى، وأورد إشارات هامة تتعلق بوجود المناسج اليدوية فى الريف، هذا فضلاً عن المعلومات المهمة التى تشير إلى ملابس بعض الفئات السكانية، هذا فضلاً عن إشاراته لبعض الوظائف الدينية. كما أمدنا بمعلومات

ضافية عن الحركة الثقافية، خاصة فيما يتعلق بالأصول الريفية لبعض العلماء والفقهاء، والزهاد والمتصوفة، ودورهم فى الحياة الثقافية، والمراكز الثقافية، ومواطن الزهد والتصوف والحركة المسرية، وإشارات هامة لبعض آلات الرى.

ومن أهم كتب التراجم التى عوّلت عليها الدراسة خاصة فى الناحية الثقافية كتاب "طبقات النحويين واللغويين" للزبيدى (ت٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) الذى حوى معلومات مهمة عن ازدهارحركة التعريب ونشر الإسلام من خلال الإشارات الكثيرة إلى أصناف المؤدبين والمعلمين فى مختلف مجالات الثقافة الذين انتشروا فى نواحى الأندلس المختلفة، وكذا المعلومات الهامة عن المناهج الدراسية، خاصة تلك التى كانت تدرس فى المرحلة التعليمية الأولى.

أما كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) فقد اشتمل على معلومات لا بأس بها عن الحركة الطبية فى الأندلس وتطورها، ودور الأديرة الريفية فى تقديم الخدمات الطبية، ومعلومات هامة تشير إلى امتلاك الأطباء للضياع فى الريف واستثمارها بشكل جيد، لدرجة أنها كانت وحدات اقتصادية قائمة بذاتها يتوفر فيها النشاط الزراعى والصناعى، وأورد ابن جلجل معلومات هامة عن أشهر الأطباء فى الأندلس وإن كان يؤخذ عليه أنه أغفل ذكر كثير من الأطباء غير المشهورين كما نص على ذلك فى خاتمة كتابه.

وقدّم ابن القرضى (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) فى كتابه "تاريخ علماء الأندلس" معلومات مستفيضة عن الحياة الثقافية فى الأندلس حتى نهايات القرن الرابع الهجرى، وأشار- عرضًا- خلال تراجمه إلى بعض المعلومات التى وظفناها فى معالجة بعض جزئيات الدراسة، وإن كنا استفدنا منه بشكل خاص فى الناحية الثقافية، فقد أشار إلى بعض العلماء ذوى الأصول الريفية ومراحل التعليم وأماكنه ومناهجه، والزهد والتصوف والحركة المسرية.

وترجع أهمية كتابا "جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس" للحميدى (ت٤٨٨هـ/ ١٠٦٥م)، و"كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم. ومحدثيهم، وفقهائهم، وأدبائهم" لابن بشكوال (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، إلى أنهما نقلاً

عن مصادر متقدمة، هذا إلى أنهما يعتبران ذيلاً على كتاب ابن الفرضى السابق ذكره، وإن كان يؤخذ على ابن بشكوال- بالذات- اختصاره لبعض التراجم التى ذكرها فى كتابه.

وأمدنا الكتابان بمعلومات ضافية تخص الناحية الثقافية، على وجه الخصوص وإن كانا قد أشارا عرضًا إلى بعض المعلومات التى استخدمناها فى معالجة بعض جزئيات الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية.

وأشار القاضى عياض (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) فى كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" إشارات مهمة فى معرض تراجمه تخص بعض النواحى الاجتماعية، مثل إشاراته عن الاحتفالات بالأعراس والأعياد، والملابس ووسائل الزينة، كما انفرد بإشارات هامة عن معرفة مشيخة الفقهاء المشاورين- فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى- للعجمية، هذا إلى جانب بعض المعلومات الثقافية الأخرى.

وقدّم ابن الأبار (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) فى كتاب "الحلة السيراء" معلومات هامة عن الأصول الريفية لبعض الثوار والخارجين ومواطن ثوراتهم وتأثيراتها فى الريف، وفى كتاب "التكملة لكتاب الصلة" أورد معلومات تتعلق بالمؤدبين والمعلمين فى الريف، وأماكن الزهد والتعبد، وأخبار الزهاد والمتصوفين، والأصول الريفية لبعض العلماء.

ومن كتب الأنساب التى أثْرَت الدراسة كتاب "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، فقد اعتمدنا عليه بشكل رئيسى عند الحديث عن مواطن استقرار العرب والبربر والموالى والمولدين فى الريف، هذا فضلاً عن بعض المعلومات التى تخص النواحى الاجتماعية والإدارية والثقافية.

ويعد كتاب "نُبَذْ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر" من كتب الأنساب التى أفادت الدراسة، رغم أن مؤلفه المجهول الاسم(٥) عاش فى عصر متأخر (ألف كتابه سنة ٧١٢هـ/

١٣١٢م)، ويرجع ذلك إلى أنه اعتمد على ابن حزم فى حديثه عن مواطن استقرار البربر فى الأندلس، وقد أمدنا بمعلومات مهمة عن أحوال البربر أثناء الفتنة البربرية التى اندلعت فى الأندلس أواخر القرن الرابع الهجرى، وكانت من أسباب انهيار الخلافة الأموية فى الأندلس، حيث أشار إشارات مهمة إلى استيلاء البربر على كثير من الأراضى والمناطق الريفية، واستقرارهم فيها، وممارساتهم التعسفية ضد الأندلسيين، مما كانت له تأثيراته الواضحة على المجتمع الريفى.

ومن الكتب التى تدخل ضمن كتب الأنساب أيضًا "بيوتات فاس الكبرا" الذى ينسب على الأرجح إلى أبى الوليد إسماعيل بن الأحمر(٦) (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م)، وقد اشتمل هذا الكتاب على إشارات هامة تتعلق بتأثير الظروف السياسية فى المشرق- منذ أوائل القرن الثانى الهجرى- على زيادة الهجرة المشرقية إلى الأندلس، وحوى الكتاب أيضًا معلومات فريدة عن المهن التى احترفتها العناصر السكانية المختلفة فى الريف ومنها يتضح زيف المقولة التى تقول بازدراء العرب للفلاحة والزراعة.

٢- كتب الجغرافيا والرحلات:

من الكتب الجغرافية الهامة التى أفادت الدراسة كتاب "وصف إسبانيا لأحمد الرازى (ت٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) الذى نشره ليفى بروفنسال تحت عنوان:

La "description de l'Espagne" d'Ahmad Al- RAZI.

وقد أمدنا الرازى بمعلومات هامة عن جغرافية الأندلس، خاصة المعلومات التى تتعلق بأنهار الأندلس وجبالها، ودورهما فى النشاط الاقتصادى للسكان، فقد اهتم الرازى بوصف منابع الأنهار، وخطوط جريانها، وأهم سماتها، وأهميتها الملاحية، وما تحويه من ثروة سمكية، كما أشار إلى بعض العيون المائية، وكان الرازى أول من ميَّز بين إقليمين مناخيين مختلفين فى الأندلس، هذا فضلاً عن تحديداته الدقيقة لمواقع الأقاليم والمدن الأندلسية، وإشاراته المهمة التى تتعلق بالناحية الاقتصادية.

ومثّل كتاب "نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك" للعذرى (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) لنا أهمية كبرى؛ لأنه قدم لنا معلومات على درجة كبيرة من الأهمية، خاصة فيما يتعلق بالأنهار والعيون المائية، وخطوط جريانها، وسماتها وخصائصها، ونظم الرى ووسائله، والإنتاج الزراعى، وأنواع النشاط الاقتصادى وطرق المواصلات الداخلية، وأخبار الفتن والثورات وغارات المجوس (النورمان) وتأثيراتها.

كما أشار العذرى عرضًا إلى مواطن استقرار العناصر السكانية فى الريف، وإلى بعض العادات الاجتماعية، والعجائب والأساطير. وقدّم معلومات فى غاية الأهمية عن التقسيم الإدارى والوحدات الإدارية فى الريف ونظام الضرائب وطرق الجباية، كما أشار إلى بعض المرافق والمنشآت الاجتماعية فى الريف.

ومن المصادر الجغرافية التى أفادت الدراسة أيضًا كتاب "جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك و الممالك" للبكرى (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، الذى قدّم لنا معلومات هامة عن مناخ الأندلس، وربط بين تنوع المناخ وتنوع الموارد الطبيعية، وأورد إشارات قيمة عن الموارد المعدنية فى الأندلس، هذا فضلاً عن الإشارات التى تتعلق بالإنتاج الزراعى والأنشطة السكانية الأخرى. وقد اهتم البكرى بالنواحى الإدارية، فأورد معلومات هامة عن تقسيم الأندلس الإدارى، استفدنا منها فى معالجة الجزئية الخاصة بالتنظيم الإدارى للريف، خاصة وأنه أشار إلى الأقاليم الريفية لبعض المدن، ومقادير الجباية فيها، هذا إلى بعض المعلومات التى تتعلق بالنواحى الاجتماعية.

أما "كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق" للإدريسى (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) فقد أمدنا بمعلومات مفصلة عن أنهار الأندلس، إذ وصف منابعها وخطوط جريانها ومصباتها، ومن خلال ذلك تعرفنا على سمات هذه الأنهار وخصائصها، وأهميتها، كما أمدنا بمعلومات مهمة عن العيون والآبار المائية وأهم سماتها وأماكن تواجدها، وأهميتها، وأشار إشارات قيّمة لنظم الرى ووسائله وآلاته،

وأصناف الأنشطة الفلاحية من زراعة ورعى وصيد وصناعة وغيرها، هذا بالإضافة إلى المعلومات القيِّمة التى تخص طرق المواصلات البحرية والنهرية، والأسواق الريفية، والمرافق والمنشآت الاجتماعية فى الريف، والتنظيم الإدارى والوحدات الإدارية. وترجع أهمية كتاب الإدريسى إلى أنه نقل عن كُتَّاب متقدمين خاصة الرازى.

ويعتبر كتاب "الجغرافية" للزهرى (المتوفى أواسط القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى)من الكتب الجغرافية التى أفادت الدراسة، فقد قدَّم لنا معلومات مهمة عن الموارد المائية فى الأندلس، خاصة ما يتعلق منها بالأنهار، وألقى أضواء على الجوانب الاقتصادية، فأشار إلى الإنتاج الزراعى، وأنشطة الفلاحين المختلفة، وأمدنا بنص هام عن وضعية الأرض فى الأندلس.

ونقل ابن غالب (عاش فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) فى "فرحة الأنفس" كثيرًا من المعلومات عن الرازى، ومن هنا برزت قيمة كتابه المنشور تحت عنوان "تعليق منتقى من فرحة الأنفس"، لأنه يحوى معلومات متنوعة عن الموارد المائية فى الأندلس، خاصة العيون المائية، والأنشطة الفلاحية فى الريف من زراعة ورعى، وتربية الطيور والحيوانات والصيد، وصناعة وغيرها، هذا إلى جانب بعض المعلومات التى تخص الجانب الاجتماعى والإدارى.

إلا أننا عوَّلنا كثيرًا على كتاب الحميرى (ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م) "صفة جزيرة الأندلس" التى انتخبها ليفى بروفنسال من كتاب "الروض المعطار" وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه قد نقل عن مصادر متقدمة، واشتمل على نصوص تاريخية مهمة، فهو لا يعتبر كتاب جغرافى محض، بل هو كتاب جغرافى- تاريخى-، أورد فيه مؤلفه معلومات قيِّمة عن الفلاحة الأندلسية، فقد أشار إلى الموارد المائية وسماتها وخصائصها، والإنتاج الزراعى والعوامل المؤثرة فيه، هذا إلى معلومات هامة عن نظم الرى ووسائله وآلاته، ومناطق الرعى وتربية الحيوان، وأنشطة الفلاحين فى تربية النحل، ودودة القز، والطيور المنزلية،

والصيد، هذا إلى جانب المعلومات التى تتعلق بالموارد المعدنية فى الريف، والصناعات المختلفة، والأسواق الأسبوعية فى بعض القرى. وألقى الحميرى الضوء على أهمية العيون المائية خاصة العيون الاستشفائية موضحًا بعض العادات الريفية، كما أشار إلى بعض المرافق الاجتماعية فى الريف، والتنظيم الإدراى، ووضعية الأرض.

ومن كتب الرحلات المغربية "رحلة الوزير فى إفتكاك الأسير" للغسانى (ت١١١٩هـ/ ١٧٠٧م)، الذى وفد على كارلوص الثانى ملك أسبانيا سنة١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م، سفيرًا من قبل السلطان العلوى المولى إسماعيل، وقد دون الغسانى أخبار سفارته وضمنها معلومات على درجة كبيرة من الأهمية تختص بأخبار فتح الأندلس، ووضعية الأرض. وترجع قيمة هذه المعلومات إلى أنه نقلها عن مصدر مفقود لإبراهيم بن مزين (عاش فى القرن الخامس الهجرى)، ورغم أن معلوماته تتسم بالتناقض فى بعض الأحيان إلا أنه أمكن- من خلال مقارنتها بالمعلومات الواردة فى المصادر الأخرى- الاستفادة منها، كما أشار الغسانى إلى نظام الفنادق الإسبانية، التى لم تختلف كثيرًا عن نظم الفنادق الإسلامية التى كانت موجودة قبل سقوط الأندلس.

وساهم الجغرافيون والرحالة المشارقة بنصيب لا بأس به فى إثراء مادة الدراسة خاصة، وأن غالبيتهم قد عاصروا فترة الدراسة، ومن أوائلهم اليعقوبى (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) صاحب "كتاب البلدان" وكتابه يحوى معلومات جغرافية وتاريخية أفادت الدراسة، خاصة تلك المعلومات التى تتعلق بالموارد المائية، ومواطن استقرار العرب والبربر، وطرق المواصلات الداخلية، وطبيعة الأندلس الزراعية وغنى الريف الأندلسى.

كما استفدنا من المعلومات التى أوردها الإصطخرى (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) صاحب كتاب "المسالك والممالك" بخصوص الأنشطة الاقتصادية مثل: تربية دودة القز وإنتاج الحرير وبعض الأنشطة الصناعية، وكذا المعلومات الخاصة بالموارد المعدنية، ومراكز الاستقرار البشرى فى الريف.

ومن الرحالة المشرقيين الذين زاروا الأندلس ابن حوقل النصيبى (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، الذى زار الأندلس سنة٣٣٧هـ/ ٩٤٨م، وأورد معلومات هامة تتعلق بالنواحى الاقتصادية، ويفهم من كلامه تمتع الأندلس آنذاك بثراء وافر، إلا أن معلوماته يجب أن تؤخذ بشيء من الحذر بسبب ما قيل عنه بأنه كان جاسوسًا فاطميًا، ورغم ذلك، فإن معلوماته فيما يخص الناحية الاقتصادية تبدو واقعية إذا ما نظرنا إلى الاستقرار الذى ساد الأندلس آنذاك إبان حكم الخليفة الناصر، الذى تميَّز النصف الثانى من فترة حكمه بالهدوء والاستقرار.

وقد أورد ابن حوقل معلومات هامة عن مناطق الرعى وتربية الحيوان، ومدح البغال الأندلسية، وصناعة النسيج، وأشار إلى مواد الصباغة، وأورد معلومات قيِّمة عن طرق المواصلات، والقرى التى تقع على طرق المواصلات ودورها فى التجارة الداخلية، وله ملاحظات هامة عن أعداد النصارى فى الريف، وإن كان جيشارا قد رفض قبول ملاحظته تلك عن كثرة أعداد النصارى فى الريف، وذكر أن ابن حوقل إنما يردد معلومات عن موقف كان موجودًا قبل فترة الخلافة، وأن كلامه يتفق مع معلومات نقلتها لنا الحوليات التى تتعامل مع نهاية الإمارة[٧].

أما المقدسى (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، فقد أورد فى كتابه "أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم" معلومات مفيدة عن بعض المصطلحات الجغرافية والإدارية فى الأندلس، كما أشار إلى بعض موارد المياه خاصة العيون المائية وأهميتها، وبعض المعلومات الخاصة بالنشاط الاقتصادى للسكان.

ومن الكتب الجغرافية المشرقية المهمة أيضًا كتاب "آثار البلاد وأخبار العباد" للقزوينى (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، الذى اهتم بالحديث عن الموارد المائية فى الأندلس ودورها فى عملية الرى، وأشار إلى مناطق الرعى وتربية الحيوان، والصيد، وقدم معلومات مهمة عن الأرحية المتنقلة، والعيون الاستشفائية، وأشار إلى بعض العادات والتقاليد التى تستند إلى أفكار خرافية، وذكر معلومات عن العمران البشرى فى الجبال.

٤ـ كتب الفقه والخراج والنوازل والحسبة:

استفادت الدراسة من طائفة من كتب الفقه والخراج التى تهتم غالبًا بالجانب النظرى، مثل كتاب "الموطأ" للإمام مالك (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م) الذى كان أساسًا لكثير من الأحكام الفقهية فى الأندلس، بسبب أخذ الأندلسيين بمذهب مالك، كما استفادت الدراسة من بعض المعلومات التى وردت فى الموطأ بخصوص فقه المزارعة والمغارسة، والمساقاة، وكراء الأرض، وكذا المعلومات الخاصة بمقدار الخراج والجزية.

ورجعنا إلى العديد من كتب الفقه والخراج، خاصة "كتاب الخراج" لأبى يوسف (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، "وكتاب الخراج" ليحيى بن آدم (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، وكتاب "الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، للماوردى (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، وكتاب "المقدمات الممهدات" لابن رشد (الجد) (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، وكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد (الحفيد) (ت٥٩٥هـ/ ١٢٠١م)، و"مذاهب الحكام فى نوازل الأحكام" للقاضى عياض، وذلك لاستطلاع جانب الفقه النظرى فيما يخص الخراج والزكاة والجزية وعشور التجارة، والعلاقات الزراعية من مزارعة، ومغارسة ومساقاة وغيرها، ومقارنة ذلك بالواقع العملى فى المجتمع الريفى.

وقدّم لنا الداودى (ت٤٠٢هـ/ ١٠١١م) نص هام يتعلق بوضعية الأرض فى الأندلس وينفى عملية تخميسها، وبذلك يعتبر الداودى أول من نفى عملية تخميس أراضى الأندلس، وأيده بعد ذلك ابن حزم والزهرى.

ومن كتب الفقه التى استفدنا منها أيضًا كتاب "المحلى"، وكتاب "الإحكام فى أصول الأحكام" لابن حزم.

إلا أن كتب الفتاوى والنوازل قد أثْرَتْ البحث بدرجة كبيرة نظرًا لأنها قدّمت صورة واقعية للمجتمع الريفى فى الأندلس من خلال النوازل العديدة المتعلقة بوقائع حدثت بالفعل.

ومن أهم كتب النوازل التى اعتمدت عليها الدراسة كتاب أبى الأصبغ عيسى بن سهل الجيانى (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، وقد اعتمدنا على نسخة مخطوطة من الكتاب بعنوان "نوازل الأحكام لأبى الحسن الجيانى" ثم الأجزاء التى نشرها وحققها الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف، من المخطوط وهى على النحو التالى: "ثلاث وثائق فى محاربة الأهواء والبدع فى الأندلس"، "وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس"، وثائق فى أحكام القضاء الجنائى فى الأندلس"، "وثائق فى شئون الحسبة فى الأندلس" و"وثائق فى شئون العمران فى الأندلس"، ثم اعتمدنا على نسخة كاملة من الكتاب نشرت بتحقيق متواضع لنورة عبد العزيز التويجرى، فى المملكة العربية السعودية. كما أطلعنا على جزء من المخطوط نشر بعناية تهامى العزمورى، فى مجلة هيسبريس.

وترجع أهمية كتاب ابن سهل إلى أنه أورد نوازل ترجع إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلادين، إلى جانب النوازل التى تتعلق بالقرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى. وشكلت هذه النوازل فى مجموعها مادة زاخرة أثْرَتْ الدراسة خاصة فى النواحى الاقتصاية والاجتماعية، فقد أورد ابن سهل نوازل تتعلق بأصناف الجوائح التى تصيب المزروعات، والتى كان يستوجب معها تخفيض الضرائب، ونوازل تتعلق بإدارة أراضى الأحباس ونظام كراء الأراضى وقبالتها، ونوازل تتعلق بتأثير الحروب والفتن على المجتمع الريفى، هذا فضلاً عن النوازل التى تتعلق بالأنشطة الاقتصادية للفلاحين فى الريف مثل تربية الحمام والصيد، كما أورد نوازل تتعلق بالطرق النهرية ودورها فى الاقتصاد الريفى.

وأمدنا ابن سهل بمعلومات هامة عن وضعية النصارى، وامتلاكهم للأراضى وعلاقتهم بقوامسهم، وكذا معلومات هامة عن بعض الطبقات السكانية مثل العبيد، هذا إلى جانب ما قدمَّه من معلومات تخص الحياة العائلية ودور المرأة فى المجتمع، وطقوس الزواج وهدايا العرس، كما قدَّم ابن سهل معلومات جديدة وفريدة عن الملابس الأندلسية ووسائل الزينة.

وفى الناحية المالية والإدارية استفدنا من بعض المعلومات التى قدّمها بخصوص نظام جباية الضرائب، ودور بعض موظفى الإدارة المحلية، والمرافق العامة فى الريف، كما قدّم لنا معلومات مستفيضة عن الداعية الشيعى أبى الخير ودوره فى نشر الفكر الشيعى فى الأندلس فى منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى.

أما كتاب "الأحكام" للقاضى أبى المطرف عبد الرحمن بن قاسم المالقى (ت٤٩٧هـ/ ١١٠٣م)، فترجع أهميته إلى أنه أورد نوازل متقدمة، كما أنه نقل عن ابن سهل كثيرًا من النوازل، وقد أمدنا بمعلومات هامة تتعلق بوسائل وطرق المواصلات الداخلية، والحركة التجارية ومعوقاتها، والعلاقات الزراعية بين الملاك والزراعيين، والوضعية الاجتماعية لبعض الفئات السكانية كالرعاة والأجراء وعمال المياومة، وكذا وضعية الرقيق والعبيد، كما أمدنا بمادة طيبة عن الحياة العائلية، ودور المرأة، وطقوس الزواج، وبعض العادات الاجتماعية.

كما استفادت الدراسة من العديد من النوازل التى أوردها ابن رشد (الجد) فى كتابه "البيان والتحصيل" وترجع أهمية نوازله إلى أن طائفة منها تعود إلى وقت متقدم، هذا فضلاً عن أنها تتناول العديد من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية، خاصة ما يتعلق منها بالعوامل المؤثرة فى المجتمع الريفى، وتقنيات العمل الزراعى، والنشاط الاقتصادى للسكان من زراعة ورعى، وصيد، وتجارة، هذا فضلاً عن معلوماته المفيدة فيما يخص بعض الفئات الفلاحية كالرعاة، والصيادين، والأجراء وعمال المياومة، والعبيد، هذا إلى جانب معلوماته الهامة فيما يخص النواحى الاجتماعية مثل الحياة العائلية ودور المرأة والملابس والأزياء، والعادات الاجتماعية، وغيرها. كما أشار إلى بعض العلاقات الزراعية بين المزارعين وأرباب الأراضى.

ورغم أن الونشريسى(٨) (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) كاتب مغربى متأخر، إلى أنه جمع فى "المعيَار المُعْرِبْ والجَامِعْ المُغْرِبْ عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمَغرِبْ" نوازل ترجع إلى القرون الأولى من تاريخ الأندلس، ومن الثابت أنه نقل

عن ابن سهل بعض نوازله، وقد اعتمدنا على نوازله بشكل كبير لغزارة المادة العلمية فيها وتنوعها، إذ غطت العديد من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد قدَّم الونشريسى- من خلال نوازله- معلومات هامة عن العوامل المؤثرة فى المجتمع الريفى، ونشاط الفلاحين فى مجابهة هذه العوامل، هذا فضلاً عن المعلومات الغزيرة التى تتعلق بالفلاحة، ونشاط الفلاحين ونظم الرى ووسائله، وتقنيات العمل الزراعى، والطرق النهرية والحركة التجارية.

كما أوضحت كثيرُ من النوازل الوضعية الاقتصادية للعديد من الفئات السكانية كالرعاة والصيادين وعمال المياومة، والحياة العائلية والعادات والطقوس الاجتماعية، ومظاهر الاحتفالات والأعياد، هذا إلى جانب بعض المعلومات التى تخص الجانب الإدارى فى الريف.

ومن كتب الحسبة التى أفادت الدراسة كتاب "أحكام السوق" ليحيى بن عمر بن يوسف الكنانى الأندلسى(٩) (ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م)، وقد رجعنا إلى نشرتين مختلفتين للكتاب، الأولى: نشرة الأستاذ الدكتور محمود على مكى للكتاب بصحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، فى العدد الرابع سنة ١٩٥٦م، برواية محمد بن الشبل بن بكر القيسى التطيلى، والنشرة الثانية للكتاب، نشرها الأستاذ فرحات الدشراوى عن نسخة للكتاب برواية أبى جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد القصرى، وبتحقيق الشيخ المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب. وتختلف الروايتان من حيث التبويب، وتمتاز كل منهما عن الأخرى بزيادات فى بعض المواضع، ولكنهما يتكاملان.

وقد استفدنا من الكتاب من منطلق وحدة التشريع الإسلامى، هذا فضلاً عن أن يحيى بن عمر كان فى الأصل أندلسيا، نشأ بقرطبة، وتلقى فيها أول علومه، ثم رحل إلى المشرق فسمع بمصر والحجاز، وعاد ليستقر فى القيروان. ولا يختلف حديثه كثيرًا عما ورد بكتب الحسبة الأندلسية، فيما يخص الاحتساب فى الأسواق، والعلاقات الاقتصادية بين الريف والمدينة، والعادات والطقوس الاجتماعية وغيرها، وترجع أهمية الكتاب أيضًا إلى أنه أول كتاب يُؤلَّف فى الحسبة فى المغرب الإسلامى فى ذلك الوقت المبكر.

أما كتب الحسبة المتأخرة لابن عبدون وابن عبد الرؤوف والجرسيفى والسقطى، فكلها أفادت الدراسة رغم تأخرها، لأنها أوردت آراء فقهية لبعض متقدمى الفقهاء الأندلسيين فيما يخص قضايا اقتصادية واجتماعية عامة، وأفادتنا كتب الحسبة أيضًا فى توضيح العلاقة الارتباطية بين الريف والمدينة، خاصة فى الناحية الاقتصادية، فتحدثت عن أصناف السلع الريفية فى أسواق المدن، وطرق المواصلات، والنشاط الاقتصادى للسكان الريفيين فى المدينة. كما قدَّمت كتب الحسبة معلومات عن طوائف الأجراء وعمال المياومة، ودور المرأة الريفية فى الحياة الاقتصادية، ومظاهر الاحتفالات والأعياد وطقوس الزواج والموت ومعلومات هامة عن الملابس ووسائل التسلية واللهو، ومعلومات تخص الناحية الثقافية.

ومن الكتب التى تتشابه أغراضها مع كتب الحسبة كتاب "الحوادث والبدع" للطُرطُوشى (ت٥٢٥هـ/ ١١٢٩م)، وقدّم لنا بعض الآراء الفقهية الخاصة ببعض القضايا الاجتماعية، من خلال نقده لبعض السلوكيات العامة فى المجتمع الأندلسى، وهو ما أفادنا فى المقارنة بين الآراء المتقدمة، والآراء المتأخرة بخصوص بعض القضايا، كما قدَّم لنا معلومات هامة عن مظاهر الاحتفالات العامة ببعض الأعياد والمناسبات العامة.

٥ـ كتب الفلاحة والطب:

وهى من الكتب التى اعتمدت عليها الدراسة بشكل رئيسى، ويأتى فى مقدمتها كتاب "تقويم قرطبة لسنة ٩٦١م" لعريب بن سعد القرطبى (ت٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، وترجع أهمية الكتاب إلى أنه أُلّف فى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، وهذا التاريخ يمثل تقريبًا بدايات الازدهار الأندلسى فى مختلف المجالات فى بداية حكم الخليفة العالم الحكم المستنصر، الذى أُهْدِىَ له الكتاب الذى يمثل تسجيلاً شبه يومى لنشاط الفلاح الأندلسى، ووصفًا دقيقًا للدورة الزراعية التى كان يتبعها الفلاحون، وتقنيات العمل الزراعى، كما قدَّم عريب فى تقويمه معلومات هامة عن العلاقة الارتباطية بين الريف والحكومة وأنواع الإنتاج الزراعى، وأصناف النشاط الاقتصادى

للفلاحين فى الريف، والموارد المائية ونظم الرى، ودورة الإنتاج الحيوانى، والصناعات الغذائية ومعلومات فريدة عن الأعياد النصرانية.

وترجع أهمية كتاب "تقويم قرطبة" إلى أنه يؤكد على المعلومات الواردة فى المصادر الجغرافية، وكتب الفلاحة[١٠]، ويرى البعض أن عريب بن سعد ربما يكون قد اعتمد على مُؤلَّف له فى الزراعة، مازال مفقودًا عند تأليفه لتقويمه هذا[١١].

أما "كتاب الفلاحة" لأبى الخير الأشبيلى (المتوفى فى القرن الخامس الهجرى) و"زهر البستان ونزهة الأذهان" لمحمد بن مالك الطغنرى (كان حيًا فى أواخر القرن الخامس الهجرى) و"كتاب الفلاحة" لابن العوام الإشبيلى (عاش فى القرنين السادس والسابع الهجريين)، وكتاب "منظومة فى الفلاحة الأندلسية" لمؤلف مجهول، فكلها أفادت الدراسة بدرجة كبيرة، رغم تأخرها النسبى، لأن الأساليب الزراعية بطيئة التغير، ومن الثابت أن مؤلفى هذه الكتب قد جمعوا بين الإطار النظرى والخبرة العملية المكتسبة من البيئة الزراعية الأندلسية، كما أنهم نقلوا عن مؤلفين متقدمين مثل عريب بن سعد، وابن أبى الجواد، وابن حجاج وغيرهم.

وحوت هذه الكتب معلومات مستفيضة عن أنواع التربة، ووسائل الفلاحين فى التعرف على الجيد منها والردىء، وخواص المياه وما يناسبها من أنواع التربة، والنباتات وتقنيات العمل الزراعى، والموارد المائية، ونظم الرى ووسائله، ودورة العمل الزراعى بدايةً من تجهيز الأرض للزراعة، وانتهاء بحصاد المزروعات وجنى الثمار، بالإضافة إلى المعلومات الخاصة بالأنشطة الاقتصادية الأخرى للفلاحين كالرعى وتربية الحيوان والصيد، والصناعة، والمعلومات الخاصة بفئات العمال والأجراء، وعلاقتهم بأرباب العمل، وطب الحيوان أو البيطرة.

وكانت هذه المؤلفات الفلاحية بمثابة الدليل العملى على أهمية الفلاحة والزراعة بالنسبة للمجتمع الأندلسى، كما كانت فى الوقت نفسه تمثل نتاجًا لتفاعل كثير من الحضارات على الأرض الأندلسية، ولكنها فى الوقت نفسه كانت بمثابة

مدرسة أندلسية زراعية لها شخصيتها المميزة عن باقى المدارس الزراعية فى العالم آنذاك، والتى جمعت بين الجانب النظرى المتأثر بحضارات شتى والخبرة العملية النابعة من البيئة الفلاحية الأندلسية[١٢].

وقد استفادت الدراسة أيضًا من كتب الطب والأغذية مثل كتاب "مختصر فى الطب" لعبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٦م) وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه من أوائل كتب الطب الأندلسية- إن لم يكن أولها- وقد حوى معلومات هامة عن الطرق والوسائل الشعبية التى كان يستخدمها عامة الأندلسيين فى العلاج.

أما "كتاب الأغذية" لعبد الملك بن زهر (ت٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) وكتاب "منتخب جامع المفردات" للغافقى (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، فعلى الرغم من تأخرهما النسبى إلا أنهما ذكرا بعضًا من الطرق الشعبية فى العلاج، والتى لم تتغير كثيرًا عما ذكره ابن حبيب فى كتابه، كما اشتملا الكتابان على معلومات تتعلق بالموارد الطبيعية والإنتاج الزراعى والحيوانى إلى غير ذلك من المعلومات المفيدة.

٦- كتب الأدب واللغة والأمثال الشعبية:

من المؤلفات الأدبية التى اشتملت على معلومات مفيدة بعض مؤلفات ابن حزم الأدبية مثل "رسائل ابن حزم" التى نشرها إحسان عباس، وكتابا "الأخلاق والسير"، و "طوق الحمامة" اللذين نشرهما الطاهر مكى، وقد حوت هذه الكتب معلومات هامة، تخص الجانب السياسى والاقتصادى والاجتماعى، ويكفى أن ابن حزم قد انفرد بمعلومات هامة عن لعبة خيال الظل فى الأندلس لم ترد عند كاتب أندلسى آخر، وكذا إشارته الهامة عن وضعية الأرض فى الأندلس، ومناهج التعليم ومراحله فى الأندلس.

ومن أهم كتب الأدب التى أثرَتْ الدراسة كتاب "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنترينى (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، وترجع أهمية كتابه إلى أنه نقل عن مصادر متقدمة لابن حيان وابن حزم وغيرهما، وإليه يرجع الفضل فى

الاحتفاظ بكثير من النصوص المفقودة، وأمدنا ابن بسام بمعلومات هامة من خلال النصوص التى احتفظ بها، تدور حول الأحداث السياسية المضطربة التى عمت الأندلس فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين، وأثرها على المجتمع الريفى، هذا إلى بعض المعلومات التى استطعنا توظيفها فى معالجة بعض الجزئيات الخاصة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ومن الكتب الأدبية التى استفدنا منها أيضًا كتاب "المُغْرِب فى حُلَى المَغْرِب" لابن سعيد (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، الذى قدم لنا معلومات هامة تتعلق بمختلف النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وذلك فى معرض حديثه عن أدباء وعلماء وشعراء الأندلس، وألقى أضواء باهرة على بعض العادات الريفية والسمات العامة للشخصية الريفية.

ومن المؤلفات الأدبية أيضًا الدواوين الشعرية، ورجعنا إلى بعضها مثل "ديوان ابن دراج القَسْطَلّى" (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، و"ديوان ابن شهيد" (ت٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م)، و"ديوان ابن خفاجة" (ت٥٣٣هـ/ ١١٣٧م). وترجع أهمية الشعر إلى أنه فى كثير من الأحيان يمثل مرآة للواقع الاجتماعى، وقد أمدتنا هذه الدواوين بمعلومات هامة تخص الجانب الاقتصادى والاجتماعى بالذات.

ويعتبر "ديوان ابن قزمان"- وهو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان من أهل قرطبة(ت٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)[١٣]- الزجلى من المصادر الأدبية التى استفادت منها الدراسة. وترجع أهمية أزجال ابن قزمان إلى أنها تعبر عن كثير من الشؤون اليومية لعامة الأندلسيين، هذا فضلاً عن أنها مكتوبة بالعامية الأندلسية، وهى لغة عامة الأندلسيين اليومية. وتزخر أزجال ابن قزمان بمعلومات هامة عن مظاهر الحياة الاجتماعية، كالاحتفالات بالأعياد خاصة عيد الأضحى، وعيد الميلاد، وعيد العصير وطقوس الزواج والملابس، وفنون التسلية واللهو.

ومن كتب اللغة التى أفادت الدراسة كتاب " لحن العامة" للزبيدى، وكتاب "المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان" لابن هشام اللخمى (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، وترجع أهمية الكتابين إلى أنهما ألقيا أضواء على عامية أهل الأندلس من خلال

توضيحهما لبعض الألفاظ الدخيلة على العربية فى الأندلس، هذا إلى أنهما تعرضا لتوضيح كثير من المصطلحات والألفاظ التى أفادتنا فى الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، كما تناولابعض الألفاظ التى أصابها اللحن بفعل التأثر باللهجات واللغات الأخرى.

أما الأمثال الشعبية، فكانت من مصادرنا الأساسية خاصة مجموعة أمثال أبى يحيى الزَجّالى (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) التى نشرها محمد بن شريفة، ومجموعة أمثال ابن عاصم الغَرْناطى (ت٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م) التى نشرها عبد العزيز الأهوانى. ورغم أن كلا من الزجالى وابن عاصم متأخرين إلا أنه من الثابت أن الأمثال التى جمعاها تحتوى على طائفة كبيرة من الأمثال التى لا تنتمى لعصر معين، بل إن فيها أمثالاً كثيرة ترجع إلى القرون المبكرة من تاريخ الأندلس. وتنبع قيمة هذه الأمثال من أن طائفة كبيرة منها تعبر عن الفلاحة والفلاحين، والأساليب الزراعية، والمشاكل التى تقابل الفلاحين، وسلوك العمال والأجراء، والسلوك العام فى الأسواق، ووضعية المرأة والعبيد، والعادات الاجتماعية والسمات العامة للشخصية الأندلسية إلى غير ذلك من المعلومات الهامة.

ولا شك فى أهمية الأمثال الشعبية كمصدر تاريخى، خاصة لدراسة المجتمعات الريفية التى تتميز غالبًا بالثقافة الشفوية، وتحرص على تداول الأمثال وحفظها، لذا كان سلطان الأمثال أقوى فى الريف عنه فى المدينة.

٧ـ مصادر متنوعة:

كما رجعنا إلى طائفة من المصادر المتنوعة، منها كتب وثائق، وكتب أديان، ومعاجم، وكتب اجتماعية وسياسية، وكتب فى الطبيخ، وموسوعات. ومن كتب الوثائق التى أفادت الدراسة "كتاب الوثائق والسجلات" لابن العطار (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) ويحتوى على مجموعة فريدة من نماذج الوثائق التى تخص الشئون الاقتصادية والاجتماعية والدينية للسكان فى المجتمع الأندلسى بصفة عامة، ومنها

استطعنا أن نستفيد من بعض نماذج الوثائق التى تخص المجتمع الريفى والحياة الزراعية والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، ومن هذه الوثائق استطعنا استخراج العديد من المعلومات التى تتعلق بالعوامل المؤثرة فى المجتمع الريفى، ونظم الرى، والعلاقات الزراعية المختلفة، والتعاملات المالية بين الفلاحين، والطبقات الاجتماعية، والحياة العائلية وطقوس الزواج، وبعض العادات الاجتماعية، هذا فضلاً عن بعض المعلومات التى تخص الجانب الإدراى.

ومن كتاب "الفصل فى الملل والأهواء والنحل"- الذى يُصنَّف ضمن كُتُب مقارنة الأديان- استفدنا ببعض المعلومات القيِّمة، خاصة تلك التى تخص بعض العادات والتقاليد الاجتماعية مثلما ذكره ابن حزم عن السحر والألعاب السحرية، وكذا بعض المعلومات عن الطوائف والفرق الخارجية.

ومن كتب المعاجم عولنا على "معجم البلدان" لياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) الذى ساعدنا فى ضبط كثير من الأعلام الجغرافية الأندلسية، وأمدنا بمادة زاخرة عن الحصون والأحواز الريفية وما بها من أنشطة اقتصادية، كما أمدنا بمعلومات قيِّمة تخص الناحية الإدارية، هذا فضلاً عن بعض المعلومات التى تخص الجانب الثقافى.

واعتمدت الدراسة على ما قدَّمه ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) فى "المقدمة" من معلومات تتعلق بالتمييز بين المجتمع الريفى والحضرى، ومن خلالها استطعنا تحديد الإطار الاجتماعى للريف الأندلسى، هذا إلى ما قدَّمه من معلومات تخص بعض الفئات الفلاحية، وأنواع غذائها ومساكنها، بالإضافة إلى ما ذكره عن الخطط الدينية وتصنيف العلوم.

ومن الكتب السياسية نذكر كتاب "سراج الملوك" للطرطوشى الذى أمدنا بنص مهم يتعلق بقيام المنصور بن أبى عامر بإلغاء نظام الإقطاع العسكرى، الذى كان معمولاً به منذ الفتح، وهو ما أدى إلى تدهور الحياة الزراعية فى الأندلس، على ما ذكر الطرطوشى، هذا فضلاً عن معلوماته عن الجزية ومقدارها فى الأندلس.

وأمدنا" كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس بمعلومات فريدة عن أصناف الأطعمة وطرق طهيها، كما أشار إلى بعض أطعمة الفلاحين والعامة، وترجع أهمية كتابه- رغم تأخره النسبى- إلى أنه نقل عن مصادر متقدمة، كما أورد بعض الأطعمة التى ترجع إلى عصر الخلافة.

ويعتبر كتاب المقرى (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)" نفح الطيب" من كتب الموسوعات التى يقل نظيرها، لما اشتمل عليه من معلومات غزيرة متنوعة أثرت الدراسة، وترجع أهمية كتاب المقرى إلا أن مؤلفه نقل عن غالبية الكُتّاب الأندلسيين والمشارقة المتقدمين، واحتفظ بكثير من النصوص التى ضاعت أصولها، وبذلك أسدى للدراسات التاريخية الأندلسية خدمة عظيمة.

كما استفدنا من طائفة من الدراسات الحديثة العربية منها والأجنبية، ما بين كتب ومقالات وأبحاث، ونخص بالذكر هنا بعض مؤلفات ليفى بروفنسال خاصة كتابيه:

L'Espagne Musulmane au xeme siecle. و Histoire de L'Espagne Musulmane.

وترجع أهمية كتابيه إلى أنه اعتمد فيهما على طائفة ضخمة من أمهات المصادر العربية واللاتينية، التى فقد بعضها الآن، وعالج التاريخ الأندلسى من شتى جوانبه حتى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى بكثير من الموضوعية والنزاهة.

ولا يفوتنا الإشارة إلى المؤرخ الأمريكى T. F. Glick وكتابه:

I slamic, and Christian Spain in the Early middle ages.

الذى يعتبر دراسة سياسية اقتصادية واجتماعية مقارنة بين إسبانيا الإسلامية والنصرانية فى العصور الوسطى، وهى دراسة جيدة بذل فيها جيلك مجهودًا كبيرًا فى التحليل والنقد، وخرج بمجموعة من النتائج الهامة.

كما استفدنا من بعض الدراسات الحديثة أيضًا خاصة دراسات حسين مؤنس، وبيير جيشار P. Guichard، ومحمود على مكى ومحمد بركات البيلى، ومحمد عبد الوهاب خلاف وخواكين بايبى J. Vallve والسيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى، وغيرهم ممن يضيق المقام هنا عن ذكرهم.

ولا يسعنى هنا إلا أن أقدم عظيم شكرى، وجليل امتنانى إلى أستاذىَّ الجليلين: الأستاذ الدكتور محمد بركات البيلى- المشرف على الرسالة، والأستاذ الدكتور محمود على مكى- المشرف المشارك، فقد أوليانى من علمهما ورعايتهما، ما أعاننى على إنجاز هذه الرسالة، وصححا لى كثيرًا من المفاهيم الخاطئة، وبذلا مجهودًا قل نظيره فى الإرشاد والتوجيه والقراءة والتصحيح، فلهما منى جزيل الشكر ووافر العرفان.

ولزامًا علىَّ فى هذا المقام أن أوجه جزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذين الجليلين: الأستاذ الدكتور عباده عبد الرحمن كحيلة والأستاذ الدكتور سليمان العطار، اللذين أشرفا على هذه الرسالة فى مراحلها الأولى، فلهما منى عظيم شكرى وامتنانى.

الهوامش

(١) عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار الغرب، ت. محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى القاهرة، ١٩٤٩ ص٥٢٥.

(٢) انظر: الطاهر مكى: دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٣ ص٣٩ وما يليها.

(٣) أحمد مختار العبادى: من التراث العربي الإسبانى، نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الإسبانية التىّ تأثرت بها، عالم الفكر، م٨، ع١، ١٩٧٧ (٣٩- ٨٨) ص٤٢- ٤٣. ويرى ريبيرا أن كتاب أخبار مجموعة قد ساهم فى تأليفه أكثر من شخص، ويستدل على ذلك بعدم ترابط الرواية التاريخية للكتاب وتفككها، وأن مؤلفيها لابد أن يكونوا عربًا تعصبوا للعنصر العربى وأهملوا العناصر الأخرى، وأنهم عاشوا فى القرن الرابع الهجرى. الطاهر مكى: المرجع السابق ص٣٥- ٣٩.

(٤) جاء فى مقدمة المخطوط عنوان الكتاب على النحو التالى: "ذكر بلاد الأندلس وفضلها وصفاتها، وذكر أصقاعها ومدنها وجبالها وأنهارها وعجايبها، وما خصت به من الفضائل والبركات والجواهر والمعادن والأشجار والنبات وذكر مركزها من الأمم والملوك من بعد الطوفان إلى أن فتحها الإسلام ومن وليها من أمراء العرب بعد الفتح ومن ملكها من خلفاء الأمويين والحموديين العلويين، وذكر الدولة العامرية القائمين بدولة هشام المؤيد بها، وذكر الثوار المتغالبين عليها بعدهم ومن ملكها من ملوك المرابطين والموحدين وبنى مرين وبنى هود وبنى نصر وبنى أشقيلولة..." مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس وصفاتها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، برقم ١٧٦، جغرافية، مقدمة المخطوط ص١.

(٥) ذكر الدكتور محمود على مكى أن مؤلف كتاب "مفاخر البربر" شخص يدعى ابن عبد الحليم. انظر ابن دراج القسطلى: ديوان ابن دراج القسطلى.ت. محمود على مكى، دمشق، ط١، ١٩٦١م، حاشية ص٢٠، وص٢٤ من مقدمة التحقيق.

(٦) انظر ترجمته عند ابن القاضى: درة الحجال فى أسماء الرجال، ت. محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، ط١، ١٩٧٠، ج١، تر٣٠٢ ص٢١٣، وانظر أيضًا: عبد القادر زمامة: ذكر بعض مشاهير أعيان فاس فى القديم، مجلة تطوان، ع٧، ١٩٦٢م. ص٨٦- ٨٧.

(٧) Guichard: The social History of Muslim Spain From the conquest to the end of the Almohad regime. The Legacy of Muslim Spain. Brill, Leiden, 1992. (679- 708)p. 688.

(٨) انظر ترجمته فى ابن القاضى: المصدر السابق، ج١، تر١٣٠ ص٩١- ٩٢، جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٣، تر١٠٥ ص١٥٦- ١٥٧.

(٩) انظر ترجمته عند ابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب، ت.محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٢، ج٢، تر٣ ص٢٥٤- ٣٥٧.

(١٠) انظر ما ذكره ليفى بروفنسال عن قيمة كتاب "تقويم قرطبه":

Lévi- provencal: L'Espagne Musulmane au Xéme siecle. Paris. 1932.pp. 171- 173, Histoire de L' Espagne Musulmane. Paris. 1953. T. 111p. 298.

(١١) E. Garcia sanchez: Agriculture in Muslim Spain. The legacy of Muslim Spain. Brill, leiden 1992 (887- 1000) p. 988.

(١٢) انظر عن المدرسة الزراعية الأندلسية:

E. García sanchez: Ibid. pp. 987- 1000.

(١٣) ابن الآبار: المُقْتَضَبْ من تُحفَةْ القادِم، ت. إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط٢، ١٩٨٢، ص٩٥.

مفهوم الريف الأندلسى

تمهيد:

نقصد بمفهوم الريف الأندلسى ما كان يسمى "البادية الأندلسية"[١]، وهو اصطلاح يؤدى معنى الريف عندنا[٢]. وقد فضلنا استخدام مصطلح "الريف" لأنه أكثر دلالة، وأقرب معنى إلى ذهن المتلقى، وتجنبًا لما قد يحدثه استخدام مصطلح "البادية" من لبس لدى البعض أو اختلاط، هذا فضلاً عن وجود مصطلح "الريف" ومشتقاته فى أدبيات ذلك العصر[٣].

وقد اختلفت الاصطلاحات الخاصة بالريف وسكانه من منطقة إلى أخرى داخل العالم الإسلامى[٤]، وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك معايير وضعها الكُتّاب المسلمون للتفرقة بين المجتمعات الريفية وغيرها من مجتمعات الحواضر.

من هذه المعايير معيار "الموقع بالنسبة للماء" وهو معيار ورد عند اللغويين على الأخص، فاعتبروا الريف: "كل ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها"[٥]، يقصدون بذلك كل الأراضى الزراعية أو التى يمكن زراعتها بالقرب من مواطن المياه.

استخدم المسلمون- أيضًا- معيار "الحرفة أو المهنة" للتفرقة بين المجتمع الريفى وغيره من المجتمعات، وهو معيار مهم لدى علماء الاجتماع المحدثين للتفرقة بين المجتمعات المختلفة[٦]. وكان ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) أول من استخدمه لهذا الغرض، فذكر أن سكان البدو- ويقصد بهم أهل الريف- يمتهنون عدة حرف: "فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها"[٧]. إذًا كل من يعمل بالزراعة والرعى وتربية الحيوان وما يتعلق بهم من حرف يصنفه ابن خلدون ضمن سكان المجتمع الريفى.

ويبرر ابن خلدون حيثيات هذا التصنيف بقوله: "وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد إلى البدو لأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك"[٨].

ويستخدم ابن خلدون معيارًا ثانيًا يمكن أن نسميه "مستوى المعيشة" ويشمل الطعام والملبس والمسكن، فأهل البدو- ويقصد بهم أهل الريف- "مقتصرون على الضرورى من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجى أو كمالى"[٩].

ويرى كذلك أن شكل الاستقرار البدوى (الريفى) يعتمد أيضًا على الحرفة التى يمارسها السكان، فالذين يشتغلون بالزراعة كان الاستقرار أغلب عليهم، بعكس المشتغلين بالرعى، الذين يغلب عليهم التنقل والترحال وراء العشب والكلأ[١٠].

واستخدم الجغرافيون المسلمون معيارًا آخر يمكن أن نسميه معيار "الحجم"، ويشمل المساحة أو الخطة التى تشملها القرية أو المنطقة الريفية، وعدد السكان، والمرافق الاجتماعية الموجودة مثل الحمامات والفنادق وما إليها، فوجود مثل هذه المرافق- التى كانت لا تتوافر عادة إلا فى المدن- فى بعض القرى، كان بمثابة شاهد على اتساع خطتها، ومدعاة لتشبيهها بالمدن، كما كانت الحال بالنسبة لقرية "بزليانة"[١١]، "وهى قرية كالمدينة... بها الحمام والفنادق"[١٢].

إذًا معيار "الحجم" محدد هام يميز بين المجتمع الريفى، والمجتمع الحضرى، فالمجتمعات الريفية- غالبًا- ضئيلة المساحة، قليلة عدد السكان، شحيحة المرافق، فإذا تطورت إلى العكس، أصبحت شبيهة بمجتمعات المدن أو اندرجت فى عدادها[١٣].

وهكذا يتضح أن مفهوم الريف الأندلسى يعنى ما كان يسمى البادية الأندلسية، ويشمل كل المناطق الزراعية ومناطق الرعى والصيد خارج نطاق المدن الكبرى، وسوف نتحدث فى الفصل الرابع عن التقسيم الإدارى للريف الأندلسى، مما سيوضح الموضوع أكثر.

الهوامش

(١) يذكر ابن حزم أن "اسم البادى لا يقع عند العرب على ساكن فى المدن البتة"، ويستخدم ابن خلدون مصطلح "البادية" و"البدو" بمعنى أهل الفلح والفلاحة. ابن حزم: المحلى، بيروت، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر، ب. ت. ج٨ ص٤٥٥، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ت. على عبد الواحد وافى، القاهرة، دار نهضة مصر، ب. ت. ج٢ ص٤٦٧- ٤٦٨.

(٢) يعنى مفهوم الريف فى مصر، كل المناطق الزراعية المأهولة حول النيل، خارج نطاق المدن الكبرى. انظر: Dozy: Supplement auxdictionnares Arabes. Leide, Paris, 1927. T.1 p.575

(٣) ورد مصطلح الريف عند ابن حيان دالاً على المناطق الساحلية القريبة من البحر، وورد عند ابن سيده بنفس معنى الريف عندنا. انظر: ابن سيده: المخصص، بيروت، دار الآفاق، ب. ت. س١٠ ص١٤٧، ابن حيان: المقتبس، ت. محمود على مكى، بيروت، دار الكتاب العربى، ١٩٧٣ ص٣٠٨- ٣٠٩.

(٤) استخدم مصطلح "السواد" فى العراق الإسلامى ليدل على الريف، واستخدم فى الشام مصطلح "قرياتى"، وفى فارس مصطلح "رستاقى" ليدلان على الفلاح، وامتد الاختلاف فى الاصطلاحات ليشمل الحرف الخاصة بسكان الريف أيضًا. انظر: أبو يوسف: كتاب الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩ ص٢٨، وانظر أيضًا: ناجية عبد الله إبراهيم: المعايير المميزة للريف والحضر فى العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمى العراقى، م٣٩، ج٢ يونيه١٩٨٨ ص١٨٥- ٢٢٥.

(٥) ابن سيده: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) انظر على فؤاد أحمد: علم الاجتماع الريفى، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٣، ١٩٦٦، ص٤٠.

(٧) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٢ ص٤٦٧.

(٨) نفس المصدر، ص٤٦٧- ٤٦٨.

(٩) نفسه، ص٤٦٩- ٤٧١.

(١٠) نفسه، ص٤٧٢- ٤٧٣. ويقدم ابن خلدون معايير أخرى للتفرقة بين أهل الريف وأهل الحضر عبارة عن معايير معنوية مثل "الخير" و"الشجاعة". انظر ص٤٧٤- ٤٨١.

(١١) بزليانة Bezmiliana قرية من عمل مالقه Malaga على الساحل الشرقى للأندلس على ثمانية أميال منها. انظر: الإدريسى: نزهة المشتاق، القاهرة، مكتبةالثقافة الدينية، ب. ت م٢ ص٥٦٥، الحميرى: صفة جزيرة الأندلس، انتخبها ليفى بروفنسال من كتاب الروض المعطار، بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٨، ص٤٤.

(١٢) الإدريسى: المصدر السابق، نفس المجلد والصفحة.

(١٣) تطورت قرية بزليانة واتسعت خطتها، وتزايدت مرافقها فأصبحت مدينة فى عهد ابن سعيد، أما مدينة "قرطمة" Cartama من أعمال ريه Reyya فقد تدهور عمرانها فى زمن ابن غالب وأصبحت فى عداد البادية أو الريف. انظر: ابن غالب: تعليق منتقى من فرحة الأنفس. مجلة معهد المخطوطات العربية، م٢، ج١، مايو١٩٥٥ ص٢٨١- ٣١٠، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ت.شوقى ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٣، ج١ ص٤٤٤.

الفصل الأول

العوامل المؤثرة فى المجتمع الريفى

أـ العوامل الطبيعية:

إن تأثير العوامل الطبيعية على الإنسان منذ القدم أمر لا ريب فيه، وإذا كان هذا التأثير قد ضعف الآن نتيجة ما حققه الإنسان من تقدم، فإن تأثير البيئة على إنسان العصور الوسطى كان كبيرًا. وقد لاحظ الكُتَّاب المسلمون هذا التأثير، واستهلوا بعض مؤلفاتهم بمقدمات جغرافية، وحاول البعض منهم توضيح هذا التأثير وتفسيره[١].

١- موقع الأندلس، خصائصه وأثره:

يمكن القول بأن موقع الأندلس شبه المنعزل عن العالم الإسلامى فى أقصى الغرب، قد جعل من المجتمع الريفى مجتمعًا منعزلاً- إلى حد ما- عن بقية المجتمعات الإسلامية الأخرى، ساعد على ذلك اتجاه النظام السياسى فى الأندلس فى عهد بنى أمية- إلى الاستقلال مستغلاً فى ذلك مميزات الموقع المتطرف، فى المقابل كان الريف الأندلسى قريبًا من البيئة الأوربية المحيطة به فتأثر بها على نحو كبير، وقد لاحظ ذلك المقدسى (عاش فى القرن الرابع الهجرى) الذى وصف لغة أهل الأندلس بأنها "عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا فى الأقاليم ولهم لسان آخر يقارب الرومى"[٢].

وتبودلت التأثيرات بشكل كبير فى ريف الثغور، نظرًا لتداخل الحدود الإسلامية النصرانية واختلاط المسلمين مع النصارى فى هذه المناطق[٣]، مما كان له أثره الواضح على الجانبين.

وكان لهذا التطرف والانعزال فى الموقع أثره فى فشل الحركات الثورية فى الريف التى حاولت الاستعانة بقوى إسلامية خارجية، وفى نجاح محدود لبعض الحركات الثورية الأخرى التى حاولت الاستعانة بقوى نصرانية فى الشمال كما سنوضحه.

وكان لإحاطة المياه بمعظم شبه الجزيرة الأيبيرية أثره فى تعرض الأندلس لغارات بحرية، أثرَتْ بشكل كبير على بعض المناطق الريفية، كما سيأتى ذكره.

٢- التضاريس:

كانت جبال "البرتات"(٤)، حاجزًا جغرافيًا يفصل شبه الجزيرة الأيبيرية عن بقية الأقطار الأوربية كما كانت حاجزًا مناخيًا، فإلى الشمال منها كانت تسقط الأمطار بغزارة فى الجانب الفرنجى، بينما لا يصيب الأندلس- جنوبًا- من الأمطار إلا القليل مما أثر فى النشاط السكانى فى هذه المنطقة، حيث اتجه إلى الرعى فى الأساس(٥).

وعن طريق ممرات جبال البرتات عبرت التيارات الحضارية والحملات العسكرية من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب، كما سنفصله فيما بعد.

ولعبت الميسيتا(٦) La meseta والمرتفعات الجبلية الأخرى(٧)، دورًا كبيرًا فى إعاقة حركة الاتصال والانتقال بين المناطق الريفية وبعضها البعض، وكذا بينها وبين المدن، وساعد ذلك على نجاح بعض الأمراء المنتزين فى الخروج عن سلطة قرطبة(٨).

وحددت الطبيعة الجبلية أنواع النشاط السكانى إلى حد كبير حيث اتجه السكان إلى الإفادة من الجبال بزراعة سفوحها، وممارسة أنشطة الصيد والرعى، وتطلب ذلك بذل المزيد من الجهد البشرى الذى كان العامل الأساسى فى التغلب على هذه الظروف الطبيعية الصعبة، ولجأ السكان إلى نظام الرى الجاف (Dry farming) فى الميسيتا باحتجاز مياه الأمطار لمدة عامين ورى الأرض بعد ذلك(٩).

أما السهول فلعبت دورها هى الأخرى، فالسهول الساحلية الشرقية وقعت تحت تأثير ظلال هضبة الميسيتا مما جعل مطرها قليل- وللتغلب على ذلك اعتمد السكان على الرى الصناعى فى الزراعة- وأصبحت تتكون من عدد من المجتمعات الزراعية المنعزلة حالت الميسيتا دون امتدادها نحو الداخل(١٠).

٣- المناخ:

يبالغ بعض الكُتَّاب المسلمين فى وصف مناخ الأندلس بالاعتدال إلى الحد الذى يخرج عن الواقع الفعلى إلى نوع من الوصف الرومانسى، فالأندلس عندهم "بلد كريم البقعة طيب التربة.. معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيعه وخريفه وشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال"(١١)، وامتدت هذه المبالغة لتشمل تشبيه مناخ الأندلس بمناخ الشام على العموم، فالأندلس فى نظرهم: "شامية فى طيبها وهوائها"(١٢).

والواقع أن تشبيه مناخ الأندلس بمناخ الشام على الجملة أمر ينافى الحقيقة، فلا يشبه مناخ الشام من مناخ الأندلس إلا المنطقة الجنوبية الشرقية فقط، ولا يعدو هذا التشبيه الإجمالى بين الشام والأندلس من قبل الكُتَّاب المسلمين إلا أن يكون نوعًا من الحنين العاطفى للشام الموطن الأصلى لكثير من القبائل العربية التى استقرت فى الأندلس.

وعلى الرغم من ذلك، فإن بعض التوصيفات الأخرى تعكس كثيرًا من الحقائق الجغرافية، مثل قولهم: الأندلس "يمانية فى اعتدالها واستوائها، هندية فى عطرها وذكائها، أهوازية فى عظيم جبايتها، صينية فى جواهر معادنها، عدنية فى منافع سواحلها"(١٣)، وهذا الوصف يعكس اتساع شبه الجزيرة الأيبيرية، وتنوع أقاليمها المناخية، وبالتالى تنوع مواردها الطبيعية.

وعلى هذا الأساس، ميَّز البعض بين إقليمين مناخيين فى الأندلس أحدهما إقليم شرق الأندلس، والآخر إقليم غرب الأندلس، وهما مختلفان مناخيًا(١٤)، ولكن

الدراسات الجغرافية الحديثة تقسم شبه الجزيرة الأيبيرية إلى ثلاثة أنماط مناخية شمال غرب أيبيريا وهو يدخل ضمن غرب أوروبا حيث المطر غزير، وموزع على مدار العام، والغطاء النباتى غابات غنية مختلطة تتخللها مراعى غنية دائمة. فى الوسط يسود مناخ شبه قارى فى الميسيتا حيث الأعشاب الفقيرة، ويصبح الرعى هو النشاط الأساسى. وفى الجنوب والشرق يسود مناخ البحر المتوسط الذى يميل إلى الجفاف فى شرق الأندلس مما أدى إلى انتشار الرى الصناعى وازدهار الزراعة فى هذه المنطقة(١٥).

ويمكن القول بأن العوامل الجغرافية كان لها دور مؤثر فى رسم خريطة الاستقرار السكانى الإسلامى فى الأندلس وهو ما سنوضحه فيما بعد، كما كان لها تأثيرها على مجريات الأمور فى الأندلس إذ يكفى القول بأنه كان للطبيعة الجبلية الوعرة فى الشمال والشمال الغربى، والظروف المناخية الصعبة التى لا تناسب المسلمين الداخلين أثره فى عزوف هؤلاء عن الاستقرار الدائم فى تلك المناطق، مما كان له نتائجه فى نمو حركة المقاومة النصرانية هناك مستغلة الظروف السياسية فى عصر الولاة خاصة صراع العرب والبربر، وما واكب ذلك من ظروف طبيعية سيئة أدت إلى استمرار القحط والجفاف لفترة طويلة، غادر على أثرها كثير من المستقرين البربر تلك المناطق تاركينها للنصارى، مما كان له عواقبه الوخيمة على تاريخ الأندلس فيما بعد.

٤- الموارد المائية، سماتها وأثرها:

كانت المياه من العوامل الطبيعية ذات التأثير الكبير على المجتمع الريفى الأندلسى، ولأول وهلة نواجه بكتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين التى يفهم منها تمتع الأندلس بوفرة مائية لدرجة أن السالك فيها لا يتزود بالماء أينما سلك(١٦). ولكن إلى أى مدى يمكن اعتبار هذه المعلومات غير مبالغ فيها.

وللإجابة على هذا السؤال سنتناول مصادر المياه فى الأندلس وقيمتها وكيفية تأثيرها.

كانت الأمطار أهم مصادر المياه فى الأندلس بوصفها الممد الرئيسى للمصادر الأخرى بالمياه. وكانت الأندلس لسعة خطتها، واختلاف هبوب الرياح عليها متباينة سقوط المطر[١٧]، وإن كان النصف الشتوى من العام يحظى بالنصيب الأوفر، ويكاد النصف الصيفى أن يكون جافًا، وتتميز الأمطار بغزارتها فى بداية موسم السقوط، ولكن ما يصل منها إلى الأنهار يعد قليلاً، بسبب جفاف التربة، وتشققها فى فصل الجفاف[١٨].

ورغم أن هطول الأمطار كان يبدأ فى أواخر سبتمبر ويستمر متكاثفًا حتى شهر ديسمبر، ويرتفع بزيادته منسوب المياه فى الأنهار والعيون المائية[١٩]، إلا أن سقوط المطر فى النصف الشتوى كان لا يغطى كل الأندلس، فإذا استثنينا منطقة الغرب Algarve البرتغالية الحالية والمنطقة الحدودية السفلى نستطيع القول إن الجزء الواقع تحت السيطرة الإسلامية من شبه الجزيرة الأيبيرية كان مرتبطًا بأكمله بإسبانيا اليابسة[٢٠].

وهذا يعنى أن السواحل الجنوبية الغربية من الأندلس- فقط- هى التى تتمتع بقسط من الأمطار لانتمائها مناخيًا إلى إقليم البحر المتوسط الذى تسقط أمطاره فى الشتاء، ولكن هناك جهات تقع ضمن هذا الإقليم بها الجبال فتجعلها مغلقة، ومن ثم يصبح مناخها أقرب إلى المناخ القارى منه إلى مناخ البحر المتوسط، ومن بين تلك الجهات هضبة الميسيتا[٢١].

ويتسم سقوط المطر فى شهر يناير وما يليه بسمات إعصارية، ربما تضر أكثر مما تنفع، لارتفاع منسوب المياه فى الأنهار بدرجة كبيرة، مما كان ينتج عنه أضرارًا جسيمة[٢٢].

تأتى الأنهار فى المرتبة الثانية من حيث مصادر المياه فى الأندلس، وتجلت أهمية الأنهار الأندلسية فى اعتماد كثير من المدن الأندلسية عليها فى نشأتها، لدرجة أن بعض المدن- مثل سَرَقُسْطَة Zaragoza- كانت خطتها تتسع لتشمل عدة أنهار أو روافد[٢٣]. ولأهمية الأنهار فى الأندلس حفلت بعض المصادر بوصف دقيق لمنابعها، وخطوط جريانها[٢٤].

ونلاحظ أن أنهار الأندلس، معظمها أنهار موسمية، تجرى فى الشتاء وتغيض فى فصل الصيف مما قلل من قيمتها كمصدر من مصادر الرى لجفافها فى فصل الصيف، هذا فضلاً عن انعدام قيمتها الملاحية فى الفصل ذاته(٢٥). ومن الأنهار الأندلسية التى تنطبق عليها هذه السمات وادى آنه Guadiana، والوادى الكبير Guadalquivir وأنهار رُنْدة Ronda والمَرِيَّه Almeria ومَالَقة Malaga(٢٦).

وإذا كانت غالبية أنهار الأندلس تغيض فى فصل الصيف، فإنها فى الشتاء تحمل كثيرًا بفعل الأمطار، مما يؤدى فى كثير من الأحيان إلى سيول جارفة كما كان الحال بالنسبة لنهر دُوِيَرِه Douro، وتَاجُه Tajo وآنه(٢٧).

وكان لاعتماد بعض الأنهار على الأمطار بشكل رئيسى أثره فى تذبذب مياهها تبعًا لتذبذب الأمطار، بينما كانت الأنهار التى تعتمد- فى جريانها على العيون المائية، أكثر استمرارية وثباتًا عن سابقتها، كما أنها تصبح أكثر فائدة- فى مواسم الجفاف منها، ومن هنا تأتى أهمية العيون المائية كأحد الموارد المائية الرئيسية فى الأندلس(٢٨).

نقصد بالعيون المائية، العيون المائية الطبيعية، والآبار التى يتدخل الإنسان فى إنباطها واستخراج مياهها، وتظهر قيمتها فى فصل الجفاف حين تمد الأنهار بالمياه(٢٩). وكانت بعض الأنهار الأندلسية تنبع مباشرة من عيون مائية كما كانت الحال بالنسبة لأنهار: قُرطبُةَ Cordova، شُقْر Jucar وتَاجُه وابَرُه Ibro وغيرها(٣٠).

وكانت العيون المائية تتوزع جغرافيًا فى أكثر من مكان فى الأندلس، واعتمدت عليها بعض المناطق كمصدر أولى للرى كما كانت الحال فى شُوذَر Jodar من أعمال جَيَّان وMartos بالقرب من قرطبة وقَرسْيِس على ستين ميلاً منها، ولَبْلَه Niebla وجيان التى اعتمدت على اثنتى عشرة عينًا، وحصن أبطير بالقرب من بَطَلْيَوس Badajuz(٣١).

ومثلت العيون المائية مصدرًا ثانويًا للمياه فى المناطق الأخرى مثل حصن بلكونه Palcuna والشنيدة بالقرب من قرطبة وأرشذُونة Archidona وشَنْتَرِين Santarem وقَبْرَة Cabara وتُدْمِير Tudomir وغيرها(٣٢).

ورغم كثرة العيون المائية وانتشارها فى أكثر من مكان على نحو ما رأينا إلا أنها- مثل الأنهار- تتسم بالموسمية والتذبذب، مما قلل من قيمتها كمصدر للرى فى الريف. ومن أمثلة العيون التى اتصفت بالموسمية والتذبذب، عين كانت بأعلى قرية أرْطَانه من أعمال بَلَنْسِيَة Valencia وأخرى بالقرب من قرية بلطش Pleitos قريبًا من سرقسطة، ومثلهما تلك التى كانت بالقرب من رنده، وفى قرية قنيشرة من أعمال طُلَيْطِلَة، كانت هناك عينا ماء إذا جرت أحدهما نضبت الأخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة(٣٣).

وكانت الآبار يُعَوَّل عليها فى الشرب والزراعة أحيانًا. وقد استخدمت آبار قرطبة فى الشرب وتميزت ببرودة مائها(٣٤)، وكذلك آبار مالقة التى تميزت بوفرة مياهها وعذوبتها. ومن المناطق التى اعتمدت على الآبار فى الشرب أيضًا: قَنْبَانُش وفج ابن لقيط على بعد خمسة وعشرين ميلاً من قرطبة، وبُرِيَّانة Burriana على بعد اثنى عشر ميلاً من بلنسية، وأرنيط Arnedo على بعد ثلاثين ميلاً من تُطيلَة Tudela وفى رُوطَه Roda بالقرب من شَرِيش Jerez(٣٥).

واستخدمت مياه الآبار فى الزراعة على نطاق محدود فى قَسطلَّة Castella من أعمال جيان، وفى حصن بُبَشْتَر Bobastro على بعد ثمانين ميلاً من قرطبة، وفى جزيرة التَّوْبَة على البحر المحيط وفى جزيرة قَادِس Cadix(٣٦).

وبذلك يتضح أن الآبار كانت مصدرًا مهمًا من مصادر المياه فى الأندلس، ولكنها كانت فى الوقت نفسه محدودة الاستخدام إذ اقتصر استخدامها على الشرب فى بعض المناطق، وعلى الزراعة فى مناطق أخرى محدودة، وذلك لقلة مياهها ونضوبها أحيانًا(٣٧).

ومن المصادر الثانوية للمياه فى الأندلس بعض البرك والبحيرات مثل بركة الْهُوتَه بالقرب من جيان، والبحيرة بالقرب من بلنسية، كما وجدت بعض البحيرات

الأخرى قريبًا من مُرْسِيَة Murcia وقادس، وفى هضبة الميسيتا وجد العديد من البحيرات المالحة فى منطقة الحشائش[٣٨].

أما كيفية تأثير الموارد المائية فى المجتمع الريفى ومظاهر هذا التأثير فيمكن القول بأن هذا التأثير ومظاهره قد تبلور فى مظهرين: الأول: القحط والجفاف والثانى: السيول، وهما مظهران مختلفان ارتبط كلاهما بالمياه فى الأندلس التى كانت فى الحقيقة تمثل مشكلة، فرغم تعدد مصادر المياه على نحو ما رأينا إلا أن الأندلس كانت محدودة المياه، كما اتصفت هذه المياه- رغم قلتها- بالتذبذب لاعتماد معظم المصادر على الأمطار، هذا فضلاً عن طبيعة الأندلس المرتفعة، مما أدى إلى عدم وصول المياه إلى بعض المناطق وهو ما عبَّر عنه ابن سعيد (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) فى مجال المقارنة بين مرسية وإِشْبِيلِيَة Sevilla بقوله: "ولمرسية مزية تيسير السقيامنه (أى من النهر الأعظم) وليست كذلك إشبيلية لأن نهر مرسية يركب أرضها، وإشبيلية تركب نهرها"[٣٩] والمعنى واضح فى انخفاض أرض مرسية عن مستوى مياه النهر والعكس يقال عن أرض إشبيلية.

وقد عانت الأندلس من فترات قحط وجفاف بشكل متقطع أثَّرت بشكل كبير على مجمل الأحوال فى المجتمع الريفى، خاصة وأنها قد تواكبت أحيانًا مع عوامل مؤثرة أخرى مما ضاعف من تأثيرها.

ففى سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م أصاب الأندلس قحط شديد، ربما كان من عوامل نجاح عبد الرحمن الداخل (١٣٨- ١٧٢هـ/ ٧٥٦- ٧٨٨م) فى دخول الأندلس، وقد عَّم القحط والجفاف الأندلس أيضًا فى سنتى ١٤٧هـ/ ٧٦٤م و١٦١هـ/ ٧٧٧م[٤٠].

وفى أواخر القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، أصيبت الأندلس بموجات من القحط والجفاف الشديدين، وبالتحديد فى سنوات: ١٨٩هـ/ ٨٠٤م، ١٩٩هـ/ ٨١٤م، كان لها تأثير كبير فى ظل الغلاء وارتفاع الأسعار، وأنتشار المجاعة والوباء نتيجة لانعدام الأقوات حتى هلك كثير من السكان وهاجر البعض إلى العدوة المغربية[٤١].

كما مُنيت الأندلس فى سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م بقحط وجفاف عَّما أرجاءها نتج عنهما مجاعة كبيرة أهلكت الكثير من الناس والبهائم لاحتراق المزروعات نتيجة للجفاف، الذى صاحبه انتشار الجراد "فزاد فى المجاعة وضيق المعيشة"(٤٢).

وفى الفترة من سنة ٢٢١هـ/ ٨٦٥م إلى سنة ٢٢٥هـ/ ٨٦٨م، توالى القحط على الأندلس، وبلغ ذروته خلال سنتى ٢٢٣هـ/ ٧٦٧م، ٢٢٤هـ/ ٨٦٨م حتى تسبب فى مجاعة كبيرة تضاعف تأثيرها فى ظل غوران المياه فى الآبار مما جعل أهل قرطبة يعتمدون فى شربهم على النهر الأعظم(٤٣).

إلا أن أخطر موجات الجفاف التى عَّمت الأندلس فى القرن الثانى الهجرى كانت فى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، حيث واكبها انتشار المجاعة والوباء اللذين أوديا بحياة الكثيرين من أهل الأندلس، وزاد الطين بله انعدام الزراعة فى تلك السنة، وجرى ذكرها مثلاً على السنة الناس(٤٤).

وفى سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م أصاب الأندلس جفاف كبير أعقبته مجاعة خطيرة سميت السنة على أثرهما "سنة لم أظن"(٤٥)، وصار يضرب بها المثل.

وعَّمت الأندلس مجاعة كبيرة فى سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، هلك فيها كثير من الناس، وهاجر البعض إلى المغرب فرارًا من الموت، وصار يضرب بها المثل وعرفت "بسنة جوع جيان"(٤٦).

والملاحظ أن موجات القحط والجفاف تواكبت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى مع كثير من الفتن والثورات التى اندلعت آنذاك، مما كان له آثاره الخطيرة على المجتمع الريفى خاصة.

وتوالى القحط فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى ففى سنتى ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، ٣٠٣هـ/ ٩١٥م عَّم القحط والجفاف سائر جهات الأندلس، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار- خاصة أسعار الحبوب- بشكل كبير فى سنة ٣٠٣هـ، وزادت الأمور سوءًا بتفشى المجاعة- التى شبهت بمجاعة سنة ٢٦٠هـ المشهورة- والوباء، وكانت النتيجة هلاك كثير من الناس، خاصة الفقراء وذوى

الحاجة منهم، حتى عُجِزَ عن دفنهم، ولم يستطع الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) حيال هذه الأزمة القيام بغزوته المعتادة فى ذلك العام. وكانت لهذه الأزمة آثارها الاجتماعية- بالإضافة إلى آثارها الاقتصادية- الخطيرة إذ أدت إلى سلوك اجتماعى خطير هو انتشار البغض والكراهية بين الناس حتى بين ذوى الأرحام منهم[٤٧].

وفى سنتى ٣١٤هـ/ ٩٢٧م، و٣١٧هـ/ ٩٢٩م، أصيبت الأندلس بقحط وجفاف شديدين مما دعى الناس إلى إقامة صلاة الاستسقاء فى أنحاء الأندلس[٤٨].

ويبدو أن موجات القحط والجفاف قد توقفت منذ ذلك حتى آخر عهد الناصر، وكان ذلك أحد عوامل الاستقرار الذى تمتعت به الأندلس آنذاك. ولم نسمع عن جفاف أو مجاعة أصابت الأندلس آنذاك إلا فى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، وكانت آخر موجة قحط- ذكرتها المصادر- تلك التى عَمت الأندلس سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م، واستمرت ثلاث سنوات، وضاعف من تأثيرها انتشار الجراد وتدميره للمحاصيل الزراعية، مما أحدث فى النهاية مجاعة كبيرة[٤٩].

ولشدة تأثير القحط والجفاف اعتبرهما الفقهاء من الجوائح التى تصيب الزروع ويستوجب معها الإرفاق بالفلاحين والمزراعين بتخفيض بعض الضرائب أو إسقاطها عنهم[٥٠].

المظهر الثانى من مشكلة المياه فى الأندلس تمثل فى السيول التى كانت تحدث نتيجة لفيضان بعض الأنهار عندما تحمل كثيرًا بفعل سقوط الأمطار.

ففى إقليم قرطبة حدثت بعض السيول بصورة متقطعة وذلك فى سنوات: ١٤٧هـ/ ٧٦٤م، ١٦١هـ/ ٧٧٧م/ ٧٩٣م و١٨٢هـ/ ٩٧٨م، وقد أسفرت عن تدمير كثير من الدور، ومقتل كثير من الناس والدواب[٥١].

وفى سنتى: ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م و٢١٢هـ/ ٨٢٧م عَمت بعض السيول أرياف الثغور بسبب غزارة الأمطار، فأحدثت تلفيات كبيرة فى تلك المناطق[٥٢].

وحملت أودية قرطبة وشنيل genil وتاجه فى سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م، فخرب سيل شنيل ست عشرة قرية بإشبيلية، فى حين أنزل وادى تاجه بفيضانه العارم الخراب بثمان عشرة قرية وطمى سيل النهر حتى صار عرضه ثلاثين ميلاً. وقد أسفر ذلك فى النهاية عن تدمير وتخريب كثير من الجسور والسدود والسواقى حتى علق ذلك بأذهان الناس زمانًا[٥٣].

ولا يرد فى المصادر أخبار سيول تتعلق بجهات الأندلس إلا فى سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م عندما هطلت الأمطار بغزارة وأحدثت سيولاً جارفة أدت إلى خسائر كبيرة خاصة فى ظل وجود وباء شديد مما ضاعف من الخسائر[٥٤].

وبقية الأخبار تتعلق بسيول ضربت قرطبة وأقاليمها فى سنوات ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م، ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م، ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م، و٤٠١/ ١٠١٠م وكانت لها آثارها المدمرة على قرطبة وأقاليمها[٥٥].

واعتبر الفقهاء السيول من الجوائح التى تصيب المزروعات، والتى يستوجب معها تخفيض قيمة الكراء أو الضرائب عن الفلاحين والمزارعين بقدر ما ينتج عنها من خسائر[٥٦].

وكان إدراك عامة الأندلسيين لمشكلة المياه ونتائجها على قدر من الوعى والفهم، إذ لخصوا تلك المشكلة فى مثل بسيط معبر غاية التعبير فقالوا: "إما نموت بالعطش وإما نمشوا فالسيل"[٥٧] والمثل واضح لا يحتاج لتعليق.

وهكذا كانت الموارد المائية تمثل مشكلة فعلية فى الريف الأندلسى، فهى فضلاً عن ندرتها التى قد ينتج عنها قحط وجفاف ومجاعات، قد تفيض فى بعض المناطق مسببة سيولاً مدمرة تخرب الدور والمزروعات.

٥- الرياح والأعاصير والثلوج:

أثرت الرياح العاصفة كأحد عوامل المناخ فى الريف خاصة تلك التى كانت تهب فى شهرى مارس وأبريل[٥٨]. وكانت تتميز بالقوة، وتهب على هيئة أعاصير

فتحدث أضرارًا بالغة منها منع عملية عقد الثمار وتعويق حركة الملاحة،[٥٩] لذا قالت العامة: "إذا جاء أبريل أعمل فوق البحر سرير"[٦٠].

كما كانت تهب رياح جافة، وشديدة فى فصل الصيف، تضر بالإنسان والحيوان،[٦١] وكان لها تأثيرها أيضًا على نمط المسكن الأندلسى حيث لجأ الريفيون إلى تلافى أضرارها ببناء منازلهم بطريقة معينة لتلافى حرارة تلك الرياح[٦٢].

ووردت فى المصادر أمثلة لتأثيرات بعض الرياح من ذلك ما حدث سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م عندما هبت رياح شديدة أنزلت أضرارًا جسيمة بالمزروعات والغروسات وأتلفت كثيرًا من أسقف المنازل[٦٣]. وما حدث أيضًا فى سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م من تدمير الرياح لبعض المزروعات والغروسات حين أتلفت كثيرًا من أشجار الزيتون[٦٤]. وفى سنتى ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م، و٣٨٥هـ/ ٩٩٥م دمرت رياح عاصفة كثيرًا من الدور واقتلعت كثيرًا من الأشجار، وأهلكت بعض الناس، ودامت أكثر من ثلاثة شهور[٦٥].

وكان لبعض هذه الرياح آثار خطيرة استوجبت طلب الفتوى من الفقهاء بشأنها[٦٦].

ولا يقل تأثير الثلج والبرد عن تأثير الرياح والأنواء، لدرجة أن بعض الفلاحين كانوا يغطون مزروعاتهم حتى لا يحرقها الجليد[٦٧]. وكانت العواصف الثلجية تتسبب أحيانًا فى قتل بعض الأشخاص والحيوانات، كما حدث فى سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م. وقد يستمر سقوط الجليد عدة أيام فيتضاعف الضرر كما حدث سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م حيث أحرق الجليد كثيرًا من الغروسات وأشجار الفواكه فى سفوح الجبال، وكان ضرره أكثر على المزروعات فى السهول[٦٨].

وكانت أخطر العواصف الثلجية تلك التى ضربت مدينة تطيلة وأريافها سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م حيث دمرت الكثير من الدور والزروع وبلغ وزن حبات الثلج الساقطة ما يفوق الرطل، "فلم تبق قرمدة على بيت ولا خضرة فى بستان"[٦٩].

وكانت العواصف الثلجية التى أصابت قرطبة وأقاليمها سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م ذات تأثير خطير حيث تسبب البرد الساقط فى قتل بعض الطيور والحيوانات كما أهلك جملة من الناس(٧٠).

وفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م أصاب الأندلس بَرد شديد كُان له تأثير مباشر فى حياة الأندلسيين حتى بقى ذكره مثلاً على ألسنة بعض الشعراء الأندلسيين من شدة هوله(٧١).

ولشدة تأثير الثلج والبرد فى حياةالأندلسيين، أصبحا من الموضوعات الشعرية المطروقة لدى الشعراء الأندلسيين(٧٢).

٦- الزلازل:

كانت الزلازل ذات أثر محدود وإن كان ذلك لا يمنع من القول بوقوع بعض الزلازل التى أحدثت رعبًا فى قلوب الناس من ذلك الزلزال الذى ضرب الأندلس- ضمن بعض أقطار البحر المتوسط- سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠، وبلغ هلع الناس مداه ففروا إلى الصحارى يرجون رحمة ربهم بعد أن تهدمت منازلهم وتساقطت سقوفها(٧٣).

كما ضرب زلزال قوى قرطبة وأقاليمها سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م، أثار فزع الناس فخرجوا مهرولين نحو المساجد، وقد ضاعف من تأثيره ما صاحبه وأعقبه من هبوب رياح شديدة وعواصف ثلجية وسقوط أمطار غزيرة(٧٤).

وعَّبرت الأمثال الشعبية عن حال الناس وسلوكهم وقت حدوث الزلزال فقيل: "يوم زلزال يوم بروز"(٧٥). وهو يوضح كيف كان الناس يتصايحون ويصرخون من الخوف والهلع أثناء الزلزال.

٧- الحيوانات الضارة:

كانت الحيوانات الضارة- ونقصد بها الحيوانات والطيور البرية وبعض الحشرات- أحد العوامل الطبيعية التى أثرت بشكل كبير فى المجتمع الريفى، فقد كان على الفلاح فى ذلك العصر أن يجابه أنواعًا مختلفة من الحيوانات، لم يستطع إلا أن يسيطر على بعضها ويروضها، أما غالبيتها فكانت فى صراع دائم معه على أطراف القرية أو الحقل أو حتى فى منزله فلم يكن مثل إنسان هذا العصر الذى أباد الكثير من أنواع الحيوان ليستأثر بكل خيرات الطبيعة(٧٦).

وكانت الذئاب البرية من أخطر الحيوانات عداءً للفلاح الأندلسى فكثيرًا ما كانت تخرج- خاصة فى أوان المجاعة- لتعيث فسادًا وتهاجم الأغنام(٧٧)، لدرجة أنه أصبح من المستغرب أن تُتْرَكْ دابة ترعى- دون حراسة- ولا يهاجمها ذئب(٧٨).

ولخطورة غارات الذئاب رأى ابن لُبابه(٧٩)، أنه لا ضمان على الرعاة الذين يرعون الأغنام ويحرسونها فى القفار إذا هاجمتها الذئاب(٨٠).

وقد فرض الذئب نفسه على الحياة الريفية حتى كان موضوعًا شعريًا عند بعض الشعراء الأندلسيين(٨١)، ليس هذا فقط، بل كان أيضًا موضوعًا لبعض الأمثال العامية التى صورت قسوته وجبروته فقيل: "بضاعة اللُّب(٨٢) لو كانت فى الجُب"(٨٣). ولعل معناه أن الذئب يدرك فريسته حتى ولو كانت فى البئر.

وشاركت الخنازير البرية الذئاب فى العيث والتخريب، فكانت كثيرًا ما تعدو على الزروع والبساتين(٨٤)، لذلك كان الفلاحون يستأجرون بعض الأجراء لحراسة زروعهم من الخنازير وأحيانًا كان أهل القرية يشتركون فى استئجار من يقوم بهذه المهمة التى شغلت الفلاحين كثيرًا وكانت موضع أسئلة طرحوها على الفقهاء(٨٥).

وكانت الأرانب البرية أو القنليات(٨٦)، من الحيوانات التى أغارت على المزروعات وأنزلت بها خسائر فادحة، مما دفع الفقهاء إلى اعتبارها من الجوائح التى تصيب الزروع والتى تستوجب تخفيض الضرائب والكراء(٨٧).

ومن الحيوانات البرية التى كانت لها خطورتها على الحياة الريفية أيضًا "الُدب" الذى كان كثير الإغارة على خلايا النحل فيهدمها ويأكل عسلها(٨٨)، خاصة الخلايا البرية.

كما كان لبعض الطيور والحشرات تأثير كبير على الحياة الريفية، من ذلك "الجراد" الذى كان أحد العوامل المسببة للمجاعات، فعلى سبيل المثال عانت الأندلس من مجاعة شديدة فى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م "وكان سببها انتشار الجراد بالأرض ولحسه الغلات وتردده بالجهات"(٨٩) وقد أدى ذلك إلى ارتفاع شديد فى الأسعار، وأسفرت المجاعة عن هلاك كثير من أهل الأندلس(٩٠).

وكان يتفاقم خطر الجراد إذا تصادفت غاراته مع أوان القحط والمجاعة، كما حدث فى سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م(٩١).

وأحيانًا كانت خطورة الجراد تبلغ حدًا يقف إزاءه الفلاحون عاجزين عن دفعه، فتتدخل الحكومة الأندلسية لدفع خطره حفاظًا على اقتصاديات البلاد، كما حدث فى سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م، عندما أتى الجراد على كثير من المحاصيل، عندئذ أمر المنصور بن أبى عامر (٣٦٦- ٣٩٢هـ/ ٩٧٦- ١٠٠٢م) الناس باصطياده، وجمعه وبيعه فى سوق أعدها خصيصًا لذلك، بعد أن استمرت غاراته على المحاصيل الزراعية ثلاث سنوات(٩٢).

ولخطورة الجراد على المحاصيل الزراعية، احتل مكانًا خاصًا فى التقويم الزراعى الأندلسى وحظى باهتمام الفلاحين والحكومة على السواء، التى كانت تأمر الفلاحين بالقضاء عليه منذ ظهوره(٩٣)، وهذا من النقاط التى تحسب لصالح الحكومة الأندلسية(٩٤).

وكان للجراد تأثيره على النواحى الاجتماعية والثقافية فى الريف إذ كان الفلاحون يعتقدون فى قوة الطلاسم والخرافات لدفع مضاره، كما دارت أمثال عامية كثيرة حول الجراد وخطورته مثل قولهم: "اشيْعمل العقرب بين الجراد" و "الجراد بَرى اللحم"(٩٥).

ونظرًا لخطورة هذه الآفة على الحياة الاقتصادية الأندلسية اعتبرها الفقهاء من الجوائح التى تصيب الزروع والتى يتطلب إزاءها تخفيض قيمة الكراء والضرائب بقدر الخسائر التى تحدث، وكان ينص على ذلك فى العقود الزراعية التى كانت تبرم بين مالك الأرض والفلاح المزارع أو المستأجر(٩٦).

وكانت هناك بعض الطيور والجوارح تهاجم المزروعات ومنازل الفلاحين من ذلك "العقبان" التى تهاجم الطيور المنزلية وتقضى عليها(٩٧)، واعتبرها الفقهاء أيضًا من الجوائح التى تضر بالمزروعات والتى يستوجب معها تخفيض الكراء والضرائب، بقدر الضرر(٩٨).

ومن الآفات التى كانت ذات تأثير مباشر على المزروعات فى الريف أنواع مختلفة من الطفيليات والديدان وخشاش الأرض والفراش، وكانت تتلف كثيرًا من الزروع والثمار، مما جعل المزارعون والمستأجرون دائمى الشكوى منها أمام القضاة والفقهاء الذين أفتوا باعتبارها من الجوائح التى تصيب الزروع مما يستدعى معها تخفيض الكراء والضرائب(٩٩).

وكانت حشرات البعوض، والبراغيث، مصدر ألم لكثير من الأندلسيين الذين تابعوا أخبار ظهورها واختفائها، كما نظموا فيها شعرًا(١٠٠).

وهكذا يتضح مدى تأثير العوامل الطبيعية بأنواعها المختلفة على المجتمع الريفى الأندلسى فى مختلف النواحى الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية.

ب- العوامل البشرية:

١- الإدارة الحكومية:

شاب السياسة الإدارية لحكومة بنى أمية فى الأندلس- خاصة ما يتعلق منها باختيار العمال والولاة ومدى الرقابة عليهم- بعض القصور الذى كان له تأثيره المباشر على المجتمع الريفى، يؤكد ذلك اتهام بعض المؤرخين لعمال بنى أمية

وولاتهم فى الأندلس بالظلم والتعدى[١٠١]، وقد وردت بكتب الفقه والنوازل بعض الأسئلة التى تدور حول ظلم وتعدى بعض الولاة والعمال[١٠٢]. ومن أمثلة ذلك الشدة فى تنفيذ الأحكام والإجحاف ببعض الناس لأوهى الأسباب[١٠٣].

وكان من نتيجة مضايقة حكومة الداخل لبعض العمال والقادة أثره فى انتزاء هؤلاء وخروجهم على الحكومة معلنين الثورة[١٠٤]، مما أضر كثيرًا بمختلف النواحى الريفية.

وكان بعض موظفى الإدارة المالية يتصرفون- أحيانًا- دون الرجوع إلى الإدارة المركزية فى العاصمة، وربما حققوا مكاسب شخصية من جراء استغلال نفوذهم الوظيفى، هذا فضلاً عما كانوا عليه- شخصيًا- من فساد خلقى وإسراف[١٠٥]. وكان قيام الحكومة بمصادرة بعض العمال دليلاً دامغًا على فسادهم وإثرائهم بطرق غير شرعية[١٠٦].

ولم تكن الرقابة الحكومية على العمال كافية، فرغم أنها كانت تتخلص- أحيانًا- من بعض الفاسدين، إلا أنها لم تكن تقوم برد ما اغتصبوه من الرعية[١٠٧]، وكانت تغض الطرف- أحيانًا- عن بعض المسرفين منهم الذين كانوا يتصرفون فى المال العام وكأنه مالهم الخاص[١٠٨].

وكان سوء تصرف بعض العمال والموظفين، وإساءتهم معاملة بعض الأعيان ورؤساء الأسر فى الريف، سببًا فى اندلاع بعض الثورات والفتن[١٠٩].

وكان هاشم بن عبد العزيز كبير وزراء الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى (٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م) من كبار الموظفين الذين اتهموا بالتقصير والفساد وسوء التصرف، والظلم، وسوء اختيار العمال، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنه اتهم باغتصاب بعض الأراضى فى الريف عن طريق وكلائه[١١٠].

وكانت سياسة هاشم بن عبد العزيز تجاه بعض طوائف السكان سببًا فى تكريس روح العصبية وإثارة الفتن بين عناصر السكان، لأنها قامت على محاباة بعض العناصر نكاية فى عناصر أخرى، كما حدث عندما أنزل بعض طوائف

البربر البرانس "فى أقاليم ماردة على المولدين فغلبوهم على قراهم، ونزلوا بيوتهم وركبوهم بكل عظيمة، فهاجت غضب المولدين، فلجوا فى المخبئة"(١١١).

وكان سوء تصرف العمال والموظفين من الأسباب المباشرة لاندلاع الثورة فى كورة ريه وما يليها من كور الجزيرة الخضراء، وذلك منذ أواخر سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م(١١٢).

وتفاقمت الأمور أكثر فى عهد الأمير عبد الله (٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م) وكانت فترة ولايته من أحلك فترات التاريخ الأندلسى المبكر، حيث ظهر المتغلبون فى كل مكان وهددوا سلطان الإمارة تهديدًا خطيرًا، واستمر ذلك حتى نهاية ولايته(١١٣).

وقد زاد فساد الموظفين فى تلك الفترة فى ظل التدهور العام- واستغلوا نفوذهم الوظيفى أسوأ استغلال، وداخلهم فى ذلك بعض الوزراء وتواطؤا معهم، وتدخل كبارهم فى تولية وعزل صغار الموظفين بدوافع شخصية(١١٤).

ولم يخل عصر الخلافة من بعض التجاوزات، رغم استقرار الأمور فى الأندلس منذ منتصف حكم الناصر وحتى أواخر القرن الرابع الهجرى تقريبًا، وإن كانت هذه التجاوزات قد تميزت بالقلة والفردية وعدم الشيوع(١١٥).

ومن الإنصاف أن نذكر أن السياسة الإدارية لحكومة بنى أمية فى الأندلس كان لها وجهها الإيجابى المؤثر على الريف أيضًا من ذلك امتداح المؤرخين لحكم هشام الأول (١٧٢هـ- ١٨٠هـ/ ٧٨٨- ٧٩٦م) لأنه كان يحاسب عماله وموظفيه ويتحرى عنهم، وكان يجمع الضرائب بطريقة شرعية(١١٦)، رغم فترة حكمه القصيرة.

كما قام الحكام بإسقاط بعض الضرائب وإلغائها كما فعل الخليفة الناصر عندما أسقط بعض الضرائب عن أهل طُرْطُوشَة Tartusa القاصية عندما اشتكوا إليه من ثقل المغارم(١١٧).

وفى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م حذَّر الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م) عماله فى الكور وأنذرهم بعقوبته "إذ اتصل به أن بعضهم قد استزاد زيادات فاحشات يعاملون بها الرعية ظلمًا لهم فأنكر ذلك عليهم"(١١٨) ثم قام سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م بإلغاء "سدس مغرم الحشد" لتلك السنة عن جميع الرعايا بالأندلس، وحرص على إعلام جميع الناس بذلك- "ليبعد عن احتيال العمال"- عن طريق قراءة كتاب الإلغاء على جميع منابر الأندلس(١١٩). كما أسقط الحاجب عبد الملك المظفر بن أبى عامر (٣٩٢- ٣٩٩هـ/ ١٠٠٢- ١٠٠٨م) سدس الجباية عن الرعية فى جميع كور الأندلس لأول ولايته(١٢٠).

وتدهورت الإدارة الحكومية فى إبان فترة سقوط الخلافة (٣٩٩- ٤٢٢هـ/ ١٠٠٨- ١٠٣١م) لأقصى درجة، حيث عَمَّ الفساد الإدارى والسياسى أنحاء الأندلس وهو ما دعى ابن حزم (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) إلى شن حملة شعواء على العمال والولاة والحكام بصفة عامة، اتهمهم فيها بالفساد واستباحة أموال الناس، وإرهاق الرعايا بالضرائب والمكوس، كما اتهم الفقهاء بالتواطؤ معهم وتبرير أفعالهم. وانتقد بشدة أولئك الذين تحالفوا مع النصارى، وتركوا لهم بعض المدن والقلاع، فأخلوها من المسلمين وعمروها بالنصارى(١٢١).

واستخدم بعض الحكام الشدة فى جمع الضرائب وأجحفوا الرعية، مما أدى إلى هروب الفلاحين من قراهم. كما استعملوا أشرار العمال والموظفين وأراذلهم(١٢٢).

ولم تحقق الإدارة الحكومية تجاه الأزمات التى حدثت بالأندلس النجاح المطلوب وشابها القصور، لأن تصرف الحكومة الأموية فى وقت المجاعات اقتصر غالبًا على مساعدة أهل قرطبة أملاً فى استرضائهم، وخوفًا من ثورتهم، دون أن تمتد المساعدات إلى المناطق الريفية الأخرى التى قد تكون أكثر تضررًا من قرطبة وأحوازها(١٢٣).

ومن أبرز الأمثلة على سوء تصرف الحكومة الأموية فى وقت المجاعة ما حدث سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣ عندما عَمَّت المجاعة أرجاء الأندلس، وانعدم الزرع

فى ذلك العام لدرجة أنه لم يزرع بالأندلس شىء من الحبوب، ورغم ذلك أصرَّت الحكومة على جباية العشور، وأسندت ذلك إلى أحد العمال الطغاة، فلم يتورع عن البطش بالرعية فى سبيل جمع العشور[١٢٤].

٢- سياسة الحكومة تجاه الفتن والثورات وأثرها:

كان لسياسة الحكومة تجاه بعض عناصر السكان نتائج خطيرة أدت إلى ترسيخ العصبية واستفحالها، مما كانت له آثار مدمرة على الأندلس، ولتفصيل ذلك يمكن القول أن الحكومة قد انتهجت سياسة "فرّق تسد"، فأذكت- فى بعض الأحيان- روح العصبية بين عناصر السكان، وتدخلت لصالح بعض العناصر ضد البعض الآخر، وألبّت بعضها على بعض رغبة فى تحقيق أهدافها وإحكام سيطرتها.

وكان عبد الرحمن الداخل أول من انتهج هذه السياسة حين استعان بالبربر ضد العرب الخارجين عليه، محذرًا إياهم أن انتصار العرب معناه هزيمة البربر وفناؤهم[١٢٥].

واستمرت هذه السياسة فيما بعد حتى أثمرت خلافًا بين المولدين والعرب. انحازت الحكومة فيه إلى العرب كثيرًا مما أدى إلى تفاقم ثورة المولدين[١٢٦]. وكان مهندس هذه السياسة ومنفذها- منذ النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى- الوزير هاشم بن عبد العزيز الذى لم يكن يتورع عن الفتك بالمولدين والعجم لأتفه الأسباب[١٢٧]. وكانت تعمل أحيانًا على إذكاء روح العصبية بين القيسية واليمينة من العرب، وتنحاز إلى طرف ضد الآخر[١٢٨]، مما كان له أثره فى إطالة أمد الصراع بين الطرفين، وكثرة الضحايا.

على أن سياسة الحكومة تجاه الثائرين والمتغلبين كان لها أوفر النتائج السلبية على المجتمع الريفى، فقد انتهجت الحكومة الأموية تجاه الثوار والخارجين فى الريف موقفين مختلفين، لكن كان لكليهما تأثير بالغ على مجمل الأوضاع فى الريف.

الموقف الأول يمكن أن نسميه اللين والاعتراف بالأمر الواقع، وكان يعنى ترك أمور المناطق الريفية التى استولى عليها الخارجون فى أيديهم، مقابل أداء هؤلاء لبعض الأموال، وبذلك انفرد هؤلاء بالفلاحين وتعسفوا فى جمع الضرائب- رغم اشتراط الحكومة عليهم الرفق بالرعية(١٢٩). وانتهى الأمر بامتناع هؤلاء نهائيًا عن دفع أى مبالغ مالية للحكومة، وانفردوا تمامًا بإدارة المناطق التى استولوا عليها، فأجحفوا الفلاحين بشكل كبير، مستغلين فى ذلك قوتهم فى مواجهة عجز الحكومة(١٣٠).

وساد هذا الموقف المتراخى إبان اندلاع الفتنة فى الأندلس فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، وفى إبان انهيار الخلافة فى نهاية القرن الرابع وأوائل الخامس الهجرى، حيث اضطرت الحكومة إلى الاعتراف بالأمر الواقع والتسجيل للخارجين والمتغلبين على ما بأيديهم فى مقابل اعتراف هؤلاء بطاعة إسمية للحكومة(١٣١). وتفاقم الأمر فى نهاية الخلافة، ولم تصبح الحكومة عاجزة- فقط- عن رد الخارجين والمتغلبين، بل أصبحت تشاركهم أحيانًا فى النهب والسلب(١٣٢).

الموقف الثانى هو موقف الشدة والقوة من جانب الحكومة تجاه الثوار والخارجين، ورغم أنه أتى بثمار جيدة فى كبح الثوار والخارجين إلا أنه خلف وراءه آثارًا مدمرة على النواحى الريفية.

وكان أول من انتهج أسلوب الشدة والقوة تجاه الخارجين الأمير عبد الرحمن الداخل الذى أباد العديد من الثوار والخارجين، مثل العلاء بن مغيث اليحصبى الثائر فى لَقَنتْ Fuente de Cantos من عمل بَاجَة Beja سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م، حيث قتله وأباد نحوًا من سبعة آلاف من أتباعه، وانتهج نفس الأسلوب مع بقية الثوار من أمثال الثائر حيوة بن ملامس بإشبيلية سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م وأبى الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى، وأبى الغافر اليمانى وغيرهم(١٣٣).

ورغم أن العديد من أولئك القتلى الخارجين كانوا مصدر قلق للفلاحين فى الريف، إلا أن ذلك لا ينفى مدى الخسائر البشرية التى لحقت بالمناطق الريفية من جراء كثرة الضحايا الذين كان معظمهم ينتمى إلى أقاليم ريفية.

وسار على نفس النهج هشام الأول الذى اتبَّع إسلوبًا أعنف تمثل فى تنفيذه لسياسة الأرض المحروقة، فخرَّب كثيرًا من المناطق الريفية، وخرّب كورة تاكرُنا Tacurna فأمست خالية سبع سنين بعد أن قتل من سكانها الكثير وفر الباقون إلى مناطق أخرى(١٣٤).

وطبّق نفس الأسلوب كل من الحكم الأول (١٨٠- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦- ٨٢٢م) وعبد الرحمن الثانى (٢٠٦- ٢٣٨هـ/ ٨٢٢- ٨٥٢م) حيث اتجها إلى إفساد الزروع ونسف المرافق والمعايش والإبادة(١٣٥).

وتأكدت سياسة الشدة والقوة فى معاملة الخارجين، فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى وتجلى ذلك فى تخريب نواحى المدن وإفساد الزروع ونسف المعايش وإحراق القرى(١٣٦)، وكان ما فعله هاشم بن عبد العزيز من تخريب لنواحى سرقسطة وانتهاب زروعها وأطعمتها وتحطيم معايشها، فى صائفة سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، خير مثال على هذه السياسة(١٣٧). ولنا أن نتصور مدى سوء الحال فى أرياف سرقسطة فى ذلك العام الذى حدثت فيه مجاعة شديدة ضرب بها المثل، كما سبق وأن ذكرنا.

وانتهج الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣- ٢٧٥هـ/ ٨٨٦- ٨٨٨م) نفس السياسة فى حصاره لعمر بن حفصون، وكان ديدنه الإفساد والتخريب(١٣٨).

وأصيبت المناطق الريفية بأضرار جسيمة من جراء التخريب والتدمير الذى أحدثته جيوش الإمارة فى عهد الأمير عبد الله الذى تَميَّز عهده بكثرة الفتن والثورات، وقد شمل التخريب عدة مناطق كان أهمها حصون عمر بن حفصون وقواعده فى كورة رية وما حولها، وتجلى التخريب فى إفساد الزروع وانتساف الغلات والثمار وإحراق القرى والكنائس، وامتد التخريب ليشمل حصون الخارجين الآخرين أمثال سعيد بن مستنة، وطالب بن مولود، وحريز بن هابل(١٣٩).

وبلغت سياسة الشدة أوجها فى عهد الخليفة الناصر الذى حرص منذ السنة الأولى من ولايته على قمع الخارجين وتخريب مناطقهم، فخرَّب حصون كورة رية وانتسف الزروع والمعايش وأحرق القرى، وضرب الرقاب، وفعل نفس الشىء ببعض حصون كورة إلبيرة Elvira وجيان وطليطلة وبطليوس(١٤٠).

ومن الإنصاف أن نذكر أن هذا التخريب، كان الوسيلة الوحيدة- فى أغلب الأحيان- لإخضاع الثوار، وإنه متى توفر الاستقرار والأمن، كان يعاد تعمير هذه المناطق المخرَّبة، إلا أن ذلك لا ينفى مدى الخسائر المادية والبشرية التى لحقت بالمجتمع الريفى وأثّرت على تطوره وازدهاره.

٣- الفتن والثورات فى الريف فى عصر الإمارة وأثرها:

(أ) الأصل الريفى للعديد من الثائرين وأثره:

كان لانتماء العديد من الثائرين إلى أصول ريفية، واستقرار البعض منهم فى القرى والأقاليم الريفية أثره المباشر على المجتمع الريفى، حيث استطاع هؤلاء استقطاب العديد من سكان الريف جعلوهم وقودًا لثورتهم مما ضاعف من الخسائر، كما كانت مواطنهم هدفًا للإغارة.

ومن الثائرين الذين كانوا ينتمون إلى أصول ريفية: بنى ذى النون الذين كانوا ينحدرون من جد أعلى سكن قرية أقاقلة إحدى قرى شنت برية، ومنهم كان عامر بن أبى جوشن بن ذى النون الثائر على الأمير عبد الله بأرياف شنت برية، والذى نجح فى التغلب على أجزاء كبيرة من كورة بلنسية حتى اضطر الناصر لمهادنته والتسجيل له على ما بيده، وكان فى الأصل راعى غنم[١٤١].

أما سُوار بن حمدون أشهر الثائرين العرب فى الفتنة الأولى، وحامل لواء قيس، فكان ينتمى إلى قرية قَرَبْسَانَه Caparcena، من إقليم البلاط من عمل إلبيرة[١٤٢].

وكان عمر بن حفصون أشهر ثوار الأندلس قاطبة- فى الفتنة الأولى- ينتمى إلى أسرة ريفية استقرت أول الأمر فى "قرية وابة" إحدى قرى تاكرنا، ثم انتقل جده إلى قرية "طَرْجِيلَة" إحدى قرى ريَّة، فاستوطن بها وأنسل بها أبناءه[١٤٣].

(ب) المسرح الجغرافى للفتن والثورات:

كانت المناطق الريفية مسرحًا للفتن والثورات خاصة الجبال، والحصون، والقرى والأحواز الريفية، ومن الجبال التى كانت مسرحًا للفتن والثورات جبال ريه، خاصة جبل ببشتر الذى كان موطنًا لثورة عمر بن حفصون، وجبل طُرّش بإلبيرة، وجبال الجزيرة الخضراء وجبال طليطلة ومنها جبل الأخوين وجبل البرانس الذى اندلعت منه ثورة أحمد بن معاوية المعروف بالقط سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م. وكانت الجبال مكانًا مناسبًا للثوار بما توفره من فرص جيدة للتخفى والمناورة[١٤٤].

ولعبت الحصون دورًا كبيرًا فى الفتن والثورات، ولم تكن الحصون ذات أهمية عسكرية فقط بل كانت لها أهميتها الاقتصادية أيضًا بما يتبعها من أراضى زراعية مأهولة لذلك كانت مجالاً للتنافس والصراع بين الخارجين، وكان كثير منهم يمتلكون بعض الحصون وما يتبعها من أحواز[١٤٥]. وكان سبيل الناصر فى القضاء على الفتن والثوار هو القضاء على تلك الحصون بهدمها وتدميرها لأنها كانت تمثل مصادر الحماية والتمويل لأولئك الثوار لدرجة أنه فى أولى غزواته وهى غزوة المُنتلُون Montileon سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م افتتح سبعين حصنًا- فى كورتى إستّجة Esija وإلبيرة- "من أمهات الحصون كل حصن فيها كان عالى الأسم، بعيد الصيت، ملجأ لذوى الخلاف والمعصية"[١٤٦]. وظل الناصر يتعقب الحصون الثائرة ويهدمها حتى أنه هدم فى إحدى غزواته ثلاثين حصنًا فى كورة رية[١٤٧].

وكانت القرى الريفية من مواطن الفتن والثورات أيضًا، مما جعلها هدفًا لغارات جيوش الحكومة، وغارات الخارجين فى الوقت نفسه. حيث كان يتم إبادة أهل القرى واستباحة أموالهم وسبى ذراريهم[١٤٨].

ومنيت الأحواز الريفية لكثير من المدن بضربات مؤلمة على يد جيوش الحكومة والخارجين لأن السيطرة على الحوز أو الظهير الريفى لأى مدينة كان معناه سقوط المدينة فى يسر وسهولة[١٤٩]. وقد عانت الأحواز الريفية لكثير من المدن- بما تضمه من قرى وأقاليم- من الخراب والدمار كما حدث لأحواز قرطبة وجيان وقبرة Cabra وسرقسطه[١٥٠] وغيرها.

(ج) السياسة العامة للثوار والخارجين فى الريف:

سيطر كثير من الثوار والخارجين أثناء الفتنة الأولى على الكثير من المناطق الريفية، ومارسوا فيها سلطات شبه مطلقة، وينسب إلى قلة منهم- خاصة فى أول أمرهم- حُسْنَ السيرة، مثل ديسم بن إسحاق الذى سيطر على لورقه Lorca ومرسية وما يليها من كورة تدمير، وكان رفيقًا برعيته[١٥١]، وبكر بن يحيى بن بكر المُنْتَزى بأكْشَونْبه- بغرب الأندلس- الذى اجتهد على حفظ الأمن وكان "السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه"[١٥٢]. وكان عمر بن حفصون فى أول ثورته ممن اشتهر بحسن معاملة رعاياه، والعدل فيهم، وتوفير الأمن والأمان لهم فى وقت انتفى فيه الأمان وعَّمت الفوضى[١٥٣].

وعلى الرغم من ذلك مارس غالبية الثوار والخارجين سياسات استبدادية مطلقة فى نواحيهم، وحاد البعض ممن اشتهر بحسن السياسة عن سياسته، وأساءوا معاملة الرعايا فأرهقوهم بالضرائب والمكوس،وسخروهم فى خدمة ضياعهم وأجحفوهم مما كان له أثره فى انتقاض الكثيرين عليهم[١٥٤].

وكان ابن حفصون نفسه نهمًا إلى جمع المال من رعاياه، بحق وبغير حق، استخدم فى سبيل ذلك وسائل شتى، بلغت أحيانًا حد القتل[١٥٥]، ولم يكن بدعًا فى ذلك بل سايره معظم الخارجين الذين كانوا يغنمون حصونًا بكاملها[١٥٦] ولا يتورعون عن الإغارة على المناطق التى لا تخضع لسلطانهم مشيعين فيها الفساد والفوضى، كما فعل عبد الرحمن بن مروان الجليقى بنواحى إشبيلية ولبلة وباجة وأكشونبة Ocsonoba وما يليها[١٥٧]، وعبد الله بن أمية بن الشالية الذى كان "له رجال شجعان وقواد معروفون يخرجهم بجيشه لمغاورة من يحاده إذا لم يخرج بنفسه"[١٥٨].

واقترنت عمليات السلب والنهب- من جانب الثوار والخارجين- بعمليات القتل وسفك الدماء فقد كان بعض الخارجين ذوى ميول عدوانية بطبيعتهم اشتهروا بسفك الدماء؛ لم يتوان بعضهم عن إبادة أعدائه متى توفر له ذلك[١٥٩].

(د) روح العصبية وأثرها:

حملت كثير من الفتن والثورات فى الريف روح العصبية والتحزُب، رغم أنها لم تكن السبب الرئيسى فى نشوبها، وإن كان هذا لا ينفى دورها كأحد العوامل التى أذكت روح الثورة فقد كان المجتمع الريفى يتكون من عناصر عرقية ودينية مختلفة لم تندمج نهائيًا فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ الأندلس(١٦٠).

وكان الداخلون العرب قد حملوا معهم روح العصبية إلى الأندلس، وتفاقم صراع القيسية واليمنية فى الأندلس منذ عصر الولاة؛ وفى عصر الإمارة قامت بعض الثورات من منطلق حزبى مثل ثورة سعيد اليحصُبى المعروف بالمُطَرِى بلبلة فى أوائل سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦ وكان يطالب بثأر اليمنية الذين قتلهم عبد الرحمن الداخل مع العلاء بن مغيث اليحصُبى، ومن الداعين إلى اليمنية أيضًا سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصارى الذى قام بشاغُنت من أقاليم طرطوشة بشرق الأندلس سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م(١٦١).

ووصلت ذروة الصراع بين القيسية واليمنية فى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م عندما اندلعت فتنة هائلة بين الفريقين، استمرت حوالى سبع سنين، راح ضحيتها الآلاف من الفريقين(١٦٢).

ووصلت روح العصبية بين العرب والمولدين والعجم إلى أقصى تداعياتها فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى، إذ لم تأت سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م حتى "تفاقم هذا الوقت ما بين العرب والمولدين والعجمة واستعملوا العصبية، وتميزت أحزابهم بعضهم إلى بعض بكل جهة"(١٦٣).

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل دخلت هذه العناصر فى صراع دامى كانت له نتائج خطيرة على التاريخ الأندلسى آنذاك.

وقد تزعمَّ ثورة العرب العنصرية ضد المولدين والعجم سوار بن حمدان القيسى المحاربى، الذى ثار بناحية البَراجِلَة من كورة إلبيرة، طالبًا بثأر يحيى بن صُقَالة الذى قتله المولدون والمسالمة. وانضوت تحت لوائه جموع العرب فى

إلبيرة وجيان ورية، وأنزل بالمولدين والعجم ومن ضافرهم هزائم متتالية راح ضحيتها الآلاف منهم وغنم أموالهم. وكان لفشل حكومة الإمارة فى حماية المولدين أثره فى خلعهم لطاعة الأمير عبد الله وانضوائهم تحت لواء عمر بن حفصون طلبًا للحماية(١٦٤).

وراح ابن حفصون يذكى الروح العنصرية والعصبية فى أتباعه من المسالمة والمولدين والنصارى بقوله: "طال ما عنف عليكم السلطان... وأذلتكم العرب، واستعبدتكم وإنما أريد أن أقوم بثأركم وأخرجكم من عبوديتكم(١٦٥).

وقد أجج شعور العصبية والتحزُّب اشتراك الشعراء من الفريقين فى هذا الصراع وطرحت فى المناقضات الشعرية بين الشعراء أفكار شعوبية، أدت إلى زيادة الفرقة واتهم كل فريق خصمه بكل نقيصة وحاول الحط من شأنه مما زاد فى تباعد الفريقين(١٦٦).

(هـ) نتائج الثورات والفتن فى عصر الإمارة:

كانت للثورات والفتن فى عصر الإمارة نتائج خطيرة على المجتمع الريفى ففى المجال الاقتصادى والاجتماعى، كان لمقتل الكثيرين من أهل الريف، وتجنيدهم فى الحروب أثره فى إضعاف قوة العمل الرئيسية فى الريف، خاصة مع انتشار عمليات السبى والخطف(١٦٧)، هذا فضلاً عن تدمير البنية الأساسية لكثير من القرى الريفية، وقطع طرق المواصلات مما أوجد معه نوعًا من العزلة أثرت فى النشاط التجارى للمجتمع الريفى.

وشاع فى تلك الآونة اغتصاب الأراضى وتزوير عقود الملكية(١٦٨) وفقد كثير من صغار الملاك أراضيهم، وتضخمت فى المقابل ملكيات كبار الملاك- خاصة فى الفتنة الأولى- مما كان له أثره فى ترسيخ نوع من أنواع النظام شبه الإقطاعى.

وامتد النهب إلى كل شىء، حتى صارت تعج بكل ما هو منهوب ومغصوب مما دعى بعض الفقهاء إلى المناداة بتجنب تلك الأسواق التى غلب عليها الحرام(١٦٩).

كما أثرت الفتن والثورات فى إعادة التوزيع السكانى فى كثير من المناطق الريفية، فقد هجر كثير من الفلاحين قراهم، ولجأوا إلى سكنى الجبال والحصون للاحتماء بها، مما أدى إلى تعطيل الحياة الزراعية فى السهول[١٧٠]، وزادت الكثافة السكانية فى المناطق التى استقبلت المهاجرين، كما استقبلت بعض المناطق الريفية بعض الفارين من العاصمة إبان حادث الربض الشهير[١٧١].

وتغيرت الجغرافية العمرانية لبعض المناطق الريفية، بفعل التغيرات الديموجرافية السابقة، كما أُبيدَت مناطق بأكملها مثل الحصون، وشُيدَت حصون أخرى لأغراض دفاعية واستيطانية.

وتمثلت أخطر النتائج على المستوى الاجتماعى فى تحول الكثيرين من الأحرار فى الريف إلى العبودية، بسبب عمليات الاسترقاق التى نتجت عن الحروب الطاحنة، مما وسَّع من دائرة الرق[١٧٢] فعليًا، رغم اعتبار الفقهاء مواطن الثورات والفتن "دار حرب" تتغير فيها الأحكام الشرعية، بالمقارنة بدار السلم[١٧٣]. وواكب عملية استرقاق الأحرار، زيادة السخرة عندما لجأ الأقوياء إلى تسخير ضعفاء الناس فى شتى الأعمال الزراعية وغيرها[١٧٤].

وعلى المستوى الثقافى حملت بعض الثورات أفكارًا متنوعة منها الأفكار البناءة مثل دعوة أحمد بن معاوية المعروف بالقط سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م، الذى دعى إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله ضد الممالك النصرانية فالتف حوله الكثيرون[١٧٥].

وحمل بعضها الآخر أفكارًا هدامة كما كانت الحال لدى غالبية المتنبئين الذين ادّعوا النبوة، وسعوا إلى تقويض أركان الإسلام عن طريق بث شرائعهم الغريبة وتعاليمهم المتحللة من الالتزامات الشرعية، وتأويل القرآن[١٧٦]، وكان نجاح هؤلاء فى اجتذاب الكثيرين من أهل الريف دليلاً على انتشار الجهل، وعدم تأصل الدين فى نفوس الكثيرين منهم.

ومن نتائج الفتن والثورات فى الريف ظهور حركة "الصعلكة وقطع الطريق"(١٧٧)، تلك الحركة التى تعد أيضًا من الظواهر المصاحبة للفتن والثورات. وازدهرت حركة الصعلكة وقطع الطريق إبان الفتنة الأولى بسبب الاضطراب السياسى والاقتصادى الذى عمَّ الأندلس آنذاك.

وضاعف من خطر الحركة تكاثر أعضائها وزيادة نشاطهم فى أوقات الأزمات الاقتصادية "إذ كانوا مع استيلاء المجاعة عليهم لا يفترون عن العدوان على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبى المعيشة وجالبى الميرة"(١٧٨). وبذلك يتضح أن هذه الحركة كان لها تأثير مباشر على تعطل الحركة التجارية فى الريف آنذاك وهو ما أثر فى النهاية على الاقتصاد الأندلسى برمته كما كانت الحركة أيضًا إفرازًا لأوضاع اقتصادية متردية، وهو ما يؤكده الخشنى (ت. ٣٦١هـ/ ٩٧١م) عندما ذكر أن مجاعة شديدة حدثت فى أيام الأمير محمد "فكثر فيها التطاول من الفسدة، لفضل ما كانوا فيه من ضر السنة"(١٧٩).

وكَّرست المعطيات الجغرافية الأندلسية عوامل نجاح الحركة بخلقها واقعًا جغرافيًا ساعد على العزلة والتخفى(١٨٠).

ويحاول البعض من المحدثين دمغ الحركة بالعنصرية، بمحاولة إلصاقها بعنصرى المولدين والبربر الناقمين على العرب(١٨١). إلا أن الشواهد التاريخية تنفى ذلك، وتؤكد على اشتراك معظم العناصر السكانية فيها، فبالإضافة إلى العناصر المولدية والبربرية التى تصعلكت وقطعت الطريق(١٨٢)، سلكت عناصر أخرى نفس السبيل مثل العرب، وكان منهم عثمان بن عمرون الذى أغار هو وأتباعه على قرى إشبيلية فى سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، وكريب بن عثمان بن خلدون وأتباعه فى إشبيلية(١٨٣)، ومنهم أيضًا محمد بن عبد الرحمن بن زيد المعروف بالشيخ الخزاعى الأسلمى الذى ثار بقليوشة من أعمال تدمير فى أيام الأمير عبد الله وكان يخرج سراياه لبث الغارات وقطع السبيل(١٨٤).

ومن قطاع الطرق المنتمين فى العجم والنصارى، سكان جبل وحصن "منت روى" بين إلبيرة وجيان، الذين "كانوا يخيفون السبيل ويسفكون الدماء ويسلبون الأموال"[١٨٥].

وقد انطلقت حركة الصعلكة وقطع الطريق من عدة أماكن فى الريف مثل الجبال والقرى والكهوف والغيران والأحواز الريفية للمدن[١٨٦].

وكان لهذه الحركة تأثير بالغ على مجمل الأوضاع فى الريف بسبب ما أشاعته من عمليات السلب والنهب، والخطف والقتل، وشملت غارات قطاع الطرق كل العناصر التى وقفت فى طريقهم، ولم توجه إلى عنصر معين[١٨٧]، يؤكد ذلك ما ذكره ابن حيان (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) عن سعدون السرنباقى: "وداخل الجبل الذى ينسب إليه بين قلنبريه وشنترين فعاث فى أهل الملتين المسلمين والنصارى"[١٨٨].

ومن الإنصاف أن نذكر أن حكومة الإمارة بذلت جهودًا مضنية للقضاء على هذه الحركة، ساندها فى ذلك الفقهاء الذين ناهضوا الحركة[١٨٩].

وألقت الحركة بظلالها على الواقع الاجتماعى والثقافى أيضًا لأنها كانت موضوعًا للعديد من الأسئلة الفقهية التى طرحت على الفقهاء لاستطلاع آرائهم فى مسألة السرقة والاغتصاب، وبخطورة ذلك على المجتمع اعتبر الفقهاء عمليات السرقة من الجوائح التى تستدعى تخفيض الضرائب والكراء عن الفلاحين والمزارعين[١٩٠].

٤- الفتنة البربرية وأثرها:

اضطربت الأمور فى الأندلس إبان سقوط الخلافة فيما عرف بالفتنة البربرية، حيث لعب البربر الذين تزايدت أعدادهم بشكل ملحوظ منذ عهد الحكم المستنصر، ومرورًا بعهد المنصور بن أبى عامر[١٩١]، الدور الأكبر فى هذه الفتنة، بعد أن سيطروا على مناطق شاسعة من الأندلس[١٩٢].

وتعرّض المجتمع الريفى لغارات متوالية من العناصر المتناحرة خاصة البربر، وأصبح الاغتصاب والاستباحة هما اللغة السائدة آنذاك، وتقطعت طرق المواصلات نتيجة للحروب والغارات، فتوقفت التجارة، رغم تكدس الأسواق بكل ما هو منهوب ومغصوب، فارتفعت الأسعار بشكل كبير فى بعض المناطق، ففى قرطبة بيع "مد"[١٩٣] القمح بثلاثمائة دينار، لانعدام الأقوات. وأشرفت الأندلس على المجاعة بسبب إتلاف المزروعات واغتصاب الماشية[١٩٤].

وزاد من تفاقم الأوضاع، ثقل الضرائب المفروضة، وتزايد أنواعها واستخدام الشدة فى جبايتها، حتى فُرضت على رؤوس الناس من المسلمين "كجزية اليهود والنصارى" وفرضت على كل ما يباع فى الأسواق، وتراوحت ما بين ٣٠% و٥٠% من قيمة السلعة، وكانت النتيجة عجز الكثيرين عن دفعها، وكان ذلك أحد الدوافع لاسترقاق الناس وتسخيرهم[١٩٥].

وتمخض عن ذلك ازدياد فقر الناس فى الريف، وغدا الكثيرون منهم "يلبسون الجلود والحصر، ويأكلون البقل والحشيش"[١٩٦].

وأمام هذا العسف اضطر كثير من الفلاحين إلى هجر قراهم، وترك أراضيهم أو تسليمها لبعض المتغلبين فى مقابل توفير الحماية لهم، وبذلك تحول كثيرون منهم من فلاحين أحرار إلى فلاحين أقنان، فقدوا حريتهم وأملاكهم. وأعيد توزيع السكان فى كثير من المناطق نتيجة لحركات الاستيطان والهجرة، فقد استوطن البربر كثيرًا من المناطق كملاك ومقطعين، وهاجر الفلاحون إلى مناطق أكثر أمنًا، بعد أن تركوا قراهم وأراضيهم، واستقر فيها غيرهم، كما حدث فى بلنسية وشاطبه Jativa[١٩٧].

ومن مظاهر التغير الديموجرافى أيضًا لجوء كثير من الفلاحين إلى سكنى المدن، خاصة قرطبة التى توافد عليها أعدادُ كبيرة من أقاليمها، ولم تكن قرطبة مكانًا ملائمًا لهؤلاء الريفيين الذين لم يجدوا ما يفعلونه سوى التسكع فى شوارعها، وإيواء بعض أعداء القرطبيين من البربر مما جر عليهم عداء القرطبيين وحلفائهم، فمات أكثرهم جوعًا بها ومقتولاً بخارجها ونفقت مواشيهم[١٩٨].

واقترن التغير الديموجرافى فى الريف، باستقبال بعض المناطق للعديد من المهاجرين من أهل المدن خاصة أهل قرطبة الذين تركوها بحثًا عن الأمان والاستقرار، بعد أن غلت فيها الأسعار بدرجة كبيرة لانعدام الأقوات وانقطاع الميرة(١٩٩).

يضاف إلى ذلك هجرة كثيرين من أهل الريف فى الثغور الشمالية إلى الجنوب تاركين أراضيهم نتيجة للضغط النصرانى الشمالى، واستيلاء النصارى على تلك الأراضى بالقوة أحيانًا أو بالاتفاق مع زعماء الفتنة أحيانًا أخرى(٢٠٠).

٥- الغارات الخارجية وأثرها:

(١) غارات نصارى الشمال:

نقصد بنصارى الشمال سكان الممالك المسيحية المتاخمة للدولة الإسلامية فى الأندلس من جهة الشمال(٢٠١). وقد قامت هذه الممالك بغارات مباشرة على الأندلس كان لها تأثيرها، خاصة فى أرياف الثغور. ولم يقتصر التأثير على عمليات السلب والنهب والقتل، بل إمتد ليشمل حماية بعض الخارجين الأندلسيين على الحكومة الأندلسية وإيوائهم، مما كان له أثره فى استمرارية الثورات الداخلية فى الأندلس وقوتها(٢٠٢).

بدأت غارات الفرنجة على الأندلس منذ عهد شارلمان (٧٦٨- ٨١٤م) وذلك فى سنوات: ١٦١هـ/ ٧٧٨م، ١٨٥هـ/ ٨٠١م، وفى سنتى، ١٩٢هـ/ ٨٠٨م، و١٩٣هـ/ ٨٠٩م ولم تقف قوات الإمارة ولا الأندلسيون مكتوفى الأيدى أمام هذه الهجمات، بل أبلوا بلاء حسنًا فى ردها، رغم ما أحدثته من خسائر. ولم يهاجم الفرنجة الأندلس ثانية إلا فى سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٤م، ولكنهم ردوا على أعقابهم خاسرين(٢٠٣).

وكانت غارات الممالك النصرانية المتاخمة للأندلس هى الأكثر خطورة من غارات الفرنجة بسبب تداخل الحدود بين الطرفين. وبدأت هذه الغارات فى عهد

ألفونسو الأول Alfonso I ملك جليقية الذى انتهز فرصة انشغال عبد الرحمن الداخل بقمع الثورات الداخلية، وأغار على المناطق المحيطة بنهر دويره وخربها وقتل وسبى كثيرًا من المسلمين، وسار على نهجه ابنه فرويلا الأول Froila I. وكرر ألفونسو الثانى Alfonso II الغارة سنة ١٩٤هـ/ ٨١٠م وتوغل فى أراضى المسلمين حتى ضج الناس بالشكوى واستغاثوا بالحكم الأول(٢٠٤).

وتكررت غارات الجليقيين فى سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م عندما قتلوا أعدادًا غفيرة من أتباع أحمد بن معاوية القط، وفى سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م عندما هاجموا مدينة يَابُرَه Evora، وفى سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م عندما أغاروا على المنطقة المحيطة بَماردَة وبطليوس، وفى سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠ هاجموا وادى الحجارة Guadalajara فاستولوا على كثير من المواشى(٢٠٥).

وقد نجح الجليقيون فى إنزال هزيمة مروعة بقوات الخلافة سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م فى واقعة الخندق. ورغم اختلاف الروايات الإسلامية والمسيحية حول وقائع هذه المعركة، ونتائجها(٢٠٦)، إلا أن الشىء الذى لا يمكن إنكاره هو هزيمة المسلمين فيها، ومقتل الكثيرين منهم وأسرهم خاصة المطوعة من أهل الريف كما نص على ذلك ابن حيان- نقلاً عن عيسى بن أحمد الرازى فى قوله: "على أن إفشاء القتل والإسار إنما لصق بأهل البلاد والمطوعة، وأما الجند فصاروا من ذلك على الأعم بنجوة، وفشى القتل فيمن سواهم من المستنفرين والمحشودة(٢٠٧).

كما كانت هناك غارات من قبل أمراء بنبلونة Pamblona فى سنوات: ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م، ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، و٣٠٥هـ/ ٩١٨م. وتركزت الهجمات على أرياف الثغر الأعلى خاصة أحواز تطيلة وأعمالها(٢٠٨).

وظلت الأوضاع غير مستقرة على الطرفين، وإن تميز رد الفعل الإسلامى بالسرعة والقوة فى بقية عهد الناصر والمستنصر. ووالى المنصور بن أبى عامر غزواته ضد الممالك النصرانية حتى نَدُرَ تهديدهم للمسلمين. واتجه عبد الملك المظفر بن المنصور إلى سياسة التوطين العسكرى فى ريف الثغور لمنع تقدم النصارى، كما فعل بحصن مُمَقْصَر من ثغور برشلونة Barcelona سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م، وكانت هذه السياسة كفيلة بالنجاح لو استمرت.

ولكن الأمور عادت للاضطراب مرة أخرى على الحدود بين الطرفين، وعاد التهديد النصرانى بشكل جدى إبان سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس، كما ذكرنا سابقًا.

ويمكن تلخيص نتائج وتأثيرات غارات نصارى الشمال فى إصابة الحياة الاقتصادية بأرياف الثغور بخسائر كبيرة، نتيجة لتأثر الزراعة من جراء الغارات التى عطلت كثيرًا من مشروعات الرى(٢٠٩).

هذا فضلاً عن عمليات السلب والنهب وإتلاف المزروعات، وتدمير طرق المواصلات، كما كانت للغارات تأثيرات مباشرة فى إعادة التوزيع السكانى فى أرياف الثغور.

وعلى المستوى الثقافى أدى الضغط النصرانى إلى انتشار كثير من البدع والخرافات، كما أدى إلى ثراء الفقه الأندلسى، الذى ازداد تمسكًا بحرفية النصوص، وغلوًا فى بعض الأحكام(٢١٠)، وانشغل الناس بمسائل تتعلق بالجهاد وقسمة الغنائم(٢١١).

(٢) غارات النورمان(٢١٢) Normandos:

كان ظهور النورمان أو المجوس(٢١٣)- كما يسميهم المسلمون- لأول مرة أمام سواحل الأندلس فى سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م، حيث حلوا بسواحل أشبونة من غرب الأندلس فى أربعة وخمسين مركبًا ومثلها من القوارب، كما ذكر العذرى (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) أو ثمانين مركبًا على ما ذكر ابن عذارى (ت٧١٢هـ/ ١٣١٣م)(٢١٤) وهذا يدل على أن عددهم كان كبيرًا.

وقد عاث المجوس بأرياف أُشْبُونَة، وقادس، وشَذُونَة Sidonia، وإشبيلية حيث أنزلوا بأهلها هزيمة منكرة، وأبادوا الكثير من الأهالى والدواب والأنعام والطيور على حد قول العذرى. وقد وصلت قوات الإمارة متأخرة، ولكنها استطاعت أن تجبرهم على الانسحاب فتراجعوا ولكنهم لم يتخلوا عن أسلوبهم فى النهب والقتل والسبى، وواصلوا غاراتهم على إقليم الشرف بإشبيلية وعلى شذونة ولبلة وأكشونبه وباجة ووادى آنه وغيرها حتى وصلوا الإشبونة ورحلوا عنها(٢١٥).

ومنيت أرياف غرب الأندلس- خاصة أرياف إشبيلية- بخسائر كبيرة نظرًا لكثرة أعداد المجوس، الذين كانوا يُقدرون بالآلاف[٢١٦]، هذا فضلاً عن قوة بأسهم التى اضطر أمامها كثير من أهل إشبيلية إلى الفرار إلى الجبال والمدن المجاورة، ولم تستطع حكومة الإمارة أن توقفهم إلا بعد أن استعانت بقائد متمرس هو موسى بن قسى، وكان اعتمادهم على النار كسلاح فعال من أسباب ترويع الأندلسيين[٢١٧].

ويمكن تقدير الآثار الاقتصادية التى ترتبت على إغاراتهم، إذا علمنا أن تحركاتهم من مواطنهم كانت فى الأساس بفعل عوامل اقتصادية[٢١٨]، يؤكد ذلك أنهم حينما حلت بهم الهزيمة عند إشبيلية، نادوا بالفداء فلم "يأخذوا فى فدائهم ذهبًا، ولا فضة، إنما أخذوا الثياب والمأكول"[٢١٩]، وكان اتجاههم إلى سواحل الأندلس الغربية، وبالذات إقليم إشبيلية الوفير الخيرات[٢٢٠]، أمرًا منطقيًا، فى ظل ظروفهم الاقتصادية السيئة التى دفعتهم للتحرك من مواطنهم.

وقد استقرت مجموعة منهم بعد هزيمتهم فى إقليم إشبيلية، واشتغلوا بتربية الماشية خاصة البقر، وصناعة الألبان والجبن بعد أن اعتنقوا الإسلام[٢٢١].

ونتيجة لغارات النورمان هذه نشأت العديد من "الربط" بغرض الجهاد على طول سواحل الأندلس الغربية[٢٢٢]، ولم تكن هذه الربط مقتصرة على العمل الجهادى فقط، بل كانت تعج بالنشاط الاقتصادى والاجتماعى والثقافى.

عاود المجوس هجومهم على الأندلس فى سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، ولكنهم لم يظفروا بطائل، رغم أنهم احتلوا الجزيرة الخضراء، وعاثوا فيها، وفى ساحل تدمير، لأن قوات الأمير محمد أجبرتهم على الفرار، بعد استشهاد كثير من المسلمين[٢٢٣].

وتذكر بعض المصادر غارة أخرى للمجوس على سواحل الأندلس سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م إلا أن تفاصيل هذه الغارة تتشابه مع سابقتها تلك التى حدثت سنة ٢٤٥هـ بدرجة كبيرة، ربما لأن غاراتهم لم تكن مركزة فى مجموعة واحدة، بل

فى مجموعات متعددة، وفى أماكن مختلفة[٢٢٤]، مما أدى إلى التباس الأمر على المؤرخين المسلمين.

تذكر المصادر غارة أخرى للمجوس على سواحل الأندلس الغربية سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م حيث اشتبك معهم أهالى أشبونة إلى أن وصلت قوات الخلافة وطردتهم بعد مقتل كثير من الأهالى[٢٢٥]. ويذكر البعض أنهم استمروا يهددون الأندلس لمدة ثلاث سنوات ولكنهم كانوا قد ضعفوا كثيرًا بسبب الخسائر التى ألمت بهم[٢٢٦].

ويبدو أن غارات النورمان قد تكررت كثيرًا، رغم أن المصادر لم تذكر إلا القليل منها، لأن أخبارهم وردت فى معظم المصادر التى أرخت للأندلس فى تلك الفترة هذا بالإضافة لما ذكره الإدريسى (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) عن جزيرة شَلْطِيش: "وقد تغلب عليها المجوس مرات وأهلها إذا سمعوا بالمجوس يخطرون عليهم فروا عنها وأخلوها"[٢٢٧].

الهوامش

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ج١، ص٣٨٧ وما يليها.

(٢) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، بريل، ط٢، ١٩٠٩ ص٢٤٣.

(٣) Glick: Islamic and chirstian Spain in the earlymiddle ages. Princeton, Newjersy. 1979. p.62.

(٤) تسمى خطأ باسم جبال البرانس، و"البرتات" مشتقة من Porta اللاتينية أو Puerta الأسبانية وسميت بذلك نسبة إلى الأبواب أو الممرات الرومانية القديمة التى تخترقها. وتمتد من البحر المتوسط شرقًا حتى نربونة Narbonna فى الغرب بطول ٤٢٠كم ومتوسط اتساع يصل إلى ١٣كم، ومتوسط ارتفاع يفوق ارتفاع جبال الألب. انظر:

Levi- provencal: La "description de l'espagne" d'A. Al- Razi. Al-Andalus, vol. XV111, Madrid, 1953. pp.51- 108, Imamuddin: Some aspects of the socio- economic and cultural history of muslim Spain leiden, Brill, 1965. p.3,

فتحى أبو عيانة: الجغرافيا الإقليمية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ب. ت ص٩٨.

(٥) جمال حمدان: بين أوروبا وآسيا، القاهرة، عالم الكتب، ب. ت ص٨٥.

(٦) تشمل هضبة الميسيتا حوالى نصف مساحة شبه جزيرة إيبيريا، بمتوسط ارتفاع يبلغ ١٩٣٥ قدمًا وتنحدر تدريجيًا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب. كولان: الأندلس، كتب دائرة المعارف الإسلامية دار الكتاب اللبنانى ط١، ١٩٨٠ ص٦٢، وانظر أيضًا: Imamuddin: Op. cit. p. 2.

(٧) مثل جبال قرطبة، وجبال الشارات وغيرها. انظر:

Levi- provencal: la descrip. De l'Esp. d'A.Al- Razi. PP.100- 101.

(٨) Imamuddin: op. cit. PP. 8- 9.

(٩) Levi- Provencal: Histoire de l'Espagne Musulmane. Leyde, paris, 1953. T. 111. p. 262.

(١٠) فتحى أبو عيانة: المرجع السابق ص٩٨- ١٠٠.

(١١) المقرى- نقلاً عن الرازى: نفح الطيب ت. إحسان عباس، بيروت، دار صادر١٩٨٠، ١ ص١٢٩- ١٣٠.

(١٢) البكرى: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، ت. عبد الرحمن الحجى، بيروت، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٨ ص٧٠. وتواتر هذا الوصف عند الكُتّاب الأندلسيين اللاحقين.

(١٣) البكرى: نفس المرجع والصفحة.

(١٤) المقرى: المصدر السابق، نفس المجلد ص١٣١،

Levi- provencal: la descrip. De l'Esp. d'A. Al- Razi. PP. 60-16.

(١٥) جمال حمدان المرجع السابق، ص٩٢- ٩٣.

(١٦) مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٤٦، جغرافية ص٨٢، اليعقوبى: كتاب البلدان، نشر دى خويه، ليدن، إبريل١٨٩١ ص٣٥٤، ابن الشباط: قطعة فى وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط، نشر أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد م١٤، ١٩٦٧- ١٩٦٨ ص٩٩- ١٦٣.

(١٧) ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام. ت. ليفى بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦ص٢٤، المقرى: المصدر السابق، م١، ص١٣١.

(١٨) جودة حسنين جودة: جغرافية أوروبا الإقليمية، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص٤٩.

(١٩) عريب بن سعد: تقويم قرطبة ت. دوزى، ليدن، إبريل١٩٦١ ص١٤١، ١٤٣، ١٤٩، ١٥٣.

(٢٠) Levi- provencal: Hist. de l'Esp. Musulm. T. 111. PP. 261- 262.

(٢١) جودة حسنين جودة: المرجع السابق ص٦٧- ٦٨.

(٢٢) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٢٧ وما يليها.

(٢٣) العذرى: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار. ت. عبد العزيز الأهوانى، مدريد، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٦٥ ص٢٢.

(٢٤) العذرى: نفس المصدر ص٢٢، ٢٤، الإدريسى: المصدر السابق، نفس البلد ص٥٥٠، ٥٦١، Levi- Provencal: la descrip. De l'Esp. de Razi. PP. 101- 104.

(٢٥) جودة حسنين جودة: المرجع السابق ص٤٩.

(٢٦) الإدريسى: المصدر السابق، نفس المجلد ٥٤٥، ٥٦٥، الزهرى: كتاب الجغرافية، ت. محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ب. ت ص٨٩- ٩٨، القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ب. ت ص٥٠٠، ٥٣٢، القلقشندى: صبح الأعشى. دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، ١٩١٥ ج٥ ص٢١٨، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: la descrip. del'Esp. de Razi. PP. 101- 102.

(٢٧) جودة حسنين جوده: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢٨) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، بيروت، دار الشروق، ط١، ١٩٨٣، ص٥٨.

(٢٩) انظر: ابن سعيد: المصدر السابق، جـ١ ص٣٣٤.

(٣٠) العذرى: المصدر السابق، ص١ ابن سعيد: كتاب بسط الأرض فى الطول والعرض، ت. خوان قرنيط، تطوان، ١٩٨٥ص١٠٠، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: la descrip. del ' Esp. de Razi. PP. 101- 103.

(٣١) المقدسى: المصدر السابق ص٢٣٣- ٢٣٤، الإدريسى: المصدر السابق، م٢ ص٥٤١، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩٠، ٢٩٢، القزوينى: المصدر السابق ص٥٥٥.

(٣٢) المقدسى: المصدر السابق ص٢٣٤، العذرى: المصدر السابق ص٢، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩٠، القزوينى: المصدر السابق ص٥٤٥.

(٣٣) العذرى: المصدر السابق ص١٩، ٢٤، القزوينى: المصدر السابق ص٤٩٤، ٥٣٤، الحميرى: المصدر السابق ص٤٧، ٧٩، ١٣٤، ١٩٢، ١٩٤.

(٣٤) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ليدن، إبريل١٣٠٢ ص٨٨.

(٣٥) المقدسى: المصدر السابق ص٢٣٣- ٢٣٤، الإدريسى: المصدر السابق، نفس المجلد ص٥٣٩، ٥٥٦، ٥٦٥، ٥٧٢، ٥٧٣، الحميرى: المصدر السابق ص١٤، ١٠٢، وانظر أيضًا:

Levi- provencal: la descrip. De l'Esp. de Razi. P. 72, 77, 96.

(٣٦) المقدسى: المصدر السابق ص٢٣٣، الحميرى: المصدر السابق ص٣٧، ٦٤ وانظر أيضًا: سحر السيد عبد العزيز سالم: مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠ ص١٢٨.

(٣٧) ابن العطار: كتاب الوثائق والسجلات ت.ب شالميتا، وف. كورينطى، مدريد، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، ١٩٨٣ ص٣٩١.

(٣٨) Imamuddin: op. cit. p. 5.

(٣٩) ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص٢٤٥.

(٤٠) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس وصفاتها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، برقم١٧٦، جغرافية ص١٣٣- ١٣٥، ١٨٦. وقد سبق أن أصيبت الأندلس قبل ذلك بالقحط والجفاف، ولكننا آثرنا الدخول فى الموضوع مباشرة.

(٤١) مؤلف مجهول: نفس المخطوط ص١٥٥، ابن عذارى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، ت. ج. س. كولان، وليفى بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط٣، ١٩٨٣ ج٢، ص٧٣، النويرى: نهاية الأرب. ت. أحمد كمال زكى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ ج٢٣، ص٣٧٠.

(٤٢) ابن حيان: المقتبس ت. محمود على مكى، ص١.

(٤٣) ابن حيان: نفس المصدر ص٣٢١، ٣٢٤، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٢، م٧، ص١٩٠، ابن عذارى المصدر السابق، ج٢ ص١٠٠.

(٤٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ت. إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط٢، ١٩٨٩، ص١٠٠، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١٧٢، ٣٤٣، ابن الأثير: المصدر السابق، م٧، ص٢٧٣، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢ ص١٠٢.

(٤٥) ابن عذارى: نفس المصدر ج٢، ص١٣٩.

(٤٦) ابن حيان: المقتبس ت. إسماعيل العربى، المغرب، دار الآفاق الجديدة، ب. ت ص١٦٨.

(٤٧) ابن حيان: المقتبس ت. ب، شالميتا، وآخرين، مدريد، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، ١٩٧٩، ج٥، ص١٠٤، ١٠٩- ١١٠، ١٢٤، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢ ص١٦٦- ١٦٨، مؤلف مجهول: تاريخ عبد الرحمن الناصر، قدم له عدنان آل طعمه، دمشق، دار سعد الدين، ب. ت ص٣٣- ٣٤.

(٤٨) ابن حيان: المقتبس، ج٥ ص٢٠٣، ٢٠٥، ٢٥٠- ٢٥١، ابن عذارى: المصدر السابق، نفس الجزء ص١٩٢- ١٩٩، مؤلف مجهول: تاريخ عبد الرحمن الناصر ص٥١، ٥٨.

(٤٩) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٢٠١، ٢١٢. وقد ذكرت المصادر موجات من القحط أصابت الأندلس دون تحديد دقيق لتواريخها، كما حدث فى أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الثانى، وما حدث فى أواخر عهد الناصر وفى عهد الحاجب المنصور بن أبى عامر. انظر: ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس. ت. محمد على شوابكه، بيروت، دار عمار، ط١، ١٩٨٣ ص٢٤٩، ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ت.، إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩، ق٤، م١ ص٤٦، النباهى: كتاب المراقبة العليا، بيروت، دار الآفاق، ط٥، ١٩٨٣ ص٧٠، ٧٩، المقرى: المصدر السابق م١ ص٥٧٢- ٥٧٣.

(٥٠) ابن العطار: المصدر السابق ص٣٧٨، ٣٩٥، ٥٩٧، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. T. 111. p.275.

(٥١) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص١٣٤- ١٣٥، ١٤٤، ابن الأثير: المصدر السابق م٦ ص١٦٢.

(٥٢) ابن الأثير: نفس المصدر والمجلد ص٤٠٨، النويرى: المصدر السابق، ج٢٣، ص٣٧٧.

(٥٣) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٥، ابن الأثير: المصدر السابق، م٧ ص٥١، ابن عذارى: المصدر السابق ج٢، ص٨٩، النويرى: المصدر السابق، ج٢٣، ص٣٨٥.

(٥٤) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٢١٢.

(٥٥) ابن حيان: المقتبس ت. إسماعيل العربى ص١٦١، المقتبس ت. عبد الرحمن الحجى، بيروت دار الثقافة، ١٩٨٣ ص٢٠٩- ٢١٠، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص٢١٣، ج٣، ص١٠٥.

(٥٦) ابن العطار: المصدر السابق ص٣٨١ وما يليها.

(٥٧) انظر الزجالى: أمثال أبى يحى الزجالى، ت. محمد بن شريفة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٦٨، ق١ ص٢٢٧، ابن عاصم الغرناطى: نص أمثال ابن عاصم من كتاب "حدائق الأزاهر" نشر عبد العزيز الأهوانى، دار المعارف ١٩٦٢، المثل رقم ٢٢٧ ص٣١٤.

(٥٨) جاء فى أمثالهم قولهم: "آرياح مرس، وجوائح أبريل". الزجالى: المصدر السابق، ق٢، المثل رقم ١١٤ ص٢٩.

(٥٩) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٥٩- ٦٩.

(٦٠) الزجالى: المصدر السابق ق٢، م. رقم ٦٠ ص١٨.

(٦١) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٨٥، ٨٧، ١٠٩، ١١٥.

(٦٢) جمال حمدان: المرجع السابق ص٩٢.

(٦٣) ابن عذارى: المصدر السابق ج٢ ص٢١١.

(٦٤) ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص١٥٤.

(٦٥) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٢١٥.

(٦٦) الونشريسى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٨١، ج٧ ص٢٢٦.

(٦٧) عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٦٩، ١٧٣.

(٦٨) انظر: ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص١٠١، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٢١١.

(٦٩) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص١٢٤.

(٧٠) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص١٩٥.

(٧١) انظر ما ذكره فى ذلك الشاعر عبادة بن ماء السماء عند الحميدى: جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس، ت. إبراهيم الإبيارى، بيروت دار الكتاب اللبنانى، ط١، ١٩٨٤ ق٢ ص٤٦٣.

(٧٢) انظر ما قاله ابن خفاجه يصف البرد والثلج. ابن خفاجه: ديوان ابن خفاجه، بيروت، دار صادر ١٩٦١ ص٢٤- ٣٣.

(٧٣) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص١٧٣، ابن عذارى: المصدر السابق ج٢ ص١٠٤- ١٠٥.

(٧٤) ابن عذارى: نفس المصدر والجزء ص٢١١. وذكر ابن حيان بعض الزلازل التى حدثت دون أن يوضح تأثيرها. انظر ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص٦٧، ١٠٧.

(٧٥) الزجالى: المصدر السابق، ق٢ م. رقم ٢٠٦٥ ص٣٨٤.

(٧٦) أندريه ميكيل: جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادى عشر، ودمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢، ج٣، ق٢، ص٥٢.

(٧٧) هنرى بيريس: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ت. الطاهر مكى، دار المعارف، ط١، ١٩٨٨ ص٢١٨.

(٧٨) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، ت. إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط١، ١٩٨٣- ١٩٨٤، جـ٢ ص٥٢٤. وروى ابن سعيد حكاية طريفة عن أهل حصن العقبين من أعمال قلعة بنى سعيد لها دلالتها على خطورة الذئاب. انظر: ابن سعيد: المغرب، ج٢ ص١٨٦.

(٧٩) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابه (٢٢٥- ٣١٤هـ/ ٨٣٩- ٩٢٧م) كان من الفقهاء المشاورين فى أيام الأمير عبد الله، ثم مفتيًا فى أوائل عهد الناصر. انظر ابن الفرضى: المصدر السابق، ج٢، ت، رقم ١١٨٧ ص٦٨٠، الحميدى: المصدر السابق، ق١، تر٢٢٣، ص١٤٧.

(٨٠) الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص٣٣٢.

(٨١) انظر ابن شهيد: ديوان ابن شهيد الأندلسى ت. يعقوب ذكى م. محمود على مكى، القاهرة، دار الكتاب العربى، ب.ت ص ١١٩، ابن خفاجه: المصدر السابق ص١٠٦.

(٨٢) كلمة اللب هى فى اللاتينية Luppus والقشتالية Lob, Lope، والقطلانية LLop وهى تعنى "الذئب". انظر

Simonet: Glosario de voces Ibericasy Latinas Usadas entre Los Mozarabes. Madrid, 1888. p. 315.

وقد تسمى كثير من الأندلسيين باسم اللب ومشتقاته مما يدل على قوة تأثير هذا الحيوان فى الحياة الأندلسية.

(٨٣) الزجالى: المصدر السابق، ق٢، م. رقم ٥٥٦ ص١١١.

(٨٤) ابن بسام: المصدر السابق، ق٢ م٢ ص٧٨٧.

(٨٥) الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص٢٠٠. ٢٦٦.

(٨٦) حيوان القنلية "أدق من الأرانب وأطيب فى الطعم وأحسن وبرًا" ولفظ "القنلية" أصله لاتينى conillus، ومنه انتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة فهو فى القشتالية Conejo والقطلانية Cunill.

انظر المقرى: المصدر السابق، م١ ص١٩٨، وانظر أيضًا: Simonet: op. cit. P. 129

(٨٧) ابن سهل: نوازل الأحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ١٦٠، فقه مالكى، ص٢٢٤.

(٨٨) الخشنى: قضاة قرطبة، ت. إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط١، ١٩٨٢ ص١٢٦- ١٢٧، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٦٩.

(٨٩) ابن حيان: نفس المصدر، ص٩٣.

(٩٠) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٨١، النويرى: المصدر السابق، ج٢٣ ص٣٧٦.

(٩١) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١، ابن الأثير: المصدر السابق، م٧ ص٣٥، ابن عذارى: المصدر السابق، نفس الجزء ص٨٩، النويرى: المصدر السابق، جـ٢٣ ص٣٨٥.

(٩٢) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٢١٣، وانظر أيضًا:

Levi- Provencial: Hist. de L'esp. Musul. T. 111. P. 272.

وكان وجود أسواق لبيع الجراد فى الأندلس دليل على أن بعض الأندلسيين كانوا يأكلونه- خاصة- فى وقت المجاعة كما سنفصله.

(٩٣) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٦٣.

(٩٤) فى الواقع لم تنفرد حكومة بنى أمية فى الأندلس بهذه المكرمة، بل إن الحكومات الأندلسية التالية لم تدخر جهدًا فى سلوك نفس السبيل، خاصة حكومة المرابطين. انظر: ابن القطان: جزء من كتاب نظم الجمان، ت. محمود على مكى، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ب. ت ص٢١٧، محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ١٩٥٩- ١٩٦٠، م٧- ٨ ص١٠٩- ١٩٨.

(٩٥) الزجالى: المصدر السابق، ق٢، م. رقم ٢١٣، ٢٢٥ ص٤٩. ٥١. كذلك كان الجراد موضوعًا لبعض الرسائل الديوانية- أحد ألوان الأدب العربى. انظر الرسالة التى صدرت عن ديوان الإنشاء المرابطى فى عهد السلطان على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠- ٥٣٧هـ/ ١١٠٦- ١١٤٣م) من إنشاء الوزير أبو بكر بن القبطرنة (ت. بعد سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م). محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية م٧- ٨ ص ١٠٩- ١٩٨.

(٩٦) الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص١٦٤.

(٩٧) الحميرى: المصدر السابق ص٧٩.

(٩٨) ابن العطار: المصدر السابق ص٣٨٥.

(٩٩) ابن العطار: نفس المصدر ص٣٩٥، وانظر أيضًا:

Thami El Azemouri:

Les Nawazil d' Ibn Sahl, Section relative Al' Ihtisab. Hesperis Tamuda, vol. xiv, Fasc. Unique. PP. 7- 107.

(١٠٠) انظر عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٠٩، ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ت. إبراهيم الإبيارى وآخرين، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤ ص٩٣- ٩٤.

(١٠١) الذهبى: نقلاً عن ابن مزين: سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٩٩٢، جـ٨ ص٢٥٩.

(١٠٢) انظر الونشريسى: المصدر السابق جـ٩ ص٢٥٧، جـ١١ ص٢٦٣- ٢٦٤.

(١٠٣) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة دمشق، منشورات دار دمشق، ب. ت ص١٢٢.

(١٠٤) ابن الأثير: المصدر السابق، م٥ ص٤٩٩.

(١٠٥) ابن دحيه: المصدر السابق ص١٣٦.

(١٠٦) الخشنى: المصدر السابق ص٩٠- ٩١.

(١٠٧) ابن الأثير: المصدر السابق م٦ ص٣٨٣- ٣٨٤، النويرى: المصدر السابق جـ ٢٣ ص٣٧٥- ٣٧٦.

(١٠٨) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ب.ت ص٢٦٩. انظر اتهام الشاعر يحيى بن الحكم الغزال (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤) لأحد المتولين لوظيفة الأحباس من قبل قاضى الجماعة بقرطبة معاذ بن عثمان الشعبانى الذى تولى القضاء سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م.

الخشنى: المصدر السابق ص١٢٦- ١٢٧، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٦٩. وكان أوصياء الأيتام فى عهد القاضى منذر بن سعيد البلوطى (٣٣٩- ٣٥٥هـ/ ٩٥٠- ٩٦٥م) متهمين بالسرقة ورغم ذلك لم يعزلهم القاضى. انظر ابن خاقان: المصدر السابق ص٢٥٧.

(١٠٩) العذرى: المصدر السابق ص٢٩.

(١١٠) ابن القوطية: المصدر السابق ص٨٦، ابن حيان المقتبس ت. مكى ص١٣١، ١٤٨- ١٤٩، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de L'Esp. Mus T.I. P. 287.

(١١١) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٦٣.

(١١٢) ابن حيان: نفس المصدر ص٣٩٣.

(١١٣) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ت. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ ١٩٨٧ جـ٢ ص١٩٣.

(١١٤) من أوضح الأمثلة على ذلك قيام الأمير عبد الله بعزل جهور بن عبد الملك البختى عامل كورة إلبيرة وإغرامه مدفوعًا بوشاية الوزير سليمان بن وانسوس الذى حقد على العامل لأنه لم يقدم له من الأموال كما قدم لزملائه من الوزراء. انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١٩٢- ١٩٣.

(١١٥) انظر أمثلة لبعض هذه التجاوزات مثل فرض المغارم واستغلال النفوذ والفساد والقسوة والبطش والإسراف عند كل من: ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص٢٧- ٢٨، ٦٣، ١٠١، ابن خاقان: المصدر السابق ص٢٥٧، ٢٦٢، ابن بسام: المصدر السابق، ق١، جـ١، ص١٩٨- ١٩٩.

(١١٦) ابن الأثير: المصدر السابق م٦ ص١٤٨، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٦٦.

(١١٧) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٤٦٨.

(١١٨) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢ ص٢٣٩.

(١١٩) ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص٢٠٧- ٢٠٨.

(١٢٠) ابن بسام: المصدر السابق، ق٤، م١ ص٥٩، ٧٨، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣، ص٣. وقد أغلفنا ذكر إلغاء بعض الحكام لبعض الضرائب لأنها كانت تخص أهل قرطبة وحدهم دون سائر أهل الأندلس، انظر ابن عذارى: نفس المصدر جـ٢ ص١٠٩، ١١٤، ٢٥٩.

(١٢١) ابن حزم: رسائل ابن حزم، جـ٣ ص١٧٣- ١٧٦ وانظر أيضًا:

Asin palacios: un codice inexplorado del cordobes Ibn Hazm.

Al- Andalus. Madrid 1934. 11. PP. 1- 56.

(١٢٢) ابن بسام: المصدر السابق، ق٣، م١ ص١٥- ١٦، ١٩- ٢٠، ٥١٨- ٥١٩.

(١٢٣) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٢٠١- ٢١٢، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٩٣، جـ٥ ص١٠٩- ١١٠.

(١٢٤) ابن القوطية: المصدر السابق ص١٠٠، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١٧٢- ١٧٣.

(١٢٥) ابن القوطية: المصدر السابق ص٥٣.

(١٢٦) انظر: الزبيدى: المصدر السابق ص٢٥٤، وانظر أيضًا: محمد عيسى الحريرى: ثورة عمر بن حفصون، دار الكتاب الجامعى، ط١، ١٩٨٢ ص٢٩.

(١٢٧) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٦٢.

(١٢٨) العذرى: المصدر السابق ص٥، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٨٢.

(١٢٩) ابن القوطية: المصدر السابق ص١١٩، ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٢٤٩.

(١٣٠) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٢٥، ٤٧- ٤٨، العذرى: المصدر السابق ص١٢.

(١٣١) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٤٥، المقتبس ت. العربى ص٤٤، ٥٢.

(١٣٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣ ص١٠٢، رسائل ابن حزم، جـ٢ ص١٩٧، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٣ ص٩٩، ١٠٢- ١٠٤.

(١٣٣) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص١٠٣- ١١٦، العذرى: المصدر السابق ص١٠١، ابن الأثير: المصدر السابق م٦ ص٥٨- ٥٩، ٧٨- ٧٩، ١٩، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٥١- ٥٢، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de L'Esp. Musul. T. 111. PP. 110- 111.

(١٣٤) ابن الأثير: المصدر السابق، م٦ ص١٤٤، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٦٣- ٦٤.

(١٣٥) ابن الأثير: المصدر السابق، م٦ ص١٦٨، ٢٠٢، ٤٤٤، ابن عذارى: المصدر جـ٢ ص٨٤.

(١٣٦) انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٢٠، ٣٨٥، ٣٩٢، العذرى: المصدر السابق ص٣٣، ابن الأثير: المصدر السابق م٧ ص٧١، ٣٦٩، ابن عذرى: المصدر السابق جـ٢ ص٩٦.

وكانت جيوش الأمير محمد تلجأ أحياناً إلى طمر الآبار وردمها حتى لا يستفيد منها الخارجون. انظر ابن حيان: المقتبس .ت. مكى ص٣٥١.

(١٣٧) ابن حيان: نفس المصدر ص٣٤١، ابن عذارى: المصدر السابق ن. جـ٢، ص١٠٢.

(١٣٨) ابن عذارى: نفس المصدر، جـ٢، ص١١٦- ١١٨.

(١٣٩) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٧٦، ١٢٨. ١٣١- ١٣٢. ١٣٧- ١٣٨. ١٦٢- ١٦٣، ابن عذارى: المصدر السابق ص١٢٢، ١٢٤. ١٤٠.

(١٤٠) انظر ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٦٧- ٨٦، ١٠١، ١٤٨- ١٤٩، ١٥٢- ١٥٣، ١٨٣- ١٨٤، ٢١٠- ٢١١. ٢٢٠- ٢٨٣.

(١٤١) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٣٦، العذرى: المصدر السابق ص١٤.

(١٤٢) ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة ت. محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجى، ط٢ ١٩٧٣، م٤ص. ٢٧.

(١٤٣) ابن الخطيب: نفس المصدر والمجلد ص٣٨، الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص١٠٩- ١١٠.

من الثوار الذين ينتمون إلى أصول ريفية أيضًا: بهلول بن مرزوق بن أسكرى الذى كان ينتمى إلى قرية شقلوة من عمل وشقة، وعمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى الذى كان ينتمى إلى قرية الملاحة من عمل جيان. انظر ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٤٥، العذرى: المصدر السابق ص٥٨- ٥٩.

(١٤٤) انظر هذه الجبال: ابن القوطية: المصدر السابق ص١٠١- ١٠٢، ١٠٤- ١٠٥، ١١٠، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٧. ٢٩٢، ٣٣١، ٣٤٥، المقتبس ت. العربى ص١٥٦، المقتبس جـ٥ ص١٥٣.

(١٤٥) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٤٢.

(١٤٦) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٦١.

(١٤٧) ابن حيان: نفس المصدر والجزء ص٢٢٠، وقدم ابن حيان فى صفحتى ٦٢- ٦٣ بياناً بأسماء من استنزلهم الناصر من الحصون المخالفة.

(١٤٨) الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ت. ماريا لويسا آبيلا، ولويس مولينا، معهد التعاون مع العالم العربى، ١٩٩٢ ص٢١١، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٨٠، المقتبس ت. العربى ص٩١- ٩٣.

(١٤٩) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٤، المقتبس جـ٥ ص٧١. وانظر كيف تم فتح طليطلة سنة ٢٢٢هـ بعد تدمير ظهيرها الريفى. محمد بركات البيلى: طليطلة فى عصرها الإسلامى، القاهرة، دار النهضة العربية مطبعة جامعة القاهرة ١٩٩٣ ص٣٧- ٣٨.

(١٥٠) انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٤١، المقتبس ت. العربى ص١١٥، ١٦٧- ١٦٨، المقتبس جـ٥ ص٨٠، ١١٧، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٠٢.

(١٥١) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٢٤- ٢٥.

(١٥٢) ابن حيان: نفس المصدر ص٣٤.

(١٥٣) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١١٤- ١١٥، الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص١١٢.

(١٥٤) العذرى: المصدر السابق ص٥٧- ٥٩.

(١٥٥) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٧٢، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٢٢- ١٢٣.

(١٥٦) ابن القوطية: المصدر السابق ص١٠١.

(١٥٧) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٤٤- ٣٤٥. ٣٧٩- ٣٨٠.

(١٥٨) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٢٥.

(١٥٩) ابن حيان: نفس المصدر ص٣٦، ٤٤- ٤٥، العذرى: المصدر السابق ص٣١.

(١٦٠) Glick: op. cit. p. 139, Guichard: The Social History of Muslim Spain from the conquest to the end of the Almohad. The legacy of Muslim spain. Leiden, Brill, 1992. PP. 679- 708.

(١٦١) ابن الأثير: المصدر السابق م٦ ص١١٧، ابن خلدون: كتاب العبر. دار الكتاب اللبنانى، ١٩٦٨، ق١ م٤ ص٢٦٦.

(١٦٢) انظر العذرى: المصدر السابق ص٥- ٦، ابن الأثير: المصدر السابق، م٧ ص٣٨٤، ٤٠٠، ابن سعيد: المغرب. جـ١ ص٤٨، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٨١- ٨٢، ويبدو أن الصراع استمر بينهما، فابن حيان يحدثنا عن فتنة وقعت بين الطرفين سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م. ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٧٣.

(١٦٣) ابن حيان: نفس المصدر والصفحة.

(١٦٤) ابن حيان: نفس المصدر ص٨٢- ٨٧ وما يليها، ابن الآبار: الحلة السيراء ت. حسين مؤنس، القاهرة دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥، جـ١ ص١٤٧ وما يليها، ابن الخطيب: الإحاطة م٤ ص٢٧٠- ٢٧١.

(١٦٥) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١١٤.

(١٦٦) انظر ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٨١- ٨٢، ٨٧- ٨٩، ابن الآبار: المصدر السابق، جـ١ ص١٥١- ١٥٣.

(١٦٧) العذرى: المصدر السابق ص٥٦.

(١٦٨) ابن رشد: البيان والتحصيل. بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٤- ١٩٨٦ جـ١١، ص٢٥٢- ٢٥٥.

(١٦٩) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٢٢- ١٢٣، الونشريسى: المصدر السابق جـ٦ ص١٨٧.

(١٧٠) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٣٤- ٣٤٨، المقتبس جـ٥ ص٧٨.

(١٧١) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٧٧.

(١٧٢) الخشنى: قضاة قرطبة ص٢١٣- ٢١٤.

(١٧٣) ابن سهل: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس ت. محمد عبد الوهاب خلاف م. محمود على مكى، مصطفى كامل إسماعيل، القاهرة، المركز العربى الدولى للاعلام ١٩٨٠ ص٨٣- ٨٥.

(١٧٤) العذرى: المصدر السابق ص٥٨- ٥٩.

(١٧٥) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص١٥٥- ١٥٦.

(١٧٦) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص١٦٨- ١٦٩، ١٩٤- ١٩٥، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١٦، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٩٠، ٢١١.

(١٧٧) كانت حركة الصعلكة وقطع الطريق موجودة فى إسبانيا قبل الفتح الإسلامى، حيث أرقت العناصر الريفية الحكم الرومانى كثيرًا، هروشيش (Paulus Orosius): تاريخ العالم ت. عبد الرحمن بدوى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٢ ص٣٢١- ٣٢٢.

(١٧٨) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص١١٠.

(١٧٩) قضاة قرطبة ص٢٠٧- ٢٠٨.

(١٨٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٣٦.

(١٨١) إبراهيم القادرى بوتشيش: أثر الإقطاع فى تاريخ الأندلس من منتصف القرن الثالث الهجرى حتى ظهور الخلافة. الرباط، منشورات عكاظ، ١٩٩٢ ص٢٦٣.

(١٨٢) انظر: عن العناصر المولديه والبربرية المتصعلكة ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٧، ٣٤٣- ٣٤٨، المقتبس. ت. العربى ص٣٦. ٧٢. ٩٣. ١١٥، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢- ص١١٤- ١١٥، ١٢٢- ١٢٣.

(١٨٣) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٨٩- ٩٥.

(١٨٤) ابن حزم : رسائل ابن حزم جـ٢ ص٧١، العذرى: المصدر السابق ص١٣.

(١٨٥) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص١٨٠، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٨٢.

(١٨٦) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٢٢، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٤٥، ٣٨٠، المقتبس ت. العربى ص١٣٦، المقتبس جـ٥ ص١١٩، ١٧٩- ١٨٠.

(١٨٧) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٧. ٣٤٨. ٣٧٩- ٣٨٠، المقتبس ت. العربى ص٣٦.

(١٨٨) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٤٣.

(١٨٩) ابن أبى زمنين: كتاب فى الأقضية والأحكام. مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم١/١ فقه مالكى، ورقة ٤.

(١٩٠) الونشريسى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٥١- ٢٥٢، ٢٥٤- ٢٥٥، جـ١٦ ص٢٤٢.

(١٩١) Garcia comez: Al- Hakam II y los Bereberes segun un texto Inedito de Ibn Hayyan. Al- Andalus. 1946 vol. xIII. Fasc. 1 PP. 212- 219.

(١٩٢) العذرى: المصدر السابق ص١٦، مؤلف مجهول: نبذ تاريخية فى أخبار البربر. نشر ليفى بروفنسال، رباط الفتح، معهد العلوم العليا المغربية ١٩٣٤ ص٤٣- ٤٥.

(١٩٣) المد: كيل اختلف من منطقة إلى أخرى داخل العالم الإسلامى، وكان يساوى فى قرطبة فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى قفيزان ونصف، واللفظ دخل العربية من اللاتينية Modius أوModium ومن العربية دخل الإسبانية فى صورة Almud انظر عن المد: يحيى بن عمر: أحكام السوق ت. محمود على مكى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ع٤، ١٩٥٦ (١٠٤- ١٤٣) حاشية١ ص١٠٤، النويرى: المصدر السابق جـ٢٣ ص٤٢٧، وانظر أيضًا:

Simonet: op. cit. P. 386, J. Vallve Bermego: Notas de Metrologia Hispano- Arabe II. Al- Andalus. 1997. Vol. XLII. Fasc. 1 PP. 61- 121.

(١٩٤) ابن حزم: رسائل ابن حزم جـ٢ ص١٩٧، جـ٣ ص١٧٦- ١٧٧، ابن بسام: المصدر السابق ق١، م١ ص٩٨، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣ ص٩٩، ١٠١- ١٠٤، ١٠٦- ١٠٧.

(١٩٥) ابن حزم: رسائل ابن حزم جـ٣ ص١٧٥- ١٧٧، مؤلف مجهول: نبذ تاريخية فى أخبار البربر ص٤. وانظر أيضًا:

Asin palacios: Uncodice inex. Del cord. Ibn Hazm. PP. 36- 37.

(١٩٦) ابن بسام: المصدر السابق ق٣، م١ ص١٩.

(١٩٧) انظر ابن بسام: نفس المصدر والمجلد ص١٥- ١٦، ١٩- ٢٠، مؤلف مجهول: نبذ تاريخية فى أخبار البربر ص٤٤- ٤٥، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١١٩.

(١٩٨) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣ ص٧٤. ٨٧- ٨٨، ٩٧، ١٠٢.

(١٩٩) انظر ما ذكره ابن شهيد فى رثاء قرطبة، بعد أن هجرها أهلها، وتفرقهم فى الأرياف. ابن شهيد: المصدر السابق ص١٠٩- ١١٠، وانظر أيضًا: ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣ ص١٠٦.

(٢٠٠) ابن حزم: رسائل ابن حزم جـ٣ ص١٧٦، ابن عذارى: المصدر السابق ت. الجزء ص١٠٣- ١٠٤، وانظر أيضًا:

Asin palacios: un Codice inex. Del cord. Ibn Hazm P. 37.

(٢٠١) من هذه الممالك: مملكة ليون فى الشمال الغربى، ومملكة قشتالة بين ليون ونافار، مملكة نبارة (نافار) فى الشمال والشمال الشرقى. انظر عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطه دمشق، دار العلم، ط١، ١٩٧٦ ص٣٨، يضاف إلى ذلك مملكة قطلونية التى كانت تتبع فى أول أمرها مملكة الفرنجة فى غارة التى أغارت هى الأخرى على الأندلس.

(٢٠٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٣٦.

(٢٠٣) انظر عن غارات الفرنجة: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص١١٣، المقتبس جـ٥ ص٣٧٩- ٣٨١، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٧٢- ٧٣، وانظر أيضًا محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، القاهرة، مؤسسة الخانجى، ط٣، ١٩٦٠، ع١، ق١ ص٢٢٣- ٢٢٥، ٢٣٧، ق٢ ص٤٠٦، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de L'Esp. Musul. T. I. PP. 118- 129, M. J. Viguera: Aragon Musulmana. Zaragoza. 1981. pp.44- 47.

(٢٠٤) ابن الأثير: المصدر السابق م٥ ص٥٠٠، م٦ ص٢٣٦- ٢٣٧، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٧٣، ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص٤٨١- ٤٨٢، المقرى: المصدر السابق م١ ص٣٤٣، وانظر أيضًا: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع١ ق١ ص ص٢١١- ٢١٢، ٢٣٧- ٢٣٨.

Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. Musul. T.I. PP. 114- 117.

(٢٠٥) انظر ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص١٥٥- ١٥٩، المقتبس جـ٥ ص٩٣- ٩٥، ١٠٤- ١٠٧، ١٢٠- ١٢٣، ١٦١.

(٢٠٦) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع١، ق١ ص٤١٤ وما يليها.

(٢٠٧) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٤٣٦.

(٢٠٨) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٤، المقتبس جـ٥ ص١٢٠- ١٢٤، ١٤٣.

(٢٠٩) Imamuddin: Al- Filahah in Muslim Spain. Islamic Studies (Pakistan) December Glick: oP. cit. PP. 64-65.

(٢١٠) Glick: oP. cit.PP. 64- 65.

(٢١١) ابن رشد: المصدر السابق جـ٣ ص١٧.

(٢١٢) أطلقت الرواية العربية عدة أسماء على النورمان منها: الروس، الأردمانيون، والأنقلش والأنقليش، والمجوس، والرواية الأوربية تسميهم "الفيكنج" Viking والموطن الأصلى للنورمان هو شبه جزيرة اسكندناوة، وأصولهم ترجع إلى العنصر التيوتونى، وينقسمون إلى ثلاث مجموعات:

السويديون، النرويجيون، والدانيون (الدينماركيون)، هذا التقسيم لا يعنى فوارق عرقية بين الفئات الثلاث بقدر ما يشير إلى مواطن استقرارهم (فى السويد والنرويج، والدنمارك). انظر اليعقوبى: المصدر السابق ص٣٥٤، البكرى: المصدر السابق ص١٤٥، ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٤٩ وانظر أيضًا: سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ط٦، ١٩٩١ جـ١ ص٢٤٤.

(٢١٣) لعل المسلمين أطلقوا عليهم الاسم لأنهم كانوا يشعلون النار فى كل مكان يمرون به، فاعتقد المسلمون أنهم من عبد النار، حسين مؤنس غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتى ٢٩٩ و٢٤٥هـ ٨٤٤و ٨٥٩م، المجلة التاريخية المصرية، م٢ ع١ مايو ١٩٤٩ ص١٩- ٧٥.

(٢١٤) العذرى: المصدر السابق ص٩٨، ابن عذرى: المصدر السابق جـ٢ ص٨٧.

(٢١٥) عن غارات المجوس أو النورمان على الأندلس انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص٧٨- ٨١، العذرى: المصدر السابق جـ ص٩٨- ١٠٠، ابن الأثير: المصدر السابق م٧ ص١٦- ١٧، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٨٧- ١٠٠.

(٢١٦) السعودى: مروج الذهب ت. محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة ١٩٨٢ جـ١ ص٦٣.

(٢١٧) ابن القوطية: المصدر السابق ص٧٨- ٨٠، وانظر أيضًا: حسين مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس ص١٩- ٧٥.

(٢١٨) سعيد عاشور: المرجع السابق، جـ١، ص٢٢٢- ٢٢٣.

(٢١٩) ابن القوطية: المصدر السابق ص٨١.

(٢٢٠) اليعقوبى: المصدر السابق ص٨١.

(٢٢١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٣ جـ٢ ص١٥٩، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de L'Esp. Mus. T.I. P224.

(٢٢٢) Ibid. p. 225.

(٢٢٣) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٠٧- ٣٠٩، العذرى: المصدر السابق ص١١٨- ١١٩.

(٢٢٤) انظر ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣١١- ٣١٣، العذرى: المصدر السابق ص١١٩، وانظر أيضًا أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس، المختار من عالم الفكر(١)، الكويت ١٩٨٤ ص٩٣- ١٤٤.

(٢٢٥) ابن عذارى: المصدر السابق ج٢ ص٢٣٨- ٢٣٩.

(٢٢٦) Levi Provencal: L'Espagne Musulmanne au xeme Siecle. Paris. 1932. P. 155.

(٢٢٧) الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤٢.

الفصل الثانى

الحياة الاقتصادية

(أ) الزراعة:

الزراعة فى المصطلح الأندلسى هى "الفلاحة". والفلح والفلاحة- من الناحية اللغوية- هما الحرث وتشقيق الأرض من أجل الزراعة[١]. والفلاح عند العرب كل من كان يزرع سواء زرع بيده أو زرع له غيره[٢]. والمعنى العملى لفلاحة الأرض هو معرفة كل ما يتعلق بزراعة الأرض ومقاومة الآفات، ومعرفة أنواع التربة ومواقيت الزراعة، وغير ذلك[٣]. والزراعة تشمل- بالإضافة إلى فلاحة الأرض، فلاحة الحيوان والطيور وتربيتها، هذا فضلاً عن بعض الأنشطة الأخرى كما سيأتى ذكره[٤].

ورغم العوامل الطبيعية والبشرية التى أثّرت سلبًا على الريف الأندلسى- كما بينا فى الفصل السابق- فإن الزراعة فى الأندلس ازدهرت إبان حكم بنى أمية، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل أهمها مهارة الأندلسيين أنفسهم وخبرتهم الفلاحية واستغلالهم الجيد للمعطيات الطبيعية الأندلسية، وتحويل كثير من هذه المعطيات السلبية إلى معطيات إيجابية حتى "صاروا أحكم الناس لأسباب الفلاحة"[٥]، و"أكثر أهل المعمور فلحًا"[٦]. وانعكس ذلك فى فخرهم بأنفسهم وببلدهم، لدرجة المبالغة الشديدة[٧] وكأن الصعوبات التى واجهوها كانت حافزًا على الإجادة.

ولكن، كيف حقق الفلاحون الأندلسيون هذا النجاح، ولماذا تم الازدهار تحت حكم المسلمين ولم يتم قبل ذلك؟ وسوف نجيب على هذا من خلال النقاط التالية:

١- نظام الرى:

كان لاختلاف الظروف الطبيعية فى الأندلس- من تباين للتضاريس والمناخ، وتذبذب للمياه أثره فى حتمية وجود نظام جيد للرى، لضمان إنتاج زراعى آمن على مدار العام.

(أ) أهمية الرى وأثره على المجتمع الريفى:

لعب نظام الرى دورًا هامًا فى التنظيم الاقتصادى والاجتماعى فى الريف الأندلسى، لأن الرى- عمومًا- أحد أعمدة التركيبة الاقتصادية- الاجتماعية فى المجتمعات الزراعية. ولأن استخدام الماء كجزء من التدخل البشرى فى بناء سطح الأرض يؤدى إلى وجود أنماط زراعية مختلفة، كما أن المياه- بشكل عام- هى محور الإستيطان البشرى والتنمية البشرية[٨].

وكان الرى هو العنصر الفاعل فى إصلاح الأراضى القاحلة والمجدبة، كما كان له دوره فى تشكيل التوطن السكانى فى جنوب الأندلس، وزيادة الاستقرار الزراعى وإدخال محاصيل جديدة[٩].

وتتضاعف أهمية الرى فى المناطق شبه الجافة لدرجة أن البعض يعتبره السمة الرئيسية المنظمة للمجتمع فى تلك المناطق، كما أن الرى يؤثر على هيكل وشكل وتركيبة السلطة من خلال إنتاج الفائض المحلى الذى يتحول بعد ذلك إلى رموز للقوة والمكانة فى العالم الخارجى[١٠].

وكان فهم الأندلسيين لطبيعة بلادهم، وإدراكهم لأهمية الرى ذا أثر كبير فى تحقيق أقصى استغلال للمياه، إذ لم تكن الأراضى التى تتمتع بكمية كافية وثابتة من المياه، تشغل إلا حيزًا صغيرًا من مجمل الأراضى المروية، مما احتاج معه استخدام الفلاحين لتقنيات وأساليب معينة فى الرى لتوفير المياه[١١]، التى استخدمت بحكمة بالغة لدرجة أنها استخدمت على عدة مستويات، كاستخدام نفس المياه فى أغراض مختلفة، كما كانت الحال بالنسبة لمياه العيون الاستشفائية التى استغلت أولاً فى أغراض الاستشفاء، ثم فى أغراض الرى، وكذا مياه الحمامات، التى كانت تُصَرَّف بعد استخدامها لرى بعض الأراضى والمزروعات[١٢].

وواكب ذلك فهم الفلاحين للعلاقة بين الماء والأرض، فللماء خواص ومراتب ودرجات عديدة فهناك مياه لا تصلح إلا لرى الأراضى وأخرى تستخدم فى الشرب[١٣]. ومياه الأمطار تأتى فى المرتبة الأولى من حيث ملاءمتها لمعظم النباتات، خاصة الخضروات لخواصها المعتدلة وجودة امتصاص التربة لها، وتقاربها مياه الأنهار، لما تتميز به من الجريان، وحمل بعض المواد العضوية النافعة، وقتل بعض الحشرات الضارة. أما مياه الآبار والعيون فتلائم بعض النباتات على الخصوص مثل الجزر والفجل واللفت، وتتميز باعتدال حرارتها فى الشتاء والصيف رغم بطء التربة فى امتصاصها[١٤].

وكان هذا الإدراك العميق لأنواع وخصائص المياه، أثره فى تركيز الفلاحين زراعة الخضروات والبقول والفواكه والحبوب فى مناطق معينة[١٥] طبقًا لخصائص التربة وسمات المياه.

واستمرارًا على نفس النهج استفاد الفلاحون من المياه المالحة فى رى بعض النباتات التى تناسبها مثل هذه المياه كالكتان والقرع والحنة والسبانخ والخس وبعض الزهور[١٦].

ب- وسائل الرى:

استخدم الفلاحون وسائل عديدة للرى للتغلب على مشكلة نقص المياه، وتباين سطح الأرض- فى بعض المناطق- مثل القنوات، والسواقى، والجداول، والجباب، والصهاريج والبرك وغيرها.

والقنوات والسواقى والجداول كلها مرادفات لشىء واحد مع اختلافات يسيرة، وكان منها قنوات أو سواقى أولية وأخرى فرعية وثانوية. وقناة الرى الأولية كانت عبارة عن مجرى مائى محفور بطريقة صناعية، يأخذ المياه من النهر مباشرة عن طريق فتحة أو سد Presa o Boquera، وتتفرع منها شبكة من القنوات أو السواقى الفرعية، تحمل مياه الرى إلى الحقول، التى يتفرع منها- بدورها- مجار ثانوية داخل الحقول، وتتميز المجارى بعدم الاستمرارية والثبات إذ

كان يجرى تجديدها عقب كل حرث أو عزق أو حتى بعد هطول الأمطار وهى عبارة عن كنتورات على هيئة خطوط متوازية، يصنعها الفلاح باستخدام المحراث، وتتباعد فيما بينها من ثلاثة إلى خمسة أمتار، وذلك لتسهيل تدفق المياه عبر الحقل بأسره[١٧] وكان الفلاحون يعمدون إلى تغطية بعض القنوات الفرعية، بالحجارة لاستخدامها كطريق إلى الحقول، فى نفس الوقت التى تستخدم فيه للرى[١٨].

ومن أمثلة القنوات والسواقى الأولية، تلك الساقية التى كانت تبدأ من قنطره إشكَابَه[١٩] على نهر تدمير فى مرسيه، وتنتهى فى قرية طوس من قرى أريولة[٢٠] Orihuela، وكانت تجرى لمسافة بعيدة، وكانت هناك ساقية أخرى تخرج من نهر تدمير أيضًا وتجرى لمسافة ثمانية وعشرين ميلاً لرى بقية أراضى أريولة[٢١].

وأمام قلة المياه، وازدياد النمو السكانى فى بعض المناطق الريفية استدعت الحاجة لوسائل حفظ المياه[٢٢]، فاستخدمت الجِبَاب Alijibes، وهى عبارة عن آبار لتخزين مياه الأمطار[٢٣]، تحاط غالبًا بقبة نصف دائرية.

وقد انتشرت الجِباب على نطاق واسع فى أنحاء الأندلس، حيث وجدت فى أفنية البيوت، والشوارع، والميادين العامة، وكانت تخضع للإشراف الحكومى أحيانًا وتتميز بمرونة الاستخدام، إذ كان يمكن تموينها عن طريق خلط المنابع الطبيعية فى باطن الأرض بمياه الأمطار، وفى أوان القحط كانت تجتمع مياه الأمطار والمياه الجوفية فى بئر أو جب واحد بهدف التغلب على ندرة المياه[٢٤]. وكان الفلاحون يبدأون فى تخزين مياه الأمطار فى الجباب بداية من شهر ديسمبر ويناير حين تغزر الأمطار تحسبًا لفترات الجفاف[٢٥].

واستخدمت الصهاريج لحفظ المياه أيضًا، وهى عبارة عن أحواض مصنوعة من صخور معينة بالإضافة إلى بعض المواد الأخرى، وكانت تتميز بالصلابة، وقد تغطى أحيانًا، وكانت تستخدم فى تخزين المياه المجلوبة من مسافات بعيدة لحين استخدامها فى أغراض الرى والسقى.

وكان الرومان أول من أنشأها فى إسبانيا واستفاد منها المسلمون وطوروها. وكان منها على سبيل المثال: صهريج (الحمه) الذى كانت تخزن فيه مياه عين الحمه، وكان يروى قريتى الحمه، وآبله على ثلاثة أميال شرقى بجانه Pechana[٢٦].

واستخدم الفلاحون البرك- أيضًا- لتخزين المياه لحين استخدامها فى الرى- خاصة- عندما يقل منسوب القنوات. والبركة عبارة عن خزان مياه محفور بعمق مترين إلى ثلاثة أمتار، ذات قاع دائرى، ويختلف حجمها باختلاف كمية المياه فيها وكان الفلاح يقوم بتجميع حصته من المياه من قناة الرى، وتخزينها فى البركة أثناء الليل، ليروى أرضه فى النهار حين يزداد منسوب المياه[٢٧].

وكانت الآبار من وسائل الرى فى المناطق التى تفتقد لمياه الأمطار والأنهار وكانت للفلاحين الأندلسيين خبرات كبيرة فى حفر الآبار التى كان يجرى حفرها عبر مراحل متعددة يأتى على رأسها الاستدلال على قرب وجود المياه فى الأرض وكان يجرى التعرف على ذلك بطرق عديدة، ثم معرفة خواص المياه من حيث الملوحة والعذوبة، ثم عملية الحفر التى كانت تتم وفق طرق مخصوصة[٢٨].

ولزيادة المياه فى البئر كانوا يحفرون أربعة آبار مختلفة الأعماق، شريطة أن تكون الأولى أعمقها، ثم يوصلون بين قعورها عن طريق سروب، فتتجمع مياه الأربعة فى الأولى فيزيد ماؤها[٢٩].

وأقام الفلاحون السدود على الأنهار، والقنوات لضبط تدفق المياه كما كانت الحال فى فحص الفندون فى تدمير[٣٠]. والسد: Persa عبارة عن بناء من الأحجار والطين يمكن توسيعه أو تضييقه حسب الحاجة، وتبعًا لحجم المياه المتدفقة من النهر. وكانت هذه السدود تلائم حجم المياه المتغير والمرتفع فى القنوات الجبلية[٣١].

وكان يوجد نوع من السدود الصغيرة، يسمى الواحد منها "سد الصرف أو التحويل"، وهو تركيب يبنى عبر جداول لكى يحول المياه فى قنوات، وهو تقنية عالمية معروفة عبر عالم البحر المتوسط والشرق الأدنى[٣٢].

وتفنن الفلاحون فى الريف فى إنشاء فتحات Bequeras أو مآخذ Tomas للمياه لامداد القنوات من الأنهار[٣٣]، وشيّدوا المناهر- وهى عبارة عن فتحات خلال الجبال والصخور لجلب المياه أيضًا[٣٤].

جـ- آلات الرى:

استخدم الفلاحون فى الريف العديد من آلات الرى، كان أهمها الناعورة[٣٥] Noria التى أدخلها العرب إلى إسبانيا إذ لم يكن لها وجود هناك قبل دخولهم[٣٦]. وكان دخول الناعورة إلى إسبانيا بمثابة ثورة فى المجال الزراعى آنذاك، لأن وجودها فى المناطق التى تعتمد على رى الأنهار كان يعنى تقليل اعتماد القنوات على تغيرات مستوى مياه النهر، ولما كان بناءها غير مكلف، علاوة على بساطة صيانتها، فإنها أحدثت رقيًا وازدهارًا فى المناطق التى دخلتها فزاد الإنتاج الزراعى، كما زاد عدد السكان، واستتبع ذلك زيادة التحضر والتمدن فى المجتمع[٣٧].

وكان يطلق لفظ "الناعورة" فى الأساس على تلك الآلة التى تدار بواسطة تيار المياه، ولها صوت مميز فى دورانها، وبه سميت "ناعورة"[٣٨]. ولكن يبدو أن الفلاحين فى الريف قد توسعوا فى استخدام اللفظ حتى بات يطلق على تلك الآلات التى كانت تدار بواسطة الحيوانات.

والناعورة المائية (التى تدار بواسطة الماء) كانت تتكون من عجلات غير مزودة بتروس، ولكنها مزودة بعدة أوانى كبيرة الحجم، تتحرك بقوة تيار المياه، لترفع المياه من القنوات والأنهار، ورغم أن هذا النوع من النواعير كان بسيط التركيب من الناحية الميكانيكية ، إلا أنه كان عظيم الحجم، لذا ارتبط- غالبًا- بالأعمال والمشاريع العامة مثل السدود والحدائق الملكية ومشروعات الرى الكبرى[٣٩]. وضمن هذا النوع من النواعير يمكن تصنيف ناعورة طليطلة، التى كان يبلغ ارتفاعها- على حد قول البعض- تسعين ذراعًا، وناعورة مرسية، والنواعير التى كانت مقامة على نهر لورقة ونهر الوادى الكبير Guadal quiver[٤٠].

وكان يطلق على الناعورة التى يديرها الحيوان لفظ "سانية"[٤١] Acẽna وكانت تتكون من عريش أو عمود قصير، وعجلة ذات تروس، ملحق بها أوانى تسمى "قواديس"- جمع قادوس وهو لفظ دخل الاسبانية فى صورة- Arcaduz تصنع من الخشب أو الفخار، وكان شكلها يوحى بأصلها الشامى[٤٢].

وكانت هذه السوانى أكثر شيوعًا فى الريف الأندلسى من غيرها من الآلات، نظرًا لقدرتها على رى كثير من القطع الصغيرة، والأحواض الفردية من الأراضى، بطريقة جيدة، وبوفرة مائية، كما تميزت- فى نفس الوقت- بسهولة إصلاحها بواسطة نجار القرية أو حتى بواسطة الفلاحين أنفسهم، نظرًا لتوافر مو د إصلاحها فى البيئة المحلية. ونظرًا لهذه المزايا فإنها كانت ملائمة- أكثرمن غيرها- لمزرعة الأسرة، حيث أعانتها على الاكتفاء الاقتصادى الذاتى، كما أتاحت لها فرصة الإنتاج من أجل السوق[٤٣].

وترجع أهمية السوانى أيضًا فى الريف الأندلسى إلى أنها كانت من أكثر الآلات ملائمة لرفع المياه من الآبار والعيون المائية، وكان ذلك من عوامل شيوعها، هذا فضلاً عن أنها كانت تدار بواسطة حيوانات البيئة مثل الثيران والبغال والحمير وغيرها، كما كانت تعمل أيضًا على القنوات والمجارى المائية الأخرى. ولهذه المزايا انتقلت السانية من الأندلس إلى إسبانيا النصرانية ولا زالت تستخدم فى أجزاء عديدة من إسبانيا حتى الآن[٤٤].

من آلات الرى الأخرى "الناضح" وكانت تشبه السانية، والدولاب الذى يشبه الناعورة من حيث دورانه بواسطة المياه لذا تركز انتشاره على ضفاف الأنهار والقنوات المائية[٤٥].

وكانت "الخطارة" نوعًا من الدواليب الخفاف التى استخدمها الفلاحون لرفع المياه من الأنهار، ووجدت بكثرة على نهر إشبيلية[٤٦]. وأقدم ذكر لها يرجع إلى أوائل القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى[٤٧]، وإن كان المرجح أن وجودها قد سبق هذا التاريخ. وتتركب الخطارة من ذراعين الأول طويل فى نهايته دلو، والثانى قصير فى نهايته وزن أو ثقل[٤٨].

وكان الفلاحون يستخدمون آلة آخرى تسمى "الداليه" تشبه الخطارة إلى حد كبير، وهى عبارة عن جزع طويل مركب فى الأرض فى رأسه مغرفة يغرف بها الماء(٤٩).

د- طرق الرى وتنظيماته:-

كانت هناك طريقتان للرى: الطريقة الأولى هى طريقة الرى الفيضى، وشاع استخدامها فى مناطق وفرة المياه، خاصة فى تدمير، وفى فحص الفندون بالذات، وفى لورقة وفى شنترين(٥٠).

والطريقة الثانية هى طريقة الرى الصناعى، وتستخدم فيها وسائل وآلات الرى، وكانت أكثر شيوعًا من الطريقة الأولى. ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنظمة:

النظام الأول: يتلخص فى رى الحقول عن طريق شبكة من القنوات والسواقى التى تحمل المياه من الأنهار والعيون مباشرة إلى الحقول. ويعتمد هذا النظام على تدفق المياه مستغلة الاختلاف فى مستوى الارتفاعات الأرضية. ويعتبر هذا النظام، نظامًا للرى الدائم إلا فى حالات الجفاف الشديد، وقد انتشر على الأخص فى شرق الأندلس. ويعتمد النظام الثانى على استخدام آلات صناعية لرفع المياه من المصادر المائية، واستخدم هذا النظام- على الخصوص- فى شمال وغرب الأندلس(٥١).

أما النظام الثالث: فكان يعتمد على طريقة الرى بالتنقيط Dropping Irrigation واستخدم فى نطاق محدود، خاصة فى أوقات القحط وشدة الحرارة، حيث يتم الرى بواسطة أوانى مثقوبة تثبت فى جزوع النباتات، لتصل المياه إليها نقطة فى أثر أخرى لتفادى جفاف النباتات من شدة الحرارة، وتوفير المياه(٥٢).

أما عن تنظيمات الرى بين الفلاحين فى الريف، فكانت عملية معقدة ومتشابكة، نظرًا لأن الرى الصناعى نفسه كان عملية معقدة، تمر عبر العديد من الأساليب والتقنيات، التى تتطلب ترتيبات إدارية وتنظيمية محددة لضمان توزيع المياه بين الفلاحين بطريقة عادلة، هذا بالإضافة إلى الفصل فى المنازعات التى قد تنشب بينهم طبقًا للمبادىء الشرعية(٥٣).

وقد ارتبطت عملية تنظيم الرى بين الفلاحين بتحديد مصادر الرى، لأن كل مصدر له حكم شرعى، فمياه الأنهار والعيون والجداول- على سبيل المثال- ملك "لجماعة المسلمين يشتركون فى المنفعة بها"(٥٤) ولا صحة لما يدعيه البعض من أن مبدأ شيوع ملكية المياه الذى كان سائدًا فى بلنسية هو تأثير شامى موروث من القانون الرومانى(٥٥). بل هو تأثير شامى مورث من الشريعة الإسلامية، لأن مبدأ شيوع ملكية المياه مبدأ أساسى من مبادىء الشريعة الإسلامية(٥٦).

وطبقًا لمبدأ شيوع المياه، فإنه لا توجد مشكلة عندما تتوافر المياه، ففى أيام الفيضان تمتلأ القنوات بالمياه من الأنهار، تبعًا لقدرة وسعة كل قناة، ويكون لكل فلاح الحق فى أن يروى وقتما يشاء أما فى أيام الجفاف، ونقص المياه، فإن كل قناة تأخذ حصتها من المياه، وفقًا لنظام الدور، وبعدد معين من الساعات، وعلى كل فلاح أن يلتزم بدوره، ويأخذ حصته فى وقته المحدد، ولا يستطيع أن يحصل على المياه مرة أخرى حتى يتم لكل الفلاحين أخذ دورهم أو الحصول على نوبتهم(٥٧). ومن هنا دخلت كلمة الدور فى الإسبانية فى صورة ador التى تعنى نوبة الرى المخصصة لكل فلاح، وكذلك الدولة adula وهى بنفس المعنى. ومازالت تستخدمان حتى الآن.

وكان يتم تنظيم نوبات الرى بين الفلاحين- بالنسبة للمياه شائعة الملكية- طبقًا لترتيب القرب من المياه، حيث كان يسقى الأعلى فالأعلى، بمعنى أن من دخل أرضه الماء أولاً فهو الأحق بالسقى ثم الذى يليه وهكذا. ويتم السقى على أساس غمر الحقول بالمياه بعمق قدم واحد(٥٨).

وكان بعض الفلاحين يقومون بمنح أوتسليف نوباتهم فى الرى لفلاحين آخرين، أو يكرونها أو يبيعونها طالما أنهم لا يحتاجونها، وذلك وفق شروط معينة، وكان الفقهاء يجيزون ذلك إذا قام على شروط عادلة بين الطرفين(٥٩).

وكانت تعطى الأولوية- فى الرى- لأصحاب الجنات والزروع، قبل أصحاب الأرحية حتى لو كان الأخيرون أسبق فى إنشاء أرحيتهم، وكان يمنع تغيير مجرى الساقية أو القناة إلا برضى الفلاحين المنتفعين بها، لأنه لا يجوز إحداث شىء لم يكن له أصل إلا برضى من أصحابه، وكانت حقوق الرى تستحق بمرور الأيام وقدم الحيازة فتصبح حقوق الانتفاع- عندئذ- حقوق تمليك(٦٠).

وكان الفلاحون مسؤولين مسئولية جماعية عن صيانة قنوات الرى كل فيما يخصه أو حسب نصيبه من الأرض التى ترويها القناة، طالما أن صيانتها سيعود بنفعه على الجميع، كما كان عليهم مقاومة كل من يضر بالقناة أو يعوق عملها[٦١].

ولم تكن ملكية الأراضى تعنى ملكية مياه الرى، فإذا لم يبع المالك الحق فى الرى للمشترى- مع الأرض- تعذر رى هذه الأرض المباعة، وإن كان الغالب أن حق استخدام مياه الرى هو حق ملازم لامتلاك الأرض[٦٢].

وخير مثال على تنظيمات الرى النهرى ذلك الذى كان موجودًا فى بلنسية حيث قسمت مياه الوادى الأبيض Guadalaviar (يعرف حاليًا- باسم نهر Turia) على ثمانى قنوات. وكان التنظيم المثالى لمياه النهر يتم على أساس تقسيم المياه إلى ١٦٨ وحدة تمثل سبعة أيام بلياليها أو ١٤٤ وحدة لو كان هناك يومًا للراحة. وفى أيام الفيضان تطلق حرية الرى للفلاحين؛ ويطبق نظام النوبة أو الدور فى حالة نقص المياه. وكان هذا النظام يتشابه- إلى حد كبير مع نظام حزام الأراضى- أو الغوطة فى دمشق[٦٣].

وكان يشرف على هذا النظام مجموعة من المسؤولين، قاموا بتطبيق القواعد والقوانين الخاصة بتوزيع المياه، تلك القواعد التى ظل العمل بها ساريًا من قبل النصارى حتى أواخر العصور الوسطى. وكان الواحد منهم يسمى "صاحب الساقية" وهو مسؤول حضرى يستمد سلطته من القاضى، ويعهد إليه بتطبيق قوانين توزيع المياه، والإشراف على القناة، وصيانة سد التحويل، وليس غريبًا أن يصبح اثنان من هؤلاء المسؤولين ملكين على بلنسية فى فترة الطوائف[٦٤]، وهو دليل قاطع على مكانة وسلطة صاحب هذا المنصب، ودليل على أهمية دور الزراعة المروية فى الاقتصاد الإقليمى أو اقتصاد منطقة بلنسية[٦٥].

وكانت تحال كل المنازعات والخلافات بين الفلاحين إلى محكمة مختصة، يختار قضاتها الفلاحون أنفسهم، هى محكمة المياه El tribunal las agues[٦٦].

ومحكمة المياه- التى لازالت تؤدى دورها فى بلنسية- ترجع إلى عصر الخلافة على الأرجح[٦٧]، يؤيد ذلك ما ذُكر عن تولى مبارك ومظفر- الفتيين العامريين- لمنصب وكالة الساقية فى بلنسية سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠[٦٨]. ومن الأرجح أن تكون "محكمة المياه" أحد النظم الإدارية التى تفرعت عن وكالة الساقية آنذاك[٦٩].

ويرى البعض أن محكمة المياه كانت هيئة أهلية لادخل للحكومة فيها، وحكمها نافذ، اكتسبت صفة الشرعية من خلال قيامها بحل المنازعات التى كانت تنشب بين الفلاحين حول المياه[٧٠]. وكانت المحكمة تعقد جلساتها ظهر كل خميس فى الفضاء المجاور لمسجد بلنسية الجامع[٧١].

هناك مثال آخر للرى الدائم- ما زالت نظمه التى وضعها المسلمون تعمل حتى الآن- هو نظام الرى عن طريق القنوات والسواقى فى إقليم "البشرات" فى غرناطة Granada؛ ومنطقة البشرات عبارة عن مجموعة من المرتفعات غير المستوية، تتميز بالطرق الضيقة والوديان المسدودة، والسفوح والجروف الحادة. وقد بذل المسلمون المستقرون فيها مجهودات كبيرة فى تسوية وتنظيم سطح الأرض فى هذه المنطقة عن طريق عمل أحواض زراعية متدرجة، وتستطيح وبناء الضفات المنحدرة، وتنظيم توزيع المياه عن طريق شبكة معقدة من قنوات الرى، حيث كان يوجد ٢٩ قناة مائية تتنوع فى الطول ما بين اثنين إلى خمسة عشر كيلو مترًا[٧٢].

مثال ثالث للرى كان يوجد فى المناطق شبه الصحراوية فى أقصى جنوب شرق الأندلس فى إلْش Elche ولَقَنْت[٧٣] Alicante، حيث اعتمد الرى بشكل أساسى- على الآبار والعيون. وكانت حقوق المياه أشبه بالملكية الخاصة؛ وتخصيص المياه كان يتم عن طريق تحديد وحدات معينة من الوقت يمكن شراؤها وبيعها، نظرًا لأن هذه الآبار والعيون المائية كانت مملوكة لبعض الأفراد والمجموعات القبلية، التى كثيرًا ما كان ينشب بينها خلافات حول أصول المياه وحقوق الانتفاع[٧٤].

وارتبطت تنظيمات الرى فى المجتمع الريفى ارتباطًا وثيقًا بعملية قياس الوقت لضمان توزيع عادل للمياه بين الفلاحين فكانت هناك وحدات للرى يعبر كل منها عن وقت الرى المخصص للفلاح أو الحق المائى للفرد أو المجموعة، تسمى كل منها Fila. وتحولت هذه الوحدات إلى ساعات زمنية فيما سمى بالنظام "الاثنى عشرى" لقياس أوقات الرى، وهو قياس له أمثلة أخرى فى العديد من المناطق الإسلامية، وهو يعنى أن وقت الرى أو وحدة الرى (Fila) تساوى ١٢ ساعة تقريبًا. وقد استخدمت مصطلحات عدة للتعبير عن وحدة توقيت الرى منها "الدور"، "الدولة"، "المقسم" و"النوبة"[٧٥].

واستخدمت أنواع مختلفة من التقنيات والأساليب لمعرفة التوقيت فى عملية الرى منها "البكرة الغاطسة Outflow clepsydrau، والتى كانت مستخدمة أيضًا فى المغرب تحت السيادة الإسلامية[٧٦].

٢- العمل الزراعى وتقنياته:

(أ) تجهيز الأرض للزراعة:

كان الفلاحون فى الريف على دراية بالعديد من أنواع التربة، الجيد منها والردىء، وخصائص كل منها، وما يصلح لها من النبات، وطرق تحسينها سواء بالرى أو التسميد[٧٧].

وكان الفلاحون يشرعون فى حراثة أراضى البعل- أى الأراضى التى تزرع زراعة جافة- فى شهر يناير، ويستمر ذلك لعدة مرات حتى مايو تبعًا لطبيعة الأرض، ونوعية النبات المراد زراعته، وتترك للحر وأشعة الشمس بعد تمام تقليبها جيدًا. أما أراضى الرى الدائم فكانت تحرث فى أى وقت، وتتوقف عملية الحرث أيضًا على نوعية الأرض ونوعية النبات، فهناك نباتات تحتاج لحراثة الأرض أكثر من مرة[٧٨].

ولأن عملية قلب الأرض وحراثتها تزيد من خصوبتها وجودتها، اشترط الملاك على المكترين والمزارعين قلب الأرض وحراثتها فى وقت القليب، ونص على ذلك في عقود المزارعة والمغارسة[٧٩]. ولأهمية عملية الحرث بالنسبة للأرض حثت بعض الأمثال العامية على ذلك، فقالوا: "فدان على فدان خير من فدان أمام فدان"[٨٠]، والمعنى واضح ففدان محروث جيدًا خير من فدانين غير محروثين.

بعد حرث الأرض يتم تسويتها، حتى يعم الماء جميع أجزائها متساوية، وكان يتم ذلك عن طريق استخدام عدة آلات منها ميزان الماء أو المرجيقل، والقبطال والجفنة، وميزان البنائين، والإسطرلاب. وفى المساحات الكبيرة من الأراضى كان يتم تسوية الأرض باستخدام الجاروف Aljerife الذى تجره الثيران[٨١].

وتتلو عملية تسوية الأرض تخطيطها، وكان يجرى ذلك على شكلين: الخطوط المستقيمة وتكون فيها النباتات على خط مستقيم لتقاوم الرياح، ويأخذ كل منها حقه فى الهواء والماء، بطريقة متساوية و الخطوط المستقيمة هى الشكل الشائع لزراعة الخضروات، أما الخطوط اللولبية Row فكانت تستخدم فى زراعة المحاصيل الأخرى وجاء انتشارها من وسط آسيا إلى جنوب إسبانيا. وفى حالة قلة مياه الرى كان يجرى تحويض الأرض، أى تقسيمها إلى أحواض شبه متساوية ومتناسقة ، وكلما قلت المياه، كلما تناقصت مساحة الحوض، وبين هذه الأحواض كان يجرى شق السروب، والقنوات الصغيرة للرى. ويتم ترسيم الحدود بواسطة حبل أو شريط حدودى يمتد على هيئة مستقيمة متمثلاً فى طريق أو قناة[٨٢].

وكانت الأراضى الضعيفة أو التى تعانى نقصًا فى الخصوبة تعالج بالتسميد أو التزبيل، وهى عملية لم تكن تجرى بطريقة عشوائية، لأن الفلاحين الأندلسيين كانوا يعرفون أن لكل تربة زبلاً معينًا، كما أنهم أدركوا جيدًا العلاقة بين التسميد والرى، فبعض أنواع المياه تحتاج إلى ذبول مخصوصة، لأن الرى والتسميد كانا عاملين أساسيين فى تحسين خواص التربة، فمياه الأمطار على سبيل المثال كانت تذهب برطوبة التربة، لذا كانوا يعوضون ذلك بالتسميد الكثير[٨٣].

ولأهمية التزبيل فى زيادة خصوبة التربة وعلاج بعض أمراض النبات، برع الفلاحون فى الريف الأندلسى فى صناعة الزبول ومعالجتها، وتصنيفها فى طبقات لتحقيق أقصى استفادة منها، واستبعاد الضار منها، وتخزينها لوقت الاستعمال، وتحسين خصائصها بإضافة بعض المركبات إليها، وتخليص البيئة من كثير من المواد الضارة بتحويلها إلى زبول نافعة، واستطاعوا بذلك علاج كثير من أنواع التربة الضعيفة، وتحسين خصوبتها خاصة فى أودية الجنوب ذات التربة الصلصالية غير النفاذة التى تحتاج دومًا إلى التسميد(٨٤).

(ب) العناية بالنبات:

وكان الفلاحون فى الريف الأندلسى على دراية كاملة بتقنيات حماية الزروع، وسرعة إنضاجها فكانوا يغطون بعض النباتات حتى لا يحرقها الجليد المتساقط بالليل، ويزرعونها بطريقة معينة تضمن لها التعرض لأكبر كمية من أشعة وضوء الشمس، أو يضعون الزيت أو العسل فى أصولها لسرعة نضجها، كما كانوا يصنعون سقائف تحيط بالنباتات لحمايتها من البرد والجليد، وأحيانًا كانوا يوقدون النار لتدفئة المزروعات(٨٥).

وكانوا يتخلصون من النباتات المصابة بحرقها، ونقل غير المصابة إلى أماكن أخرى حتى لا تصاب. وكانوا يضيفون بعض المحاليل لبذور بعض النباتات حتى تبتعد عنها الطيور والحشرات. من ذلك نقع القمح والشعير فى ماء الزرنيخ، وأحيانًا كانت تتطلى بعض النباتات والأشجار ببعض المواد مثل الزيت والقطران وغيرها لإبعاد الآفات، وكانوا يشعلون النار للقضاء على الجراد، كما استخدموا بعض الطلاسم ذات الطابع الخرافى والأسطورى لحماية النبات من الآفات(٨٦).

واعتنى الفلاحون بحراسة النبات، فاستأجر الفلاحون العمال لأغراض الحراسة، وربوا الكلاب لنفس الغرض، وشيدوا الأسوار والأسيجة من الحجارة والطين، والزرائب من الحطب لحماية الزروع والبساتين، وعرفوا خيال الظل وأقاموه فى حقولهم لتخويف الطير(٨٧).

٣- الدورة الزراعية:

الدورة الزراعية هى محصلة التفاعل بين عدة عوامل أهمها المناخ، وطبيعة التربة، ومدى وفرة المياه[٨٨] والعامل البشرى.

وظل التقويم اليوليانى[٨٩] مستخدمًا حتى وضع عريب بن سعد (ت.٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) التقويم القرطبي، وإن ظلت الشهور مستخدمة- فى شكلها اللاتينى- بجانب استخدام الشهور العربية[٩٠].

وكانت السنة الزراعية تبدأ فى فصل الخريف (سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر) حيث كان يبدأ الفلاحون- مبكرين- بحرث أراضيهم وتجهيزها للزراعة فى سبتمبر وأكتوبر، خاصة فى أرياف قرطبة وفحص البلوط وأرياف غرب الأندلس. وكانوا يزرعون فى هذا الفصل زريعة اللفت والبصل والثوم والخس، القمح والشعير والكتان والفول، ويغرسون أشجار التين والزيتون والخوخ والرمان والعنب واللوز. وتجمع فى هذا الفصل ثمار الزيتون والجوز والكراويا واللوبيا والأرز والزعفران. هذا فضلاً عن بعض البذور والأعشاب الطبية، كما كانوا يجنون فيه القطن، ويقطعون بعض الأخشاب[٩١]. وفى فصل الشتاء كانوا يزرعون بعض الخضر على إختلاف أنواعها مثل القرع والباذنجان والكراث والثوم والقنبيط بالإضافة إلى بعض الحبوب والبقول مثل القمح والفول وكانوا يجمعون فى هذا الفصل أيضًا: قصب السكر والأترج والليمون والنارنج كما كانت تقطع فيه بعض الأخشاب[٩٢].

وفى فصل الربيع. كانوا يزرعون قصب السكر والقطن وبعض النباتات العطرية والزهور وبعض الخضروات والبقول مثل الأرز واللوبيا. ويبدأ حصاد الشعير المبكر فى شهر أبريل، حتى إذا جاء شهر مايو بدأ موسم الحصاد، وخاصة فى الجنوب والجنوب الشرقى فى أرياف قرطبة ومالقة وشذونة وتدمير، حيث يبدأ حصاد الفول والكتان، وتجمع البذور والثمار الزيتية لتصنع منها بعض العصارات والأشربة[٩٣].

وفى فصل الصيف، يبدأ حصاد القمح فى يونيه، ويستمر حصاده فى يوليه. وفيه ينضج العنب والتين والتفاح والإجاص والبطيخ والكمثرى، وتجمع بعض البذور والأعشاب الطبية. وفى أغسطس منه، تقطع بعض الأعشاب، ويحصد الأرز. وفى الصيف أيضًا كانوا يزرعون بعض أنواع الغروسات والمزروعات كالكرنب، وبعض أنواع الفول الخريفى واللفت والجزر والسلق والخيار المؤخر[٩٤].

كان هذا ملخصًا للدورة الزراعية فى الأراضى ذات الرى الدائم، أما الأراضى البعلية التى كانت تزرع زراعة جافة، ولا تروى ريا دائمًا، فإن الدورة الزراعية فيها كانت تستغرق عامين، حيث كانت الأرض تترك لتبور كل سنتين لإراحتها بعد الزراعة بالحبوب والبقول، وتطلق فيها الماشية بحثًا عن غذاء ضعيف. بعد أمطار الخريف، يبدأ الفلاح فى حرث أرضه وزراعتها، فإذا كان المحصول وفيرًا ترك ماشيته تأكل منه، أما إذا كان قليلاً انتظر عمال تقدير الضرائب لتقويم المحصول وتقدير الضرائب. وفى بعض الأراضى الجيدة كان حرث الربيع يسمح ببذر بعض الحبوب المتأخرة مثل الذرة والقمح والشعير، بالإضافة إلى بعض البقوليات الأخرى مثل الفول والحمص والفاصوليا التى كانت تستهلك بكميات كبيرة(٩٥).

٤- الإنتاج الزراعى:

(أ) المحاصيل الغذائية:

كانت الحبوب والبقول من المحاصيل الغذائية الهامة التى انتشرت زراعتها فى الأندلس بوصفها إحدى بلدان حوض البحر المتوسط[٩٦]، وغلبت زراعتها بطريقة البعل- أى الزراعة الجافة التى لاتعتمد على الرى الدائم- وإن كان بعضها يزرع بطريقة الرى الدائم[٩٧]. وكانت الحبوب والبقول عماد غذاء الفلاحين فى الريف.

ويعتبر القمح من أهم الحبوب الغذائية فى الأندلس عمومًا[٩٨]، وكان إنتاجه يكفى- تقريبًا- حاجة الاستهلاك، وقد يتم استيراده- أثناء الأزمات- من إفريقية والمغرب وبعض المناطق الأخرى. وقد ساعد مناخ الأندلس الجاف على تخزين القمح- والغلال بصفة عامة- مما كان يخفف من تأثير النقص الذى كان يحدث فيه إبان الأزمات الاقتصادية، هذا فضلاً عن توافر العديد من أصناف القمح التى تلاءمت زراعتها مع تباين المناخ فى الأندلس لدرجة أنها صنفت حسب اللون والسلسلة النباتية، ونوعية الدقيق الناتج عنها، والخبز المصنوع منها- وقد ساعد إدخال الرى الدائم فى الأندلس على يد العرب، على زراعة كل هذه الأنواع وزيادة الإنتاج[٩٩].

أما الشعير أو الشنتيه- كما كانوا يسمونه فى الأندلس- فكان يزرع فى مناطق زراعة القمح تقريبًا واستخدم- أساسًا- كعلف للحيوان، وربما استخدم كغذاء فى بعض المناطق الريفية- خاصة- فى أوقات الأزمات والمجاعات، يعزز هذا الرأى أن بعض الطبقات فى إسبانيا النصرانية كانت تتناوله كغذاء بعد طحنه[١٠٠].

ومن الحبوب ذات الأهمية فى الريف أيضًا الأرز Arroz، وقد ساعد على انتشار زراعته، وزيادة إنتاجه فى الأندلس إدخال العرب لنظام الرى الدائم، خاصة فى أرياف بلنسية التى كانت من أهم مناطق إنتاجه حيث كان يحمل منها إلى بقية أنحاء الأندلس. ولعبت الذرة دورًا مهمًا حيث عول عليها كثير من الفلاحين فى غذائهم، بعد أن تضاعف إنتاجها بفضل استخدام نظام الرى الدائم[١٠١].

كما كان يزرع فى الريف الأندلسى أيضًا العديد من أنواع الحبوب والبقول الأخرى مثل الفول والحمص والحلبة والترمس والكرسنة والقرطم والعدس واللوبيا والبسلة وغيرها، وكان يمكن تخزينها لفترات طويلة[١٠٢]. وكانت البقوليات بالإضافة إلى أنها من الأغذية الرئيسية للفلاحين فى الريف، تستخدم فى زيادة خصوبة التربة، بتثبيت نسبة النيتروجين فيها[١٠٣].

ومن المحاصيل الغذائية الرئيسية أيضًا الزيتون، وكان من الأغذية الأساسية اليومية للفلاحين فى الريف، حيث استخدم زيته فى الطهى، لعدم استخدام الشحوم الحيوانية، وهو ما ترك أثرًا فى الاستخدام الإسبانى له اليوم. وقد انتشرت زراعة الزيتون فى العديد من المناطق الريفية وكان "إقليم الشرف" بإشبيلية من أشهر مناطق إنتاجه، حيث انفرد بإنتاج أفضل أنواعه ليس فى الأندلس فحسب، بل فى عالم العصور الوسطى آنذاك(١٠٤).

أما قصب السكر فهو من المحاصيل التى أدخلها المسلمون إلى الأندلس(١٠٥)، وتركزت زراعته فى المنطقة الجنوبية الشرقية(١٠٦).

وكانت الفواكه بأنواعها من المحاصيل الغذائية الهامة، ويأتى على رأسها الكروم، وانتشرت زراعته فى مناطق إنتاج الزيتون بالإضافة إلى العديد من المناطق الريفية الأخرى، وكان الأندلسيون يزرعون أصنافًا عديدة منه، يتم تخزين بعضها فى فصل الشتاء لاستخدامها وقت الحاجة، ويجففون البعض الآخر للحصول على الزبيب(١٠٧).

وكان التين من الفواكه التى اشتهرت الأندلس بإنتاجه، وأهم مناطق إنتاجه أرياف مالقة بكورة ريه، حيث كان يعم التين المالقى نواحى الأندلس، ويصدر الفائض إلى بقية أنحاء العالم الإسلامى خاصة بغداد، وربما وصل إلى الهند والصين. وتميزت أيضًا أرياف إشبيلية بإنتاج نوعين من التين هما التين القوطى والتين الشعرى لامثيل لهما من حيث المذاق، ومنها كانا يصدران إلى بقية أنحاء الأندلس. وكانت أرياف طليطلة وبلنسية وشلب من مناطق إنتاج التين الجيد فى الأندلس أيضًا(١٠٨).

ومن الفواكه أيضًا التفاح وأشهر مناطق إنتاجه شنتره بغرب الأندلس حيث تميز تفاحها بعظم الحجم وجودة المذاق وذكاء الرائحة. وكان يزرع أيضًا فى أرياف وشقة وأشبونة ولورقة وسرقسطة وشلب وأشكونى من عمل تدمير وغيرها(١٠٩). هذا بالإضافة إلى العديد من الفواكه الأخرى كالكمثرى والرمان والجوز واللوز والموالح والموز التى يضيق المقام هنا عن ذكرها بالتفصيل.

وكان يزرع فى الريف العديد من أنواع الخضروات منها ما كان يزرع فى فصل الصيف مثل الباذنجان والبطيخ والشمام والخيار والثوم وغيرها، ومنها ما كان يزرع فى فصل الشتاء مثل الجزر والقنبيط واللفت والسبانخ وغيرها. وكانت الخضروات من الوفرة بحيث كان يصنع منها الفلاحون الكثير من الأشربة والمربات. وكان توافرها على مدار العام قد كفل للفلاحين الاعتماد على نظام غذائى غنى(١١٠).

(ب)- المحاصيل النسيجية:

وهى تلك التى تدخل فى صناعة النسيج وأهمها الكتان Lino، وانتشرت زراعته فى العديد من القرى الريفية خاصة قرى جبل الثلج بالبيرة حيث كان الفلاحون- فى تلك القرى- يزرعون نوعًا من الكتان يفوق كتان الفيوم فى الجودة(١١١)، وفى "أُنْدَة" من أعمال بلنسية(١١٢)، وفى "أرون" من أعمال باجة، وكان "لكتانها فضل على سائر كتان الأندلس"(١١٣)، وفى لاردة Lerida حيث كان يصدر إلى الثغور والممالك النصرانية المتاخمة، هذا فضلاً عن زراعته فى المرية وميورقه Mallorca ومرسية(١١٤).

وأدخل المسلمون زراعة القطن Algodon فى الأندلس ومنذ ذلك اشتهرت بإنتاجه خاصة فى أرياف إشبيلية، التى كان ينقل منها إلى بقية أرجاء الأندلس، ويصدر الباقى إلى الأقطار المجاورة خاصة المغرب وإفريقية. وكان القطن يزرع أيضًا فى وادى آش Guadix وميورقه(١١٥) ومن النباتات التى كانت تدخل فى صناعة النسيج أيضًا نبات الحلفا الذى تركزت زراعته فى المنطقة الجنوبية الشرقية من الأندلس- وبالذات فى لقنت حيث كان ينقل منها إلى بعض المناطق المجاورة(١١٦).

(جـ)- النباتات العطرية ونباتات الزينة والإفاويه:

وتوافر العديد من تلك النباتات فى الريف من ذلك "العصفر" فى أرياف إشبيلية و"عود النضوح" فى ناحية دلاية من أعمال إلبيرة، وكان يفوق العود الهندى

ذكاء وعطرًا. ووجد "العود" أيضًا فى جبال أكشونبه بغرب الأندلس، وفى جبل المنتلون بنواحى جيان كان يوجد "المحلب" وهو من الإفاويه، وفى جبال إلبيرة كان يوجد "السنبل" الفائق الطيب، ومن جبال شلب كان يحمل العود إلى بقية الأندلس، وفى جبل "أطريجرش"- الفاصل بين الأندلس وإفرنجه- كان يوجد عود "البقس"، وفى نواحى تدمير كان يوجد عود "النجرم" الذى كان يتفوق على العود الهندى فى عطره. وتوافر الزعفران فى أرياف بلنسية وطليطلة وبياسة وباغة Priego من أعمال البيرة، وأبذه وبسطة ووادى الحجارة ومن هذه المناطق كان يعم كل الأندلس ويصدر إلى الأقطار المجاورة(١١٧) وقد أورد صاحب "منتخب كتاب جامع المفردات" العديد من أسماء النباتات والأعشاب العطرية والطبية- فى الأندلس ووصفها بدقة(١١٨).

كما كان الفلاحون فى الريف الأندلسى يزرعون العديد من أنواع نباتات الزينة مثل الورد، السوسن الخيرى، البهار، النرجس، البنفسج، الحبق، والترنجان وغيرها(١١٩)، وتوافرت هذه النباتات لدرجة أن سعرها كان منخفضًا، وكان اقتناؤها لا يعد ترفًا، وكانت غالبيتها تزرع من أجل الحصول على عطورها(١٢٠).

(د)- الأخشاب:

توفرت ثروة خشبية بالريف الأندلسى غطت كثير من الاحتياجات المحلية والحكومية، من ذلك منطقة تبنشكه أو "تنتشكه" من عمل جيان التى تميزت بوفرة أخشابها. واختصت أرياف طرطوشة بإنتاج خشب البقس والصنوبر فى جزيرة يابسة Iviza وجبل أطريجرش. أما البلوط فتركز إنتاجه فى فحص البلوط شمالى قرطبة لدرجة أنه سمى: بريف البلوط". وانتشرت أشجار البلوط أيضًا فى هضبة الميسيتا وجبال المعدن (جبال البرانس) Sierra de Almaden، ومنطقة استرامادورا Estramadora ووادى إبرة وحصن بطروش بالقرب من قرطبة، وفى أرياف إلبيرة، وكانت بعض أشجار البلوط تبلغ حجمًا كبيرًا خاصة إذا امتد بها العمر الزمنى(١٢١).

ومن مناطق إنتاج الأخشاب أيضًا فى الريف الأندلسى حصن قيشاطه Quesada شرقى جيان ومنطقة القصر أو قصر الملح Alcacer do Sal (ميناء برتغالى على ساحل المحيط الأطلنطى)، ووادى آش وجبال رنده، وأرياف مالقة، وجزيرة شلطيش Saltes. وفى أرياف مرسية حيث كانت تستغل أخشاب النخيل، وجبال قونقه Cuenca والسهلة Albarracin، ومنطقة الشرف حيث تتوفر أشجار السنط[١٢٢].

كما كان الفلاحون يستغلون الأشجار المثمرة- كأشجار الفواكه وغيرها- للحصول على الأخشاب، وكانوا يحصلون على احتياجاتهم من الحطب من الأدغال المحيطة بالقرى، حيث استخدم الحطب فى أغراض التدفئة والطبخ فى المنازل، كما استخدم فى أغراض صناعية[١٢٣].

وتميز إنتاج الأخشاب فى الأندلس عمومًا بالتذبذب نتيجة للاعتماد على الغابات ذات المساحات المتغيرة لخضوعها لتقلبات الطقس والعوامل الأخرى. ونتيجة لحركة التمدن السريع التى اجتاحت المجتمع الأندلسى عمومًا إبان الحكم الإسلامى، والتوسع فى الصناعات الخشبية، استنزفت الموارد الخشبية فى كثير من المناطق الريفية، خاصة المنطقة المحيطة بألمرية، حيث معقل صناعة السفن، وهو ما كان يدعو إلى الاستيراد أحيانًا من المغرب، وباستثناء ذلك توافرت الأخشاب فى الريف إلى الحد الذى يُغطى الاحتياجات المحلية فى المجتمع الريفى[١٢٤].

(ب) الرعى وتربية الحيوان:

١- مواطن الرعى فى الريف الأندلسى:

كان الرعى وتربية الحيوانات يمثل جزءًا مهمًا من نشاط الفلاح الأندلسى، ساعد على ذلك توفر كثير من المراعى المتنوعة فى أنحاء الأندلس، نظرًا لتنوع السطح والمناخ. وتوزعت مناطق الرعى حول مصادر المياه كما كانت الحال بالنسبة للأودية الكبرى، كالوادى الكبير، ومناطق سقوط الأمطار فى الشمال والغرب، وخلال هضبة الميسيتا[١٢٥].

ومن مناطق الرعى التى ذكرتها المصادر: منطقة وادى تاجه، والثغور الشمالية الغربية حول قلمرية Coimbra، وأرياف يابرة وشلب وطرطوشة، وشريش وبلنسية، وجيان والبيرة وإشبيلية وطليطلة، وفحص مشكيجان من عمل لاردة[١٢٦].

كما كانت تربية الحيوانات تمارس فى الأراضى الزراعية، حيث كان الفلاحون يتركون مواشيهم ترعى بعد جنى المحصول لتنظيف الأرض، وربما كانوا يتبعون نظام إراحة الأراضى، وعندئذ تترك مساحات فارغة لرعى الماشية أثناء فترة طويلة على مدار العام، كما هو الحال فى شمال إفريقية[١٢٧].

وكانت بعض القرى تتبعها مسارح لرعى الماشية، ترعى فيها دواب أهل القرية على المشاع، وأحيانًا كان يتم تقسيمها بين الفلاحين حسب أنصبتهم الزراعية. وكان الفلاحون يسرحون- أحيانًا- مواشيهم فى مسارح القرى المجاورة إذا عدموا المسارح فى قراهم، وهو ما كان يحدث معه بعض الخلافات مع أصحاب هذه المسارح[١٢٨].

٢- حيوانات الرعى:

أ- الأغنام:[١٢٩]

انتشرت تربية الأغنام على نطاق واسع فى الريف الأندلسى، نظرًا لأنها تلاءمت مع الظروف الطبيعية الصعبة، هذا فضلاً عن زيادة الطلب على أصوافها لأغراض اللباس خاصة فى شتاء الأندلس البارد[١٣٠].

وانتشرت تربية الأغنام على وجه الخصوص فى سهل القنبانية La Campina جنوب قرطبة، وفى شنتبرية حيث كان يقطن مجموعات من البربر مارست حرفة الرعى، وفى جبل الشارات Sierra Morena جنوبى طليطلة حيث كانت تربى أعداد كبيرة من قطعان الأغنام ومن هناك كانت تجلب إلى بقية أرجاء الأندلس لسمانتها وتميزها. وكانت الأغنام تربى أيضًا فى أرياف قادس، وفى جبال فحص البلوط، حيث كان يوجد هناك جبل عرف باسم "جبل الماعز"[١٣١].

وكان الفلاحون والرعاة على دراية كبيرة بعملية تربية الأغنام وطرق تغذيتها، وأنواع الأعلاف التى تحتاجها، واستخدموا فى ذلك أساليب مختلفة لزيادة وسرعة تسمينها. كما كانوا على دراية أيضًا بدورة تلاقحها ونتاجها(١٣٢).

وكانت قطعان الأغنام تتعرض لأخطار النفوق والاغتصاب أثناء الفتن والاضطرابات والأزمات الطبيعية، أو تصبح عرضة لغارات الذئاب البرية مما كان يستدعى اتخاذ بعض التدابير لحمايتها كاتخاذ الكلاب لحراستها(١٣٣)، وإقامة الزروب (جمع زرب) لحبسها وحفظها بعد رجوعها من المرعى(١٣٤).

ب- الماشية:

لعبت الماشية، خاصة الأبقار والثيران دورًا مهمًا فى اقتصاديات الفلاح الأندلسى حيث كانت الفاعل الرئيسى فى عمليات الحرث والدرس وغيرهما من العمليات الزراعية(١٣٥)، هذا فضلاً عن دورها كمصدر غذائى، لدرجة أن الفقهاء نبهوا على ضرورة منع ذبح البهائم التى تصلح للحرث والنسل، وأشاروا بإرسال أمناء من ذوى الثقة لمراقبة أماكن الذبح(١٣٦).

وانتشرت تربية الماشية على وجه الخصوص فى جزيرة ميورقة التى وصفها ابن حوقل- حين زيارته للأندلس سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م- بأنها "رخيصة الماشية لكثرة المراعى، غزيرة النتاج والمواشى"(١٣٧)، وفى أرياف مدينة سالم Medinaceli التى كان لها- على حد قول ابن حوقل أيضًا- إقليم واسع وناحية كثيرة المواشى"(١٣٨).

وانتشرت تربية الأبقار فى مستنقعات الوادى الكبير، حيث توفر رعى دائم طوال العام، وفى جبل الشارات جنوبى طليطلة، حيث كانت تجلب من هناك إلى بقية أرجاء الأندلس(١٣٩). وانتشرت تربية الماشية أيضًا فى أرياف قلعة رباح Calatrava من أعمال جيان، ولورقة، وريه، وفحص البلوط، وأرياف إشبيلية(١٤٠).

وكانت غالبية بيوت الفلاحين تحتوى على حظائر لإقامة الماشية تسمى واحدتها: حيرًا، وتجمع على "أحيار"(١٤١). وقد يترك الفلاحون أبقارهم ترعى فى

المسارح المحيطة بالقرى، فإذا احتاجوها فى الأعمال الزراعية جمعوها، حتى إذا أنجزوا أعمالهم تركوها ترعى مرة أخرى. وكانوا يعيرون ويستعيرون الثيران والأبقار لأغراض الحرث والدرس وغير ذلك(١٤٢).

جـ- حيوانات النقل:

وتتمثل فى الخيول والبغال والحمير والإبل. أما الخيول فكانت تربى فى الأساس للأغراض الحربية ويبدو أن أعدادها كانت قليلة أول الأمر(١٤٣)، ولكن سرعان ما تكاثرت أعدادها لظروف الغزوات ضد نصارى الشمال، والاضطرابات الداخلية، حيث كان الحصان هو السلاح الفعال فى مثل تلك الصراعات. وكان البربر قد أدخلوا حصانهم البربرى الذى اختلطت دماؤه بالسلالات المحلية فى إسبانيا، مما أنتج سلالة تسمى خنيت أى زناتى نسبة إلى قبيلة زناتة البربرية التى اشتهرت بفرسانها(١٤٤). وأن كانت "خنيت" تعنى الفارس، ولا تعنى سلالة من الخيول.

ومن المناطق التى اشتهرت بتربية الخيول فى الأندلس منطقة الوادى الكبير، وأرياف تدمير وجزائر إشبيلية(١٤٥). وأشار عريب بن سعد فى تقويمه إلى عملية تربية الخيول ودورة نتاجها واهتمام الحكومة بإرسال الكتب كل عام- خاصة فى شهر مارس- لشرائها(١٤٦).

واختصت الأندلس بتربية "البغال الفُرْه"(١٤٧). وكانت البغال أكثر ملاءمة لطبيعة الأندلس الوعرة، لذا توسع الفلاحون فى استخدامها، فاستخدمت فى أغراض الركوب، والحمل، وجر العربات والمحفات، كما قامت بدور كبير فى الأعمال الزراعية المختلفة(١٤٨).

واشتهرت جزيرة ميورقة- على الأخص- بتربية وتصدير أفضل البغال وأجودها لدرجة أن سعر الواحد منها كان يتراوح ما بين مائة، وخمسمائة دينار، وذلك لما يتوفر فيها من مميزات مثل حسن السير وجمال وضخامة الهيئة وروعة الألوان، والتجلد والصبر على العمل(١٤٩).

ولعبت الحمير دورًا مهمًا فى حياة الفلاح الأندلسى- خاصة فى ظل رخص ثمنها مقارنة بالبغال، حيث اعتمد عليها الفلاح بشكل كبير فى أعماله الزراعية، ويتضح مدى شيوع استخدام الحمير فى الريف من افراد ابن العوام لها حيزًا أكبر من ذلك الذى أفرده للبغال، وقد أشار بصفة خاصة إلى جودة الحمير المصرية(١٥٠)، التى كان إدخالها إلى الأندلس على يد العرب بمثابة ثورة فى عالم الفلاحة فى الريف(١٥١)، لأن توفر حمار جيد لكل فلاح فى العصور الوسطى لم يكن بالأمر الهين، خاصة إذا كان الحمار قويًا، صبورًا على العمل، كما كانت الحال بالنسبة للحمير المصرية.

وانتشرت تربية الإبل على نطاق ضيق لعدم تكيفها مع البيئة والطقس فى الأندلس حتى اقتصرت تربيتها على المنطقة الجنوبية الشرقية فى السهول الجرداء(١٥٢).

٣- تربية النحل:

كانت تربية النحل لإنتاج العسل جزءًا مهمًا من نشاط الفلاح الأندلسى، وعاملاً منشطًا لاقتصادياته وقد تطورت حرفة تربية النحل بسبب وجود قاعدة عريضة من المستهلكين(١٥٣)، خاصة المسلمين الذين كانوا- ومازالوا- يقدرون قيمة العسل لما له من فوائد ومكانة فى نفوسهم(١٥٤).

وانتشرت تربية النحل فى مناطق عديدة من أرياف الأندلس مثل أرياف قرطبة، وباجة، وجيان وطليطلة ولبلة ومورور وطرطوشة وغيرها(١٥٥).

على أن أفضل أنواع العسل ذلك الذى كان ينتج فى إقليم الشرف من إشبيلية وكان "يبقى حينًا لا يترمل، ويدوم بحالته لايتبدل"(١٥٦)، ويفوقه فى الجودة عسل أرياف أشبونة الذى فاقت شهرته جميع أنواع العسل فى الأندلس، لشدة بياضه، وجودة مذاقه حتى شبه بالسكر، وكان لا يلوث الثياب أو القراطيس إذا وضع فيها، ولا ينفذ منها(١٥٧).

وكانت تربية النحل تتم فى خلايا مصنوعة من بعض الأخشاب كالفلين والأرز، بالإضافة إلى بعض المواد الأخرى، حيث كانت توضع- هذه الخلايا- فى كوى مستديرة أو مربعة فى الحائط مواجهة لشروق الشمس، وأفواهها مائلة إلى الأسفل حتى لا تضربها الحشرات. وكان الفلاحون على دراية كافية بعملية تربية النحل بداية من تقنيات بناء الخلية وأنواعها، وأشكالها، وتغذية النحل ورعايته، والقضاء على أعدائه، وطرق علاجه- إذا مرض- وأوقات تفريخه وتعسيله وما إلى ذلك[١٥٨].

وكانت تعقد أحياناً- شركة لتربية النحل بين شريكين من الفلاحين، أحدهما يقدم رأس المال، أى المكان والنحل، والآخر يقوم بالعمل، وخدمة النحل، وقد يقدم كل منهما أعداداً متساوية من الخلايا والنحل على أن يقتسما العسل مناصفة[١٥٩].

وكان الفلاحون يسعون كذلك وراء الخلايا والأجباح البرية فى الغابات والجبال مستهدين فى ذلك بحيوان الدب الذى كان- كثيراً- ما يهاجم تلك الخلايا ويهدمها[١٦٠].

٤- تربية دودة القز:

انتشرت تربية دودة القز لإنتاج الحرير- على نطاق واسع فى الريف، خاصة فى المناطق التى كانت تزرع بها أشجار التوت[١٦١]، مثل أرياف إلبيرة، فقد كان بإقليم البشرات Al Pujaras- منها حوالى ستمائة قرية يشتغل أهلها بتربية دودة الحرير[١٦٢]. ومن مناطق تربية دودة القز أيضاً أرياف جيان- وكان بها مايربو على ثلاثة آلاف قرية يشتغل فلاحوها بتربية دودة الحرير- وحصن شنش على مرحلة من المرية، وقرية فنيانة بالقرب من وادى آش وغيرها[١٦٣].

وبرعت النساء فى الريف فى تربية دودة الحرير، وكن المختصات- إلى حد كبير- بهذه الحرفة[١٦٤]، وإن كان ذلك لم يمنع الرجال من امتهان هذه المهنة، حيث كانت تعقد شركات بين الفلاحين لتربية دودة الحرير على شروط محددة[١٦٥].

٥- الطيور المنزلية:

كان لا يخلو منزل ريفى من الطيور المنزلية كالدجاج والبط والأوز والحمام وغيرها فقد كانت من مقومات عيش الفلاح، لذا نجد كثيرًا من الملاك- فى الريف- كانوا يشترطون على الفلاحين تقديم بعض هذه الطيور على سبيل الهدية أو كجزء من نصيبهم فى المزارعة، وكان ينص على ذلك فى عقود المزارعة بين الطرفين(١٦٦).

وانتشرت تربية الدجاج على نطاق واسع فى الريف الأندلسى، وكانت للفلاحين خبرات كبيرة فى مجال تربية الدجاج بداية من اختيار أحسن الأجناس للتفريخ ومرورًا بالتغذية، وتحضين البيض والتفريخ النهائى(١٦٧)، وكانت أهم العقبات التى كانت تواجه تربية الدجاج فى الريف مهاجمة العقبان لها والقضاء عليها، هذا فضلاً عن الخلافات التى كانت تنشب بين الفلاحين بسبب أضرار الدجاج بالمزارع والحقول المجاورة(١٦٨)، وكان الفلاحون يشتركون- أيضًا- فى تربية الدجاج وفق شروط محددة(١٦٩).

وتوفرت مقومات تربية الأوز والبط من خلال توافر العشب والمياه، لدرجة أن الفلاحين حازوا على خبرات واسعة فى هذا المجال(١٧٠).

وكانت لاتخلو مزرعة أو منزل ريفى من برج أو مكان مخصص لتربية الحمام(١٧١). ومن المناطق التى تميزت فى تربية الحمام قرى فحص غرناطة، التى كانت تنتشر فيها: أبراج الحمام لمسافة أربعين ميلاً، وقرى إقليم قرطبة(١٧٢).

ولكثرة انتشار أبراج الحمام فى الريف، كانت كثيرُ ما تنشب حولها خلافات بين الفلاحين بسبب إضرار الحمام بزروع الجيران، أو إضرار النحل بأبراج الحمام، أو اختلاط حمام الأبراج أو استحداث أبراج جديدة ملاصقة لأبراج قديمة(١٧٣).

(جـ) الصيد:

احترف العديد من الفلاحين مهنة الصيد بنوعيه: صيد البر، وصيد البحر. ومن المناطق التى اشتهرت بتوفر صيد البر: أرياف أشبونة، والجزيرة الخضراء، وأكشونبه، وإشبيلية ولبلة وماردة ، وجبل شلير (جبل الثلج)– Sierra Nevada– بإلبيرة وغيرها[١٧٤].

واستخدم الفلاحون "البزاة" فى الصيد، حيث تميزت أرياف أشبونة Lisbon بتوافر أجود البزاة وأحسنها لما كانت تتميز به من قوة وسرعة وذكاء فى الصيد[١٧٥]. وقد اشتهرت بعض العائلات العربية فى الريف باحتراف مهنة الصيد بالبزاة مثل "بنو خبيب وبنو قطنين البيازون الساكنون بقرية إختيانة من قبرة"[١٧٦].

وكان يتم اختيار البزاة بعناية فائقة، وتدريبها وإطعامها جيدًا، وكان الفلاحون يتبادلون استعارة البزاة للصيد، وقد يفقد أحدها مما كان يترتب عليه حدوث نزاع بين صاحب الباز وبين مستعيره[١٧٧]. وقد أشار عريب بن سعد فى تقويمه لخبرات الصيادين فى الريف، ومعلوماتهم المفصلة عن أنواع الطيور، ومواقيت ظهورها، وتزاوجها، وعاداتها، وأماكنها، ودورة تفريخها[١٧٨].

واستخدمت الكلاب فى الصيد بعد تدريبها[١٧٩]، ويبدو أن الصيد بالكلاب كان منتشرًا بدرجة كبيرة فى الريف حتى أصبح كلب الصيد موضوعًا شعريًا قرض فيه بعض الشعراء شعرًا[١٨٠].

ومن الحيوانات البرية المصادة القنليات والأرانب البرية، التى كانت تضر بزروع الفلاحين، فكان صيدها يخلص الفلاحين من ضررها، هذا فضلاً عن الاستفادة بلحومها الجيدة، وأوبارها الناعمة[١٨١]. كما كان الفلاحون يصطادون– أيضًا– حيوان "الأيل" حيث كانوا يخرجون لصيده فرادى وجماعات[١٨٢].

وكان الصيادون يستخدمون وسائل وأدوات عديدة فى الصيد البرى من ذلك نصب الحبائل، وعمل الأفخاخ، وحفر الحفر، واستخدام الحراب، والسيوف، وغيرها[١٨٣].

أما صيد البحر، فكان منه صيد السمك، حيث اشتغل كثير من الفلاحين فى القرى البحرية والنهرية بصيده، ساعد على ذلك تذبذب مياه كثير من الأنهار والبرك والمستنقعات، هذا فضلاً عن اتصال بعض الأنهار بالبحار، مما أدى إلى تنوع الأسماك ووفرتها[١٨٤].

ويبدو أنه كانت تصاد كميات كبيرة من الأسماك يوميًا بالريف، لدرجة أنه كان يباع بقرطبة يوميًا- فى عهد الحكم المستنصر- من سمك السردين- فقط- وهو نوع من السمك المملوح المجلوب من الساحل، ما قيمته عشرون ألف دينار[١٨٥]. وقد انتشرت حوانيت بيع الأسماك "فى الفلوات والشعارى والأودية ورؤوس الجبال"[١٨٦].

وكانت أنهار الأندلس غنية بأسماكها المتنوعة[١٨٧]، وكذلك سواحل الأندلس على البحر المتوسط وبحر الظلمات، ففى قرية بزليانه بقرب مالقة، كان يصاد كميات كبيرة من الأسماك، تنقل منها إلى المناطق المجاورة، ومن مناطق صيد الأسماك أيضًا شلوبينية، وأرياف مربلة بالقرب من مالقة، والمنكب Almunacer وسواحل شذونة Sidonia[١٨٨].

وكانت الشباك من أهم وسائل صيد السمك فى الريف، حيث استخدمت العديد من أنواعها ذات الأصول العربية من ذلك نوع كان يسمى: Jarif أو Aljerifa شاع استخدامه فى جنوب الأندلس، وهى شبكة لها ذراعان، وتعمل من الشاطىء، وآخر يسمى: المضربة أو المدربة وهو عبارة عن فخ منصوب أو مشدود، وأنواع أخرى منها: الشبكة المخروطية atarraya، وشبكة إلكيس Jaret وشبكة الجابية Jabea[١٨٩].

كما كان الصيادون يستخدمون وسائل أخرى فى صيد السمك منها إلقاء بعض الأعشاب أو الأشجار ذات التأثير القاتل أو المسكر على الأسماك[١٩٠]، أو إقامة السدود فى أماكن مخصوصة من المجارى المائية، وكان ذلك يؤدى إلى احتكار أصحاب السدود للصيد فى تلك الأماكن مما كان يخلق نزاعات بين أصحاب السدود وغيرهم من الصيادين[١٩١].

وكان صيد العنبر من المهن التى احترفها بعض الصيادين فى الريف، حيث تميز عنبر أكشونبه وأشبونه بالجودة الفائقة، وكذلك العنبر المستخرج من سواحل شذونة حيث تميز بلونة الوردى، وكان عنبر شنترين ينقل منها إلى سائر جهات الأندلس واستخرج العنبر أيضًا من نواحى باجه، وسواحل تطيلة على البحر المحيط[١٩٢].

وارتبط بنشاط الصيد فى الريف، استغلال الملاحات واستخراج الملح، حيث انتشرت الملاحات فى السواحل المطلة على البحر المتوسط وبحر الظلمات، فعلى سبيل المثال كان بجزيرة يابسة بالقرب من ميورقه "ملاحة لا ينفذ ملحها"[١٩٣].

وكان يتم كراء الملاحات لاستغلالها فى الريف مقابل أجر معين أو كمية من الملح[١٩٤].

(د) التعدين والصناعة:

(١) الموارد المعدنية فى الريف:

توافرت فى الريف الأندلسى العديد من الموارد المعدنية، ففى نواحى لورقة كان يوجد الرخام الأبيض اللين، وحجر اللازورد الجيد. وتوافر الكحل فى نواحى طرطوشة، وأحواز قرطبة، وجبل أطريجرش- الفاصل بين الأندلس وإفرنجه- وفى نواحى بسطة من عمل جيان، ومن هذه المناطق كان يُصدر الكحل إلى بقية أنحاء الأندلس، والأقطار المجاورة. وفى نواحى سرقسطة كان يوجد الملح الأندرانى، وهو نوع من الملح الجبلى، تميز بلونه الأبيض الصافى، وبنعومة ملمسه. وتوافرت التوتيا الجيدة فى قرية "بطرنة" بساحل إلبيرة، وفى جبال قرطبة. كما توافرت أنواع عديدة من الطفلة والرمال، ذات الاستخدامات المختلفة فى نواحى طليطلة Toledo ولورقة Lorca، حيث كان يتم تصديرها إلى الأقطار المجاورة. كما استغلت أنواع مختلفة من المعادن على نطاق واسع مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والزئبق والكبريت الأحمر والأصفر والشبه وغيرها[١٩٥].

(٢) الصناعة:

كان لتوافر الثروات الزراعية، والموارد المعدنية، أثره فى قيام بعض الصناعات البسيطة التى يحتاجها المجتمع الريفى وسوف نتحدث عن تلك الصناعات بشيىء من التفصيل.

أ- الصناعات الغذائية:

يأتى على رأس الصناعات الغذائية فى الريف صناعة عصر الزيتون، وحفظه، وقد تطورت هذه الصناعة فى الريف لأهمية الزيتون وزيته كمنتج غذائى يومى يكاد يتساوى فى أهميته مع القمح. وقد حقق المجتمع الريفى إكتفاءً ذاتيًا من هذا المنتج الهام، وبقى فائض كان يتم تصديره للخارج[١٩٦].

وأهم مناطق إنتاج زيت الزيتون فى الريف إقليم الشرف بإشبيلية، حيث اشتهر بإنتاج أفضل أنواع زيت الزيتون لما كان يتميز به من تحمل لفترات التخزين الطويلة دون أن يتغير له طعم أو رائحة أو لون، وكان يتم تصديره إلى الممالك النصرانية الشمالية والمشرق الإسلامى[١٩٧]. وكان زيت الزيتون يعصر أيضًا فى قرية شوذر من أعمال جيان، وكانت "تعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها"[١٩٨]، كما كان يعصر كذلك فى أرياف قبرة ومورور[١٩٩].

وكان هناك ثلاثة أنواع من زيت الزيتون المعصور، تتفاضل فيما بينها، يأتى على قمتها: "زيت الماء"، وينتج من طحن بسيط للثمار أو سلقها فى الماء الساخن، يليه فى الجودة: "زيت المعصرة" Almazara أو "زيت البد" Albadd، وكان يتم الحصول عليه بعد طحن الثمار، وتصفية الزيت الناتج خلال قفاف من الحلفاء، ليمر فى قنوات معدة لذلك أسفل المعصرة، ثم يخزن فى مخازن أو أوانى مخصوصة. أما النوع الثالث فكان يسمى ب "الزيت المطبوخ" وكان يتم استخراجه من فضلات الزيت الأول، بعد معالجتها بالماء المغلى ثم تصفيتها[٢٠٠].

وللحصول على زيت نقى كان يتم غلى الزيت مرة أخرى مع إضافة كمية مناسبة من الملح ثم تصفيته؛ وفى الصيف القائظ، كان الفلاحون يضعونه فى خوابى كبيرة، بعد إضافة الملح إليه، ثم يعرض لأشعة الشمس، ثم يصفى مراراً[٢٠١]. وكان الفلاحون- أحياناً- ينقلون عجينة الزيتون المنقوعة على ظهور الدواب إلى المعاصر الكبرى المقامة فى ضواحى المدن، حيث تباع بالوزن لتعصر هناك لصالح مستهلكى المدن[٢٠٢].

ومن الزيوت الأخرى التى كانت تُعصر فى الريف: زيت السمسم، زيت الجوز واللوز، زيت الخروع، زيت الفجل، وزيت بذر الكتان، وكانت بعض هذه الزيوت تخلط مع بعضها للحصول على خصائص متنوعة، حيث كانت تستخدم- بالإضافة لاستخدامها الغذائى- فى أغراض طبية ودوائية[٢٠٣].

وبالإضافة إلى صناعة الزيوت، كان الفلاحون يصنعون على مدار العام العديد من أنواع المربات والأشربة، وقد أورد عريب بن سعد دورة الإنتاج الصناعى فى الريف من الزيوت والمربات والأشربة على مدار العام، فى يناير- على سبيل المثال- كان الفلاحون يصنعون مربة وشراب الأترج، ومربة الجزر، وفى إبريل يستخرج زيت الوردويعمل شرابه ومرباه، وفى مايو يصنع شراب التفاح ومربة الجوز، وفى يونيه يصنع شراب الحصرم وعيون البقر وفى يوليه يصنع شراب الكمثرى ومربة القرع وفى أغسطس يصنع عصير الرمان، ومربة الكمثرى، وفى أكتوبر يصنع شراب السفرجل، وفى نوفمبر يصنع شراب حب الآس[٢٠٤].

ومن الصناعات الغذائية العامة فى الريف صناعة حفظ المواد الغذائية وتخزينها لوقت الحاجة، وتتضح أهمية هذه الصناعات بالنسبة للريف إذا علمنا أن المجتمع الريفى كان عرضة- فى كثير من الأحيان- لأزمات نقص المواد الغذائية، فكان ذلك من دواعى الاستعداد لمثل هذه الأزمات حيث كانت تحفظ كثير من المنتجات الزراعية مثل الزيتون والفواكه والخضروات: كالقرع والباذنجان والقثاء والأترج والسفرجل والتين والجوز واللوز والعنب وغيرها[٢٠٥].

وكانت صناعة الخبز بأنواعه المختلفة من الصناعات الغذائية الهامة فى الريف، حيث كان كل نوع من الخبز يؤكل فى ظروف معينة. ولمواجهة النقص الذى كان يحدث أحيانًا فى القمح كان الفلاحون يصنعون العديد من أنواع مستخدمين خامات مختلفة من ذلك خبز القمح، خبز الأرز، خبز اللوبيا، خبز الجلبان، خبز الدخن، خبز الحمص وغيرها(٢٠٦).

ومن الصناعات الريفية التقليدية صناعة الألبان مثل الجبن الذى كان يصنع من ألبان الأبقار والضأن والماعز، وكانت هناك ثلاثة أنواع منه: الجبن الرطب، الجبن العتيق، ثم جبن متوسط بين النوعين السابقين. واختلفت جودة الجبن المصنوع باختلاف المسارح، ومهارة الصانع، وتوقيت الصناعة- حيث كان أنسب وقت لصناعة أفضل أنواع الجبن، الفترة من أول أبريل حتى آخر مايو.

هذا بالإضافة إلى نظافة الأوانى وجودة الأنفحة(٢٠٧).

كما كان الفلاحون يصنعون أنواعًا من الزبد والسمن البقرى والمعزى، وذلك بطريقة المخض فى القرب بعد ثلاثة أيام من تربب اللبن أو بطريقة المخض فى الخوابى(٢٠٨).

ومن الصناعات الغذائية كذلك، صناعة الخمور، التى تعددت أنواعها لتنوع خامات وأساليب صناعتها، فإلى جانب خمر العنب، التى انتشر تصنيعها فى مناطق زراعة الكروم، كانت هناك أنواع أخرى من الخمور والأشربة، المختلف فى تحريمها مثل "شراب الرب"، وكان يصنع من العنب بعد غليه لمدة معينة حتى يعقد مع إضافة نسبة محددة من الماء ثم حفظه فى قلال ليستخدم وقت الحاجة فى أغراض التداوى والشراب(٢٠٩).

وكان الفلاحون يلجأون إلى تخليل العنب والخمر- لتفادى مسألة التحريم- وأجاز الفقهاء ذلك. وتتلخص عملية التخليل هذه فى الاحتفاظ بثمار العنب لمدة معينة، ثم عصره وتخليله وتصفيته ليكون صالحًا للاستخدام. كما كانوا يغيّرون من صفات الخمر بإضافة بعض المواد إليها لإزالة حموضتها، وبالتالى تنتفى حرمتها،

من ذلك إضافة بعض الثمار والفواكه، والإفاويه، وقشور بعض النباتات، وبعض أنواع السمك الصغير المملوح اليابس، بعد هرسه لعمل ما كان يسمى "مربى الحوت" الذى كرهه بعض الفقهاء. وأحيانًا يضيفون إليها العسل وبعض أنواع الخضروات والمياه الشديدة البرودة وغيرها(٢١٠). ومن المناطق التى اشتهرت بجودة خمورها أرياف مالقة وأرياف لقنت(٢١١).

أما صناعة السكر فقامت هى الأخرى فى مناطق زراعته فى الجنوب والشرق من الأندلس(٢١٢). وتتلخص طريقة صناعته في تقطيع أعواد النبات الناضجة- فى يناير- إلى أجزاء صغيرة، ثم هرسها فى معاصر مخصوصة، ثم غلى العصير الناتج فى مراجل نظيفة وتصفيته مرة بعد أخرى، ثم صبه فى قوالب معينة من الفخار، وتركه فى الظل حتى يعقد، ثم إخراجه وتجفيفه، ويصبح بذلك صالحًا للاستهلاك(٢١٣).

ب- الصناعات غير الغذائية:

١- المنسوجات:

انتشرت حياكة وخياطة(٢١٤) الحرير فى مناطق إنتاجه التى أشرنا إليها. وكان بعض الفلاحين يكتفون بغزل الحرير ونسجه دون خياطته، ويصدرونه على هذه الهيئة إلى أماكن تصنيعه فى المدن(٢١٥). وقد يقومون بصبغه وتجهيزه بألوان مختلفة كما كانت الحال بقرية "تارجه" من أعمال مالقه(٢١٦). ورغم ذلك اشتهرت بعض القرى بتصنيع "طرز الديباج" مثل قرية "فنيانه" بالقرب من وادى آش، وأرياف تدمير(٢١٧). وكانت الحكومة تبعث- سنويًا- الكتب فى طلب الحرير من الريف خاصة فى شهر مايو وأغسطس(٢١٨).

انتشرت أيضًا المنسوجات الصوفية فى العديد من المناطق الريفية حيث كانت تربى قطعان الأغنام من ذلك البسط (السجاد) والأوطيه واللبودالتى تفوقوا فيها بشهادة ابن حوقل: "ولم يساوهم فى أعمال لبودهم أهل بلد على وجه الأرض"(٢١٩).

وانتشرت صناعة الأوطية والبسط الصوفية فى أرياف تدمير ومرسية خاصة فى جنجالة وقونكة وإلش[٢٢٠]. وقد أثنى ابن حوقل على صناعة الصوف الأندلسية عمومًا بقوله: "ومن الصوف قطع كأحسن مما يكون من الأرمنى المحفور الرفيع الثمن إلى حسن ما يعامل بها من الأنماط"[٢٢١].

واستخدم الفلاحون شعر الماعز فى صناعة البسط والسجاد، بعد إضافته إلى الصوف، كما أضافوا الحرير إلى الصوف لإنتاج أنواع من السجاد الفاخر[٢٢٢].

وانتشرت صناعة المنسوجات الكتانية فى أرياف إلبيرة والمرية وميورقه ولاردة حيث الإنتاج الوفير من الكتان الذى يزرع فى العديد من الضياع الريفية[٢٢٣]. وحازت الملابس الكتانية الأندلسية على شهرة واسعة، وكانت تصدر إلى الأقطار المجاورة، وكان يصل إلى مصر منها الكثير، وشاع ارتداؤها بين مختلف فئات السكان فى الأندلس لدرجة أنها كانت تستعمل "عندهم للعامة وللسلطان"[٢٢٤].

واستخدمت الأنوال والمناسج اليدوية فى القرى والضياع الريفية- لنسج الكتان، حيث كان يعمل عليها الرجال والنساء على السواء[٢٢٥]. ومن المناطق التى اشتهرت بمنسوجاتها الكتانية "أرون" من أعمال باجة و "أنْدَرَش" وقونكة من أعمال البيرة وكذلك أرياف مرسية[٢٢٦].

ومن الصناعات النسيجية أيضًا صناعة شباك الصيد، ونسج الحلفاء والأسل[٢٢٧]، لصناعة الحبال و"أطولة الآبار" و"شكول الدواب" و"غرابيل الحنطة" والنعال والحصر والقفاف والزنابيل والسلال وغيرها[٢٢٨].

٢- الصناعات الجلدية:

اشتهرت الأندلس منذ وقت مبكر بدبغ الجلود[٢٢٩]. وكانت صناعة الأقراق[٢٣٠] من أهم الصناعات الجلدية فى الريف، وقد تطورت هذه الصناعة فى الأندلس حتى أصبحت عماد تجارة التصدير[٢٣١]. ومن المناطق التى اشتهرت بصناعاتها الجلدية مالقة وأريافها حيث كانت تصنع الأغشية والحزم والمدورات ومقابض السيوف[٢٣٢].

٣- الصباغة:

ويرتبط بصناعتى المنسوجات ودباغة الجلود، عملية الصباغة التى اعتمدت على العديد من الخامات المحلية مثل القرمز[٢٣٣] أو ما كان يعرف بـ"الصبغ السماوى" وكان يوجد فى أرياف طليطلة وإشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية حيث كان يصدر من هذه المناطق أجود أنواع القرمز إلى بقية أرجاء الأندلس[٢٣٤]، وكان الفلاحون يخرجون لجمع القرمز المتساقط على أشجار البلوط وغيرها فى شهرى مايو وأغسطس من كل عام بتكليف من الحكومة لصالح دار الطراز[٢٣٥].

ومن نباتات الصباغة- فى الريف أيضًا- نبات "الفوه" الذى كان يخرج الفلاحون لجمعه فى شهر سبتمبر من كل عام لصالح دار الطراز أيضًا[٢٣٦]. ومن نباتات الصباغة كذلك "عود البقم"، والزعفران، والكركم، وغيرها[٢٣٧].

٤- الصناعات الخشبية:

ازدهرت الصناعات الخشبية فى الريف لتوفر ثروة خشبية لا بأس بها، وزيادة تمدن المجتمع الأندلسى، لدرجة أن كثير من القرى الجبلية اعتمدت فى دخلها على على ما تدره الصناعات الخشبية كما كانت الحال بالنسبة لقرى كثيرة فى جبال شقورة من أعمال جيان، وقرى غرب الأندلس[٢٣٨].

وكانت صناعة الأدوات الزراعية من أهم الصناعات الخشبية فى الريف، من ذلك "المجرد" وهى أله تشبه المحراث، كانت تستخدم لتنعيم التربة، بعد حراثتها، وكانت تصنع من أخشاب البلوط على هيئة مستطيل به أربعة عيدان ذات أسنان رأسية، متجهة نحو الأسفل[٢٣٩]. وكان "المرجيقل" من الأدوات الزراعية التى كانت تصنع من الخشب وهو عبارة عن مثلث من خشب فى وسطه خط وعليه خيط فى طرفه ثقالة، وكان يستخدم فى تسوية التربة[٢٤٠].

ومن الأخشاب أيضًا كان يصنع العديد من آلات الرى المختلفة مثل الناعورة والسانية والدولاب والخطارة والدالية وغيرها. كما كانت الأخشاب أيضًا عماد صناعة الأرحية والمطاحن فى الريف، التى كان يوجد منها نوعان: طاحونة الماء

الأفقية، وكانت تدار بواسطة عجلة بها بدالات؛ ثم الطاحونة الرأسية، وكانت تنتقل فيها الحركة عن طريق التروس أو آلات الحركة. والأولى أقرب إلى طاحونة اليد بينما الثانية كانت أقرب إلى العجلة الهيدروليكية أو الناعورة. والطاحونة الأفقية كانت أكثر انتشارًا، وعرفت فى الأندلس منذ وقت مبكر، ويرجع سعة انتشار الطواحين الأفقية إلى سهولة صنعها وبناءها وقلة تكلفتها، حيث كان يمكن لمجموعة صغيرة من الفلاحين أن تقوم ببناءها عن طريق استخدام الأحجار وبعض أشجار الصنوبر(٢٤١).

وكانت الأخشاب تدخل فى صناعة الأرحية المتنقلة، التى كانت تبنى على ظهور المراكب والقوارب، حيث كان يمكن نقلها فى الأنهار من مكان إلى آخر، كما كانت الحال فى أودية طرطوشة ومرسية وسرقسطة، وكذلك الأرحية التى تديرها الحيوانات والأرحية التى كانت تدار باليد والأخيرة لم يقتصر استخدامها على الفقراء فى الريف، بل كانت تستخدمها الجيوش، والتجار والمسافرين(٢٤٢).

ومن الصناعات الريفية التى كانت تدخل فيها الأخشاب أيضًا: صناعة الأقراق، وخلايا النحل، والمنابر الخشبية للمساجد، وآثاث الدور، والحقائب والأوعية والسلال وغيرها(٢٤٣).

وكانت معظم الأدوات المنزلية فى الريف تصنع من الأخشاب مثل المهارس والمغارف والملاعق، وألواح تقطيع اللحم، وألواح إعداد الطعام وغيرها وكانت تصنع من الأخشاب الصلبة مثل البلوط، والبطم والزيتون والدردار والبقس والعناب(٢٤٤). واشتهر جبل بحصن قيشاطة من أعمال جيان بأخشابه التى استخدمت- على الأخص- فى صناعة الأدوات المنزلية مثل القصاع والمخابى والأطباق وغيرها، والتى كانت تصدر إلى بقية أنحاء الأندلس والمغرب(٢٤٥).

٥- الصناعات الحجرية والفخارية:

كانت الصناعات الحجرية والفخارية أكثر الصناعات انتشارًا فى الريف الأندلسى نظرًا لتوافر خامات صناعتها، فقد كانت كثير من الأدوات المنزلية تصنع من الفخار كالمراجع والخوابى التى كانت تستخدم فى حفظ الأطعمة والألبان،

ومنتجاتها، والتى لا يمكن حفظها فى الأوانى المعدنية(٢٤٦). ومن المناطق التى اشتهرت بصناعة أجود الأوانى الفخارية "مجريط" Madrid حيث كانت تصنع أوانى فخارية تستخدم فى الطبخ لمدة عشرين سنة، فلا تتغير خواصها، ولا يتغير الطعام فيها ولا يفسد، حتى فى أيام الصيف القائظ(٢٤٧).

وكان يصنع من الفخار أيضًا أوانى وقواديس النواعير، وأوانى الرى الأخرى، والأفران والتنانير، وقمائن حرق الطوب والفخار(٢٤٨).

كما استغل الرخام الموجود فى البيئة المحلية فى صناعة الأدوات المنزلية، كما كانت الحال بكورة إلبيرة حيث كان يوجد "مقطع رخام لين أبيض... تعمل منه الأقداح والأطباق والأكواب والأسطال والحقاق، وكل ما يخرط من الخشب يخرط منه"(٢٤٩).

٦- الصناعات المعدنية:

تعتبر صناعة الأدوات الزراعية من أهم الصناعات المعدنية فى الريف، وكان معظمها نتاجًا للتأثير الرومانى والإسلامى، حيث تميزت بالبساطة والتنوع، وبأن معظمها مصنوع من الحديد(٢٥٠).

ومن أهم الأدوات الزراعية المعدنية فى الريف: المحراث أو السكه، وكان يصنع من الحديد(٢٥١) والشنجول وهو على شكل يد الإنسان، ذو أصابع من حديد، وكان يستخدم فى الحفر والتنظيف حول جذور النباتات والأشجار المراد نقلها للغراسة(٢٥٢). كما كان يصنع من الحديد أيضًا المعاول والفؤوس، والمناجل، والعديد من أنواع السكاكين الحادة التى استخدمت فى مختلف العمليات الزراعية(٢٥٣).

وكانت هناك العديد من الأدوات الزراعية الأخرى التى لابد وأنها كانت تصنع من مواد معدنية وإن كانت المصادر لم تفصح عن ذلك بشكل قاطع، لأن استخداماتها تؤكد على صناعتها المعدنية(٢٥٤).

ونعتقد بوجود صناعات أخرى فى الريف نظرًا لتوافر المواد الخام لصناعتها، وحاجة المجتمع إليها مثل صناعة الصابون الذى كان يصنع من فضلات زيت الزيتون، ونقل عصير العنب بعد خلطهما، وإضافة بعض المواد الأخرى، وكذلك صناعة الشموع للإضاءة، وكان يستخدم فى صناعتها فتائل الكتان وبعض المواد الأخرى[٢٥٥].

هـ التجارة:

أنعش الفتح الإسلامى لإسبانيا الاقتصاد المحلى، الذى كان يعانى الجمود والكساد، فارتفعت الأسعار بزيادة الاستهلاك، وتم تداول الأموال، الأمر الذى أدى إلى نمو وإزدهار الحرف والتجارة الداخلية، وأفضى ذلك فى النهاية إلى تحضر المجتمع المحلى[٢٥٦]. وشهد المجتمع الريفى حركة تجارية نشيطة رغم تأثرها فى بعض الأحيان بالفتن والثورات[٢٥٧].

١- طرق المواصلات:

لا يمكن الحديث عن التجارة فى الريف بدون الحديث عن طرق المواصلات الداخلية فى الأندلس، لأن طرق المواصلات عامل هام ومؤثر فى النشاط التجارى لأى مجتمع من المجتمعات. وفى الأندلس يمكن أن نتحدث عن طرق برية وأخرى مائية.

(أ) الطرق البرية:

عملت الطبيعة الجغرافية لشبه الجزيرة الأيبيرية عملها فى تحديد طرق المواصلات، فأدت إلى تنوعها ما بين طرق سهلية، ودروب[٢٥٨]، وممرات جبلية.

وتمتعت الأندلس بشبكة جيدة من طرق المواصلات البرية التى ترجع فى معظمها إلى العصر الرومانى، وكان المسلمون الداخلون قد تكيفوا سريعًا مع شبكة

الطرق الرومانية مما مكنهم من التعرف على جغرافية الأندلس[٢٥٩]، يتضح ذلك من حديث الكتّاب المسلمين عن تلك الطرق حيث وصفوها باستفاضة تدل على تيسر الاتصال بين أنحاء الأندلس، ولم يكن يعوق هذا الاتصال سوى الحروب والفتن والأزمات الطبيعية. وقد ذكر اليعقوبى (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) أن المسافر من تدمير إلى قرطبة يسير ستة أيام "فى قرى متصلة وعمارات ومروج وأودية وأنهار وعيون ومزارع"[٢٦٠]. أما ابن حوقل الذى زار الأندلس فى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م فقد وصف بعض الطرق والمسافات بين المدن والقرى بدقة وتفصيل، مما يؤكد أن هذه الطرق كانت مطروقة بشكل دائم[٢٦١].

وكانت الطرق البرية الداخلية لكثرة استخدامها من قبل المسافرين والتجار، تحتوى على "محلات"[٢٦٢] ونُزُلْ وفنادق لخدمة المسافرين والتجار حيث كان ينزل بها هؤلاء للاستراحة، والتزود بما يحتاجون، وربما يبيعون ويشترون. وكانت هذه النزل والفنادق وما يشاكلها تتوزع فى معظم القرى الريفية التى كانت تقع على طرق المواصلات، وفى ذلك يذكر ابن حوقل: "والمنزل فى كل ليلة بقرية آهلة"[٢٦٣]؛ وحيثما سار المسافر "يجد الحوانيت فى الفلوات والشعارى والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت، وغير ذلك من ضروب الأطعمة"[٢٦٤].

وتوافرت معلومات لا بأس بها عن طرق المواصلات البرية فى الأندلس، يضيق المقام هنا عن ذكرها بالتفصيل، لأنها تحتاج إلى دراسة منفصلة لأهميتها وتأثيرها فى تاريخ الأندلس، إذ يكفى القول بأن تأثر طريق قرطبة- إشبيلية بالثورات والفتن فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى كان سببًا فى سوء الأحوال الاقتصادية فى قرطبة إلى درجة كبيرة[٢٦٥].

ولعبت الدواب دورًا كبيرًا فى خدمة التجار والمسافرين على هذه الطرق، حيث كان يجرى كراءها لنقل السلع، والأمتعة خلال الطرق البرية بأجرة معلومة[٢٦٦].

(ب) الطرق المائية:

يمكن تقسيم الطرق المائية إلى قسمين: الطرق المائية البحرية، والطرق المائية النهرية. وكانت للطرق البحرية أهمية كبيرة فى ربط المناطق الساحلية بعضها ببعض، من ذلك الطريق البحرى الذى كان يربط بين المدن والقرى المطلة على الساحل الشرقى للأندلس، وكانت تنقل عن طريقه كثير من السلع التجارية مثل الأخشاب التى كانت تقطع من الجبال المحيطة بحصن قَلْصَة- على الساحل الشرقى للأندلس- ثم تحمل إلى دانية Denia وبلنسية(٢٦٧). وهناك طريق بحرى آخر كان يربط بين المرية ومالقة، ويبلغ طوله مائة وثمانين ميلاً(٢٦٨).

وكان للطرق النهرية(٢٦٩) هى الأخرى دورها فى ربط أجزاء المجتمع الريفى بعضها ببعض، وربطها بالمدن كذلك حيث استغلت الأودية الصالحة للملاحة فى النقل، وأنشئت على ضفافها المراسى كما كانت الحال بالنسبة لنهر قرطبة، الذى أقيمت على جوانبه العديد من المراسى لنقل الناس من منازلهم إلى ضياعهم، عن طريق المراكب والقوارب المعدة لذلك والتى كان يديرها مجموعة من النواتيه(٢٧٠).

واستخدمت الأنهار الصالحة للملاحة- أيضًا- فى نقل السلع والمواد الخام إلى أماكن تصنيعها، فكانت الأخشاب- على سبيل المثال- تقطع من الغابات، وتلقى فى هذه الأنهار لتنقل عبرها إلى أماكن تصنيعها(٢٧١)، كما كان ينقل عبرها الحنطة والفحم(٢٧٢).

ومن الأنهار التى كانت تستخدم كطرق ملاحية: نهر تدمير (مرسية)، نهر شقر Jucar، نهر تاجه، ونهر إشبيلية، وغيرها. وكان الطريق النهرى بين إشبيلية وقرطبة يمر بالعديد من المراسى الريفية(٢٧٣).

٢- الأسـواق الريـفيـة:

تركزت الأسواق الريفية فى القرى الكبيرة، والمراكز الحضرية العامرة، خاصة تلك التى كانت تقع على طرق المواصلات وتميزت الأسواق الريفية بأنها كانت نقطة التقاء وتبادل للفائض الزراعى المحلى، ولكنها كانت تفتقد- فى نفس الوقت- للسلع الصناعية الحرفية التى كانت تتوفر بشكل خاص فى الأسواق الحضرية فى المدن، واتصفت بأنها أسواق غير رسمية، لم تلق العناية الكافية من قبل السلطات، ومن ثم لم يتم توثيقها بشكل جيد(٢٧٤).

وكانت الأسواق الريفية تعقد بشكل شبه دورى- إسبوعى أو نصف إسبوعى- فى القرى الهامة، حيث يتبادل الفلاحون السلع الضرورية بيعًا وشراء، ونادرًا ما كان يوجد بها سلع ترفيهية(٢٧٥). ومن أمثلة الأسواق الدورية سوق أندرش- من أعمال المرية- وكان يعقد يوم الخميس من كل أسبوع، وكان يحضره الفلاحون من القرى المجاورة لشراء وتبادل السلع التى يحتاجونها(٢٧٦). أما سوق قرية شوذر- من أعمال جيان- فكان يعقد يوم الثلاثاء من كل إسبوع(٢٧٧).

وتشير أسماء بعض القرى الريفية إلى الأسواق الأسبوعية التى كانت تعقد بها من ذلك قرية Larbe (الأربعاء) فى جيان(٢٧٨)، وقرية Cuart فى بلنسية، وتعنى اليوم الرابع (الأربعاء) Cuart de Poblet؛ وبقايا ذكرى سوق الثلاثاء توجد فى قرية قشتالية قديمة تدعى Talatel (الثلاثاء) بالقرب من مدينة Delpomar(٢٧٩).

ويرى "بدروشالميتا" P. chalmeata أن انتشار الاقتصاد المالى أو النقدى فى الأندلس كان بمثابة حرب ضد السوق الريفية، كما أن تعامل السلطة الفردية فى الأوساط الحضرية مع ضياعها فى الريف قد ترك أثرًا بالغًا على الأسواق الريفية، لأن أصحاب الضياع كانوا يحضرون كل احتياجاتهم من تلك الضياع وليس من سوق القرية(٢٨٠).

ونعتقد أن شالميتا يبالغ كثيرًا فى آرائه لأن الاقتصاد النقدى، لابد أنه قد ساعد على الرواج التجارى فى الأسواق الريفية وليس العكس كما اعتقد شالميتا- بسبب حاجة الفلاحين إلى نقود لدفع الضرائب، كما أن تعامل الملاك فى المدن مع

ضياعهم فى الريف لم يكن يؤثر بالضرورة على الأسواق الريفية، التى لم تعتمد فى الأساس على تعاملات أهل المدن معها بقدر اعتمادها بشكل رئيسى على تعاملات الفلاحين أنفسهم.

وكان الفلاحون فى هذه الأسواق يمارسون العديد من أنواع البيوع، فإلى جانب البيع النقدى كان هناك بيع المقايضة أو المبادلة، ويصح عند الفقهاء باختلاف أجناس السلع المتبادلة كأن يتم مقايضة الحمام بالدواجن، والأوز بما يخالف جنسه، وعلى هذا الأساس كانت تجرى مبادلات كثيرة كتبادل الدواب بالثياب، والبيض بالنخال، والتبن بالزبل، والحيوان بالطعام، وهكذا كانت تجرى المقايضة فى كل ما ينتفع به[٢٨١]. وفى أحيان كثيرة كان يتم التغاضى عن الالتزام بالشروط الشرعية للمقايضة خاصة فى ظروف الأزمات الاقتصادية. ومن أنواع البيوع التى مارسها الفلاحون آنذاك بيع الغرر[٢٨٢] وهو بيع نهى عنه الشرع لما يكتنفه من خطر، ولكن أمام ضغط الحاجة كانت تجرى مبايعات من هذا النوع كبيع الثمار قبل بدو صلاحها، رغم ما كان يرافق ذلك من مشكلات بين المتبايعين خاصة فيما يتعلق بالثمار المباعة التى تصيبها الجوائح[٢٨٣].

وشاع بين الفلاحين أيضًا بيع السلم أو بيع السلف، وهو على أنواع منها بيع السلف نقدًا بنقد مختلف أو نقدًا بسلعة أو سلعة بأخرى مختلفة عنها. ولبيع السلف شروط مخصوصة حددها الفقهاء[٢٨٤]، أهمها أن يعقد بيع السلف لأجل معلوم، وصفة معلومة، ومكان معلوم، وكانت تُوثَّق هذه الشروط وتكتب فى وثيقة وربما ساعد بيع السلف على استغلال التجار للفلاحين واحتكار السلع فكانوا يسلفون الفلاحين- مستفيدين من اختلاف السعر فى أول الموسم وآخره ويخزنون المحاصيل والاطعمة وقت رخصها، ويبيعونها عندما يرتفع السعر[٢٨٥]. وكان هذا البيع يتم فى كل شىء ينتفع به لدرجة أنه كان يعقد فى بيع الرقيق[٢٨٦].

وبالإضافة إلى ما ذكرناه من بيوع كانت هناك أنواع أخرى من البيوع مثل بيع الشفعة وبيوع الآجال وغيرها. كما كانت هناك عمليات رهن مقابل ثمن معين لأجل معين[٢٨٧].

وكانت الأسواق تعج بالعديد من السلع والمنتجات الريفية، نظرًا لوفرة الإنتاج الزراعى والحيوانى وكان بعض البائعين يلجأون إلى الغش والتدليس أحيانا، فيبيعون بعض الفواكه والخضر قبل تمام نضجها مستغلين ارتفاع السعر فى أول الموسم، وقد يخلطون الجيد منها بالردىء، وكانت منتجات الألبان والزيوت والأسماك واللحوم عرضة للغش والتدليس- أيضًا- من جانب البائعين[٢٨٨].

وصورت بعض الأمثال الشعبية سلوك الفلاحين والفلاحات فى الأسواق عند الشراء وطريقتهم فى اختبار طيب السلعة وجودتها عن طريق التعرف على لونها وطعمها[٢٨٩]. كما صورت بعض الأمثال منظر الفلاحات وهن يحملن قفف الطيور إلى السوق لبيعها، وكيفية ذلك[٢٩٠].

كما كانت تباع فى هذه الأسواق مختلف أنواع البذور والزريعة التى يحتاجها الفلاحون فى الزراعة، هذا فضلاً عن العديد من السلع الصناعية الريفية مثل الحصير والأقراق والقفف، والغرابيل والفخار، وأطولة الأبار، والحبال، والسلالم الخشبية، والقدور، وأقداح الوضوء وغيرها، هذا إلى جانب الحطب، وقصب الغاب، والجير والجبص إلى غير ذلك من المنتجات الريفية[٢٩١].

وكان بيع الدواب يتم فى أسواق مخصوصة، كانت تعرف بسوق الدواب Zocodover[٢٩٢] حيث كان يمارس البائعون العديد من أنواع الحيل وأساليب الغش والتدليس لبيع الدواب ذات العيوب المختلفة[٢٩٣].

ولا تشير المصادر المعاصرة إلى وجود المحتسب فى الأسواق الريفية، وإن كنا نعتقد بوجوده- أو على الأقل وجود أعوان له- فى بعض الأسواق الريفية الكبرى، كما يفهم مما ورد فى كتب الحسبة المتأخرة[٢٩٤].

٣- العلاقات التجارية بين مجتمع الريف ومجتمع المدينة:

ولا يكتمل الحديث عن التجارة الريفية إلا بالحديث عن العلاقات التجارية التى كانت تربط المجتمع الريفى بمجتمع المدينة، فقد نشأت علاقات تجارية وثيقة بين الاثنين بحكم الحاجة، إذ أن كلاً منهما يحتاج إلى الآخر، فحاجة أهل البادية (الريف)- كما يذكر ابن خلدون- "إلى الأنصار فى الضرورى، وحاجة أهل الأمصار إليهم فى الحاجى والكمالى[٢٩٥].

وتوثقت العلاقات بين الريف والمدينة- بشكل خاص- إبان فترات الاستقرار، فقد كان الفلاحون دائمى التردد على المدن القريبة منهم للحصول على بعض احتياجاتهم من السلع الصناعية التى لا توجد إلا فى أسواق المدينة. وكانت أسواق المدينة منفذاً لتصريف مختلف المنتجات الريفية، فقد كانت قرطبة- على سبيل المثال- تستهلك كميات كبيرة من الحطب المجلوب إليها من خارجها، وآلاف الرؤوس من الأبقار والأغنام، وكميات لا حصر لها من أنواع الأسماك، إلى غير ذلك من المنتجات الزراعية الريفية، لدرجة أن تعطل طرق المواصلات، لأى سبب من الأسباب كان كفيلاً بإحداث هزة اقتصادية فيها(٢٩٦).

ومن مظاهر العلاقات بين الريف والمدينة، وجود أسواق خارج المدن أو على أبوابها، كان يطرقها الفلاحون لبيع منتجاتهم، ثم يدخلون المدينة للشراء من أسواقها ما يحتاجون إليه من ضروريات(٢٩٧). ويبدو أنه كان يباع بتلك الأسواق- خارج المدن- كثير من السلع المسروقة أو المغصوبة لدرجة أن بعض كتب الحسبة المتأخرة نبهت على ضرورة مراقبة ذلك والبحث عن السلع المسروقة(٢٩٨).

ودأب تجار المدن والوسطاء- فى كثير من الأحيان- على ممارسة كثير من عمليات الغش والخداع والتحايل بكل السبل لسلب الفلاحين والاستيلاء على ما معهم بأبخس الأسعار، حتى وصل الأمر إلى سرقتهم مستغلين- فى ذلك- سذاجة الفلاحين وقلة حيلتهم(٢٩٩). وكان تجار المدينة يلجأون- كثيراً- إلى شراء القمح والحنطة من الفلاحين جملة واحدة مستغلين حاجة الفلاحين إلى العودة بسرعة إلى قراهم، فيجحفونهم فى السعر، رغم نهى الفقهاء عن ذلك خوفاً من الاحتكار(٣٠٠).

وقد حظى التجار والوسطاء بمكانة كبيرة فى المجتمع الأندلسى، نتيجة لما حققوه من مكاسب طائلة بسبب تحكمهم فى التجارة الوسيطة بين الريف والمدينة خاصة تجارة القمح والدقيق والدواب، تلك التجارة التى كانت لا تستغنى عنها المدينة. وكان هؤلاء يسمون "الميارين" و"الجلابين"(٣٠١). والميارون هم جالبو الميرة من قمح ودقيق.. إلخ، والجلابون هم الذين يجلبون الدواب والحيوانات.

الهوامش

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ت، أحمد أمين وآخرين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢، جـ٣ ص٩٢ ابن سيده: المصدر السابق س١٠ص ١٥٠.

(٢) ابن سلام: كتاب الأموال، شرح عبد الأمير على مهنا، بيروت، دار الحداثة، ط١. ١٩٨٨ ص٢٨.

(٣) ابن العوام: كتاب الفلاحة، نشر خوسيه أنطونيوبانكيرى. مدريد ١٩٨٨، جـ١ ص٦- ٧.

(٤) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، جـ٢ ص٩١١.

(٥) ابن غالب: المصدر السابق ص٢٨٢، المقرى: المصدر السابق م٣ ص١٥١.

(٦) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص٨٧٨.

(٧) من ذلك قول ابن خفاجه:

يا أهل أندلس لله دركم ... ماء وظل وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلا فى دياركم ... ولو تخيرت هذا كنت أختار

لاتخشون بعد ذا أن تدخلوا سقرا ... فليس تدخل بعد الجنة النار

ابن خفاجه: المصدر السابق صـ١١٧.

(٨) M.E. Moreno and others: Hydric aspects in Islamic city planning: Granada and La vega (xi- xvcenturies). Al- Andalus: centuries of upheavals and achievements. King Abdulaziz public library- Riadh. Library committee. 1993. pp.1- 26.

(٩) Levi- Provemcal: L'Esp. Musul. P. 166. Glick: op. cit. P. 74, G.k. Al- Alwani: thenetwork of irrigation Ditches in the Alpujarra of Granada Al- Andalus Centures of upheavals and achievements. King Abdulaziz publiclibray- Riadh. Library committee, 1993. pp.1- 22.

(١٠) Glick: op. cit. pp. 68- 69.

(١١) Imamuddin: some asp. Of the socio. P.75, Al- Filahah in Mus. Sp. P.75.

(١٢) القزوينى: المصدر السابق ص٥٠٩، ٥١٢، الحميرى: المصدر السابق ص٣٦- ٣٨، ٧١.

(١٣) M.E. Moreno and othesr: Hydric aspects in Islam. Cit. P.3.

(١٤) مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٨، فلاحه ص٦-٧ ابن بصال: كتاب الفلاحة، نشر خوسى ماريا مياس بييكر وسا ومحمد عزيمان. تطوان، معهد مولاى الحسن، ١٩٥٥ ص٣٩- ٤٠ انظر أيضًا

Imamuddin: Some asp. Of the socio. P. 76, Al- Filahah in Mus. Sp. P. 76. G.k. Al- Alwani the net. Of irrig. dit. In the Alpuja. P. 13.

(١٥) p. 294 Vallve: El califato de Cordoba. Madrid.Editorial Mapfre. 1992.

(١٦) Imamuddin: Al- Filahah in Mus. Sp. P.76. واستفاد الفلاحون من مياه السيول ومياه الثلوج الذائبة فى رى بعض الأراضى. انظر مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة ص٧.

(١٧) B.P.Maldonado: Tratado de arquitectura Hispano Musulmana. I agua. Madrid. 1990. P. 224, G. K. Al- Alwwani: the net. Of irrig. PP. 10- 11

(١٨) الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص٢٧٧.

(١٩) أشكابه: يرجع أنها تقابل Alcntarilla مركز فى مرسيه الحالية العذرى المصدر السابق ص١٣٠.

(٢٠) أريولة أو أريولة من أعمال تدمير فى شرق الأندلس، وهى أحد المواضع السبعة التى صالح عليها تدمير بن عبدوس عبد العزيز بن موسى بن نضير. انظر: الحميرى: المصدر السابق ص٣٤، وانظر أيضًا:

Levi- Provemcal La descrip. de L'Esp. de Razi. P.70.

(٢١) العذرى: المصدر السابق ص١.

(٢٢) M. E. Moreno and others: Hyd. asp. In Isl. cit. Plan. P.6

(٢٣) الزبيدى: لحن العامة، ت. عبد العزيز مطر، الكويت، مكتبة الأمل ١٩٦٨ ص٢٥٧، ابن هشام اللخمى: المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، ت. خوسيه بيريث لاثارو، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربى، ١٩٩٠، م٢ ص٣٥٧.

(٢٤) B. P. Maldonado: op. cit. p. 13.

(٢٥) عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٨٥.

(٢٦) انظر الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٤، الحميرى: المصدر السابق ص٣٨- ٣٩، ١٨٦، وانظر أيضًا:

Scott: History of the Moorish empire in Europ. Philadelphia, London. 1904. Vol. 111PP. 601- 602, Glick: Hydraluic Technology in Al Andalus. The legacy of Muslim Spain. Brill, Leiden. 1992. PP. 974- 986.

(٢٧) Imamuddin: Al- Filaha in Mus.Sp..P.12.

واستخدمت البلاليط والسياجات لحفظ المياه، وهى عبارة عن حفر مستطيلة تحفر فى الأرض واستخدمت الخوابى ومفردها خابية لحفظ المياه فى المنازل

الريفية، لأغراض الشرب والمعيشة وكان لا يخلو منها منزل ريفى، وهى عبارة عن أوانى فخارية. انظر: الإدريسى: المصدر السابق، م٢ ص٥٥٧، وانظر أيضًا:

Dozy: op. cit. T. I. P. 112, M. E. Moreno and others: Hyd. asp. P.6

(٢٨) انظر الطغنرى: زهر البستان ونزهة الأذهان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم٦، الزراعة والأعشاب ص٥١، ٥٨، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص١٣٩، ١٤١- ١٤٢، ١٤٤، وانظر أيضًا:

Lick: Islam and christ. Sp. P.238.

(٢٩) وهى نفس الطريقة التى استخدمت فى بناء مدينة مجريط (مدريد الحالية) انظر: الطغنرى: المصدر السابق ص٥٩، ابن حيان: المقتبست. مكى ص٣٥١، والتعليق رقم ٥٨٦، ص ٦٣٦ ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص١٤٣، وانظر أيضًا: J.O.Asin:

Historia del nombre "Madrid". Madrid. 1968. P.81, Glick: Islam. and christ. Sp. P.238, Imamuddin: Som. asp. PP. 75- 67.

(٣٠) العذرى: المصدر السابق ص٣، الحميرى: المصدر السابق ص١٧٢.

(٣١) G.K. Al- Alwani: The net. of irrig. P.10

(٣٢) Glick: Hyd. Tech. in Al- Andalus. P.979.

(٣٣) G.K. Al- Alwani: The net. of irrig. P.10

(٣٤) العذرى: المصدر السابق، ص٣، الحميرى: المصدر السابق ص١٧٣.

(٣٥) الناعورة هى التى يطلق عليها فى الريف المصرى الساقية.

(٣٦) هنرى بيريس: المرجع السابق ص١٨٥. ويرى البعض أن الناعورة الأندلسية كانت ذات أصل فارسى انظر:

Scott: op. cit. vol. 111. P. 601, Imamuddin: Som. asp. P. 76, Al-Filahah.in Mus. Sp. P.77.

حين يرى البعض الآخر أنها ذات طابع شامى ربما أدخلت كنوع من التقليد الشامى فى الأيام المبكرة من حكم بنى أمية ومن الأندلس انتقلت إلى المغرب وإلى أسبانيا النصرانية.

Glick: Isla. And Chr. pp.237- 238

(٣٧) Glick: Ibid. p.74

(٣٨) ابن هشام اللخمى: المصدر السابق، م٢ ص٢٧٤، آشتور: التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى، ت. عبد الهادى عبله، دمشق، دار قتيبه ١٩٨٥ ص٦١. وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de l 'Esp. Mus. T. 111. p.282.

(٣٩) Glick: Isla. and Christ. Sp. 236.

(٤٠) الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٥١، الحميرى: المصدر السابق ص١٧٢، وانظر أيضًا:

Glick: Islam. And Christ. Sp PP. 74,- 75 236.

(٤١) الزبيدى: المصدر السابق صـ٢٢٧.

(٤٢) ابن هشام اللخمى: المصدر السابق، م٢ ص٢٧٤، آشتور: المرجع السابق ص٦١،

Glick: Islam. and Christ. Sp P. 236, Hyd. Tech. in Al- Andalus. P. 981.

(٤٣) Glick: Islam. And Christ. P. 236, Hyd. Tech. in Al- Andalus. P. 981.

(٤٤) وكانت السانية تعمل عن طريق ربط الحيوان فى العريش، الذى يحرك عجلة أفقية متصلة بسن مركب على عجلة رأسية تدفع المياه عن طريق سلسلة من القواديس، المتصلة بحوافها بواسطة حبل كبير. ولشيوع السانية اهتم بها الكتاب الزراعيون واقترحوا بعض الأساليب التى يمكن من خلالها زيادة كفاءة تشغيلها. انظر: الطغنرى: المصدر السابق ص٥٣، ابن هشام اللخمى: المصدر

السابق م٢ ص٢٧٤، ابن العوام: المصد رالسابق، جـ١ ص١٤٦- ١٤٧، وانظر أيضًا:

Glick: Islam. Andchrist. Sp. PP. 236- 238, Imamuddin: Al Filahaha in Mus. Sp. PP.77-78.

(٤٥) ابن هشام اللخكى: المصدر السابق، نفس المجلد والصفحة، القزوينى: المصدر السابق صـ٥٤٥.

(٤٦) المقرى: المصدر السابق م٣ ص٤٥٤.

(٤٧) الخشنى: قضاة قرطبة ص١١٢.

(٤٨) ويعتقد البعض أن الخطارة تشبه آلة: Cigogne التى كانت مستخدمة فى العصر الرومانى، واعتبرت فى وقتها تطورًا هامًا. انظر:

Levi- Provencal: Hist. de L' esp. Musl. T.111. PP.281- 282.

(٤٩) ابن هشام اللخمى: المصدر السابق م٢ ص٢٧٤.

(٥٠) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس وصفاتها ص٥٧، العذرى: المصدر السابق ص٢، القزوينى: المصدر السابق ص٥٥٦، الحميرى: المصدر السابق ص١١٣.

(٥١) انظر ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٥، جـ، س، كولان: المرجع السابق ص١٠١، وانظر أيضاً:

Levi- Provencal: Hist. de L'Esp. Mus. T.111 .p. 281, Glick: Isi. And Christ. Sp. P.70

(٥٢) أحمد مختار العبادى: الزراعة فى الأندلس وتراثها العلمى ندوة الأندلس: الدرس والتاريخ، ١٣- ١٥/ ٤- ١٩٩٤، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية (١٠٧- ١٢٩) ص١٢١،

Scott: Op. cit. vol. 111. P.

(٥٣) ick: Hud. Tech. in Al- Andalus. PP. 974- 975.

(٥٤) ابن رشد: المقدمات الممهدات. ت. سعيد أحمد إعراب، بيروت، دار الغرب الإسلامى ط١، ١٩٨٨ جـ٢ ص٣٠١.

(٥٥) Glick: Islam. And Christ. Sp. P.73.

(٥٦) وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله: "المسلمون شركاء فى الكلأ والماء والنار "انظر: يحيى بن آدم: كتاب الخراج ت. أحمد محمد شاكر، بيروت، دار المعرفة ١٩٧٩ ص١٠١.

(٥٧) Glick: Islam and Christ. Sp. 71.

(٥٨) يحيى بن آدم: المصدر السابق ص١٠٠، ابن رشد: المقدمات الممهدات جـ٢ ص٢٩٦: الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص٢٧٤.

(٥٩) ابن سعيد: المغرب جـ٢ ص٣٦٨، الونشريسى المصدر السابق جـ١٠ ص٣٩٤- ٣٩٥.

(٦٠) القاضى عياض: مذاهب الحكام فى نوازل الأحكام، ت محمد بن شريفه، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٩٠ ص١٠٢- ١٠٣، ١٠٥، ٢٤٣، الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص٧٣، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٩٨- ٣٩٩، جـ١٠ ص٢٧٥- ٢٧٦.

(٦١) الونشريسى: نفس المصدر جـ٨ ص٢٩٥، جـ ١٠ ص٢٧٣. ويرى البعض أن مسئولية المزارع الفردية عن صيانة جزء من القناة الرئيسية التى تروى أرضه، هو جانب عام بالنسبه لأنظمة الرى فى منطقة البحر المتوسط، كما وجد كذلك فى القانون الخاص بتوزيع المياه فى منطقة بين الرافدين Mesopotamia وبعض المجتمعات الأخرى الموغلة فى القدم. انظر:

Glick: Isl and chr. sp. P.73

(٦٢) Levi- provencal: Hist. de L'Esp. Mus. T.111. p.280, Moreno and others: Hud. Asp. In Isl. cit. p.19.

(٦٣) Glick: Islam. and christ. PP.71- 72, Hyd. Tech. in Al- Andalus. P.978.

(٦٤) هما مبارك ومظفر العامريان. ابن الخطيب: الإحاطة، م٣ ص٢٩٢.

(٦٥) انظر:

Glick: Islam. and christ. P.73' Vallve: op. cit. P.294,

محمد عبد الله عنان: محكمة المياه بلنسية، مجلة العربى، ع١٥١، يونيه١٩٧١ ص٩٢- ٩٥.

(٦٦) Scott: Op. cit. vol. 111. P. 602.

(٦٧) يذكر الأستاذ محمد عبد الله عنان المياه فى بلنسية ترجع من الناحية الزمنية إلى العصر الرومانى إلا أنها اتخذت على يد مسلمى الأندلس نظمها الحالية. محمد عبد الله عنان: محكمة المياه بيلنسية ص٩٢.

(٦٨) ابن الخطيب: الإحاطة، م٣ ص٣٩٢.

(٦٩) محمد بن عبد الله عنان: محكمة المياه بيلنسية ص٩٢. وبناء على ذلك يذكر البعض أن هيئة المحكمة كانت تتكون- فى العهد الإسلامى- على الأرجح من عرفاء نواب المحتسب الذى كان من اختصاصه الفصل فى مثل هذه الخصومات المستعجلة. محمود شيت خطاب: كتاب خطة الحسبة، مجلة المجمع العلمى العراقى ج٢، م٣٩، ١٩٨٨ (٢٧١- ٣٣٠) ص٣١٠.

(٧٠) Levi- Provencal: Hist. de L'Esp. Mus. T. 111. P.280, وانظر أيضًا: أحمد مختار العبادى: الزراعة فى الأندلس وتراثها العلمى صـــ١١٧.

(٧١) للمزيد عن محكمة المياه انظر:

Scoot: op. cit. Vol. 111. p. 603.

(٧٢) G.k. Al- Alwani: The net. of irrig. Dit, in the Alpuja. P.1, 9.

(٧٣) إلش ولقنت من أعمال كورة تدمير بينهما خمسة عشر ميلاً، وهما من المدائن السبع التى صالح عليها تدمير. انظر عنهما: العذرى: المصدر السابق ص٥، ١٣٣- ١٣٤، ياقوت: معجم البلدان ت. فريد عبد العزيز الجندى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠ جـ١ ص٢٩١، الحميرى: المصدر السابق ص٣١، ١٧٠، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: La descrip. de L'Esp. de Razi- PP. 70- 71.

(٧٤) انظر: القاضى عياض: المصدر السابق ص١٠٠- ١٠١، الونشريسى: المصدر السابق جـ٨، ص٣٧، وانظر أيضًا:

Glick: Islam. and Christ. Sp. P.73.

(٧٥) Fila (أو Hilo, Hila بالقشتالية) ترجمة للكلمة العربية "خيط". وفى أسبانيا الآن مواضع باسم: Faitaner وAlfetami. انظر العذرى: المصدر السابق ص٩، الونشريسى: المصدر السابق جـ١ ص٥٧٢. وانظر أيضًا:

Glick: Hyd. Tech. in Al- Andalus. PP978- 979.

(٧٦) للمزيد انظر:

Glick: Islam. and Christ. Sp. PP.244- 245.

(٧٧) الطغنرى: المصدر السابق ص٣٧، ٦٢- ٦٣، مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية، ص٢، ٤- ٦، ١٧- ١٨، ابن بصال: المصدر السابق ص٤١، ٥٦، ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٢٩.

(٧٨) ابن بصال: المصدر السابق ص٥٦- ٥٧، ابن العوام المصدر السابق جـ٢ ص١، وانظر أيضًا:

Glick: Islam. and Christ. Sp. P.75, Vallve: Op. Cit.293.

(٧٩) ابن العطار: المصدر السابق ص٥٨ وما يليها.

(٨٠) ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ صـ٣٩. ولفظ فدان الأول يعنى الثورين اللذين يحرث بهما، وفدان الثانية هى المزرعة أو الحقل أى الأرض التى تحرث. انظر عبد العزيز الأهوانى: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية، م٣، ج٢، نوفمبر١٩٥٧ ص٢٥٨- ٣٢١.

(٨١) عن كيفية تسوية الأرض بهذه الآلات انظر: مؤلف مجهول منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص٨- ١٠، ابن بصال: المصدر السابق ص٥٥، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص١٤٧، أنظر أيضًا:

Dozy: op. cit. T.11. p.579, Glick: Isl. and chrs. P. 228, Imamuddin: Som. asp. P.74, Vallve: op. cit. p.293.

(٨٢) انظر: مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة ص٧، ابن بصال: المصدر السابق ص٥٥،

Glick: Isl and chris. PP.75- 76, 228, Imamuddin: Som. asp. PP.74- 75.

(٨٣) ابن بصال: المصدر السابق ص٣٩، ٤١- ٤٨، وانظر أيضًا:

Scott: op. cit. vol 111. P.604, Glick: Isl. and chr. P.75.

(٨٤) الطغنرى: المصدر السابق ص٣٩- ٤٢، ١٠٤، مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص١٢- ١٧ ابن بصال: المصدر السابق ص٤٩- ٥٣، أبو الخير الإشبيلى: كتاب الفلاحة، نشر خوليام. كاراباسا، مدريد١٩٩١، ص٨٦، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص١٢٣، ١٢٥- ١٢٨، وانظر أيضًا:

Scott: op. cit. Vol.111. p.604, Vallve: op. cit. 292.

(٨٥) الطغنرى: المصدر السابق ص٩٩، مؤلف مجهول: الفلاحة ص٧٦- ٧٧، عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٧٣، أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق ص٦٧- ٦٨، ابن العوام المصدر السابق؛ جـ٢ ص٤٢٩.

(٨٦) الطغنرى: المصدر السابق ص٦٦- ٦٨، مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة ص٩٦- ٩٧، ابن بصال: المصدر السابق ص١٦- ١٧ أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق صـ٦٦- ٧٠.

(٨٧) ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٩ ص٢١١- ٢١٢، الزجالى: المصدر السابق ق٢، م. رقم ٦٠٣، ٧٦٧ ص١٢٠، ١٥١، الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص٢٠٠، ٢٦٦.

(٨٨) ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٣٥- ٣٦.

(٨٩) ينسب التقويم اليوليانى إلى يوليوس قيصر Iulius Caesar الإمبراطور الرومانى، وكان فى الأصل من ابتكار الفلكى الإسكندرى سوسيجينس Sosigenes وجرى العمل به من أول يناير عام ٥٤ ق.م، وظل معمولاً به فى أنحاء العالم المسيحى حتى ٢٤ فبرايرعام ١٥٨٢م عندما أدخل عليه البابا جريجورى الثالث عشر Gregorgx111 بعض التعديلات. انظر فريمان. جرنفيل: التقويمان الهجرى والميلادى ت.حسام محيى الدين الألوسى، بغداد، مطبعة الجمهورية، ط٢، ١٩٨٦ ص١٥، عبد اللطيف أحمد على: التاريخ الرومانى، عصر الثورة، دار النهضة العربية ١٩٨٨ ص٣١٥.

(٩٠) Levi- Provencal: L'Esp. Mus. P.172.

(٩١) عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٤٥ ومايليها، ابن حزم: المحلى جـ٥ ص٢٦١- ٢٦٢، ابن بصال: المصدر السابق ص٥٩- ٦٠، ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٢٨- ٤٣١.

(٩٢) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٢٩، ٣٣، ٣٧، ٤٩، ٨٥، ١٨٧، ابن بصال: المصدر السابق ص٥٩، ٦١، ابن العوام: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٣٤- ٤٣٧.

(٩٣) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٦١ وما يليها، ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٣٨- ٤٤١.

(٩٤) عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٣١، ١٣٣، ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٤٢- ٤٤٤، وانظر أيضًا: Vallve: Op. Cit. P.295.

(٩٥) Levi. Provencal: Hist. de L'Esp. Mus. T.111. PP.270- 271, Vallve: op. cit p.294.

(٩٦) Levi- Provencal: L'Esp. Mus. P.162, E. Mitre: La Espana medieval. Sociedes, Estados, Culuras. Madrid. 1994. p.68.

(٩٧) انظر: ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٥٤. وكانت زراعة غالبية الحبوب والبقول بالطريقة البعلية التى تعتمد على الأمطار فى الرى أثره فى تعرض إنتاجها للتذبذب، والنقص الشديد فى أوقات قلة الأمطار، وهو ما كان يؤدى إلى أزمات طاحنة.

(٩٨) عبر ابن عبدون عن أهمية القمح بالنسبة للأندلسيين بقوله "وفى الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الأحوال، وينحل كل نظام". ابن عبدون: رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة، نشرها ليفى بروفنسال ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٥٥ ص٥.

(٩٩) Levi- provencal: L'Esp. Mus. Pp.162- 163, Hist- de L'Esp. Mius. T.111. pp.271- 273, 282, Glick: Isla and christ. Sp. Pp.81- 82, Vallve: op. cit. pp.295- 296.

(١٠٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٠٢، المقرى: المصدر السابق م١ ص٥٨٤، وانظر أيضًا:

Glick: Islam. And Christ. Sp. P.81, Vallve: op. cit. P.296.

(١٠١) العذرى: المصدر السابق ص١٧،

Levi- Provencal: Hist. de L'Esp. Mus. T.111. P.282, Glick: Isl. and Christ. Sp. P.81, Vallve: op. cit. P.297.

وتشتهر بلنسية اليوم بطهى من الطعام صنف من الطعام يقوم على: الأرز يسمى: Paella. وهو سويق الذرة. انظر: عبد الأهوانى ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م٣، جـ١، مايو١٩٥٧ ص١٢٧- ١٥٧، أحمد مختار العبادى: الزراعة فى الأندلس. ص١١٥.

(١٠٢) الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤٤، ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٣٥، ٤٢٩ وما يليها.

(١٠٣) E.G. sanchez: Agricalture in Muslim Spain the Legacy of Muslim spain. Leiden. 1992. PP.987- 1000.

(١٠٤) انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٤٦- ٤٧، المقدسى: المصدر السابق ص٢٣٣- ٢٣٥، العذرى المصدر السابق ص٩٥، البكرى: المصدر السابق ص١١٤، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٧١- ٥٧٣، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩١- ٢٩٢، ٢٩٤- ٢٩٦ وانظر أيضًا:

Levi- provencal: L'Esp. Mus. PP.164- 165.

(١٠٥) E.G. Sanchez: Agric. In Mus. Sp. PP.987- 999.

(١٠٦) خاصة فى إشبيلية وإلبيرة والمنكب وشلوبينيه وشلب. انظر العذرى: المصدر السابق ص٩٦، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٨٣، ٢٩٣، الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص٢٩٨.

(١٠٧) انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٦١، ٨٢، المقدسى: المصدر السابق ص٢٣٤، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤٣، ٥٤٧، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de L'Esp. Mus. T.111. P.277, Imamuddin: Som. Aspec. P.84.

(١٠٨) انظر: الزهرى: المصدر السابق ص١٠٢، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤٣، ٥٧٠، المقرى: المصدر السابق م١ ص١٥١، ٢٠٠، م٣ ص٢١٣، ٢١٩، وانظر أيضًا:

Levi- provencal: L'Esp. Mus. P.167, Hist. de l'esp. Mus. T.111. P.283, Glick: Islamic. P.79.

(١٠٩) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٥٤، العذرى: المصدر السابق ص٥٥، الحميرى: المصدر السابق ص٢٢، ١٠٦، ١١٣، ١٦٤، ١٧٢، ١٩٧.

(١١٠) انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص٤٩، ٦١، ٦٣، ٧٥، ٧٧، ١٠٣، ١٠٥، ١١٧، ١١٩، ١٣١، ١٣٣، ١٤٥، ١٧٣، ١٨٧ وانظر أيضًا:

Vallve: op. cit. P.295, E.G- Sanchez Agric. In Mus.Spa. P.987- 999.

(١١١) فى الحقيقة اشتهرت كل أرياف إلبيرة بإنتاج أجود الكتان، فإلى جانب قرى جبل الثلج، كان هناك "أندرش" و"قونقه" أو "قونكه" وكان كتان إلبيرة- لجودته- يعم الأندلس ويصدر إلى أقاصى العالم الإسلامى. انظر البكرى: المصدر السابق ص٨٥ ياقوت: المصدر السابق جـ١ ص٣٠٩، جـ٤ ص٤٧١ الحميرى: المصدر السابق ص٣١- ٣٢، ١١٢، وانظر أيضًا:

Levi- provencal: I'E.sp. 170.

(١١٢) ابن غالب: المصدر السابق ص٢٨٥.

(١١٣) ياقوت: المصدر السابق جـ٧ ص١٩٦.

(١١٤) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٩٨، الحميرى: المصدر السابق ص١٦٨.

(١١٥) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس، ص٧٠، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩٢- ٢٩٣ الحميرى: المصدر السابق ص٢١، ١٩٢،

Levi- Provencal: l'Esp. P.170, Hist. de l'Esp. T111. P.285, Glick:Isl. and Christ. P.78, valve op. Cit. P.297.

(١١٦) انظر الحميرى: المصدر السابق ص١٧٠، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: l'Esp. Mus. P.170, Vallve: op. cit. PP.297- 298, E. Mitre: Op. cit. P.70.

(١١٧) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٥، ٤٨، ٨١، ٨٧، مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافية ص٨٢، ٨٦- ٨٧، العذرى: المصدر السابق ص٩٦، المقرى: المصدر السابق م١ ص١٣٠، ١٤٠- ١٤١، ١٤٣، ١٤٩، ١٧٩، ١٩٩،٢١٧. وانظر أيضًا:

Levi- provencal: l'Esp. Mus. PP.169- 170

(١١٨) الغافقى: منتخب كتاب جامع المفردات، نشر ماكس مايرهوف، وجورج صبحى، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ب. ت ص٢٦، ٣٠- ٣١، ٣٨، ٤٢- ٤٣، ٥٠.

(١١٩) مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص٨٦.

(١٢٠) Scott: op. cit. vol. 111. p.606.

(١٢١) انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٦٧، المقتبس ت. العربى ص٣٠، المقتبس جـ٥، ص١٧٦، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٥٥، ٥٨٠، ابن غالب: المصدر السابق، ص٢٨٤، ٢٨٦، ياقوت المصدر السابق جـ٥ ص٤٨٦، الحميرى: المصدر السابق ص١٢٤، ١٩٨ وانظرُ أيضًا:

Levi- provencal: l'Esp. Mus. 165, Glick: Isl. and chris. P.107.

(١٢٢) الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٩، الحميرى: المصدر السابق ص١٦١، وانظر أيضًا:

Levi- provencal: l'Esp. Mus. P.165, Hist de l'Esp. Mus T.111 PP.288- 298.

(١٢٣) Levi- Provencal: Ibid. P.289, E.G.Sanchez, Agric.in Mus. Sp. pp.107- 108.

(١٢٤) Glick: Islam. And Christ. Sp. pp107- 108.

(١٢٥) Levi- provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T.111. P.285, Imamuddin: som- asp. P.6, 12, Glick: Islam- and christ- sp. pp. 104- 105.

(١٢٦) انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٧٤، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٦٤، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤٤، ٥٤٧، ٥٥٢، القزوينى: المصدر السابق ص٥٤١، ٥٤٥، الحميرى: المصدر السابق ص٢١، ٧٠، ١١١، ١٣٢- ١٣٣، ١٤٥، ١٦١، ١٦٨.

(١٢٧) Levi- provencal: l'Esp. Mus. p.164.

(١٢٨) ابن رشد (الجد): البيان والتحصيل جـ١٠ ص٣١٣- ٣١٦.

(١٢٩) يشمل لفظ "الغنم" أو الأغنام الضأن والماعز. انظر ابن حزم: المحلى جـ٤ ص٢٦٧.

(١٣٠) Levi- Provencal: Hist de l'Esp. Mus. T.111. p.286

(١٣١) انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١١، ١٩، المقتبس جـ٥ ص٨٠، العذرى: المصدر السابق ص١٤، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٥٢، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢، ص١٠، الحميرى: المصدر السابق ص١٣٢- ١٣٣، ١٤٢، ١٤٥، المقرى: المصدر السابق م١ ص٢٦١.

(١٣٢) عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٥٩، ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٤٢، ٤٧٤- ٤٧٥.

(١٣٣) ابن رشد (الجد): البيان والتحصيل جـ١٦ ص٢٤٢، ابن سعيد: المغرب جـ٢ ص١٨٦، الونشريسى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٥١، جـ٨ ص٢٣١- ٢٣٢. وكانت كلاب الحراسة ذات مواصفات خاصة وضحتها المثال الشعبية فجاء فى أحدها قولهم: "بحل كلب غنام، عريض الجبهة غليظ الشفايف". الزجالى: المصدر السابق ق٢، م. رقم٦٣٨ ص١٢٦.

(١٣٤) الزبيدى: لحن العامة ص٢٦٦.

(١٣٥) E. Mitre: op. cit. p. 70.

(١٣٦) ابن عبدون: المصدر السابق ص٤٤.

(١٣٧) كتاب صورة الأرض، القاهرة، دار الكتاب الإسلامى، ب. ت ص١١٠.

(١٣٨) نفس المصدر ص١١٢.

(١٣٩) الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٥٢، الحميرى: المصدر السابق ص١٣٢- ١٣٣، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T.111. P.286, Vallve: op. cit. p.305

(١٤٠) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٢٢٣، ابن غالب: المصدر لسابق ص٢٨٩، القزوينى: المصدر السابق ص٥٥٦، الحميرى: المصدر السابق ص١٤٢، ١٧٢، Vallve: op. cit. P.305.

(١٤١) الزبيدى: لحن العامة ص١٣٩.

(١٤٢) الونشريسى: المصدر السابق جـ٩ ص١٠٨- ١١٠. ولم ترد إشارات فى المصادر تدل على تربية الجاموس سوى ما ذكره ابن حيانه من أن الأمير محمد كان "معجبًا بالجواميس من دواب أهل المشرق مستدعيًا لها من التجار مستكثرًا منها" ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٢٧٦- ٢٧٧. وإن كان ليفى بروفنسال يذكر أن المسلمين استخدموا الجاموس فى أعمال الحقل لأنهم لم يستسيغوا لحمه.

Levi- Provencal: Hist- de L'Esp. Mus. T.111p.286.

(١٤٣) دوزى: تاريخ مسلمى أسبانيا ت. حسن حبشى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣ جـ١ ص٢١٢.

(١٤٤) موريس لومبار: الإسلام فى مجده الأول ت. إسماعيل العربى، منشورات دار الآفاق، ط٣، ١٩٩٠ ص١٢٣- ١٢٤- ٢٥٠.

(١٤٥) العذرى: المصدر السابق ص٢، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٩٩- ١٠٠، ١٠٢، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist- de l'Esp. Mus. T.111. P.285, Vallve: op. cit. p.305.

(١٤٦) انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص٤٥، ٥٧، ٦٣،٦٩، ٧١، ٩٧. وكانت آلة الحرب الأندلسية تستهلك أعداداً هائلة من الخيول. انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٢٧١- ٢٧٢، ٣٤٨، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٠٩، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٩٩- ١٠٠، ١٠٢.

(١٤٧) ابن حوقل: المصدر السابق ص١٠٩.

(١٤٨) ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٧٧، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist- de L'Esp. Mus. T.111pp.285- 286, Imamuddin: Som aspect. PP. 92- 93.

وقد استخدم الناصر ١٤٠٠ بغل فى بناء مدينة الزهراء التى استغرق بناءها ٢٥ سنة، كما لعبت البغال دورًا أساسيًا فى الجيوش الأندلسية حيث استخدمت فى أغراض الحمل والركوب انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٠٠،
Vallve: op. cit. p.306.

(١٤٩) ابن حوقل: المصدر السابق ص١١٠.

(١٥٠) ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٧٧، ٤٧٩- ٤٨١،
E. Mitre: op. cit. P.70

(١٥١) عادل سعيد بشتاوى: الأندلسيون المواركة، القاهرة، انترناسيونال برس ١٩٨٣ ص٧٢.

(١٥٢) ومثلها مثل الدواب السابقة لعبت الإبل دورًا لا بأس به فى الجيوش الأندلسية حيث كانت تستخدم فى أغراض الحمل. ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص١٠٠.
Vallve: op. cit. p.307.

(١٥٣) E. Mitre: op. cit. P.70, Vallve: op. cit.307.

(١٥٤) نبعت قيمة العسل عند المسلمين من تقدير القرآن الكريم له. انظر: سورة النحل: آية ٦٩، سورة محمد: آية ١٥.

(١٥٥) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٥٢، ٧٣، ٨٠، مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافية ص٨٢، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٨، الزهرى: المصدر السابق ص٨٠، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩٠، ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٣٣٩، ٤٠٣، الحميرى: المصدر السابق ص١٦١،
Levi- Provencal: La descrip. de L'Esp. de Razi. P.87.

(١٥٦) العذرى: المصدر السابق ص٦٩، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٠٨.

(١٥٧) مؤلف مجهول: كتاب بلاد الأندلس ص٥٧، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩١، ياقوت: المصدر السابق جـ٥ ص١٩، ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٤١١، المقرى: المصدر السابق م١ ص١٥٢.

(١٥٨) انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص٤٩، ابن العوام : المصدر السابق جـ٢ ص٧٢١- ٧٣٠.

(١٥٩) الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص١٩٢- ١٩٤.

(١٦٠) هناك نوع من الدببة تعرف بالإسبانية باسم oso colmenero أى دب الخلايا البرية لأجل العسل وقيل فيه المثل الإسبانى:

Adonde hallo un panalvuelve eloso ahusmear.

ومعناه: إذا وجدت الخلية يعود الدب يشمشم. كما قيل فى المثل العامى الأندلسى: "اشما عمل الدب يعجب للجَّباح"

(١٦١) Levi- Provencal: L'Esp. Mus. P.170, Hist- de L'Esp. Mus. T.111pp.28.

(١٦٢) مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافية ص٨٧، الإصطخرى: المسالك والممالك، ت. محمد جابر عبد العال الحينى، القاهرة١٩٦١ ص٣٦؛ الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٣٧، الحميرى: المصدر السابق ص٢٤.

(١٦٣) مؤلف مجهول: كتاب بلاد الأندلس ص٩٢، الإدريسى: المصدر السابق جـ٢ ص٥٦٨، ابن سعيد: المغرب المغرب جـ٢ ص٥١، ٢٢٥، الحميرى: المصدر السابق ص٣،١٤٣- ١٤٥.

(١٦٤) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٤٩.

(١٦٥) الونشريسى: المصدر السابق جـ٦ ص٢٥٤- ٢٥٥، جـ٨ ص١٩٢.

(١٦٦) Vallve: op. cit. PP.307- 308.

(١٦٧) انظر: ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٧٠٦- ٧١٧، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ١ ص٣٩٧.

(١٦٨) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٢٢، الحميرى: المصدر السابق ص٧٩.

(١٦٩) ابن العطار: المصدر السابق ص٧٠.

(١٧٠) ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٧٠٣- ٧٠٦. ومن المناطق التى اشتهرت بتربية الأوز منطقة "مرج الأوز" بإقليم قرطبة.Vallve: op.cit. P.308

(١٧١) كان الحمام يربى للحصول على لحومه اللذيذة، وزبوله الفائقة الجودة، وريشه الذى كان يدخل فى عدة استخدامات وهو ما دعى البعض إلى القول: "وفى الحمام مرفق كثير ومنافع جمه". ابن العوام: المصدر السابق جـ٢و ص٧٠١، وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T.111. P.287, Vallve: op. cit. p.308.

(١٧٢) ابن سهل: وثائق فى شئون العمران فى الأندلس، ت. محمد عبد الوهاب خلاف م. محمود على مكى، القاهرة، المركز العربى الدولى للإعلام ط١، ١٩٨٣ ص١٣٣، العمرى: وصف إفريقية والمغرب والأندلس، ت. حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، ب. ت ص٣٦.

(١٧٣) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام ت. نورة محمد عبد العزيز التويجرى، السعودية، ط١، ١٩٩٥، جـ٢ ص٨٢١- ٨٢٤، الونشريسى: المصدر السابق جـ٩ ص٤٢- ٤٤.

(١٧٤) انظر: مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٦٨، العذرى: المصدر السابق ص١٢٠، إسحاق ابن الحسين: آكام المرجان. ت. فهمى سعد، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨ ص١١٠، القزوينى: المصدر السابق ص٤٩٦- ٤٩٧، ٥٥٥، الحميرى: المصدر السابق ص١٥٢.

(١٧٥) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٥٤، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩١.

(١٧٦) ابن حزم: جمهرة أنس ب العرب ص٣٦٣.

(١٧٧) الونشريسى: المصدر السابق جـ٩ ص ١٠٩.

(١٧٨) من أصناف الطيور المصادة آنذاك: الشاذانقات، والبرك البرى، والغرانق، والبلوح واليمام، والدجاج البحرى، والفراطل، والشقاشق والحجل، والخطاف ورؤوس الغوابى. انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص٣٧، ٤٩، ٦١، ٦٣، ٧٧، ٩١، ١٠٥، ١١٩، ١٤٥، ١٥٩.

(١٧٩) ابن سهل: وثائق فى شئون الحسبة فى الأندلس. ت. محمد عبد الوهاب خلاف م. محمود على مكى، القاهرة، المركز العربى الدولى للإعلام ط١، ١٩٨٥ ص١٠٠، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٣ ص٣١١- ٣١٢.

(١٨٠) انظر: ابن خفاجة: المصدر السابق ص٦٤- ٦٦، المقرى: المصدر السابق م٣ ص٤٧٣.

(١٨١) الزهرى: المصدر السابق ص٩٤.

(١٨٢) العذرى: المصدر السابق ص٣١، الفشتالى: تحفة المغترب ببلاد المغرب ت.فرناندودى لاجرانخا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد م١٧، ١٩٧٢- ١٩٧٣ (٥- ١٨١) ص١٦٦.

(١٨٣) انظر: الزبيدى: لحن العامة ص١٩١، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٣ ص٣١٥، وانظر أيضًا: جمال محرز: الرسوم الجدارية الإسلامية فى "البرطل بالحمراء" مدريد ١٩٥١ ص٢٠- ٢١.

(١٨٤) عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٣٣، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٣ ص٣٠٣.

(١٨٥) ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩٦، ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص١٠٤.

(١٨٦) المقرى: المصدر السابق م١ ص٢٢٦.

(١٨٧) من ذلك نهر الوادى الكبير وكان حوته أطيب حوت يؤكل فى الأندلس، واختص نهر إبره بحوت "الطرخته" وهو حوت عظيم ليس له إلا شوكة واحدة، واشتهر نهر إشبيليه بأنواع عديدة من الأسماك منها البورى والشابل والنوريات، وتوافرت الأسماك أيضًا فى وادى آنه ووادى طرطوشة. انظر: مؤلف مجهول: مخطوط كتاب بلاد الأندلس ص٥٧، ٧٢، مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافية ص٨٥، الزهرى: المصدر السابق ص٨٨، ابن غالب: المصدر السابق ص٣٠٨، المقرى: المصدر السابق م١ ص٢٠٨. وانظر أيضًا
Levi- Provencal: La descrip. de L'Esp. de Razi. P.104.

(١٨٨) الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٥، القلقشندى: المصدر السابق جـ٥ ص٢١٩، الحميرى: المصدر السابق ص١٠١، ١٨٦.

(١٨٩) Glick: Islam. And Christ. Sp. P.244.

(١٩٠) مثل أشجار "السيكران". ابن رشد: التحصيل جـ٣ ص٣٠٣.

(١٩١) ابن رشد: نفس المصدر جـ٣ ص٣١٤- ٣١٥، جـ١٠ ص٢٧٨، الونشريسى: المصدر السابق جـ٩ ص٤٦.

(١٩٢) انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٥، المقدسى: المصدر السابق ص٢٣٩، البكرى: المصدر السابق ص١٢٥، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩١. ويبدو أنه كانت تستخرج كميات كبيرة من العنبر من سواحل الأندلس، فقد أهدى الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد للخليفة الناصر مائة أوقية "من العنبر الأشهب الذى بقى على خلقته ولم تدخله صناعة". المقرى: أزهار الرياض فى أخبار عياض ت. مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩- ١٩٤٠، جـ٢ ص٢٦٢.

(١٩٣) الحميرى: المصدر السابق ص١٩٨.

(١٩٤) ابن العطار: المصدر السابق ص١٩٩- ٢٠٠، ٤٠٣- ٤٠٤.

(١٩٥) عن الموارد المعدنية فى الريف الأندلسى انظر: مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٦- ٨، مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافية ص٨٢، ٩٤، الإصطخرى: المصدر السابق ص٣٦، العذرى: المصدر السابق ص٢، البكرى: المصدر السابق ص١٢٧- ١٣٠، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤٧، ٥٥٢، ٥٦١- ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٧٤، الحميرى: المصدر السابق ص٩٦، ١٢٦، ١٣٣، ١٥٩، ١٧١، المقرى: نفح الطيب م١ ص١٤١- ١٤٣، ١٦٢، ٢٠١.

(١٩٦) Levi- Provencal: l'Esp. Mus.P. 165.

(١٩٧) العذرى: المصدر السابق ص٩٥- ٩٦، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤١، الحميرى: المصدر السابق ص١٩، ٢١، ١٠١، Glick: Islam. and Christ.P. 79, Vallve: op. cit. P.298.

(١٩٨) الحميرى: المصدر السابق ص١١٧.

(١٩٩) ابن غالب: المصدر السابق ص٢٨٢، الحميرى: المصدر السابق ص١٦٢.

(٢٠٠) Levi- Provencal: Hist- de L'Esp. Mus. T.111.P.276, ImamuddinSom asp. P. 105, Vallve: op. cit. P.299.

(٢٠١) أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق ص١٧٥.

(٢٠٢) Levi- Provencal: Hist- de L'Esp. Mus. T.111.P.277.

(٢٠٣) عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطلب ت. كلمليو ألباريث دى موراليس، وفرناندو خيرون، مدريد ١٩٩٢، ص٦١. وانظر أيضًا: Vallve: op. cit. P.299.

(٢٠٤) انظر عريب بن سعد: المصدر السابق ص٣٧، ٧٥، ٧٧، ٨٥، ٩١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٩، ١٣١، ١٣٣، ١٤٥، ١٥٩، ١٧٣.

(٢٠٥) انظر مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٨٢، مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية، ص٥٦- ٥٧، أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق ص١٧٦- ١٨٥ وانظر أيضًا:

Levi- Provencal: l'Esp. Mus.PP. 168- 169, Hist. de l'Esp. Mus. T.111. P.277, 284.

(٢٠٦) عن أنواع الخبز المصنوعة فى الريف انظر: عبد الملك بن حبيب: المصدر السابق ص٥٤- ٥٥، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣٠١، ٣٢٨، ٣٤٦، جـ٢ ص٦٣، ٦٧، ٧٠، ٧٨، ٨١، ٩٤.

(٢٠٧) الطغنرى: المصدر السابق، ص٧٣- ٧٥، عبد الملك بن حبيب: المصدر السابق ص٦٠، ابن عبد الرؤوف: رسالة فى آداب الحسبة، نشر ليفى بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمى للآثار الشرقية، ١٩٥٥، ص١٠١. وقد استخدم الفلاحون العديد من المواد لتخمير اللبن وعقده مثل حب القرطم، وخل الأترج، وماء الحصرم، ولبن الشجر، وزهر الخرشف وغيرها. مؤلف مجهول فى الفلاحة ص٩٨.

(٢٠٨) الطغنرى: المصدر السابق ص٧٦، عبد الملك بن حبيب: المصدر السابق ص٦٠.

(٢٠٩) الطغنرى: المصدر السابق ص٨٠- ٨١، مؤلف مجهول:منظومة فى الفلاحة ص٥٨.

(٢١٠) مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة ص٥٧- ٦٠، ابن رشد: المقدمات الممهدات جـ١ ص٤٣٣. وبعد تغيير صفات الخمر على هذا النحو كان يتم تعاطيها على نطاق واسع فى الأندلس، لدرجة أنها من موضوعات الشعر الأندلسى. انظر: ابن دراج القسطلى: ديوان ابن دراج. ت.محمود على مكى، دمشق، ط١، ١٩٦١ ص٣٥، ابن حزم: رسائل ابن حزم جـ٢ ص١٩٤، ابن زيرى: مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، ت. ليفى بروفنسال، مصر، دار المعارف ١٩٥٥ ص١٨٥.

(٢١١) ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٤٢٣، جـ٢ ص١٥٤، ٢٧٤.

(٢١٢) خاصة فى المنكب التى كانت مركزًا لتصنيع السكر ومنها كان ينقل إلى بقية أنحاء الأندلس. العمرى: المصدر السابق ص٤٧.

(٢١٣) ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٣٩٣.

(٢١٤) الحياكة: هى عبارة عن نسج الخامة لصنع قطع من الأكسية غير المخيطة؛ أما الخياطة فهى عبارة عن تفصيل الملابس أو المنسوجات بشكل يناسب الجسم والأخيرة- فى رأى ابن خلدون- مختصة بالعمران الحضرى فى القرى والمدن، أما الحياكة فتناسب البدو الرحل لأنهم "يشتملون الأثواب اشتمالاً". ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص٩٥٢.

(٢١٥) Glick: Islam. and Christ.P. 243, E. Mitre: op. cit. P.70.

(٢١٦) المقرى: نفح الطيب م١ ص١٧٨.

(٢١٧) العذرى: المصدر السابق ص٩، الحميرى: المصدر السابق ص١٤٣- ١٤٤.

(٢١٨) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٩١، ١٣٣. كما كانت تصنع بعض الأفرية من أوبار حيوان القنلية، وبعض الثياب من أوبار إحدى دواب البحر التى كانت تخرج بشواطىء الأندلس الغربية. انظر: الإصطخرى: المصدر السابق ص٣٥، المقدسى: المصدر السابق ص٢٤٠- ٢٤١، المقرى: نفح الطيب م١ ص١٩٧- ١٩٨.

(٢١٩) ابن حوقل: المصدر السابق ص١٠٩.

(٢٢٠) العذرى: المصدر السابق ص٩، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٠، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٠١.

(٢٢١) ابن حوقل: المصدر السابق ص١٠٩.

(٢٢٢) جمال محرز: السجاد الإسلامى ومشتقاته فى إسبانيا، المجلة التاريخية المصرية م١١، ١٩٦٣ ص١٨٥.

(٢٢٣) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ت. فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٥٥ ص٩٣، وانظر أيضًا: Vallve: op. cit. P.297.

(٢٢٤) ابن حوقل: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢٢٥) الخشنى: قضاة قرطبة ص٦٩. وقد شرح صاحب "منظومة فى الفلاحة الأندلسية" طريقة الفلاحين الأندلسيين فى ذبع الكتان وتجهيزه بالتفصيل وكانت تعقد شركات زراعية لزراعة الكتان بين رب الأرض والفلاح الأجير، قد يشترط فيها رب الأرض- أحيانًا- على الأجير القيام بكل العمليات الزراعية حتى ينضج الكتان ويتم دباغته وخياطته ثم اقتسامه بين الطرفين على شروطهما. انظر مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص٨٢- ٨٣، الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص١٧٦.

(٢٢٦) مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافية ص٩٨، ياقوت: المصدر السابق جـ١ ص١٩٦، ٣٠٩، جـ٤ ص٤٧١.

(٢٢٧) الأسل: نبات "يخرج قضبانا دقاقا ليس لها ورق ولا شوك... يتخذ منه الحصر ويدق فيتخذ منه حبال... ولا ينتت إلا قرب الماء". الغافقى: المصدر السابق ص٣٨- ٣٩.

(٢٢٨) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص١٠٢، السقطى: كتاب فى آداب الحسبة، نشر ليفى بروفنسال، ج. س. كولان، باريس، أرنى ليرو، ١٩٣١، ص٦٤، ابن هشام اللخمى: المصدر السابق م٢ ص٣٣١.

(٢٢٩) يذكر صاحب "أخبار مجموعة" أن الجنود المرافقين لبلج بن بشر القشيرى لما نزلوا الأندلس وجدوا بها "جلودًا مدبوغة كثيرة فقطعوا منها المدارع". مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٣٩.

(٢٣٠) الأقراق: مفردها قرق ويطلق على نوع من النعال، واللفظ مستعمل فى المغرب وبعض مناطق مصر. وانتقل من العربية إلى الإسبانية فى صورة Alcorque، وأصله من اللاتينية Quercus وتطلق على لحاء شجر الفلين التى تصنع منها النعال انظر: Simonet: op. cit. PP.131- 132, Dozy: Dictionnaire detalle des noms des Vetments chez les Arabes. Amsterdam. 1843. PP. 362- 363. وانظر أيضًا: عبد العزيز الأهوانى: ألفاظ مغربية. مجلة معهد المخطوطات العربية م٣ جـ٢ ص٣٠٥.

(٢٣١) Glick: Islam. and Christ.sp. P. 229

(٢٣٢) الإصطخرى: المصدر السابق ص٣٥، العمرى: المصدر السابق ص٤٨.

(٢٣٣) القرمز: صبغ أحمر، وأصله من دود ينسج حول نفسه مثل دودة القز. الزجالى. المصدر السابق ق٢ ص٨١.

(٢٣٤) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٧٢، البكرى: المصدر السابق ص٨٨، ١٢٧، المقرى: نفح الطيب م١ ص١٤٣، ٢٠٨.

(٢٣٥) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٩١، ١٣٣، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٠١.

(٢٣٦) عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٤٥، Levi- Provencal: L'Esp. Mus.P. 173.

(٢٣٧) ابن حوقل: المصدر السابق ص١٠٩، السقطى: المصدر السابق ص٦٣، الغافقى: المصدر السابق ص٣٧- ٣٨. وانظر أيضًا: Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus.T.111. P.284.

(٢٣٨) Glick: Islam. and Christ.Sp. PP. 107- 108.

(٢٣٩) انظر صفة هذه الآلة وطريقة عملها عند ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٥٧- ٤٥٩.

(٢٤٠) عن المرجيقل انظر: مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص٨، ابن بصال: المصدر السابق ص٥٥ وأنظر أيضًا nonet: op. cit. PP. 390-391, Dozy: Sup. Aux dic. Vol. 11. P. 579.

ومن الأدوات الزراعية الخشبية أيضًا: العصى والمرازب الخشبية التى كانت تستخدم فى درس القمح والأرز، وكذلك "المذرى" وهى خشبة ذات أصابع كانت تستخدم فى تذرية القمح والشعير وغيرهما، وكذلك أذرعة القياس والتى كانت تستخدم فى قياس الأرض. مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص١٠، ٧١، ٧٣- ٧٤، ابن هشام اللخمى: المصدر السابق م٢ ص٣٦٢.

(٢٤١) Glick: Islam. and Christ.Sp. PP. 230- 232

(٢٤٢) انظر الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٥٩، القزوينى: المصدر السابق ص٥٤٥، ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص١٠٠، Glick: Islam. and Christ.Sp. PP. 232- 233, vallve: op. cit. P. 296.

(٢٤٣) ومن الصناعات الخشبية أيضًا صناعة المعاصر والقناطر الخشبية، والسلالم. انظر ابن عبدون: المصدر السابق ص٣٦، ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٧٢١- ٧٢٢، وانظر أيضًا Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus.T.111. P.287, 289, vallve: op. cit. P. 307, E. Mitre: op. cit. P. 70.

(٢٤٤) مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس، نشر هويثى ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، م٩، ١٠، ١٩٦١- ١٩٦٢ ص٨٤.

(٢٤٥) الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٩، الحميرى: المصدر السابق ص١٦٥. وكان بساحل شذونة نوع من الأخشاب يسمى: "المقل" كانت تصنع منه الغرابيل. الحميرى: نفس المصدر ص١٠١.

(٢٤٦) الطغنرى: المصدر السابق ص٧٣- ٧٤.

(٢٤٧) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٥٤. وكذلك أندرش "فليس فى الدنيا مثل فخارها للطبخ" القلقشندى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٢١.

(٢٤٨) Glick: Islam. and Christ.Sp. PP. 239- 240.

(٢٤٩) ابن غالب: المصدر السابق٢٨٣.

(٢٥٠) E.g Sanchez: Agric. In Mus. spa. PP. 987- 999.

(٢٥١) الزبيدى: لحن العامة ص١٥٢.

(٢٥٢) أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق ص١٤٣- ١٤٤.

(٢٥٣) مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص٤٠، ابن حيان: ت. العربى ص٨١، أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق ص١٢٢، ١٥٩، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٢٣٦، ٣٥٧.

(٢٥٤) سوف نقدم قائمة بهذه الأدوات فى ملحق الرسالة.

(٢٥٥) Vallve: op. cit. P. 299, 307.

(٢٥٦) Glick: Islam. and Christ.Spa.PP. 69- 70, watt: Ahistory of Islamic Spain. Edinburgh 1965. P.50.

(٢٥٧) انظر ما ذكرناه فى الفصل الأول عن تأثير الفتن والثروات على التجارة الريفية.

(٢٥٨) الدروب هى تلك الطرق التى كان يسلكها المسلمون بين الهضاب والجبال فى طريقهم من سهول الجنوب والوسط إلى النواحى الساحلية العامرة فى أقصى شمال الأندلس، ومعظمها طرق رومانية قديمة. انظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩ ص٣٤٥.

(٢٥٩) B. P. Maldonado: op. cit. P. 91.

(٢٦٠) اليعقوبى: المصدر السابق ص٣٥٤.

(٢٦١) ابن حوقل: المصدر السابق ص١١٠- ١١٢.

(٢٦٢) ورد مصطلح "المحلة" عند الجغرافيين والمورخين المسلمين بمعنى المكان أو الموضع الذى يستطيع الراكب أو المسافر أن يستريح فيه، ويتزود لمواصلة رحلته. والمحلات- على هذا النحو- عبارة عن محطات متعارف عليها بين المسافرين والتجار، وتقع على أبعاد متقاربة، تقدر أحيانًا بعشرين ميلاً انظر: ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص٤٣، العذرى: المصدر السابق ص٣، ١١٠، وانظر أيضًا: حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، مكتبة مدبولى ١٩٨٦ ص٨٥.

(٢٦٣) ابن حوقل: المصدر السابق ص١١١.

(٢٦٤) المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٢٦.

(٢٦٥) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص١٥٤.

(٢٦٦) انظر: المالقى: الأحكام ت. الصادق الحلوى، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٩٢ ص٢٨٦، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٤٠، الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص٢٦٢- ٢٦٣.

(٢٦٧) انظر: الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٠، Levi- Provencal: L'Esp. Mus.P. 165.

(٢٦٨) وهذا الطريق كان يمر بعدة قرى ساحلية هى: البجانس، برجه، دلاية، عذرة، بليسانة، بطرنة، شلوبينيه، شاط، طرش، الفشاط، الصيرة، وبزليانه. انظر الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٣- ٥٦٥.

(٢٦٩) راجع ما ذكرناه عن خصائص الأنهار الأندلسية وسماتها فى الفصل اول من الرسالة.

(٢٧٠) ابن سهل: نوازل الأحكام ص٢٣٣. وانظر أيضًا: محمد عبد الوهاب خلاف: قرطبة الإسلامية فى القرن الخامس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ص٣٤- ٣٥.

(٢٧١) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص١٧٦، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١٠ ص٣٣٧، الونشريسى: المصدر السابق جـ٩ ص٥٢، وانظر أيضًا:
Glick: Islam. and christ.Sp.P.108.

(٢٧٢) ابن عبدون: المصدر السابق ص٤٧.

(٢٧٣) الزبيدى: طبقات النحويين. ص٢٥٣، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤٤، ٥٤٩، ٥٦٠، ٥٧٤، القلقشندى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٣٥. وقد أقيمت العديد من القناطر والجسور عبر هذه الأنهار لربط الطرق البرية- التى تقطعها الأنهار- ببعضها، ويرجع الفضل فى ذلك إلى حكام الأندلس الذين أولوا ذلك عنايتهم بداية من السمح بن مالك الذى أعاد بناء قنطرة قرطبة سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م. ثم أولاها حكام بنى أمية عنايتهم نظرًا لأهميتها فى ربط قرطبة بجنوب الأندلس وشرقها. وأقام المنصور بن أبى عامر قنطرة أخرى على نهر قرطبة لتخفيف الضغط على القنطرة القديمة سنة ٣٧٩هـ "فعظمت بها المنفعة" وأقام قنطرة أخرى على نهر إستجه (نهر شنيل).

كما أمر الناصر بإصلاح قنطرة طليطلة بعد فتحها سنة ٣٢٠هـ. وانظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص٦٢، ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص ٣١٩، المقرى: نفح الطيب م١ ص٤٠٨- ٤٠٩. وانظر أيضًا: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ب. ت. ص٤١٤- ٤١٥، B. P. Maldonado: op. cit. P. 91.

(٢٧٤) Glick: Islam. and christ.sp.P.119.

(٢٧٥) Imamuddin: som aspects. P.125.

(٢٧٦) الفشتالى: المصدر السابق ص٢١.

(٢٧٧) الحميرى: المصدر السابق ص١١٧.

(٢٧٨) Imamuddin: some aspects. P.125.

(٢٧٩) Glick: Islam. and christ.sp.P.119.

ولدينا العديد من الأمثلة الأخرى على الأسواق الريفية الدورية مثل سوق قرية فيسانة، وسوق حصن بكيران، وأسواق قرية برجه، وأسواق حصن قيشاطه، وسوق حصن أشر، وسوق حصن القبذاق. وقد وصفت هذه الأسواق بأنها كانت "عامرة" "ومشهودة" أي عامره بالسلع والبضائع، ومحل شهود وتجمع الفلاحين من القرى المجاورة. انظر الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٤١، ٥٥٧، ٥٦٣، ٥٦٩- ٥٧١. وقد ذكر المقرى أن لإقليم الشرف قرى كثيرة "كل قرية عامرة بالأسواق" المقرى نفح الطيب م١ ص١٥٩.

(٢٨٠) Glick: Islam. and christ.sp.P.119.

(٢٨١) انظر ابن رشد: البيانت والتحصيل جـ٧ ص١٨٨- ١٨٩، جـ١١ ص١٦٨، الونشريسى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٤، ٢٥١، ٢٥٧.

(٢٨٢) بيع الغرر وهو الخطر كبيع الطير أو السمك قبل أن يصطاد انظر: الخوارزمى مفاتيح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ب. ت ص١٣.

(٢٨٣) ابن العطار: المصدر السابق ص٣٨٤ وما يليها، الونشريسى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٥٨.

(٢٨٤) انظر كامل هذه الشروط عند ابن رشد (الجد): المقدمات الممهدات جـ٢ ص٢٦.

(٢٨٥) ابن العطار: المصدر السابق ص٤٢ وما يليها، عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق ص٢٩٥- ٢٩٦.

(٢٨٦) ابن العطار: المصدر السابق ص٥٥- ٥٧.

(٢٨٧) انظر ابن سهل: نوازل الأحكام ص١٠٣، ابن رشد (الجد): البيان والتحصيل جـ١١ ص٩٤، جـ١٢ ص٦٩- ٧٠، ٨٠، ٩٥- ٩٦.

(٢٨٨) يحيى بن عمر: أحكام السوق ت. محمود على مكى ص١١٠- ١١١، ١١٣، وانظر أيضًا: النسخة التى حققها حسن حسنى عبد الوهاب من كتاب أحكام السوق، تونس، الشركة التونسية لتوزيع، ١٩٧٥ ص٥٢- ٥٣، ٦٣، ٦٥، ابن عبدون: المصدر السابق ص٤٢، ٤٥، ٥٧، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٩١. وتصور بعض الأمثال سلوك البائعين والمشترين ودور الدلالين فى التوفيق بين الطرفين بكل السبل الممكنة من ذلك قولهم: الفرس بميً، والمرجوع إلى وكأنه من نداء النخاسين أو الدلالين وقولهم: "من استمع من دلال، بقابلا فضل بلا رأس مال" كناية عن كذب الدلال. انظر: الزجالى: المصدر السابق ق٢م رقم٢٤١، ١٢٧٣ ص٥٤، ٢٩٤.

(٢٨٩) وفى ذلك قالوا: "إذا ريت أصفر سوق، وإذا رأيت أحمر ذوق". وسوق: بمعنى اشتر واحمل، وذوق: بمعنى تذوق قبل أن تشترى، واللون الأصفر فى بعض الفواكه دليل على النضج. الزجالى: نفس المصدر، ق٢، م. رقم ٥٨ ص١٧.

(٢٩٠) من ذلك قولهم: "بحل وزفى قف، كل شيء داخل إلا الرأس". الزجالى: نفسه ق٢، م. رقم ٦٧٥ ص١٣٣.

(٢٩١) انظر: ابن عبدون: المصدر السابق ص٣٥- ٣٦، ٣٨، ٤١، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص١٠٢، السقطى: المصدر السابق ص٤١، ٦٤- ٦٥، ٦٧، القشتالى: المصدر السابق ص٢١، الونشريسى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٤٩، جـ٦ ص٥٦.

(٢٩٢) السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الإسلام فىالأندلس، الإسكندرية، مؤسسة- شباب الجامعة، ١٩٨٥ ص٣٩.

(٢٩٣) ومن أمثلة تلك العيوب: قلة اللبن فى البقرة لمن اشترى لها اللبن، البقر غير الحرث إذ اشترى لأجل الحرث، عدم أكل البقرة للعلف والتبن، وإصابة دواب الركوب ببعض الأدواء والأمراض، ومن العيوب أيضًا التى كانت ترد بها الدواب اكتشاف أنها كانت مسروقة أو مغصوبة. انظر: السقطى: المصدر السابق ص٦٦، الونشريسى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٥٢- ٢٥٣، جـ٦ ص١٨٨- ١٩٠، ٢٢٠. لذلك قالوا فى أمثالهم "اخرج لسوق الدواب، تتعلم الجواب" الزجالى: المصدر السابق ق٢ ص٩٣.

(٢٩٤) ابن عبدون: المصدر السابق ص١٢.

(٢٩٥) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص٥١٩.

(٢٩٦) انظر: ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص١٥٤، ابن عبدون: المصدر السابق ص٤١ وما يليها، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩٦، ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص١٠٤.

(٢٩٧) Glick: Islam. and christ.sp.P.119- 120.

(٢٩٨) ابن عبدون: المصدر السابق ص٣٣.

(٢٩٩) السقطى: المصدر السابق ص١٤.

(٣٠٠) يحيى بن عمر أحكام السوق ت. محمود على مكى ص١٣٦- ١٣٧، أحكام السوق ت. حسن حسنى عبد الوهاب ص١٤٤- ١٦٦.

(٣٠١) السقطى: المصدر السابق ص٢٤، ٦٦، الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص١٩٠- ١٩١ وانظر أيضًا: Levi- Provencal: L'Esp. Mus.P. 163.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

١- عناصر السكان فى الريف:

(أ) العرب:

١- نبذة حول أعداد العرب فى الأندلس:

اختلفت المصادر حول تقدير أعداد العرب الداخلين إلي أسبانيا- بصحبة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ ٧١١م، ما بين ستة عشر رجلاً، وثلاثمائة رجل، وألفين من نحو اثنى عشر ألفاً هو قوام جيش طارق(١). وبعض المصادر الأخرى لا تحدد أعداد العرب فى جيش طارق(٢)، وقلة منها يلتزم الصمت إزاء هذه المسألة، بل ويشيرإلى أن جيش طارق مكوناً كله من البربر(٣).

وأمام تضارب أقوال المصادر لا نستطيع أن نجزم بشىء فى هذه المسألة سوى القول بأن معظم المصادر قد اتفقت على وجود العرب فى جيش طارق، وإن كانت أعدادهم قليلة.

وتباينت أقوال المصادر بشأن أعداد العرب المرافقين لموسى بن نصير الذى دخل الأندلس فى رمضان من سنة ٩٣هـ/ يونيه ٧١٢م، وتراوحت تقديرات المصادر حول عدد جيش موسى الذى كان يحوى أغلبية عربية- ما بين عشرة آلاف وثمانية عشر ألفا(٤).

ثم دخلت طائفة كبيرة من الجند العربى برفقة بلج بن بشر القشيرى سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م إلى الأندلس، وكان عددهم حوالى عشرة آلاف من عرب الشام(٥).

ودخلت الأندلس أعداد قليلة من العرب برفقة الولاة المعينين عليها، كما كانت الحال بالنسبة للوالى الحُرّ بن عبد الرحمن الثقفى سنة ٩٧هـ/ ٧١٦م،

والسمح بن مالك الخولانى سنة ١٠٠هـ/ ٧١٩م، وأبى الخطار الحسام بن ضرار الكلبى سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٣م(٦).

وقد تكاثرت أعداد العرب فى الأندلس- مع أن المصادر لا تذكر إحصاء عن أعدادهم(٧)- رغم قلة الأرقام التى أوردتها المصادر، والتى لا تتعدى بضعة آلاف، فإذا كانت أعداد كبيرة منهم قد قتلت أثناء الفتح وما تلا ذلك من حروب العصبيات، فكيف تكاثروا على هذا النحو الذى أدى إلى امتلاء الأندلس بأعداد كبيرة منهم؟(٨)

يمكن تفسير ذلك فى ضوء عدة عوامل: **العامل الأول:** هو أن العرب أكثروا من اتخاذ النساء مما أدى إلى كثرة نسلهم، فعلى سبيل المثال أنسل البيت الأموى الحاكم فى الأندلس ذرية كثيرة، فالأمير عبد الرحمن الأول كان له سبعة من الذكور ولهشام ابنه ستة منهم ولابنه الحكم ثمانية عشر ذكرًا أو عشرين، ولعبد الرحمن الأوسط مائة ولد نصفهم من الذكور، وللأمير محمد نيفًا وثلاثين ذكرًا، وللأمير عبد الله أحد عشر ذكرًا وللناصر مثله، هذا بخلاف أعداد الإناث(٩).

ولكن ماذا عن عامة العرب، والخاملين منهم؟ لدينا مثالان: الأول عن شخص يدعى حبيب بن عبد الله بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، ذُكر أنه مات قبل عبد الرحمن الداخل "عن أحد عشر ولدًا وفشا نسله"(١٠)، والمثال الثانى ويدعى وهب بن أيوب بن وهب وكان "يقال له نوح لكثرة ولده"(١١).

يتمثل العامل الثانى- الذى يفسر زيادة أعداد العرب فى الأندلس- فى الظروف السياسية التى ألمت بالعالم الإسلامى فى العقد الرابع من القرن الثانى الهجرى، فقد سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م وقام العباسيون بتتبع كثير من العرب الموالين للأمويين، فاتجهت أعداد كبيرة منهم إلى الأندلس(١٢)، حيث رافق ذلك نجاح عبد الرحمن الداخل فى تأسيس الإمارة الأموية فى الأندلس سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م، مما شجع الكثير من العرب- خاصة المتشيعين منهم لبنى أمية- على الاستقرار فى الأندلس.

أما **العامل الثالث** الذى يفسر زيادة العرب فى الأندلس، فهو عامل دعائى حيث صاحب فتح العرب للأندلس كثير من الأخبار- المبالغ فيها أحيانًا- عن ثراء الأندلس ووفرة نعيمها، وهى أخبار تواترت فى معظم الكتب التى تحدثت عن فتح العرب للأندلس[١٣].

أما **رابع العوامل** فهو عامل طبيعى حيث ساعدت الظروف الطبيعية فى الأندلس وتشابهها مع بلاد الشام، على زيادة الاستقرار العربى فى الأندلس، فالوحدة المناخية لحوض البحر المتوسط جعلت الانتقال- من منطقة إلى أخرى- داخله أمرًا ممكنًا، وأصبح العرب قادرين على الإقامة والاستيطان دون تغيير جذرى لأشكال استيطانهم وأنظمتهم وأساليب زراعتهم، وأنماطهم الغذائية، كما كان لتنوع البيئة الطبيعية فى الأندلس أثره فى توفر مختلف الظروف الطبيعية التى تناسب الاستيطان العربى المتنوع[١٤]، وسيتضح ذلك عند مناقشة الاستيطان العربى فى الريف.

واستمرت هجرات العرب إلى الأندلس منذ الفتح، وحتى أواخر عهد عبد الرحمن الناصر، وإن تفاوتت فى الأعداد، فقد اتسمت الهجرات العربية بالكثافة والكثرة فى أعقاب الفتح مباشرة وحتى منتصف القرن الثانى الهجرى، وقلت الأعداد بعد ذلك حتى اقتصرت على بعض الهجرات الفردية[١٥].

٢- مواطن استقرار العرب فى الريف الأندلسى:

كانت أرياف قرطبة مستقرًا لكثير من القبائل العربية الداخلة إلى الأندلس لدرجة أن البعض اعتبر قرطبة وأعمالها من مراكز العروبة فى الأندلس[١٦]، وأهم مواطن استقرار العرب فى أرياف قرطبة: "إقليم الصدف"[١٧]- أحد أقاليم قرطبة، وكان موطنًا لقبيلة الصدف اليمنية، وكانت "عقدة الزيتون بالمدور" مستقرًا للزعيم القيسى الصميل بن حاتم[١٨]، على حين كان "حصن المدور" مقرًا لاستقرار بعض بنى مخزوم، أما "حصن مراد"- بين إشبيلية وقرطبة- فكان موطنًا لقبيلة مراد العربية[١٩]. واستقرت قبيلة "بَلِى" اليمنية فى الموضع المعروف باسمهم بشمالى قرطبة[٢٠].

وفى أرياف إلبيرة استقرت مجموعة من القبائل والبيوتات المضرية واليمنية، فمن القبائل، والعشائر المضرية أفراد من غطفان استقروا فى قرية "اشكروس من إقليم الكنائس"، واستقرت نمير فى البراجلة Berchules، وفى قرية قسلة استقر بعض أفراد محارب- أما القبائل والعشائر اليمنية التى استقرت فى أرياف إلبيرة، فكان منهم: خولان حيث استقر بعض المنتمين إليها فى قرية "آجر من إقليم القلاعة"، واستقرت عَنس بجهة قلعة يحصب، واستقر بعض أفراد الأزد فى قرية شون Jun، وبعض أفراد كلب فى حصن ولمة- أحد حصون البراجلة، وفى قرية الملاحة من إقليم قنب قيس جنوب إلبيرة سكن بعض أفراد غافق اليمنية، واستقرت قبيلة همدان فى قرية أخذت اسمها هى قرية همدان على ستة أميال من غرناطة، ويبدو أن همدان كانت تقطن إقليمًا كاملاً من أقاليم إلبيرة سمى على اسمها. أيضًا- وهو "إقليم همدان" واستقر بعض أفراد عذرة فى قرية "دلاية"، واستقر بعض أفراد من جذام فى إحدى قرى قلعة يحصب[٢١].

وغلبت القبائل والعشائر اليمنية على أرياف إشبيلية حيث استقر فى "قرية البحريين" بنو بحر وهم فخذ من قبيلة لخم اليمنية، ومن لخم أيضًا ثوابة بن عدى بن عمرو بن الحارث اللخمى الذى كان يسكن قرية "آش" من إقليم الشرف بإشبيلية، وسكن ولده عمر قرية "لبص من إقليم البصل من أعمال إشبيلية أيضًا[٢٢]. واستقر بنو حجاج اللخميون فى "باديتهم بالسند المنسوب إليهم على خمسة عشر ميلاً من الحاضرة"[٢٣]. ومن اللخميين المستقرين بأرياف إشبيلية أيضًا "عطاف بن لقيم اللخمى" وكان مستقره بقرية "يومين" من إقليم طشانة Tocina، وفى قرية مُورِة من شرق إشبيلية كان يقطن أبو الصباح اليحصبى، شيخ اليمانية فى غرب الأندلس، وكان قوم من الأنصار يسكنون بقرية شوش الأنصار، واستقر بنو هوزن من حمير بقريتين سميتا باسمهم، وكان الغافقون- ومنهم كان والى الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى (١١٢- ١١٤هـ/ ٧٣٠- ٧٣٢م)- يسكنون برية مرنيانة- أو مرسانة أو مرجانة- الغافقيين بغربى إشبيلية على ضفة الوادى الكبير[٢٤].

وفى أرياف رية استقرت بعض العشائر القيسية واليمنية، فمن القيسيين بعض ذرية عمر بن الأسعد بن عمر بن الوليد بن عبد الملك الذين استقروا بجهة لنجش، وفى حصن وضاح استقر بنو النمر بن قاسط.

أما العشائر اليمنية، فقد استقر منهم بنو عاملة فى "بلة العاملين"، وبنو زياد بن عبد الرحمن من لخم بقرطمة Cartama، كما كان فحص رعُين موطنًا لذى رعين[٢٥].

وغلبت العشائر المضرية والقيسية على أرياف جيان حيث استقر بوادى عبد الله بنو عبيد الله بن عكاشه بن محصن، استقر بعض أفراد من كلاب فى لَخْشَبِل من شوذر من عمل جيان، وبنو الحصين بن الدجن- أحد أفراد عشيرة عقيل القيسية- فى منتيشة Mentesa ووادى أش، وفى "باغة التغلبيين" استقرت عشيرة تغلب[٢٦].

وفى أرياف بلنسية، استقرت كنانة- من مضر- بإقليم سمى باسمها هو "إقليم كنانة"، وكانت شارقة Jerica موطنًا لاستقرار بعض أشراف الخزرج من الأنصار، لذا سميت بقلعة الأشراف[٢٧] Castillo de la Nobles Jerifes.

وفى أرياف طليطلة استقرت بعض عشائر الأنصار حيث وُجِدَ مكان عرف بـ"جزء الأنصار"، كما استقرت بأرياف طليطلة "عموم كنانة"[٢٨].

وفى أرياف سَرقُسْطة استقر بعض الأنصار من الخزرج من ذرية سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجى بقرية قربلان، واستقر بعض أفراد من غافق بقرية نُبالش غربى سرقسطة، وفى قرية صالحة على طريق مالقة استقر بعض بنى القليعى المنتمين فى الأزد، وكانت قرية إختيانة من قبرة موطنًا لبنى خبيب وبنى قطنين المنتسبين فى الخزرج؛ وفى أرياف لبلة استقر بعض بنى هاشم حيث عرفت منازلهم هناك بمنازل الهاشمى، واستقر بعض أفراد من قبيلة معافر اليمنية فى قرية "شكنب من إقليم تاجرة الجمل" من عمل لوشة، واستقر بعض أفراد بلى اليمنية فى قرية الأرحا من عمل الجزيرة، واستقر بعض الكلبيين فى أرياف كورة مورور[٢٩].

وباستقراء أماكن استقرار العرب فى الريف الأندلسى نجد أن كل من العرب المضرية واليمنية قد استقروا فى أماكن متجاورة، وإن كانت هناك بعض المناطق التى تميزت بأغلبية قيسية مثل أرياف جيان- أو أغلبية يمنية- مثل أرياف إشبيلية. وقد أكد على ذلك التجاور أيضًا اليعقوبى فى إشاراته عن أماكن استقرار العرب فى الأندلس،(٣٠) كما أن صاحب "أخبار مجموعة" له إشارة مهمة تعزز هذا الرأى، ففى معرض حديثه عن بداية التجهيز للحرب بين المضرية واليمنية فى الأندلس قال: "فلحق خيار اليمن بابن حريث من كل جند... ولحق خيار مضر بيوسف والصميل لا يعرض أحد لأحد يخرج الجوار فيودع بعضهم بعضًا حتى يلحق كل رجل بقومه"(٣١).

وقد انتشر العرب فى كل مكان تقريبًا من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، وإن كانت أغلبية الوجود العربى قد تركزت فى الجنوب حيث صبغوا المنطقة الجنوبية بالصبغة الشرقية(٣٢).

ومن خلال استعراض مواطن استقرار العرب فى الريف يتضح أنهم نزلوا بالفعل أخصب الأراضى فاستقروا فى سهول ووديان الوادى الكبير فى إشبيلية وقرطبة، وفى سهول أودية: شنيل، وتاجة، وإبرة، وفى سهول شرق الأندلس الغنية فى مرسية وبلنسية، وفى السواحل الجنوبية الشرقية(٣٣). ولكن لا يعنى ذلك أن العرب قد استأثروا بأخصب الأراضى وأفضل النواحى كما يحلو للبعض أن يردد ذلك(٣٤)، لأن العرب تركوا لغيرهم أراضى ونواحى خصبةً عديدة لم يستقروا فيها، أو كان استقرارهم فيها ضعيفًا مثل أحواض: آنة، وتاجة، وشقورة، وشنقر والوادى الأبيض، ووادى لكه وغيرها، ثم إن العرب لم يختاروا أماكن استقرارهم، بل استقروا حيثما اتفق الأمر على طول خطوط الفتح، كما أن أبا الخطار فرق الشاميين فى الكور، ولم يعطهم حق الاختيار(٣٥).

٣- التطور الذى طرأ على العنصر العربى فى الريف:

يرفض جيشارًا قبول النظرية التقليدية التى تقول باندماج العناصر العربية فى المجتمع الأندلسى خلال السنوات الأولى من الفتح(٣٦)- تلك النظرية التى تستند إلى دخول الفاتحين العرب بدون زوجاتهم، وأنهم اتخذوا زوجات، وجاريات

إسبانيات، مما عزز من سرعة اندماجهم[٣٧]- ويستند جيشارًا فى رفضه لتلك النظرية على أن دخول العرب بدون زوجاتهم أمر لم يكن متفقًا مع عادات وتقاليد المجتمع العربى فى وقت الفتح، حيث كان وما يزال مجتمعًا قريبًا من أصوله البدوية، وبالتالى كان المحاربون يرحلون مع عائلاتهم وأسرهم[٣٨]. وربما يعزز رأى جيشارًا ما ذكره ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) من دخول بعض النساء بمصاحبة جيش الفتح، خاصة مع موسى بن نصير الذى اصطحب نسائه وبناته "وكان لا يغزو إلا بهم لما يرجو فى ذلك من الثواب"[٣٩].

ويضيف جيشارًا سببًا آخر لرفضه قبول النظرية التقليدية التى تقول باندماج العرب المبكر فى المجتمع المحلى وهو أن زواج العرب من النساء المحليات، لم يكن كافيًا لتحقيق الاندماج العربى الكامل فى المجتمع المحلى، لأن ذرية هذه الزيجات كانوا يعتبرون أنفسهم- بدون شك- كعرب خلص، ويتفق ذلك مع نظام القبائل والعشائر الذى كان يعد عنصرًا هامًا فى التكوين الاجتماعى للعالم الإسلامى فى مرحلة التشكيل، منذ بداية القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، وعليه، فإنه أكثر قربًا للحقيقة، وأكثر توافقًا لعقلية هذا العهد أن نفكر فى أن الذين استقروا فى الأندلس لم يكونوا سوى فصائل من القبائل، ولم يكن بمقدور الزواج المختلط- طبقًا لذلك، واستنادًا على المفاهيم العربية الخاصة بالقرابة- أن يغير من نظام المجموعات ذات الصفات العصبية التى كانوا ينتمون إليها[٤٠].

رغم وجاهة رى جيشارًا، واستشهاداته، إلا أن ذلك لا يعد كافيًا لدحض الرأى القديم القائل باندماج العرب لأول الفتح، كما أن رواية ابن قتيبة رواية مشكوك فيها إلى حد كبير، لأنها لم ترد فى أى مصدر أندلسى وليس معنى ذلك أننا نقبل الرأى القديم على علاته، بل من المنطقى القول بأن اندماج العرب قد تم بصورة تدريجية، وإن العناصر العربية، بقت إلى وقت متأخر محتفظة بهياكلها القبلية، وحرصت دائمًا على التأكيد على شخصيتها العرقية، داخل الجماعات القبلية والعشائرية، لدرجة أن البعض يرجعون القلاقل السياسية الخطيرة التى شهدها الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى إلى الأسباب العرقية[٤١].

إذن الاندماج لم يتم بين عشية وضحاها- رغم أن بوادره بدأت مبكرًا، باتخاذ الزوجات والمحظيات من النساء المحليات- بل استمر ذلك بصورة تدريجية، وخير شاهد على ذلك ما ورد عند المقرى (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) من قوله: "وكان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبى عامر... وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصبهم فى الاعتزاء"(٤٢).

معنى ذلك أن كل مجموعة من العرب نزلت بناحية ظلت محتفظة بكيانها القبلى- رغم تزاوجهم من أهل البلاد، وقد حافظت الدولة على هذا الكيان القبلى إلى أيام المنصور لأن هذه القبائل كانت أساسًا من أسس تكوين الجيش الأندلسى ونظام الضرائب(٤٣).

ويعبِّر ليفى بروفنسال عن اندماج العرب التدريجي بقوله: إن عرب المشرق جاءوا إلى إسبانيا، ومعهم أنماط حياة أسلافهم، تلك التى حافظوا على أشكالها، وبقيت مدة طويلة دون أن تمس، وكان من الضرورى أن يتمثلوا أرض شبه الجزيرة الإيبيرية فى بطء، وأن يكيفوا حياتهم مع واقعها تدريجيًا، وأن يتصلوا اجتماعيًا مع السكان الأصليين، وأدى هذا كله إلى أن تفقد التقاليد العربية والقبلية تدريجيًا شيئًا من حدتها(٤٤).

وقد أدت الإجراءات العسكرية التى اتخذها المنصور بن أبى عامر(٤٥) إلى سرعة اندماج العرب فى المجتمع الأندلسى، لأنها هدفت إلى إخمال العرب وإسقاطهم عن مراتبهم فى الجيش، والاعتماد على عناصر أخرى. ويرى البعض أن الإجراءات التى اتخذها المنصور ضد القبائل العربية، لم تكن إلا انعكاسًا لما آل عليه وضع العرب فى المجتمع آنذاك، حيث بدأوا يفقدون إحساسهم بأصولهم الشرقية، ويمتزجون أكثر فى المجتمع، وأصبح الشخص العربى ينسب أولاً إلى وظيفته قبل أن ينسب إلى قبيلته أو عشيرته، كما تفرقت العشائر التى تنتمى إلى بطن واحد أو قبيلة واحدة على امتداد الأرض الأندلسية، وامتزجت الدماء العربية الوطنية، وجعل الدين واللغة التالية لجيل الفتح، عربًا فى الظاهر، ولكنهم فى الواقع

كانوا أندلسيين[٤٦]. وأصبحت السمة الغالبة على هؤلاء هى الانتساب إلى الموطن أو المكان بدلاً من الانتساب القبلى، لأن الأنساب "فسدت" باختلاط العرب بالعجم، فدثرت بذلك العصبية، كما يذكر ابن خلدون[٤٧].

٤- المهن التى احترفها العرب فى الريف:

إلى جانب الاشتغال بالحرب والغزوات، امتهن العرب عدة مهن فى الريف، يأتى فى مقدمتها اشتغالهم بالفلاحة أو الزراعة، إذ ليس صحيحًا أن العرب احتقروا الأعمال الزراعية، وأقاموا فى المدن، كما يعتقد البعض[٤٨]، لأنه- ثبت كما رأينا- أن أعدادًا كبيرة منهم استقرت فى النواحى الريفية المختلفة، وإن من إستقر منهم بالحواضر والمدن لم يكن بعيدًا عن الاهتمام بالزراعة، إذ كان معظمهم يملكون ضياعًا فى الريف، يكلون أمرًا زراعتها إلى من ينوب عنهم، بل إن المستقرين منهم بالريف كانوا يفلحون ضياعهم بأنفسهم- كما سيأتى ذكره.

. ولدينا نص صريح يشير إلى احتراف العرب للفلاحة فى الريف، وما يتبعها من أعمال، فقد ذكر صاحب "بيوتات فاس الكبرا" فى معرض حديثه عن المهن التى احترفها العرب فى الريف قوله: "ومن احترف منهم فاحترف الفلاحة وخدمة أجنات غلة وغرس"[٤٩].

وقد فند ليفى بروفنسال زعم القائلين بازدراء العرب للعمل الزراعى بقوله: "لقد دأبنا على القول بأن الغزاة- على حد تعبيره- لم يكونوا راضين بالزراعة، وإنهم- علاوة على ذلك- كانوا يزدرون العمل الزراعى، وقد ظهر أن هذا الزعم لا أساس له، لأن المهاجرين العرب من إفريقيا والشام قد اهتموا بالتعاون لاستغلال الأراضى الزراعية فى إقطاعياتهم"[٥٠].

كما يرجع الفضل للعرب فى إرساء النظم الشامية فى الزراعة فى الريف الأندلسى، خاصة الجماعات الشامية التى استقرت فى النواحى الريفية. وكان من نتيجة اشتغال العرب بالزراعة فى الريف، بروز شكل من أشكال الزراعة، ارتبط بهم هو: الزراعة المعتمدة على الرى الصناعى، ليس هذا فحسب، بل إن الأساليب

الزراعية العربية كان لها انعكاسها وتأثيرها فى العناصر الريفية الأخرى مثل البربر والنصارى، الذين أصبحوا يقلدون العرب فى أساليبهم الزراعية، بل قلدوهم فى نمط حياتهم، واكتسبوا منهم العديد من الأذواق الغذائية(٥١).

واشتغل العرب بمهن أخرى مثل تدريس العلم، وتعليم الصبيان وإمامة المساجد ورعايتها، كما اشتغلوا بالصناعة والتجارة نحو "نسج حرير وبيعه غير منسوج وطيه، وبيع بز، وتسبب بجلبه، وبيع عطر، وسبك شمع، ونسج غزل الكتان، وبيع لبن البقر لمن يمخضه، ومن تدقع منهم يبيع الفاكهة والخبز والخضر"(٥٢).

وهكذا اشتغل العرب فى الريف بالعديد من المهن، مما كان له أثره فى اندماجهم فى المجتمع الأندلسى.

(ب) البربر

١- دخول البربر الأندلس:

دخل البربر إلى أسبانيا بصحبة طارق بن زياد، الذى أجمع معظم المؤرخين على أن البربر فى جيشه كانوا أغلبية، ذلك الجيش الذى كان يتكون من حوالى اثنى عشر ألف مقاتل(٥٣). وبعد انتصار طارق تقاطرت جموع البربر من العدوة المغربية "وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق"(٥٤).

ودخلت أعداد لا بأس بها من البربر بصحبة موسى بن نصير(٥٥). واستمر تيار الهجرة البربرية إلى الأندلس- بعد الفتح- متصلاً، خاصة بعد استقرار الأحوال فى الأندلس إثر نجاح عبد الرحمن الداخل فى تأسيس الإمارة الأموية سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م(٥٦).

ثم دخلت الأندلس عناصر بربرية أخرى منذ عهد الحكم المستنصر، وتزايدت أعدادهم بشكل كبير فى عهد المنصور بن أبى عامر(٥٧). وأهم ما كان يميز تلك الفئة التى دخلت الأندلس فى عهد المستنصر، والمنصور بن أبى عامر، هو أنهم كانوا عبارة عن عناصر مأجورة، تم تجنيدهم من شمال إفريقية كجزء من السياسة التوسعية التى أشرفت عليها الخلافة فى الأجزاء التى تقع خلف البحر المتوسط، وأنهم كانوا يشكلون فرقًا من المنشأة الخفيفة والفعالة حيث أبلوا بلاءًا حسنًا فى الحروب ضد نصارى الشمال، العناصر الخارجة عن سلطة الخلافة، ورغم أن عددهم كان يربوا على عدة آلاف، إلا أنهم لم يندمجوا مع السكان المحليين، وظلوا كمحاربين متوافقين مع هياكلهم القبلية تحت إمرة زعمائهم وقادتهم، وكان عدم اندماجهم فى المجتمع من أسباب كراهية أهل قرطبة لهم(٥٨)، مما أدى فى النهاية إلى اندلاع الصراع بين الطرفين، واجتياح البربر لكثير من المناطق الريفية، واستيلائهم عليها واستقرارهم فيها(٥٩).

على أن الهجرة البربرية الأولى، والتى حدثت فى إبان الفتح، وحتى نهاية القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، هى الأهم، خاصة فيما يتعلق بالتركيبة السكانية فى الأندلس، لأن البربر حافظوا على المظاهر المميزة لهم على مدار فترة زمنية طويلة، خاصة ما يتعلق بهياكلهم القبلية، ومن أهم ما ميزهم، فى تلك الفترة هو سرعة تشعبهم باللغة العربية، وامتزاج الأسر الكبيرة منهم، وتوحدها مع العناصر العربية على أساس ادعائهم النسب العربى(٦٠).

٢- مواطن استقرار البربر فى الريف الأندلسى:

استقر البربر فى أرياف جنوب الأندلس، خاصة فى أرياف الجزيرة الخضراء، ويبدو أن أعدادهم فيها كانت كبيرة لدرجة أن ثورة بربرية اندلعت فى جبال الجزيرة الخضراء سنة ٢٣٦هـ/ ٩٤٧م تزعمها حبيب البرنسى(٦١). وكان هناك موضعا بأقاليم الجزيرة الخضراء يدعى "جزء البربر"(٦٢)، دليلاً على استقرار القبائل البربرية.

وفى أرياف شذونة استقرت عشيرة "مغيلة" البربرية فى قرية وإقليم سمى على اسمها[٦٣]، كما استقرت "صدينة" فى منطقة أخرى حملت اسمها أيضًا من أرياف شذونة[٦٤]. وفى أرياف مورور استقر بعض أفراد من البربر البتر والبرانس كان أبرزهم بنو سابق الرديف[٦٥].

وفى أرياف إشبيلية وأحوازها، استقر بنو الخروبى من زناتة فى لقنت Fuente de cantos إلى الشمال الغربى من إشبيلية، واستقر بنو الليث من زناتة فى حصن "شذ فيلة" أو "شنت فيلة" Siete filla من أقاليم إشبيلية على الطريق بينها وبين قرطبة[٦٦].

وفى أرياف إستجة استقر فى أشونة Osuna (على بعد ٣٤ كم جنوب إستجة) استقر كل من: بنى عبد الوهاب بن ميمون بن أبى جميل- ابن أخت طارق بن زياد- من صنهاجة، وبنى طاهر بن مناع من صنهاجة أيضًا، وبنى طريف من مصمودة[٦٧].

وفى أرياف قرمونة استقرت مجموعات من البربر كان لها دور بارز فى أحداث الفتنة التى تفاقمت فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى، وبرز منهم زعماء مثل جنيد بن وهب، وقطاع طرق مثل "الطماشكة" الذى قطع الطريق بين إشبيلية وقرطبة[٦٨].

وفى أرياف قرطبة استقر بنو مشرف من ذوارة من كتامة فى قرية شقندة Secunca على بعد خمسة كيلو مترات من قرطبة- على الضفة اليسرى للوادى الكبير، واستقر بعض البربر غير المميزين فى قرية أنسر من عمل قرطبة[٦٩]. وعلى بعد عشرين ميلاً من قرطبة استقر بعض البربر فى حصن بلاى Poley وحصن منترك Monturque[٧٠].

واستقر البربر فى أرياف فحص البلوط إلى الشمال الغربى من قرطبة فى عدة أماكن مثل جبل البرانس (جبال المعدن)، وفى صَدْفُورَة- نسبة إلى قبيلة صدفورة البربرية، وفى حصن مسطاسة من أعمال أوريط- نسبة إلى قبيلة مسطاسة من البربر البرانس-، وفى "كُزْنَة- التى يُنسب إليها منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة[٧١].

وفى أرياف جيان استقر البربر فى عقبة الهواريين- نسبة إلى قبيلة هوارة البربرية، وفى قرية الملاحة استقر بعض أفراد من صنهاجة[٧٢].

وفى أرياف إلبيرة استقر بنو المهلب من كتامة فى حصنى: "قَرْنِيرَة" و "وأشْبَرْ غِيرَّة" وفى أرياف قبرة استقر بعض بربر مصمودة فى بيانه، واستقرت جموع كبيرة من البربر فى أرياف تاكرنا[٧٣].

وفى أرياف وسط وغرب الأندلس استقر البربر فى مناطق عديدة مثل حصن سكتان أو سكيان إلى الغرب أو الشمال الغربى من طلبيرة. وفى منطقة الجوف- التى تقابل استرامادورا الحديثة- استقرت أعداد كبيرة من البربر، لدرجة أن المنطقة سميت ببلاد البربر[٧٤].

وفى أرياف ماردة استقر بعض أفراد من نفزة، ومكناسة، ومصمودة، وهوارة[٧٥].

وفى لجدانية وقورية من غرب الأندلس استقر بعض البربر مكناسة، واستقر بعض أفراد من مصمودة فى أرياف إشبونة، وفى قلنبيرة Colenbira (جنوب البرتغال الحالية، وفى قلمرية Coimbra[٧٦].

وفى أرياف شرق الأندلس، استقر البربر فى أرياف بلنسية، فقد ذكر العذرى إقليمًا باسم "إقليم زناتة" ضمن أقاليم بلنسية، و"جزء مصمودة" ضمن أجزائها. استقر بنو قاسم من كتامة فى قرية البونت Alpuente، ولا تزال إحدى القرى تحمل اسمهم، وهى قرية بنى قاسم Benicasim واستقر بعض أفراد من صنهاجة فى موضع عرف بالصنهاجيين من أعمال تدمير، ولا تزال هناك أماكن تنسب إلى صنهاجة منها Ceneja أو Senija أو Sonija بالقرب من لقنت[٧٧].

ويبدو أن قرية "أوربة" من أعمال دانية كانت موطنًا لقبيلة أوربة البرانسية، وهى الآن تسمى Orba و Oliva. وفى لقنت نسبت بعض الأماكن إلى قبيلة هوارة مثل Alaguar و Alahuar. كما نسبت مواضع عديدة- أيضًا- فى شرق الأندلس إلى قبيلة زناتة مثل: Adzaneta و Zaneta و Ceneta[٧٨].

وفى أرياف شمال شرق الأندلس، استقر بعض أفراد من هوارة ومديونة فى شنتبرية، وكان بنو ذى النون من مشاهير هوارة فى هذه المنطقة حيث سيطروا على عدة حصون فى شنتبرية مثل ولمة، وإقليش، ووبذة، وكان قد نزل سلفهم السمح بن ورد حيقن الهوارى قرية أقاقلة من شنتبرية فى زمن الفتح. وفى شنتبرية- أيضًا- استقرت مكناسة، حيث نسبت إليهم منطقة عرفت باسمهم هى Mequinenza فى الثغر الأعلى عند ملتقى نهر إبرة بنهر Segre، كما استقر بها أيضًا بعض أفراد من ملزوزة كان منهم (عوسجة" الذى كان ينسب إليه، بلاط عوسجة" بشنتبرية، كما استقر بها كذلك بنو عزون من زناتة(٧٩). واستقرت عشائر بربرية متنوعة فى المنطقة الثغر ووادى الحجارة وتيروال وشاطبة(٨٠).

واستوطنت مجموعات بربرية أخرى الأندلس فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، حيث استقر بنو زيرى بن مناد من صنهاجة إلبيرة، وبنو برزال وبنو يفرن جيان وذواتها، وبنو دمر وأزداجة شذونة وموررور، واستقرت مجموعات أخرى فى جوفى الأندلس وفى سرقسطة(٨١).

وهكذا يتضح أن البربر قد استقروا فى مناطق عديدة فى الريف الأندلس يمكن حصرها فى ثلاثة محاور: المحور الجنوبى، والمحور الشمالى الغربى، ومحور الوسط والشمال الشرقى، حيث مال البربر إلى سكنى المناطق الجبلية والريفية. وقد أوضحت الدراسات الحديثة أن تأثير البربر ونفوذهم كان أكبر، وإنهم استوطنوا مناطق أكبر وأوسع، على عكس ما كنا نظن، إذ يكفى القول بأن أراضى بلنسية المنخفضة والتى كانت تروى ريًا دائمًا، والتى كان يعتقد فى الماضى أنها منطقة ذات كثافة ونفوذ عربى، أثبتت الدراسات الحديثة أنها كانت من مواطن استيطان البربر المهمة، وإن كان هذا لا يمثل مفاجأة بقدر ما ينبهنا إلى أن البربر كانوا فلاحين مهرة، تميزوا فى زراعة الزيتون، ومارسوا الرعى، وعرفوا نظم الرى فى مواطنهم الأصلية فى المغرب وإفريقية(٨٢).

وبذلك تنتفى المقولة التقليدية التى دأب غالبية المستشرقين على ترديدها، والتى تدعى، بأن العرب استأثروا بأفضل الأراضى واضطروا البربر إلى سكنى المناطق الجبلية فى الشمال، والشمال الغربى[٨٣].

٣- التطور الذى طرأ على العنصر البربرى فى الريف والمهن التى امتهنوها:

يرفض "جيشارًا" Guichard الفكرة التقليدية التى تقول بسرعة اندماج البربر الفاتحين- الذين دخلوا بدون زوجاتهم- فى المجتمع الأندلسى، ويرى أن اندماجهم كان بطيئًا مثلهم فى ذلك مثل العرب نظرًا لتشابه النظام القبلى والاجتماعى بين الفريقين، رغم أن النظام القبلى البربرى ينفرد ببعض السمات مثل الزواج من الأجانب والانتساب للأم. يعلل ذلك بقوله بأن معظم القبائل البربرية التى دخلت إسبانيا فى إبان الفتح كانت تنتمى- فى الغالب- إلى مجموعة البتر[٨٤]. التى تنتمى فى مجموعها إلى أصل شرقى مثل هوارة ولواتة وزناتة. كما يفسر سرعة تعريب هذه القبائل بأنهم كانوا من أوائل القبائل البربرية التى انضمت إلى جيوش الفتح، هذا فضلاً عن تشابه تكوينهم الاجتماعى مع القبائل العربية[٨٥]. إلا أن البربر فى النهاية كانوا أسرع اندماجًا- من العرب- فى المجتمع الأندلسى.

وكانت الفلاحة من المهن الهامة التى احترفها البربر فى الريف، فقد استقر غالبيتهم فى النواحى الريفية، وكانوا عماد الطبقة الكادحة فى الريف[٨٦]. وهذا ليس غريبًا، فقد كانوا فى الأصل فلاحين مهرة، ذوى خبرات زراعية لا يستهان بها، نقلوها معهم إلى الأندلس، كما نقلوا بعض الغروسات، هذا فضلاً عن أن البربر قد اكتسبوا فى بيئتهم الجديدة أساليب وخبرات زراعية جديدة- خاصة فيما يتعلق بالرى الدائم- تعلموها من العرب، وبرعوا فيها، على النحو الذى كان فى بلنسية لدرجة أن قناة Favara الشهيرة فى بلنسية، تنسب إلى قبيلة هوارة البربرية[٨٧].

كما اشتغل البربر فى الريف بالرعى، تلك الحرفة التى كانوا يمارسونها- أيضًا- فى موطنهم الأصلى فى المغرب[٨٨]، وقد ساعدهم على ذلك استقرارهم فى مناطق، تميزت بوفرة مراعيها الطبيعية فى مثل هضبة المسيتا، وسلسلة جبال الرملة Sierra de guadarrama، والمرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية والغربية[٨٩].

وكانت للبربر إضافاتهم الواضحة فى مجال الرعى بالريف، فقد أدخلوا بعض السلالات الجيدة من الأغنام والماعز- خاصة ماعز المارينو- من شمال إفريقية، كما يعزى إليهم الفضل فى إدخال نظام الرعى الجماعى إلى إسبانيا، حيث تعهد مجموعة من السكان بقطيع إلى راعٍ مسئول- يساعده عدد من الرعاة- على دراية تامة بالمراعى الجيدة، وبفضل ذلك النظام الذى سمى "المشتى"، وما تبعه من طرق منظمة فى الإنتاج تملك إسبانيا اليوم- مؤسسة نادرة للرعى فى العالم(٩٠).

واشتغل البربر بالتعدين والصناعة حيث استقروا فى مناطق اشتهرت بوفرة ثرواتها التعدينية، حيث عملوا فى استخراج الفحم، وحرق الأخشاب للحصول عليه، وضفر الحلفة، وفتل القنب وصناعة المحاريث والبراذع والحبال، والشطاطيب لكنس الديار، وخرز الدلاء، وطبخ الجير والجبص وغير ذلك(٩١).

واشتغلوا بالتجارة فى مختلف أنواع السلع حيث "احترفوا بجلب البقر والقمح والسمن والزيت والعسل والصوف والدجاج والفواكه والملح والأعواد"(٩٢).

وقد يكون بعضهم اشتغل بأكثر من حرفة فى الوقت نفسه ، فغالبًا ما كان الفلاح والعامل- فى ذلك الوقت- يحترف الفلاحة، والعمل كأجير، كما ارتبط العمل فى المناجم بعمل الفلاحين، وغالبًا ما كان الحرفى الصغير يقوم بتسويق إنتاجه بنفسه(٩٣).

(ج) المسالمة والمولدون(٩٤)، فى الريف والمهن التى احترفوها:

كان بعض المسالمة والمولدين فى الريف ينتمون- قبل إسلامهم- إلى طبقة العبيد وأقنان الأرض والزراع، فلما أسلموا تحرروا وتساووا مع مواطنيهم ممن أسلموا(٩٥). وكانت دوافع إسلامهم لا تختلف كثيرًا عن دوافع إسلام أهالى البلاد الأخرى التى دخلها الإسلام، متمثلة فى سماحة، وعدل، ورحمة الإسلام، هذا فضلاً عن رغبة البعض فى الحصول على بعض الحقوق والامتيازات، والطموح نحو الارتقاء الاقتصادى والاجتماعى- كما يرى البعض(٩٦).

وقد اتخذ المسالمة والمولدون- بعد إسلامهم- أسماءً عربية، واحتفظ البعض منهم بأسمائهم الأعجمية- بجانب أسمائهم العربية، وحاول الكثيرون منهم ادعّاء نسب عربى بعد اختلاط الأنساب بمرور الأجيال، فمع مطلع القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، لم تكن هناك فوارق عرقية أو عنصرية واضحة بين المولدين والعرب(٩٧).

والمعلومات التى أوردتها المصادر عن المسالمة والمولدين، ركزت على العناصر المولدية الارستقراطية مثل بنى قسى وبنى عمروس وبنى شبريط فى الثغور الشمالية، كما ركزت على الصراع بين المولدين والعناصر الأخرى(٩٨) خاصة فيما يتعلق بالفتنة التى اندلعت فى أواخر القرن الثالث الهجرى، ولم تحظ جماهير المولدين العامة فى الريف باهتمام المؤرخين، لذا من المخاطرة بمكان إصدار أحكام عامة بخصوص هؤلاء وإن كان بإمكاننا القول بأن المسالمة والمولدين قد لعبوا دورًا بارزًا فى رقى وازدهار المجتمع الريفى فى ظل اعتناقهم للإسلام الذى منحهم فرصًا عديدة لإثبات ذواتهم، ساعدهم فى ذلك توفير الحكومة الأموية لمناخ ملائم شجعهم على الاندماج الاقتصادى والاجتماعى، رغم أنهم لم يفقدوا شخصيتهم كاملاً(٩٩).

أما المهن التى احترفها المسالمة والمولدين فى الريف فيأتى على رأسها الفلاحة، وما يتعلق بها من تربية للحيوان ورعى، كما احترفوا بعض الصناعات، ومارسوا التجارة والصيد، وفى ذلك يذكر صاحب "بيوتات فاس الكبرا": "وأما من أسلم من أهلها (يعنى الأندلس) فمن كان منهم فى البادية فاكتسبوا البقر والغنم والحرث والعسل، وأهل الجبال منهم كانوا يغرسون الأجنات والفواكه، وقطع الخشب وطبخ الفحم، ومن ولى البحر منهم كانوا يجلبون الحوت والسردين ويصنعون السفن وآلاتها إلى غير ذلك"(١٠٠).

وكانت أغلبية المولدين تتركز فى الجنوب والشرق خاصة فى إلبيرة وإشبيلية وجيان ورية ولورقة ومرسية، كما تركزوا فى طليطلة وبطليوس ومباردة وشنتبرية ومناطق الثغور(١٠١).

(د) الموالى[١٠٢] فى الريف والحرف التى امتهنوها:

ينتمى معظم الموالى فى الأندلس إلى ولاء بنى أمية- إلا فى حالات نادرة سنذكرها- وكانوا ينتمون إلى أصول شتى، فمنهم الداخلون بصحبة جيوش الفتح مع طارق وموسى، ومنهم من دخل مع بلج بن بشر القشيرى سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م، ومنهم من دخل الأندلس أثر سقوط الدولة الأموية فى المشرق سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م[١٠٣].

استقر الموالى فى العديد من النواحى الريفية، فقد كان لهم وجود قوى فى أرياف إشبيلية، حتى أنهم ثاروا على ساداتهم سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م، واستطاعوا السيطرة على المدينة فى أوائل عهد الأمير عبد الله[١٠٤]. ومن المستقرين فى أريافها بنو موسى الوزير- من وزراء الأمير محمد ابن عبد الرحمن الثانى- وكانوا موالى لبنى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى، وفى شنت فيلة من أقاليم إشبيلية، أيضًا استقر بنو الليث من زناتة، وهم ينتمون إلى ولاء الوليد بن عبد الملك، واستقر بنو جهور فى مرشانة إلى الشرق من إشبيلية[١٠٥].

واستقر بنو وانسوس المكناسيون فى أرياف ماردة، وكانوا موالى لسليمان بن عبد الملك[١٠٦]، ومن موالى بنى أمية أيضًا أولئك الذين ساعدوا عبد الرحمن الداخل فى إقامة دولته بالأندلس وقد استقروا فى إلفتين وطرش من أعمال إلبيرة[١٠٧]، كما استقر بعض موالى بنى أمية فى قرية "مناس مارية" من أعمال رية، وفى قرية بيرة Baira من أعمال غرناطة[١٠٨].

ومن موالى بنى أمية الذين يرجعون إلى أصول إسبانية: بنو قسى فى الثغر الأعلى، وكانوا ينتمون إلى ولاء الوليد بن عبد الملك، ومنهم أيضًا بنو بارون، وبنو غومس، وبنو قارلة، وبنو مرتين[١٠٩].

وهناك أقلية من موالى انتمت إلى ولاء قبيلة بعينها مثل بنى عوف وهم من البربر، وكانوا موالى زهرة بن كلاب، وقد استقروا فى قرية "حركش" إحدى قرى سرقسطة[١١٠].

ومن مناطق استقرار الموالى فى الريف أيضًا إقليم "بيان" من أعمال بطليوس، و "إقليم موالى موسى" من أقاليم مدينة فريش التى كانت تقع إلى الغرب من قرطبة على بعد أربعين ميلاً[١١١].

ويبدو أن أعداد الموالى قد تزايدت منذ قيام الإمارة الأموية بالأندلس، ساعد على ذلك اتجاه عبد الرحمن الداخل- فى أواخر أيامه- إلى اصطناع البربر بعد استرابته بالعرب[١١٢].

أما عن المهن التى احترفها الموالى فى الريف، فيمكن القول بأنهم اشتغلوا بالفلاحة شأنهم فى ذلك شأن العناصر الريفية الأخرى، وعمل بعضهم بالصناعة مثل دبغ الجلود وصناعة النعال وخرزها، ونسج الملابس، واشتغلوا بالنجارة والحدادة، وصناعة الفخار، كما اشتغلوا بحفر القبور وحمل الموتى، والخدمة فى المساجد، والمطاحن والأرحية، وقاموا بأعمال الحراسة فى الأسواق والفنادق، واحترف بعضهم التجارة وجلب السلع، ومارسوا الطب وعلاج المرضى[١١٣].

(هـ) النصارى[١١٤] فى الريف والحرف التى احترفوها:

كان النصارى فى الأندلس، ينتمون إلى أصول عرقية وعنصرية عديدة[١١٥]- وإن كان المستقرون منهم فى الريف متجانسين إلى حد كبير، وينتمون فى مجملهم إلى أصول أيبيرية- قوطية- وكان عددهم فى البداية كبيرًا- مقارنة بالعناصر الأخرى- ولكنهم أخذوا فى التناقص لعدة عوامل منها إسلام كثير منهم، وهجرة بعضهم إلى الشمال، حتى صاروا فى عصر الخلافة أقلية مميزة فى المجتمع الأندلسى[١١٦].

وقد استقر غالبية النصارى فى الريف- على ما يبدو- وأقامت أقلية منهم فى المدن الأندلسية، لاحظ ذلك ابن حوقل عند زيارته للأندلس سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م "وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن وهم على دين النصرانية روم"[١١٧]، ورغم أن كلامه لا يؤخذ حكمًا، إلا أن له دلالته على استقرار كثير من النصارى فى الريف آنذاك.

وانتشر النصارى فى العديد من المناطق الريفية، وإن تركزوا فى مناطق مخصوصة مثل كورة رية حيث اشتملت كثير من حصونها على أغلبية نصرانية، كما ذكر ابن حيان: "وحصون تلك الناحية مختصة للنصارى على قديم الأيام"[١١٨]. وبلغ النصارى من الكثرة والنفوذ بكورة إلبيرة حدًا جعلهم يبغون على العرب بالتحالف مع المولدين بها، حتى كان ذلك من أسباب اشتغال الفتنة بتلك الكورة فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى. كما كان للنصارى وجود لا بأس به فى كورتى إشبيلية وجيان، حيث تحالفوا- أيضًا- مع المولدين ضد خصومهم. ولعل ارتداد عمر بن حفصون إلى النصرانية سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م- رغم الشك الذى دار حول ارتداده- يعد دليلاً على كثرة أعداد النصارى فى الريف وقوة نفوذهم، وهو ما حدا بالحكومة الأندلسية إلى بذل مجهودات ضخمة فى سبيل إخضاعهم[١١٩].

وكانت أرياف طليطلة من مراكز تركز النصارى أيضًا[١٢٠]، حيث اختصت قرى بأكملها بالنصارى مثل قرية "عين الديك" التى كانت تسمى بوادى المستعربين Valde Mozarabes[١٢١].

وقد اشتغل النصارى فى الريف بالزراعة، حيث امتلكت الأرستقراطية النصرانية الكثير من الضياع، التى كان يقوم على زراعتها أعداد كبيرة من الفلاحين النصارى[١٢٢]، كما تشير كتب النوازل إلى امتلاك عامة النصارى- أيضًا- لبعض الأراضى. التى كانوا يقومون بفلاحتها[١٢٣]. وقد نزل العرب الشاميون فى أرياف إلبيرة سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م و"استمر سكناهم فى غمار من الروم، يعالجون فلاحة الأرض، وعمران القرى"[١٢٤].

واشتغل النصارى بالرعى وتربية الحيوان حيث توفرت مراعى جيدة فوق بعض المرتفعات الجبلية[١٢٥].

٢- التصنيف الطبقى للمجتمع الريفى الأندلسى:

يقلل جيشار (P. Guichard) من تأثير الطبقة داخل المجتمع الإسلامى، على أساس أنها لم تكن واضحة، ولم تكن ذات قيمة على حد رأيه-، ويستند فى ذلك إلى القول بأن أصل الفرد، وبعض العوامل الدينية كانت تقلل من أهمية الفوارق الطبقية، ويميل إلى الاعتماد على العامل العنصرى كأساس للتقسيم الطبقى فى الأندلس[١٢٦].

ونحن لا ننكر وجاهة وأهمية رأى جيشار، بل نتفق معه فى بعض النقاط، ولكن لنا بعض الملاحظات أهمها أن تأثير العصبية كان قويًا فى إبان الفتح وما تلاه، ولكن بمرور الوقت تلاشت العصبية ولم يعد تأثيرها قويًا فى ظل إسلام الكثير من أهل البلاد، هذا إلى أننا نجد فى داخل العنصر الواحد تقسيمًا طبقيًا فهناك فى النصارى مثلاً عناصر أرستقراطية وصلت إلى أرفع المناصب، ثم عناصر وسطى وعناصر دنيا، ونفس الشيء يقال عن البربر والعرب وغيرهما[١٢٧].

وعلى ذلك يمكن أن نلمح تقسيمًا طبقيًا فى المجتمع الريفى على أساس النمط الإنتاجى أو المهنة التى احترفها السكان، أو الملكية، مما أدى فى النهاية إلى تبلور عدة فئات من السكان تتميز فيما بينها طبقيًا على النحو التالى:

(أ) فئة كبار الملاك: وهؤلاء ينتمون عرقيًا إلى أصول متنوعة، فكان منهم العرب، والبربر، والنصارى والمولدون والصقالبة وغيرهم، وكانوا يقيمون عادة فى المدن، ولا يختلفون إلى الريف إلا قليلاً لمطالعة أو للتنزه، وكانوا يعتمدون فى إدارة ضياعهم فى الريف على وكلاء يديرونها لحسابهم، وسوف نوضح ذلك فى الفصل التالى.

(ب) فئة الفلاحين الأحرار وكانت تضم العديد من شرائح السكان الذين ينتمون إلى مختلف العناصر العرقية المستقرة فى الريف، فمن شرائح هذه الفئة: صغار الملاك، المزارعون، الرعاة، الصيادون، الأجراء وعمال المياومة.

أما عن صغار الملاك، فهم أولئك الذين امتلكوا مساحات صغيرة من الأراضى والضياع فى الريف لا تتعدى مساحتها بضعة أفدنة، كانوا يفلحونها بأنفسهم أو بمعاونة أفراد الأسرة، والأقارب[١٢٨]. وتميز صغار الملاك بوضعيتهم المستقرة، طالما كانت الأحوال العامة مستقرة فى الريف، فإذا اضطربت الأمور، تبدلت أحوالهم إلى النقيض، لذا تأثرت أحوالهم سلبًا بفعل الأزمات الطبيعية والسياسية، لدرجة أنهم كانوا يهجرون أراضيهم، أو يتخلون عنها لصالح كبار الملاك فى مقابل توفير هؤلاء الحماية لهم، كما حدث إبان انهيار الخلافة فى الأندلس[١٢٩].

وكان المزارعون أو المناصفون- كما كانوا يسمون- إحدى شرائح طبقة الفلاحين الأحرار، وغالبية هؤلاء كانوا لا يملكون أراضى زراعية، ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا يحوزون كثيرًا من الأراضى طبقًا لنظم: المزارعة والمغارسة والمساقاة والكراء والقبالة، وهى أنظمة زراعية إسلامية انتشرت فى الأندلس متأثرة ببعض التقاليد والأعراف المحلية. وطبقًا لهذه النظم الزراعية كان المزارعون يحوزون أراضى الغير بهدف زراعتها أو غراستها أو مراعاتها زرعًا وغرسًا وفقًا لعقود زراعية تعقد بين رب الأرض والفلاح المزارع، يتم فيها الاتفاق على شروط المزارعة بين الطرفين دون أن يجحف أحدهما الآخر[١٣٠].

وتمتع المزارع خلال هذه العلاقات الزراعية مع المالك بوضعية لابأس بها، حيث كان يملك الحرية فى رفض أو قبول العلاقة الزراعية طبقًا لمصلحته، ساعده فى ذلك، حكم الشرع فقد ذهب الفقهاء إلى بطلان مزارعة السلف شرطًا، وكان الفقهاء كثيرًا ما يأخذون بقول الفلاح المزارع، إذا اختلف مع صاحب الأرض حول بعض الشروط، لأنه هو المزارع الذى يزرع الأرض[١٣١].

وتميزت وضعية الفلاحين المزارعين بالاستقرارتبعًا لاستقرار المجتمع من حولهم، حتى إذا اضطربت الأمور انعكس ذلك على أحوالهم، فكانوا يعانون بشدة فى إبان الأزمات الطبيعية والسياسية، كما نوهنا إلى ذلك فى الفصل الأول[١٣٢].

وشكَّل الرعاة شريحة مهمة ضمن فئة الفلاحين الأحرار، وكانوا ينتمون جنسيًا إلى مختلف العناصر المستقرة فى الريف، خاصة البربر والنصارى والمولدون. وقد أضير الرعاة بشدة فى أوقات الأزمات الطبيعية والسياسية بسبب نفوق قطعانهم، وانعدام المراعى، ولكن أوضاعهم كانت تعود للتحسن إبان فترات الاستقرار، وقد اتفق أغلبية الفقهاء على أنه لا ضمان على الرعاة إلا إذا تقاعسوا أو ثبت عليهم الإهمال والتقصير(١٣٣).

وأشارت بعض النوازل إلى أن الرعاة كانوا يستأجرون للرعى لمدة عام كامل، فإذا انفسخت إجازة الراعى كان على صاحب الماشية أن يعوض الراعى على قدر ما رعى، دون أن يجحفه، وقد يلزم المالك بدفع أجرة الرعى عن العام كله للراعى، طالما أن الأخير لم يجد عملاً أو لم يرع بقية العام لأحد آخر(١٣٤).

وتشابهت أحوال الصيادين مع أحوال الرعاة من حيث عدم ثبات عوائدهم من مهنة الصيد وخضوعهم للتأثيرات الطبيعية والبشرية، يتضح ذلك إذا نظرنا إلى بعض النوازل التى تحدثت عن الصيادين، إذ أن معظمها يرتبط بخلافات كانت تنشب بينهم حول الصيد، وأماكنه، وأدواته، فقد حاول بعض ذوى النفوذ منهم الاستئثار بالصيد فى أماكن معينة. وأهم ما نلاحظه فى تلك النوازل هو اشتراك النصارى مع المسلمين فى الصيد، حيث كانوا يخرجون فى مجموعة واحدة للصيد. هذا فضلاً عن أن معظمهم كانوا يمارسون مهنًا أخرى بجانب مهنة الصيد فبعضهم كان يحترف الفلاحة، ويستغل ما يلى أرضه من مياه النهر فى الصيد(١٣٥).

أما الأجراء وعمال المياومة فقد شكَّلوا شريحة كبيرة من شرائح طبقة الفلاحين الأحرار، واشتملت شريحة الأجراء وعمال المياومة على أولئك الذين لا يملكون إلا قوة عملهم، بالإضافة إلى بعض من ذوى الملكيات الضئيلة.

وكان هؤلاء يمارسون مختلف الأعمال التى توكل إليهم مقابل أجر معين، فكان فيهم أجراء الخدمة الذين يعملون فى حرث الأرض بأبقارهم، ودرس الزرع، وعمال الحصاد الذين يقومون على حصاد الزرع، وحراس الزروع، والأنادر، وكان هؤلاء يتقاضون أجورهم بصورة عينية أو نقدية حسب العُرف والسنة فى كل قرية(١٣٦).

وكانت هناك طائفة من العمال والأجراء المياومين تعمل فى غير المجال الزراعى مثل أجراء طحن الحبوب لحساب الغير، وكان منهم من يملك الدواب و"غرائر الطحين"، ومن يستأجرها أو يعمل عليها بالأجر، ويبدو أن الأخيرين منهم كانت أحوالهم غير مستقرة لدرجة أنهم كانوا يهربون بالدواب وما عليها[١٣٧].

ومنهم أيضًا الحمالون فى الأسواق والطرقات، وكانوا يستأجرون لحمل الأمتعة والسلع من منطقة إلى أخرى، ويبدو أنهم قد لعبوا دورًا كبيرًا فى الحياة الاقتصادية فى المجتمع الريفى، رغم بعض المعوقات التى عوقت عملهم وكان من أهمها تعرضهم لغارات قطاع الطرق واللصوص[١٣٨]- الذين كان يكثر وجودهم فى إبان الأزمات الطبيعية والسياسية- مما كان يؤثر بشدة على نشاطهم ويصيبهم بالكساد.

ومن العمال المياومين أيضًا العمال والأجراء الذين يعملون فى مجال البناء[١٣٩] وما يتعلق به[١٤٠]، وجامعى الحطب وقاطعى الأخشاب، حيث كان يدفع بعض أصحاب الدواب، دابته وفأسه لأحد الأشخاص ليستخدمها فى جمع الحطب والأخشاب على أن يكون الحطب المجموع مناصفة بين الطرفين[١٤١]. ويبدو أنه كان يعمل فى هذه الحرفة كثير من الفلاحين والأجراء يتضح ذلك إذا علمنا أنه كان يدخل قرطبة- يوميًا- كميات كبيرة من الحطب والأخشاب، تستخدم فى أغراض المعيشة، وفى الأغراض الصناعية والإنشائية[١٤٢].

ولعب عمال المياومة وأجراء الخدمة دورًا بارزًا فى الحياة الاقتصادية فى الريف، وليس أدل على ذلك من اهتمام كُتّاب الفلاحة بهم، حيث أفرد معظم مؤلفى الفلاحة- فى كتبهم- أبوابًا لهم، شرحوا فيها كيفية اختيار الأجراء، واستخدامهم فى العمل، وكيفية مراقبتهم، والتغلب على حيلهم، ومراوغتهم فى أداء الأعمال، كما أوضحوا السمات الواجب توافرها فى الأجير أو العامل طبقًا للعمل الذى سيؤديه، واتفق معظمهم على ضرورة استخدام الشبان والأقوياء، وتجنب استخدام الضعفاء خاصة الشيوخ لقلة انقيادهم وتحيلهم وخبثهم فى العمل[١٤٣].

وكان وقت العمل اليومى للأجير يبدأ من شروق الشمس إلى ما قبل الغروب- حوالى منتصف الوقت ما بين العصر والمغرب- وكان بعض الأجراء يتحايلون فى إضاعة الوقت، وسرقة أرباب العمل، مما حدا بالأخيرين إلى اتخاذ الوكلاء والملاحظين لمراقبة الأجراء، وحثهم على العمل؛ خاصة إذا كان عددهم كبيرًا[١٤٤].

ويبدو أن يوم الجمعة، كان بمثابة يوم للراحة بالنسبة للفلاحين والأجراء- خاصة المسلمين منهم- وإن كان ذلك لم يمنع البعض من الاشتغال فيه إذا استدعت الضرورة ذلك[١٤٥].

واتسَّمت وضعية العمال المياومين والأجراء بعدم الاستقرار نظرًا لأن عملهم كان يتوقف على عدة عوامل منها الاستقرار العام فى المجتمع؛ ومدى حاجة العمل إليهم، فقد تشتد الحاجة إلى عمال وأجراء الزراعة فى المواسم الزراعية؛ وتقل فيما دون ذلك، إلا أنه من الإنصاف أن نذكر أنهم لم يتعرضوا- عمومًا- إلى عسف أصحاب الأعمال، بل كانوا هم الذين يتحايلون على أرباب العمل على نحو ما رأينا[١٤٦].

(جـ) فئة العبيد وأقنان الأرض: وشكَّلت هذه الفئة الطبقة الدنيا من طبقات السكان فى الريف، وقد تحسنت وضعية هذه الفئة تحت الحكم الإسلامى فى الأندلس، عما كانت عليه إبان حكم القوط لإسبانيا[١٤٧].

وكان العبيد وأقنان الأرض يشكلون نسبة كبيرة من السكان فى الريف الأندلسى فى إبان الفتح؛ وعصر الولاة؛ ولكن أعدادهم أخذت فى التضاؤل بسبب إسلام الكثيرين منهم، وحصولهم على الحرية، حتى أصبحوا أقلية مميزة ضمن سكان الريف فى القرن الرابع الهجرى.

وتكونت طبقة العبيد وأقنان الأرض من أصول جنسية متنوعة، فبالإضافة إلى العبيد من أهل البلاد كان هناك عبيد من أصول أوروبية وإفريقية. وكانت أعدادهم تتزايد- أحيانًا- بفعل الحروب الداخلية والخارجية التى كان ينتج عنها استرقاق كثير من الناس، هذا بالإضافة إلى دخول كثير من العبيد إلى الأندلس عن طريق التجار والنخاسين[١٤٨].

ومارس العبيد وأقنان الأرض، الخدمة والفلاحة فى ضياع كبار الملاك فى الريف، ويرى البعض أن المسلمين الفاتحين استقروا فى المناطق الريفية بمقتضى نظام hospatalitas القوطى؛ وبمقتضاه كانوا يحصلون على الأرض وما عليها من العبيد والحيوانات وسائر المتاع(١٤٩). على حين يرى البعض الآخر أن المسلمين استبدلوا نظام المزارع المتصلة latifundia- الذى كان سائدًا أيام الرومان والقوط- بنظام إقطاعى محدود نسبيًا يقوم على زراعته أهل الذمة والعبيد، والأرقاء(١٥٠).

ولا تتحدث المصادر عن الضياع والمنيات الخاصة بكبار الملاك؛ إلا وتقرنها بالعبيد، الذين كانوا بمثابة الأقنان المرتبطين بالأرض؛ ينتقلون معها من مالك إلى آخر؛ فأرطباش Ardabasto القوطى أعطى ميمون العابد- أحد الموالى الشاميين- مجشرا بما "فيه من البقر والغنم والعبيد"(١٥١)، وأقطع الأمير محمد إخوته كثيرً من الضياع المغلة وما "يحتاجون إليه من العيال والإماء والعبيد(١٥٢)؛ وأهدى "الفتى الكبير درى الأصغر الخازن الصقلبى" مولاه الحكم المستنصر منيته التى كانت تدعى "المنية الرومانية" "بجميع ما كان له فيها داخلها وخارجها من البساتين المستقية والأراضين المزدرعة، وما كان له بها من عبد وأَمَه وثور ودابة، اشتمل ذلك على أعداد متوالية، وأموال وافرة، ونعم مؤثلة"(١٥٣).

وكان الرقيق من العبيد وأقنان الأرض يمارسون مختلف الأعمال الزراعية فى الريف من زراعة وحصاد وغيرهما(١٥٤)؛ ولعبوا بذلك دورًا رئيسيًا فى الحياة الاقتصادية، فقد كانوا بمثابة قوة عمل رئيسية لا يمكن الاستغناء عنها؛ وكانت قيمة العبيد تزداد إذا كانوا يجيدون إحدى الصناعات كالنجارة أو البناء أو الطبخ أو غير ذلك. وكان يجرى- أحيانًا- إعارة العبيد أو تسليفهم أو تأجيرهم بأجرة معلومة من جانب أسيادهم(١٥٥).

وكانت المعاملة القاسية لأولئك العبيد(١٥٦)، وإرهاقهم فى العمل من جانب بعض السادة(١٥٧) تدفعهم أحيانًا إلى الإباق والهرب، رغم فداحة العقوبة وقسوتها التى كانت تتمثل فى السجن أو البيع للآبقين منهم(١٥٨). ولم يمنعهم ذلك من الهروب آخذين معهم ما يستطيعون أخذه من أموال ساداتهم؛ وقد يدفعهم اليأس بعد الهرب-

أحيانًا- إلى احتراف قطع الطريق، وامتهان اللصوصية[١٥٩]، أو الانخراط فى الثورات، والالتحاق بالجيوش المتناحرة طلبًا للرزق والنهب، فقد كان جيش ابن حفصون يضم العديد منهم كما نص على ذلك ابن عذارى المراكشى (ت٧١٢هـ/١٣١٣م): "وكان أتباعه شطار الناس وشرارهم. فكان يمنيهم بفتح البلاد، وغنائم الأموال"[١٦٠].

وساءت أحوال العبيد وأقنان الأرض بدرجة كبيرة إبان انهيار الخلافة الأموية فى الأندلس، عندما اضطربت الامور، وأنفجر الموقف السياسى، فاضطر كثير منهم إلى الهجرة عن مواطنهم باحثين عن الأمان والاستقرار، ولجأوا إلى أرياف بلنسية وشاطبة حيث كان يحكم مبارك ومظفر الفتيان العامريان: "وانفتح على المسلمين ببلد الأندلس باب شديد فى إباقة العبيد إذ نزع إليهم كل شريد طريد، وكل عاق مشاق"[١٦١].

٣- مظاهر الحياة الاجتماعية:

(أ) **الحياة العائلية**: ونقصد بها حياة الأسرة فى المنزل الريفى ويمكن أن نتحدث فيها عن عدة نقاط مثل: المنزل الريفى، الأسرة الريفية، الطقوس العائلية.

(١) **المنزل الريفى**: لدينا ثلاثة أنماط من المنازل الريفية يختص كل منها بفئة معينة من السكان:

(أ) **منازل الأثرياء**: وهى عبارة عن قصور أو فلل- إذا صح التعبير- كانت تقع فى ضواحى المدن وسط البساتين والمنيات؛ وكانت تختص بكبار الملاك والأثرياء، المقيمين- غالبًا- فى المدن، وكانوا يرتادون تلك القصور بغرض التنزه والإشراف على ضياعهم[١٦٢].

(ب) **منازل الطبقة المتوسطة من الفلاحين**: ويمكن أن نميز منها نمطين:

النمط الأول: كان يوجد فى القرى الكبيرة المكتظة التى تشبه المدن، وفيها يفتح باب المنزل الخارجى على حارة ضيقة أو درب مسدود، والحوائط عالية

مغطاة بخليط من الرمل والكلس، والأبواب مصنوعة من الخشب ذات مفاتيح من خشب أو حديد. ويؤدى الباب الخارجي إلى رواق معتم يتصل فى نهايته بصحن الدار. والصحن أو الفناء جزء رئيسى من المنزل، تقوم فيه المرأة بأعمالها المنزلية؛ ويقضى السكان فيه شطرًا كبيرًا من حياتهم اليومية؛ ويحتوى على بئر أو بركة للمياه؛ ويظلل بعريشة أو ببعض الأشجار المزروعة. وفى ساحة الصحن أو الفناء تفتح فى المواجهة غرفتان أو أربع مستطيلة ومضاءة بواسطة باب مركزى ذى مصارع عالية. وفى واحدة من الزوايا الضيقة كان يقام المطبخ، ومخزون المؤن، والمرحاض. وقد يوجد فى أحد الجوانب- أيضًا- سلم ذى درجات وعرة ضيقة يؤدى إلى طابق علوى ذى سقف منخفض يحتوى على بعض غرف النوم المخصصة للنساء والحياة الخاصة، تطل على الفناء حيث يصل إليها الضوء والهواء عن طريق بعض النوافذ(١٦٣).

النمط الثاني: يتمثل فى ذلك البيت الذى وصفه الوزير الكاتب ابو حفص عمر بن الشهيد (كان حيًا ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) عندما زار منزل أحد الفلاحين فى الريف. ومن خلال هذا الوصف يتضح أن ذلك المنزل كان يتميز بالرحابة والاتساع يحوطه سياج من أعواد البلوط المربوطة فيما بينها بحبال من الحلفاء، ويفتح الباب الخارجي على فناء واسع تقضى فيه الأسرة جانبًا كبيرًا من حياتها اليومية، وترى الأطفال يلعبون فيه، وسط مجموعة من الطيور والحيوانات المنزلية. وفى أحد جوانب الفناء يفتح باب يؤدى إلى قاعة كبيرة، تستخدم للميعشة، واستقبال الضيوف فى الوقت نفسه وتتميز بالنظافة، وتتوع محتوياتها، وهى مفروشة بأنواع من الحصر والأبسطة الريفية، وفى أحد جوانبها توجد بعض الحبال والأشرطة المشدودة معلق عليها العديد من أنواع الملابس الداخلية والخارجية التى يرتديها أهل الدار، وفى جانب آخر من القاعة توجد كوة فى الحائط تحتوى على مجموعة من الرفوف التى يصطف فوقها بعض الأدوات المنزلية، وأدوات الزينة وموادها فى تناسق بديع يوحى بمسحة من التباهى والتفاخر من جانب أهل الدار أمام الضيوف(١٦٤).

ولم يتطرق ابن الشهيد إلى وصف أماكن النوم والحياة الخاصة، وأماكن قضاء الحاجة، وحجرات تخزين المؤن والأطعمة، وحظائر الطيور والحيوانات. لأنها لم تقع تحت نظره بالطبع.

(جـ) **منازل الفلاحين الفقراء:** تتميز بالبساطة، واقتصارها على الضرورى من الأثاث، وتفتقر إلى وسائل الترف والكماليات، وهى فى مجملها تتروح بين بيوت الشعر والخيام، والمنازل المبنية من الطين والأحجار وأغصان الأشجار، حسب مهنة أصحابها، وطبيعة عملهم، لأن هذه المنازل كانت تخص طائفة كبيرة من الأجراء وعمال المياومة والرعاة والصيادين ويصف ابن خلدون بيوت هذه الفئة بقوله: يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة، إنما هو قصد الاستظلال والكن إلى ماوراءه، وقد يأوون إلى الغيران، والكهوف[١٦٥].

وكانت البيوت الريفية تطلى- عمومًا- باللون الأبيض، وسط محيط من الخضرة الممتدة مما كان يضفى عليها جمالاً وبهاءً يجذب الناظرين، وقد أثنى ابن سعيد (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) على المنازل الريفية الأندلسية بقوله: "مما اختصت به أن قراها فى نهاية من الجمال لتصنع أهلها فى أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها"[١٦٦]، وتميزت قرى إقليم الشرف بإشبيلية" بانتخاب مبانيها وتهمم سكانها فيها داخلاً وخارجًا، إذ هى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون"[١٦٧].

(٢) الأسرة الريفية:

تتكون الأسرة الريفية الأندلسية- شأنها فى ذلك شأن جميع الأسر- من الزوج والزوجة والأولاد، فالزوج هو رب الأسرة، والمسئول الأول عنها،يعمل ويكد من أجل إعاشة أسرته، وقد تحدثنا عن الزوج فلاحًا، وعاملاً وتاجرًا، لذا سوف نقصر حديثنا عن الأولاد والمرأة الريفية.

أ- **الأولاد:** اهتمت الأسرة الأندلسية الريفية بأبنائها، وحظى الأبناء الذكور- على الأخص- باهتمام الآباء والأمهات على السواء، حيث كان الفلاحون يفضلون

الأبناء الذكور على الإناث، وربما نبع ذلك من حاجة عملية إلى الذكور، الذين يستطيعون مساعدة الآباء فى العمل الزراعى وغيره من الأعمال؛ هذا بالإضافة إلى حالة الحروب شبه الدائمة سواء الحروب الداخلية أو الخارجية، التى فرضت نفسها على المجتمع الأندلسى، والتى تتطلب معها توفر الذكور للحماية والمدافعة، هذا فضلاً عن شيوع القيم الشرقية فى المجتمع الأندلسى تلك القيم التى تفضل الذكور على الإناث للاعتبارات السابقة، ولاعتبارات الشرف والافتخار والتباهى.

وتؤكد كثرة النوازل التى تتعلق بالتصدق على الأبناء الذكور- سواء بالحبس أو الهبة- على عادة تفضيل الذكور على الإناث؛ وإن كان يظهر فى هذه النوازل تفريق الآباء والأمهات فى المعاملة بين الأبناء وتفضيل بعضهم على بعض[١٦٨].

وكانت بعض الأسر الثرية تعهد بأطفالها إلى بعض الحاضنات والمربيات ليقمن بتربيتهن مقابل أجر معين[١٦٩].

وكلما كبر الأولاد تقل سيطرة الآباء عليهم، فإذا وصلوا إلى سن المراهقة أصبحوا مصدر خطر كبير يجب الاحتراس منه فى ظل الفراغ الذى يعانون منه بسبب عدم انتظار العمل الزراعى الذى يتصف بالموسمية، حيث درج بعضهم على العيث والفساد والسرقة، وقد ينزلون إلى المدينة ليبيعوا مسروقاتهم[١٧٠].

أما البنت فكانت تظل فى ولاية أبيها حتى تتزوج، وهو مسئول عنها مسئولية مادية ومعنوية بعكس الولد الذى قد تسقط نفقة والده عنه متى بلغ سن الرشد[١٧١]. ولم يكن زواج البنت إيذاناً بانتهاء مؤونتها بالنسبة للآباء، بل يظل همها باقيًا حتى وفاتها[١٧٢].

وشاع فى المجتمع الريفى الأندلسى تزويج البنات فى سن مبكرة، وذلك لحساسية وضعية البنت النفسية والاجتماعية داخل الأسرة[١٧٣]، تلك الوضعية التى جعلت العطف عليها أمرًا مطلوبًا من بقية أفراد الأسرة خاصة الآباء والأمهات، حيث درج بعضهم على التصدق على البنات بالثياب والحلى والنقود وغيرها، إيماناً منهم بضعف البنت وقلة حيلتها، ذلك الضعف الذى كان يدفع الأخوة الذكور- أحياناً- إلى الإجحاف بهم عند الميراث[١٧٤].

ب- المرأة الريفية:

لعبت المرأة الريفية دورًا كبيرًا فى المجتمع الريفى، فإلى جانب مسؤوليتها عن رعاية كل أفراد الأسرة قامت بدور كبير فى المساهمة فى توفير الاحتياجات المادية للأسرة، حيث ساعدت الزوج فى العمل الزراعى، وامتلكت الأراضى الزراعية، وزارعت الرجال، وكان لها استقلالها المادى، وتمتعت بحرية التصرف فى مالها، إن شاءت وهبته لزوجها، وإن شاءت تصدقت به على أبنائها[١٧٥].

واحترف بعض النساء غزل الصوف والكتان والحرير؛ وقد يساعدهن الأزواج فى وقت الفراغ، وكن ينزلن إلى أسواق المدن لبيع الغزل؛ وقد يشترين ما يحتجنه من تلك الأسواق[١٧٦]. كما برعت المرأة الريفية فى تربية دودة الحرير، حتى اختصت بممارسة هذه الحرفة فى الريف[١٧٧]. ومارست المرأة الريفية التجارة، وتمتعت بحرية السفر والارتحال حتى فى أحلك الظروف السياسية، فلم تمنع فتنة ابن حفصون النساء من الارتحال والسفر" ولقد كانت المرأة فى أيامه (يعنى أيام ابن حفصون) تجيىء بالمال والمتاع من بلد إلى بلد منفردة، لا يعترضها أحد من خلق الله[١٧٨]. وقد نهى الفقهاء الأزواج عن منع زوجاتهم من ممارسة التجارة[١٧٩].

وعلى ذلك كانت المرأة هى المسئولة الأولى عن تسويق منتجات الأسرة. حيث كانت تخرج إلى الأسواق الريفية والحضرية لبيع مختلف أنواع الطيور المنزلية، والألبان والجبن والسمن والفواكه والحبوب والأسماك والزيوت والبذور، ومختلف أنواع المصنوعات اليدوية التى تنتجها الأسرة؛ وكانت المرأة بذلك هى العنصر الفاعل فى التجارة الريفية لما تمتعت به من مكانة اجتماعية واقتصادية، وما توفر لها من حرية فى العمل والخروج والاختلاط يدل على ذلك الإشارات الكثيرة التى ذكرت فى كتب الحسبة تحض على ضرورة منع اختلاط الرجال بالنساء فى الأسواق، والطرقات، وشواطئ الأنهار والمقابر وأماكن النزهة فى الريف وغيرها[١٨٠].

(٣) الطقوس العائلية:

نقصد بالطقوس العائلية، طقوس: الزواج، الإنجاب، والموت.

أ- الزواج: كان الزواج من الأحداث الاجتماعية الهامة فى الأسرة الريفية الأندلسية. وقد حرص الشباب على البحث والتنقيب لاختيار العروس المناسبة، فى ظل رغبة معظم الأسر فى سرعة تزويج بناتهم، رغم ترسخ مفهوم "القسمة والنصيب"[١٨١].

وكان لوفرة عدد الجوارى فى الأندلس أثره فى وجود ما يشبه الأزمة بالنسبة لزواج البنات خاصة الحرائر منهن. وتفاقمت هذه الأزمة إبان عهد المنصور بن أبى عامر الذى "ملأ الأندلس غنائم وسبيا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفى أيامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلى والدور وذلك لرخص أثمان بنات الروم، فكان الناس يرغبون فى بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكرنا ولولا ذلك لم يتزوج أحد حرة"[١٨٢].

وكان من يريد الزواج يختار فتاته- أو تختار له- من بين أقربائه غالبًا[١٨٣]، أو من بين فتيات القرية المؤهلات لذلك؛ وفى أحيان قليلة قد يتزوج البعض من إحدى فتيات المدينة[١٨٤].

وسن الزواج بالنسبة للفتاة هو سن البلوغ ما بين الثانية عشرة والثالثة عشرة تقريبًا؛ وبالنسبة للفتى قد تزيد عن ذلك بعام أو اثنين؛ وإن كانت عقود الزواج يمكن عقدها قبل ذلك، إلا أنه لا يتم البناء إلا بعد البلوغ[١٨٥].

وكان القاضى- أو من ينوب عنه من الفقهاء والأئمة وغيرهم- هو المكلف بعقد الزواج[١٨٦]، حيث كان يتم فى حفل كبير يتقدمه أهل العروس والعريس، ويتوسطه الفقيه الذى يعقد النكاح والذى كان يقوم بتوثيق العقد وفق الشروط التى اتفق عليها الطرفان مع الإشارة إلى تاريخ العقد والشهود[١٨٧].

وتتفاوت قيمة الصداق تبعًا لمكانة المرأة الاجتماعية، وكان ينقسم قسمين: النقد (المقدم)، والكالى (المؤخر)[١٨٨]. وعلى الزوجة أن تحافظ على كتاب صداقها،

لأنه إذا فقد منها ربما ضاع حقها فى كالئها وقد لا تستطيع إثباته بسهولة، وتشير النوازل إلى أن الفتن والاضطرابات، كانت تسفر فى كثير من الأحيان عن ضياع وثائق وكتب الصداق، مما كان يؤدى إلى مشاكل عائلية كثيرة(١٨٩).

ولم يكن الصداق مبلغًا نقديًا- على الدوام- بل قد يكون دارًا او حقلاً أو أراضى زراعية أو ثمرة قد بدا صلاحها، وهو يستخدم فى تجهيز الزوجة غالبًا(١٩٠). ويبدو أن الآباء يقدمون لبناتهم هدايا عرس لائقة (دوطة) ترغيبًا فى الزواج منهن، ولعل الأصل فى ذلك كان إسبانيا(١٩١).

أما عن جهاز الزوجة أو شوارها(١٩٢)، فكان يتكون من الأوطية والألحفة والأبسطة، والوسائد والفرشة، وغيرها، هذا فضلاً عن بعض الأدوات المنزلية كالصحاف والأقداح وغيرها، وقد تتجهز العروس بخادم إذا كانت ممن يخدمن أو إذا تحمل الصداق ذلك(١٩٣).

وجرت العادة أن يقام فى يوم الزفاف حفل كبير، ويقوم الزوج فى الغالب- بعمل وليمة كبيرة، يحضرها معظم أهل القرية، يتقدمهم الفقيه الذى عقد النكاح، وأهل الزوج والزوجة، وسائر أهل القرية وعندئذ يتم قراءة عقد النكاح، وشهادته، ثم يأكل الجميع، ولا يستطيع أحد الحاضرين أن يمتنع عن الأكل لئلا يتهم بأنه يحقد على العريس أو العروس(١٩٤).

وكانت مراسم الاحتفال تبدأ بذبح ثور أو ثورين أو أكثر حسب مكانة العروس والعريس الاجتماعية ثم يجتمع الناس فى مكان متسع، فيشربون الخمر، ويختلط الرجال بالنساء، ويتزاحمون للتفرج على الزامرين والمغنين، ويتسابق الناس إلى أخذ مواضعهم فوق أسطح الدور، والحوائط والجدران، وعلى جوانب الطرقات. ورغم ما كان يحدث فى مثل هذه الاحتفالات من مناكر، لم يكن بوسع الفقهاء والحكام أن يمنعوا ذلك، بل كانوا يتساهلون على ما جرت به العادة، ودرج أهل العروس على إلزام العريس بعمل هذا الاحتفال، وقد يهددونه بعدم إتمام الزواج إن لم يفعل(١٩٥). وقد يتم الإنذار للعروس- كما يفعل بالنسبة- للجنازة- لإعلام الناس به على سبيل التباهى والتفاخر(١٩٦).

وكان الزامر أو المغنى يقوم وسط الحفل بالغناء، يرافقه بعض المجان والملهيين الذين يعرضون ألعابهم المسلية والمضحكة[١٩٧]، مستخدمين فى ذلك بعض الآلات الموسيقية التى تثير الطرب، وتجذب المشاهدين[١٩٨].

وعلى الجانب الآخر، تتجهز العروس، وتأخذ زينتها، فتطلى جسدها ووجهها بمواد الزينة[١٩٩]، وتلبس أفخر ثيابها[٢٠٠]، وتتوج رأسها بتاج جميل وتتجلى على الحاضرين فى مشهد مثير يسمى "الجلوة"[٢٠١].

وجرت العادة أن يقدم الزوج إلى زوجته قبل البناء هدية عبارة عن بعض الخفاف والجوارب أو ما يشاكلها، بحسب المكانة الاجتماعية لكل منهما، ومقدار الصداق، ويلزمه أهل العروس بذلك إذا لم يفعل، ويتخاصمون فيه، هذا فضلاً عن إلزامه بأجرة الماشطة[٢٠٢].

ب- **الإنجاب:** كان الريفيون يفضلون أن يكون المولود ذكرًا، وعندما يحين وضع المرأة يتم إحضار القابلة[٢٠٣]، المتخصصة فى توليد النساء، وقد تستدعى بعض الأسر الموثرة الطبيبة التى تأخذ أجرًا مرتفعًا، وفى اليوم السابع لمولد الطفل تقيم الأسرة له عقيقة حسب إمكانياتها الاقتصادية، ثم يختار له اسمًا، وقد يستخدم مصغرًا للتدليل[٢٠٤]. وبعد مدة من الزمن يتم ختان الذكور، وليس لدينا معلومات تفصيلية عن ختان الذكور فى الريف آنذاك.

جـ- **الموت:** وكان من الأحداث المهمة فى حياة الأسرة، خاصة إذا كان المتوفى هو رب الأسرة أو أحد أفرادها الأثيرين. وعند الوفاة يتم الإنذار والإعلان بالوفاة فى المساجد والطرق والأسواق رغم كراهية الفقهاء ذلك واعتباره من مظاهر التباهى والتفاخر[٢٠٥].

ويجتمع النسوة من أهل الميت، ونساء القرية فى حِلَقٍ للبكاء والنواح، والصراخ، وربما لطمن الخدود، وشققن الجيوب، غير عابئين بنهى الفقهاء عن ذلك[٢٠٦]، وفى تلك الأثناء، كان يتم تغسيل الميت وتجهيزه للدفن، حيث يوضع الجثمان فى تابوت أعد خصيصًا لذلك[٢٠٧]، ثم يحمل- إلى المقبرة- على أكتاف

الرجال، بمصاحبة المشيعين وأهل الميت فى ملابس الحداد البيضاء[٢٠٨]، يرفعون أصواتهم بالاستغفار والتكبير رغم نهى الفقهاء عن ذلك[٢٠٩]، يتبعهم النسوة نائحات، صارخات فى أيديهم مناديل يشرن بها إلى النعش، وقد توقد بعض النيران، رغم نهى الفقهاء عن ذلك[٢١٠].

وفى المقبرة، يكون حافر القبر، قد أوشك على الانتهاء من عمله[٢١١]، فتتم عملية مواراة الجثمان، وتبدأ مراسم تلقى العزاء على القبر؛ ولدى العودة إلى الدار ينعقد المأتم؛ وتنفصل أماكن تعزية النساء عن أماكن تعزية الرجال؛ ويقرأ النساء القرآن للنساء؛ والرجال للرجال، وقد يقرأ عميان الرجال القرآن للنساء من وراء حجاب[٢١٢].

وكان أهل الذمة من النصارى واليهود يشاركون المسلمين جنائزهم، فيخرجون معهم فى تشييع الجنازة[٢١٣]، وكان ذلك من مظاهر التماسك والوحدة فى المجتمع.

وكانت نساء أهل الميت وقرابته وجيرانه يخرجن إلى قبره فى يوم الجمعة من كل أسبوع؛ وفى بعض الأيام الأخرى، فيجتمعن على القبر للبكاء والنواح[٢١٤].

وعلى القبر كان يوضع- أحياناً- شاهد، يكتب عليه اسم المتوفى، وتاريخ الوفاة، وربما تكتب بعض الآيات القرآنية المناسبة، وبعض الدعوات، وأبيات الشعر[٢١٥].

ويبدو أن الحياة الأسرية- فى الريف الأندلسى- كانت ثرية، فالعلاقات بين أفراد الأسرة تبدو قوية، شديدة الارتباط، وسلطة رب الأسرة مؤكدة ومحترمة[٢١٦].

(ب) وسائل التغذية فى الريف:

١- أنواع الغذاء:

كان لتنوع الإنتاج الزراعى والحيوانى فى الريف أثره فى تنوع الغذاء لدى الريفيين؛ وإن غلب على طعامهم البساطة؛ وكان اعتمادهم الأساسى على الحبوب

والبقول بأنواعهما المختلفة، والزيوت؛ وخاصة زيت الزيتون. وسوف نتحدث عن بعض الأطعمة التى اعتمد عليها الفلاحون.

١- **الخبز**: كان الخبز من أطعمة الفلاحين الرئيسية، واختلفت أنواعه حسب المادة المصنوع منها وحسب طريقة طهيه وشكله، ومكان خبزه وإنضاجه.

فمن حيث مادة الصنع كان هناك خبز القمح. وهو على أنواع منها خبز الدرمك، وهو أفضلها لأنه كان يصنع من دقيق الدرمك، أفضل أنواع دقيق القمح، وأحكمها نخلاً. هذا فضلاً عن قيمته الغذائية العالية[٢١٧]. ويليه فى الجودة الخبز الخشكار[٢١٨]، وتزيد فيه نسبة النخالة عن النوع السابق، ولكنه جيد الهضم، ذو قيمة غذائية عالية؛ وهو أكثر أنواع خبز القمح شيوعًا لرخصة النسبى؛ ويسمى أحيانًا بالخبز الأسمر[٢١٩].

أما خبز الشعير فيلى خبز القمح فى الأهمية والقيمة الغذائية؛ ولرخص ثمنه اعتمد عليه كثير من الفلاحين؛ وكانوا يضيفون إليه- أحيانًا- دقيق القمح أو نخالته[٢٢٠]. ويشاكله خبز الذرة ويتفوق عليه من حيث اعتماد غالبية الأندلسيين عليه[٢٢١]؛ وكان يصنع منه نوعان: خبز الدخن ويصنع من الذرة الرفيعة Mijo وخبز الذرة البيضاء؛ والأخير قيمته الغذائية أعلى من الأول، وكان يضاف إليهما عند صنعهما دقيق الحنطة والنشا حيث يساعدان على تماسك قوام العجين؛ وكان يتم تناولهما مع اللحم السمين أو السمن والدهن أو يثردان فى اللبن ويضاف إليهما الزيت[٢٢٢].

وجرى العرف فى الريف الأندلسى على خلط القمح بالعديد من المواد الغذائية لصنع أنواع مختلفة من الخبز، هذا فضلاً عن استغلال كثير من الخامات الزراعية فى صنع أنواع من الخبز تؤكل فى أوقات القحط والغلاء مثل حب الآس، خبز القسطل أو الشاه بلوط. خبز التين، خبز السفرجل، خبز النخيل، خبز الأرز، خبز اللوبيا، خبز الجلبان، وخبز الحمص وغيرها، وهذه الأنواع كان يتم صنعها بطرق مختلفة؛ وتناول أطعمة معينة معها لتحقيق أقصى إستفادة غذائية[٢٢٣].

أما أنواع الخبز من حيث الشكل، وطريقة الصنع، ومكان الخبز، فمنها خبز الحنطة المختمر أى الذى تضاف إليه الخميرة، وكان يخبز فى التنور[٢٢٤]، ويعتبر من أفضل الخبز يليه الخبز المختمر الذى يخبز فى الفرن[٢٢٥]. وكان هناك نوع من الخبز يخبز على الطاجن أو الطابق[٢٢٦] وخبز الفطير؛ وكان يصنع من عجين غير مختمر، وهو بطىء الهضم[٢٢٧]، وخبز الملة[٢٢٨]؛ ويأتى فى الجودة بعد خبز التنور وخبز الفرن، وهو من أطعمة الريفيين الشائعة فى الأندلس، والخبز المقلى، وهو نوع من الخبز يقلى فى الزيت وكان من الأطعمة الأساسية للفلاحين والرعاة[٢٢٩].

ومن الأطعمة الأساسية للفلاحين الأجبان بأنواعها، واللبن الرائب، وكانت تؤكل مع بعض الأطعمة الأخرى[٢٣٠]، واللحوم بأنواعها وكانت تصنع منها أطعمة مختلفة مثل "المركاس" وكان يتم إعداده من اللحوم الحمراء والدهن وخليط من الملح والثوم والتوابل والخل وغيرها[٢٣١].

ومن الأطعمة المفضلة لدى الفلاحين فى الريف، الثرائد بأنواعها مثل ثرائد اللحوم بالزيت وثرائد اللبن بالسمن أو الزبد، وثرائد الدجاج[٢٣٢].

وكان الفلاحون يأكلون الحوت (السمك)، مقليًا ومشويًا، ويضيفون إليه الخل والثوم والبيض والجبن الرطب، كما كانوا يقددونه بالملح. وكانوا يصنعون من البيض أطعمة مختلفة منها البيض المقلو، والبيض المطبوخ فى الفرن، والبيض بالعسل[٢٣٣].

وكان الفلاحون يتناولون العديد من أنواع الحساء والعصائد من ذلك سويق القمح، وسويق العشير، وكشك الشعير، وحريرة الحنطة، وحريرة الشعير، وحريرة الذرة، وحسو خبز القمح المختمر، وحسو خبز الشعير[٢٣٤].

ومن أنواع الصلصات التى كان يتناولها عامة الفلاحين نوع من "المرى" almari كانوا يصنعونه من العسل والخبز المحروقين؛ كما كانوا يصنعون "مرى الحوت" (صلصلة السمك) عن طريق غلى السمك المملح فى الشمس عدة مرات ثم تصفيته؛ وإضافة الصعتر والبسباس والكزبر وورق الأترج إليه[٢٣٥].

وكان الزيتون من أطعمة الفلاحين الرئيسية؛ وكان لا يخلو منه منزل ريفى؛ حيث كان يتم تخليله وتخزينه لاستعماله طوال العام بعد ذلك[٢٣٦].

ومن أصناف الفطائر التى عرفها الفلاحون "المجبنات"[٢٣٧] almojabanas واشتهرت "شريش" بإنتاج نوع منها، أقبل عليه عامة الأندلسيين؛ وهى عبارة عن قطايف يضاف إليها الجبن فى عجينها وتقلى بالزيت، ولشهرة مجبنات شريش قالوا: "من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم"[٢٣٨].

وكان الفلاحون فى الريف يتناولون العديد من أنواع المربات والأشربة، التى يصنعونها بأنفسهم مستغلين فى ذلك إنتاجهم الزراعى، مثل مربة الأترج، الجزر، الورد، الجوز، القرع، الكمثرى؛ ومن الأشربة، شراب: الأترج، الورد، التفاح، والحصرم وغيرها[٢٣٩].

وفى أوقات الأزمات الطبيعية مثل فترات القحط والمجاعة كان الريفيون يتناولون بعض الأطعمة التى تبدو غير مستساغة مثل الجراد، الذى كانوا يأكلونه مطبوخًا ومقليًا، واعتبروه من الكوامخ[٢٤٠]. وقد تم اصطياد كميات كبيرة منه سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م، عندما تسبب فى إحداث مجاعة كبيرة عَّمت الأندلس، لدرجة أنه أقيمت له سوق مخصوصة لبيعه[٢٤١].

٢- **تخزين الطعام:** درج الفلاحون على تخزين الأطعمة تحسبًا لما قد يحدث من أزمات فى مستقبل الأيام[٢٤٢]، وكان لا يخلو منزل ريفى من مكان لخزن الطعام، مثل المطمورة،/ وهى عبارة عن حفرة تحفر فى قاع الأرض وتستخدم لخزن الأطعمة؛ وكان يتم تأجيرها- فى بعض الأحيان- بين الفلاحين لتخزين الطعام[٢٤٣].

وكانت عملية تخزين الطعام من المبادىء الراسخة لدى الفلاحين الأندلسيين، دفعهم إلى التمسك بها، والمواظبة عليها عدم استقرار الأحوال الطبيعية والسياسية فى كثير من الأحيان، لدرجة أنهم فضلوا تخزين الطعام- حتى ولو أدى ذلك إلى فساده- على بيعه وعدم تخزينه[٢٤٤].

واشتهرت بعض الأقاليم والمناطق الريفية بقدرتها الكبيرة على تخزين الأطعمة، كما كانت الحال بالنسبة لإقليم طليطلة، حيث كان الفلاحون يخزنون كثيرًا من الغلال خاصة القمح لفترات طويلة قد تصل إلى مائة عام فلا يتعفن ولا يتغير له طعم ولا رائحة(٢٤٥). وهذا يفسر صمود طليطلة ضد مهاجميها على طول تاريخها.

وفى أرياف سرقسطة كان الفلاحون يخزنون القمح لفترات طويلة قد تتعدى عمر الإنسان وكانوا يحتفظون بالعنب لستة أعوام، والتين والخوخ والتفاح والإجاص لأربعة أعوام، أما الفول والحمص فكان يتم تخزينها لعشرين عامًا دون أن يفسدا. وفى أرياف إشبيلية اعتاد الفلاحون على تخزين الزيتون وزيته لفترات طويلة قد تصل إلى ثلاثين سنة دون أن يتغير طعمه ولا رائحته، كما كانوا يخزنون العسل والتين اليابس، لفترات طويلة أيضًا، وفى أرياف المرية كان يتم تخزين الشعير لستين وسبعين سنة فلا يتسوس، وفى أرياف لورقة كان يتم تخزين الطعام لمدة خمسين سنة فلا يفسد(٢٤٦).

وقد تعددت وسائل وطرق تخزين الطعام، وإن غلب عليها الطابع العملى التجريبى، الذى يستند على أساس علمى، حيث كانت تختار المواضع الباردة الجافة النظيفة لحفظ الخضروات والفواكه مع إضافة بعض المواد الحافظة(٢٤٧).

وكان يجرى تخزين الحبوب بعدة طرق منها التخزين فى المطامير بحيث لا يصل إليها الهواء، أو التخزين فى الأهراء، مع تعريضها للهواء الدائم حتى لا تفسد، ومنها تخزين الحبوب فى سنابلها، وإضافة بعض المواد الحافظة لها(٢٤٨).

(ج) الصحة العامة:

١- طب الإنسان:

تبدو الصحة العامة فى المجتمع الريفى الأندلسى جيدة، إذا ما نظرنا إلى الوسائل العلاجية المتعددة التى استخدمت فى علاج الإنسان.

(أ) وسائل علاجية ذات أصل نباتى وحجرى:

استخدم الفلاحون فى الريف أطعمة ذات أصل نباتى فى علاج كثير من أمراض وأدواء الإنسان، فاستخدم خبز القمح النقى كمرهم يوضع على بعض المواضع التى بها حرارة، ولباب القمح كانوا يعالجون به خشونة الحلق وكلف الوجه، والقمح الممضوغ يعالج الأورام ومواضع عضة الكلب، ودهن القمح (ناتج القمح بعد تسخينه) يعالج القوباء والحزازة، ومنقوع نخالة الدقيق المطحون بعد خلطه بالسكر وزيت اللوز يعالج بعض الأمراض الصدرية، وماء الكشك كان يستخدم فى علاج الصدر وإدرار البول وكلف الوجه، وسويق الشعير وكشكه يعالج الحمى(٢٤٩).

واستخدم عجين الفول اليابس فى علاج مواضع القيح والرطوبة، وإزالة الكلف من الوجه، وكان يتم خلطه بشحم الحنظل أو دقيق الشعير لعلاج بعض الأورام، وكانوا يعالجون بدقيق الحمص بعد غليه مع اللبن الحليب بعض الأمراض الصدرية، وكان يستخدم الحمص مطبوخاً لعلاج إدرار البول والحيض، وزيادة المنى، وإذابة الحصاة، وعلاج المعدة والكبد، وكذلك كانوا يستخدمون البقول الأخرى كاللوبياوالعدس والترمس وغيرها فى علاج أمراض البطن والصدر والأورام(٢٥٠).

واستخدمت الفواكه والخضروات أيضًا فى علاج العديد من الأمراض، فاستخدم التين فى علاج أوجاع الصدر والسعال وإدرار البول وأمراض الكبد والطحال، وحب الأترج فى علاج لدغ العقارب والحيات، والخوخ فى علاج الأورام والصداع، والسفرجل فى منع القيء، والرمان والموز واللوز فى علاج أمراض الصدر والبطن، والبطيخ فى علاج السعال والكلى والمثانة وإدرار البول والحيض، والكرنب فى علاج الأورام الداخلية والخارجية، كما استخدموا البصل والثوم فى علاج كثير من الأمراض حتى قيل عن الثوم أنه "ترياق أهل البادية"(٢٥١).

كما استخدمت العديد من أنواع النباتات العطرية كالورد والآس والسوسن، والياسمين والنرجس والنعنع، والتوابل والإفاوية كالكزبر والكمون والكراويا والشونيز (الحبة السوداء) والفلفل وغيرها فى علاج كثير من أمراض الصدر والبطن والحمى والأورام والقروح، وأمراض العيون[٢٥٢]. واستخدم العديد من أنواع النباتات والأعشاب الطبية فى علاج كثير من الأمراض[٢٥٣].

واستخدمت بعض الأحجار فى أغراض طبية كالإثمد وحجر الولادة أو حجر اليسر والجنطيانا[٢٥٤].

(ب) وسائل علاجية ذات أصل حيوانى:

استخدم الفلاحون لحم الحمام فى علاج الكلى، وزيادة المنى، والبيض فى علاج أمراض العيون والبطن، ولبن الأتن فى علاج بعض أمراض الصدر كالسعال وأمراض البطن كقرحة المعدة ووجع الكلى، ولبن الإبل فى علاج ورم الطحال، ولبن الماعز فى علاج السعال وقروح الأمعاء والكلى والرئة والمثانة، ولبن البقر فى علاج قرحة الرحم والسل والكبد وزيادة المنى، وجبن الماعز فى علاج اليرقان وهو صفرة العينين والجسد، وكانوا يعالجون لدغ الحيات والعقارب وبعض الأورام والقرح بشرب السمن والعسل[٢٥٥]. واستخدمت أنفحة الأرنب فى علاج الصرع وعدم الحمل وبعض أمراض الصدر، واستخدم حيوان الأسفنج البحرى فى مداواة انفجار الدم النازف عند القطع أو البطا[٢٥٦].

(ج) العيون الاستشفائية:

مثل الحَمَّات (ومفردها الحُمَّة) وكانت تنتشر فى مواضع عديدة من الريف الأندلسى وتتميز بمياهها الساخنة ذات الخواص العلاجية. وكان من أشهرها "عين الحَمَّة" فى حصن الحَمَّة على بعد ستة أميال من بجانة، وكان يقصدها المرضى وأهل الأسقام من جميع أنحاء الأندلس، حيث يقيمون فى فنادق ومساكن يتم تأجيرها لهذا الغرض، وكان بها أماكن استشفاء خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء[٢٥٧].

وفى قرية بلقوار إحدى قرى تدمير كانت هناك "حَمَّة شريفة حسنة عليها ديماس للرجال وآخر للنساء"[٢٥٨]. وبالقرب من مدينة "لكه" كانت هناك حمة تتبعها "من أشرف حمَّات الأندلس"[٢٥٩].

أما العيون الباردة والعذبة فكان منها عين بالقرب من حصن بلس أو بلش إلى الشمال الشرقى من المرية وإلى الغرب من لورقة وكان يقصدها المرضى للاغتسال بمائها لغرض الشفاء حتى سميت باسم "العين المباركة"[٢٦٠]، وهى تسمية لها دلالتها. وكانت مياه عين قرية باغة تفتت الحصاة إذا تم شربها[٢٦١]. وكانت مياه بعض العيون العذبة الأخرى تزيل "علق الحلق"[٢٦٢].

(د) الأطباء:

وكان الفلاحون يذهبون للأطباء أو المتطببين، خاصة فى أديرة النصارى[٢٦٣]، وفى الحاضرة حيث كان يوجد بها العديد من الأطباء[٢٦٤].

٢- البيطرة أو طب الحيوان:

وكان يمثل جانبًا هامًا من حياة الفلاح الأندلسى لارتباطه بالحيوان عماد حياة الفلاح. وقد تقدم طب الحيوان أو البيطرة فى الأندلس، وقام فى أغلبه على الملاحظة والتجربة، ولم يخضع للخرافة إلا فى القليل النادر[٢٦٥]. وتعددت الوسائل العلاجية مثل استخدام الأشربة والسوائل والمعاجين والدهونات والسحوقات، واستخدم بعض أنواع الغذاء المفرد والمركب، والأعشاب والنباتات الطبية، الخ... واستخدام بعض الأدوات والآلات، كاستخدام الحقن المحتوية على عدة أدوية، وإجراء عمليات فتح الجروح والعروق وإسالة الدماء بطرق مخصوصة وكيفيات معينة[٢٦٦].

(د) الأزياء والملابس ووسائل الزينة:

١- الملابس والأزياء:

يصعب الوصول إلى وصف دقيق وشامل لملابس الفلاحين فى الريف بسبب الافتقاد إلى حصر شامل ودقيق للملابس الأندلسية بصفة عامة، ذلك الحصر الذى يتطلب الرجوع إلى كل ما يتعلق بالملابس فى التراث الأدبى والأثرى على مدار

التاريخ الأندلسى، هذا فضلاً عن وفرة المصطلحات المتعلقة بالملابس، وتداخلها، وتناثرها فى المصادر الأدبية، فى الوقت نفسه الذى يندر فيه وجود صور لهذه الملابس اللهم إلا بعض الصور النادرة التى تزين بعض علب الحلى المصنوعة من العاج والتى ترجع إلى عصر الخلافة، وتلك التى تزين بعض الحوائط والأسقف فى الحمراء[٢٦٧].

ورغم هذه الصعوبات يمكن القول بوجود زى مميز للفلاحين فى الريف، أشارت إليه كثير من الشواهد التاريخية، هذا الزى كان يغلب عليه البساطة والخشونة فى الوقت نفسه [٢٦٨].

(أ) ملاحظات حول الملابس الريفية:

اختلفت الملابس الريفية من منطقة إلى أخرى داخل الأندلس(٢٦٩)، واختلفت ملابس الصيف عن ملابس الشتاء[٢٧٠]. كما اختلفت الملابس باختلاف الطبقة أو المهنة[٢٧١].

وارتبطت بعض الملابس بمناسبات معينة كلبس البياض فى حالة الحداد، وسير الرجل حاسر الرأس فى جنازة عزيز عليه[٢٧٢]، ولبس الجديد فى الأعياد[٢٧٣].

واختلفت الملابس فى الريف- أيضا- باختلاف الديانة، فكان المسلمون يحرصون على ارتداء الملابس الشرعية التى تستر عوراتهم، خاصة أثناء الصلاة، أما النصارى فقد تميزوا بارتداء ملابس، تناسبهم، فارتدوا "البرانس الأعجمية" و"الدرندين" وهو ثوب رومى، كما ارتدوا الزنار، والخمار، والمسوح، وكان المسلمون أحيانا يرتدون بعض الأزياء الخاصة بالنصارى رغم نهى الفقهاء عن ذلك[٢٧٤].

وفى أوقات الأزمات الطبيعية والسياسية، كان الفلاحون يرتدون الجلود والحصر، نتيجة للفقر الشديد[٢٧٥].

(ب) وصف الملابس:

١- لباس الرأس:

انتشر لبس العمامة فى نطاق ضيق فى الريف حيث شاع لبسها بين فئات محدودة من السكان[٢٧٦]، مثل البربر، فقد كانت العمائم من ضمن هدايا الخليفة الحكم المستنصر لرؤساء البربر، وكان منها العمائم الزرقاء والحمراء والخضراء[٢٧٧]. وكانت العمائم أيضًا من ألبسة الرأس لدى العلماء، فقد أمر الحكم المستنصر بالمناداة "فى أزقة قرطبة ألا يتعمم رجل لا يحمل المدونة حفظًا وفقهًا"[٢٧٨].

وكانت القلنسوة من ملابس الرأس أيضًا، وتسميها العامة: "الدّنيّة"، "الشاشية"[٢٧٩] والقلنسوة- عمومًا- هى ما يغطى الرأس من الوشى أو الخز أو الصوف أو الفراء، وشاع استخدامها بين مختلف الطبقات فى الأندلس[٢٨٠].

ومن ألبسة الرأس فى الريف أيضًا "الغفارة"[٢٨١]، وكانت فى الأندلس عبارة عن طاقية تطوق الرأس، وتشبه القلنسوة، ولكنها تنسدل على الكتفين[٢٨٢]. ويبدو أن لبسها كان شائعًا فى الريف، فالخشنى (ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م) يذكر عن القاضى سعيد بن سليمان الغافقى- وكان ينتمى لأرياف فحص البلوط- أنه أتى إلى قرطبة ليتولى قضاء الجماعة فى عهد عبد الرحمن الثانى، وكان يرتدى "غفارة بيضاء"[٢٨٣]. وكانت الغفائر تصنع من الصوف فى الغالب- وتتخذ عدة ألوان منها الأحمر والأخضر والأصفر "وغفائر الصوف كثيرًا ما يلبسونها حمرًا وخضرًا، والصفر مخصوصة باليهود"[٢٨٤].

وأشارت المصادر إلى أنواع أخرى من ألبسة الرأس منها : الكَنبُوش والقُنزُع[٢٨٥]، والقناع والمِقنَعة، والمِقنَع[٢٨٦]، و"القبجُول المُطوَّق" ويبدو أنه كان ثوبًا يغطى الرأس والوجه فيما عدا العينين[٢٨٧].

٢- لباس البدن:

يمكن تقسيم لباس البدن إلى ملابس خارجية وملابس داخلية، فمن الملابس الخارجية: البُرنُس[٢٨٨] Albornoz، والبرانس هى "ثياب متان فى شكل الغفائر...

مفتوحة من أمام تلبس على الثياب فى البرد والمطر مكان الرداء، فلا تجوز الصلاة فيها وحدها إلا أن يكون تحتها قميص أو إزار أو سراويل، لأن العورة تبدو من أمامه"[٢٨٩].

وعلى ذلك يتضح أن البرانس يشبه ما نسميه حديثًا بالمعطف الكبير المفتوح، ولكنه ينتهى من أعلى بقلنسوة أو طاقية تغطى الرأس تسميها العامة "قبَّة البُرْنس"[٢٩٠].

ومن الملابس الخارجية أيضًا التى كان يرتديها أهل الريف "الملاحف"، والملحفة عبارة عن ملاءة مبطنة يطلق عليها أحيانًا المبطن، وقد تكون معصفرة أو صفراء أو حمراء، وكانت تلبس فى الغالب على القميص أو مع الإزار[٢٩١]. وانتشر لبس الملاحف بين مختلف الطبقات مع ملاحظة ارتداء الخاصة لملاحف مصنوعة من خامات فاخرة[٢٩٢]. وهناك إشارات فى المصادر إلى نوع من الملاحف كان يلتحف بها عند النوم[٢٩٣].

وانتشر لبس الجبة[٢٩٤]، بين العديد من طبقات المجتمع الأندلسى، وكانت تصنع من خامات مختلفة مثل الخز[٢٩٥]، والديباج والصوف وغيرها[٢٩٦].

وكانت الممطرة- وهى ثوب من الصوف كان يلبس على الثياب ليقيها من المطر[٢٩٧]- من الملابس الخارجية ، وكذلك الأفرية، التى كانت تصنع من صوف الأغنام وأوبار حيوان القنلية الشبيه بالأرنب، وكانت تلبس فى الشتاء، خاصة المبطن منها[٢٩٨].

ومن ألبسة البدن الخارجية التى شاع ارتداؤها أيضًا بين العامة والخاصة فى الأندلس "الطيلسان" "ولا تجد فى خواص الناس وأكثر عوامهم من يمشى دون طيلسان إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون"[٢٩٩].

أما الملابس الداخلية فكان منها "المئزر" Almaizar، وهو لباس يستر العورة، ويبدأ من السرة إلى أسفل، وقد يرخى أو يُسبل، وقد يرتفع حتى منتصف القميص، وهو من الألبسة المشتركة للرجال والنساء[٣٠٠].

وكانت الأقمصة من الملابس الداخلية للبدن كذلك، وهى من المقطعات التى تحاك ويصل القميص حتى الركبتين، والأكمام، ضيقة عند المعصم، ولكنها تطول حتى أطراف أصابع اليدين. وتتراوح ألوان الأقمصة بين الأبيض والأسود، وكانت تصنع- فى الغالب- من الكتان(٣٠١). وشاع ارتداؤها بين مختلف الطبقات، واشترك الرجال والنساء والأطفال فى لبسها، وكان النساء- خاصة الجوارى منهن- يفضلن القمصان الرقيقة التى تلتصق بأجسامهن، حتى تبرز مفاتن أجسادهن(٣٠٢).

كما كانت السراويل(٣٠٣) من الملابس الداخلية التى شاع ارتداؤها بين الرجال والنساء مع بعض الاختلافات لكى تناسب كل شخص حسب عمله، فكان الصيادون يرتدون سراويل خاصة تصل حتى الأقدام، وتكاد تلتصق بالسيقان، كما لو كانت جوارب(٣٠٤).

٣- ألبسة القدم:

كانت هناك عدة أنواع من ألبسة القدم منها الأقراق(٣٠٥)، وكانت تصنع من الأخشاب والجلد، وكان ينتعلها الرجال والنساء على السواء، وكذلك الأخفاف والنعال(٣٠٦) والتى يبدو أنه لم يكن يدخل فى صناعتها الأخشاب، وكان منها نوع يسمى الخف الصرار، أو النعل الصرار، كان يلبسه متأنقو الرجال بالذات(٣٠٧)، والنساء المتبرجات، لأنه كان يحدث صريرًا يجذب أنظار الرجال فى الأسواق والطرقات، حتى نهى الفقهاء النساء عن ارتدائه، واعتبروه من مظاهر التبرج بالنسبة للنساء(٣٠٨).

كما كان الفلاحون فى الريف ينتعلون- أيضًا- أحذية مصنوعة من الحلفاء(٣٠٩)، كانت تسمى "بلغة"(٣١٠).

ويذكر دوزى أن الفلاحين فى الأندلس كانوا ينتعلون حذاء يسمى البطان، وهو حذاء قروى مصنوع من جلد الثور المدبوغ، وكان على طرازين: الطراز الأول مصنوع من الخشب على شكل الزوارق المسطحة لذا سمى باسم: Abarcas، والثانى: مصنوع من جلد الثور المدبوغ، ويشد إلى الأقدام بخيوط غليظة، ويوجد

تحت الجلد قطع من الجوخ، وبواسطة هذه الأحذية كان يمكن المشى على الثلوج دون خطر[٣١١].

وقد أجمل ليفى بروفنسال القول بشأن الملابس فى المغرب الإسلامى فى العصور الوسطى، وذكر أن الكثير من الملابس كانت من نفس النسيج والشكل والمسمى، كما كانت مشتركة بين الرجال والنساء، وأن الناس فى الريف كانوا يلبسون المعطف القصير (الشايا أو الجبة) فوق قميص قطنى أو فوق ملابس صوفية مفتوح جزء منها أو كلها من الأمام. وفى فصل الشتاء كان يضاف إلى هذا اللباس صديرية بلا أكمام مع الانتعال بخف من القماش أو بخف غير مبطن من جلد الغنم أو الأرنب. وكانت الرؤوس فى الصيف تغطى بأغطية من القش، مجدولة بحواف عريضة[٣١٢].

وإذا كنا قد تحدثنا عن الملابس والأزياء بالتفصيل، فإننا يجب أن نشير إلى أن هذه الملابس كانت تختلف من طبقة إلى أخرى فى الريف، فالموسرين كانوا يبالغون- بلا شك- فى لباسهم، ويتأنقون، على العكس من الفقراء الذين تميزت ملابسهم بالبساطة وعدم التعقيد، وفقر الخامات. كما تجب الإشارة إلى أن المرأة الريفية كان يمكنها أن تخرج بادية الأطراف والوجه فى ملابس بسيطة وعملية تساعدها على العمل وقضاء حوائجها بعكس الطبقات الغنية[٣١٣].

٢- وسائل وأدوات الزينة:

من وسائل الزينة المستخدمة آنذاك صبغ الشعر ودهانه بعدة مواد تعمل على إطالته، وتقويته، وحفظه من الآفات، مثل الحناء، ومعجون حب الآس، ودهن بذر الكتان ودهن زيت الزيتون وغيرها[٣١٤].

ولترطيب البشرة وتقويتها استخدموا دهن اللوز والأسفيداج وغيرهما، وكانت الأدهان تستخدم عادة بعد الاستحمام[٣١٥].

واستخدمت الطيوب على نطاق واسع فى الزينة، وكانوا يستخدمونها تبعًا لفصول السنة، ففى الشتاء كانوا يستخدمون من الطيوب المسك، وفى الربيع كانوا

يتطيبون بالقرنفل والعود الهندى والعنبر، وفى الصيف كانوا يتعطرون بذرائر الأشنة والصندل، والريحان، وفى الخريف كانوا يتعطرون بماء الورد، وماء التفاح المخلوط بعصارة الحصرم[٣١٦].

واستخدموا المعاجين والمضمضة فى تنظيف الأسنان والفم، واستعملوا ماء الورد لنظافة العينين، ولتكحيلها استخدموا المر والتوتيا والمحار البحرية وغيرها، وكانوا يضعون الحناء بالزبد لزينة الأظافر وحفظها[٣١٧].

واستخدمت الحلى والجواهر، والعقود والأساور والشماشير فى الزينة، وكان الفقراء يلجأون- فى أغلب الأحيان- إلى استئجار العديد من هذه الحلى للتزين بها[٣١٨].

(هـ) وسائل التسلية:

١- المتنزهات والمتفرجات الخاصة:

وتتمثل فى المنيات والقصور الريفية التى كان ينتجعها الأمراء والخلفاء وكبار موظفى الدولة لقضاء بعض أوقات الراحة، والتنزه فى ظل البساتين الوارفة الظلال، والمياه الجارية. ومن هذه المنيات "منية الرصافة" إلى الشمال الغربى من قرطبة[٣١٩]، و"منية كنتش" جنوب غرب قرطبة[٣٢٠]، و"منية الناعورة"، و"منية نصر"[٣٢١].

وقد أنشأ الخليفة الناصر فى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م قصرًا فى قرية "قرقريط"[٣٢٢] بالقرب من قرطبة، وقام بإنشاء طريق لربطه بقصره فى منية الناعورة سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م، وكان يقيم فى هذين القصرين للراحة والنزهة[٣٢٣].

أما الخليفة الحكم المستنصر، فإلى جانب المنيات والقصور الريفية التى ورثها عن أسلافه أهداه الفتى الكبير "درى الأصغر"- الخازن الصقلبى "المنية الرمانية"- نسبة إلى وادى الرمان Guadarrman- سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م، وكان ينتابها هو وحاشيته لغرض التنزه والراحة[٣٢٤].

٢- المتنزهات والمتفرجات العامة:

انتشرت المتنزهات والمتفرجات العامة فى العديد من المناطق الريفية مثل طريانة وجزيرة تيطل ووادى الطلح بأرياف إشبيلية وقلعة جابر بالقرب منها، والرشاقة والزّنقات وجبل إيل بأرياف مرسية، والرُصافة ومنية ابن أبى عامر بأرياف بلنسية، والبطحاء والغدير والعين الكبيرة بأرياف شاطبة، والجِّلقَيْن ووادى الزيتون بأرياف سرقسطة[٣٢٥].

وكانت أودية الأنهار من أماكن النزهة العامة فى الريف- أيضًا- فكانت ضفتا نهر إشبيلية "مطرزتين بالمنازة والبساتين والكروم والأنشام[٣٢٦].... متصل ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره"[٣٢٧]. أما نهر طليطلة فكان "يضاهى دجلة والفرات والنيل، تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار، وتغريد الأطيار، أربعة وعشرين ميلاً"[٣٢٨].

وفى المتنزهات الخاصة والعامة كانت تعقد مجالس اللهو والشراب، فى جو من الموسيقى والطرب، واختلاط كبير بين الرجال والنساء[٣٢٩].

٣- صيد التسلية:[٣٣٠]

وكان أمراء وخلفاء بنى أمية فى الأندلس مولعين بممارسة صيد التسلية فى العديد من المناطق الريفية، فكان الأمير عبد الرحمن الداخل يمارس الصيد فى كثير من غزواته ومتنزهاته[٣٣١]، أما الأمير عبد الرحمن الثانى فكان مولعًا بصيده "الغرانيق"، وكان يخرج لصيدها فى الشتاء فى موكب كبير[٣٣٢]. وكان الأمير محمد يخرج فى بعض متصيداته إلى غرب الأندلس وجزيرة قادس "وكان بعيد المذهب فيها على رسم والده عبد الرحمن"[٣٣٣]، أما الأمير عبد الله فكان يخرج للصيد بجهة الوادى الكبير، وكان لا "يترك أحدًا يجوز القنطرة إذا كان له خروج للصيد"[٣٣٤].

وكان الخليفة الناصر يخرج للصيد فى موكب كبير من الحاشية والشعراء، وكان يمارس صيده بالقرب من حاضرته فى "منية الجنة"، "ومنية البنتلى" بشرقى قرطبة[٣٣٥].

وكان بعض الأمراء والأعيان مغرمون بالصيد بالبزاة، حيث كانوا يخرجون للصيد مصطحبين معهم غلمانهم لمساعدتهم(٣٣٦).

٤- الطرب والغناء:(٣٣٧)

ازدهرت فنون الغناء والموسيقى بشكل عام فى الأندلس حتى أصبحت جزءًا من كيان أهل الأندلس، فى مختلف طبقاتهم، حيث انتشر الغناء فى القصور والحقول والأسواق والحوانيت والبيوت والمتنزهات، لا يتورع عن ذلك الصغير ولا الكبير(٣٣٨).

وبلغ من افتتان الأندلسيين بالغناء والموسيقى حدًا جعل العامة منهم يقرأون القرآن بالألحان والرقص بالأرجل والتصفيق بالأيدى(٣٣٩).

ورغم ذلك لم تصلنا نصوص مما كان يتغنى به الفلاحون فى الريف اللهم إلا بعض الإشارات القليلة المتأخرة التى يفهم منها أن الفلاحين كان لهم لون خاص من الغناء يميزهم عن غيرهم من السكان فى الأندلس(٣٤٠).

وإذا كنا نتحدث عن الغناء فى الريف، فلابد من الإشارة إلى الزامر أو المغنى الذى لعب دورًا كبيرًا فى تسلية الناس وإطرابهم فى الأعراس والاحتفالات ومجالس اللهو والشراب، وشخصيته تبدو- من خلال المصادر- شخصية مميزة فى الملبس والهيئة، يتسم بالتأنق الشديد فى ملبسه، والتيه والدلال فى مظهره، لكنه لم يكن يحظى بقبول الفقهاء ورجال الدين(٣٤١).

٥- ألوان أخرى من التسلية:

من وسائل التسلية التى استمتع بها الريفيون أيضًا مشاهدة طائفة كبيرة من الذين يمارسون ألعابهم السحرية والبهلوانية فى الشوارع والطرقات والأسواق، والبيوت والمتنزهات مثل اللاعبين والحواة الذين كان يستطيع الواحد منهم أن يمشى على الحبل واضعًا على جبهته خشبة عظيمة يركبها إنسان آخر أو يوهم الناس بقطع رأس إنسان، ثم يدعوه فيجيبه حيًا، أو يجعل من التراب دراهم ودنانير إلى غير ذلك من الألعاب السحرية(٣٤٢).

وعلى شاكلة هؤلاء اللاعبين والحواة أشار ابن حزم إلى العجائبيين وأهل التخييل، الذين كانوا يعرضون ألعابهم بنفس الهيئة والكيفية فى إيهام الناس بحقيقة تخييلهم[٣٤٣].

ويضاف إلى الفئات السابقة الملهيون والمبهرجون والمهذرون والقرادون، والمتسولون والمدعون للأمراض المختلفة. وكل هؤلاء وأولئك كانوا كثيرًا ما يلجأون إلى نواحى الريف وأطراف المدن لعرض ألعابهم المختلفة بغرض كسب العيش، وسد الرمق، أو هربًا من رجال السلطة خاصة المحتسب وأعوانه الذين كانوا- كثيرًا- ما يطاردون هؤلاء- خاصة الحواة وأهل التخييل- متهمينهم بممارسة السحر والزنى، وترويع الناس، والسخرية منهم وإشاعة الفوضى[٣٤٤].

ولعب القصاصون والزجالون دورًا مهمًا فى تسلية عموم الجماهير فى الأسواق والطرقات والمتنزهات، فالقصاص راوى شعبى للسير التاريخية تتميز روايته بعدم الدقة والجهل والتلفيق والكذب فى بعض الأحيان، أما الزجال فهو شاعر شعبى ينظم أزجالاً عامية تستثير الناس، وترضى طموحهم[٣٤٥].

ومن ألعاب التسلية المشهورة التى كانت تمارس على نطاق واسع آنذاك لعبة "خيال الظل"[٣٤٦] التى يقول عنها ابن حزم: "وأشبه ما رأيت بالدنيا خيال الظل، وهى تماثيل مركبة على مطحنة خشب تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدو أخرى"[٣٤٧]. وكانت هذه اللعبة تمارس فى عدة صور وأشكال بحسب الموقف ومقتضى الحال[٣٤٨].

ومن وسائل التسلية أيضًا اللعب بالصور والدوامات، وهى عرائس فى شكل الإنسان والحيوان[٣٤٩]، ولعب الشطرنج والنرد والقِرق، كما كان الشباب والصبيان يمارسون لعب "اللطمة والمقرع" واللعب بالعصى[٣٥٠]. ومارس البعض منهم لعب الكرة[٣٥١]، واللعب بالرماح والسيوف[٣٥٢].

(و) الأعياد والمواسم والاحتفالات:

تعددت الأعياد والمواسم والاحتفالات التى كان يحتفل بها فى الريف، وكانت هناك أعياد، واحتفالات خاصة بالمسلمين، وأخرى بالنصارى، وثالثة مشتركة احتفل بها كل من المسلمين والنصارى على السواء.

١- أعياد المسلمين:

كان المسلمون فى الريف يحتفلون برؤية هلال رمضان، وعند ثبوت الرؤية فى إحدى القرى، يبادر الفلاحون بإيقاد النيران لإعلام القرى المجاورة بثبوت رؤية هلال رمضان[٣٥٣]، ويبدأ جميع المسلمين فى الصيام، الذى قد يؤثر على إنتاجية الفلاح إذا تواكب مع حرارة الصيف القائظه، وبمجرد إفطار الناس تعج الشوارع بالمارة، وبحلول ليلة السابع والعشرين من رمضان تمتلىء المساجد بالمصلين[٣٥٤]، حيث كان يحتفل بهذه الليلة على نطاق واسع، ويقوم الناس بشراء الحلوى[٣٥٥]، استعدادًا لعيد الفطر.

وقبيل حلول عيد الأضحى، يتم تجهيز الأضاحى، وكان بعض الفلاحين المزارعين يقدمون للملاك الكباش والدجاج والبيض والخضروات، فى هذا العيد[٣٥٦]. وقد يمثل عيد الأضحى مشكلة بالنسبة للأسر الفقيرة التى تضطر للاستدانة من أجل الأضحية وكسوة الأطفال بالجديد من اللباس[٣٥٧].

وكان الناس يتزينون فى ليلة العيد (عيد الفطر وعيد الأضحى) ويخرجون فى الصباح الباكر للصلاة فى المصلى- فى الخلاء- وراء القاضى أو صاحب الصلاة، ويذهب البعض لزيارة القبور والتنزهات، وينصبون الخيام للتفرج، وتختلط مشاعر الفرح والسرور مع مشاعر الحزن المصطنع، ويتزاور الناس ويتبادلون التهنئة بالعيد[٣٥٨].

٢- أعياد النصارى:

كان عيد ميلاد المسيح عليه السلام من أهم أعياد النصارى فى الأندلس، وكانوا يحتفلون به فى الخامس والعشرين من ديسمبر. كما احتفل النصارى على

نطاق واسع- فى الريف- بعيد رأس السنة الميلادية أو"عيد يناير"- كما كانوا يسمونه- وكان يوافق اليوم الأول من شهر يناير(٣٥٩)، وقد شاركهم المسلمون الاحتفال بهذا العيد الذى كانوا يسمونه أيضًا عيد "النيروز"(٣٦٠).

وكان عامة الناس يحتفلون بهذا العيد بصنع أصناف من الحلوى، وشراء فواكه مخصوصة مثل الأترج والجوز واللوز والتمر والزبيب(٣٦١). واعتبر الناس هذا العيد من أكثر الأعياد ملاءمة للزواج(٣٦٢).

وكان لشيوع الاحتفال بهذا العيد(٣٦٣)، ومشاركة المسلمين النصارى فى الاحتفال به أثره فى انتقاد الفقهاء للمسلمين الذين كانوا يبالغون فى الاحتفال به، فيقيمون الولائم، ويدعون لها الأهل والأصدقاء والجيران، ويتهادون صنوف الأطعمة، وأنواع الطرف والتحف، ويتركون أعمالهم، متخذين اليوم راحة تعظيمًا واحتفاءًا بهذا العيد(٣٦٤). كما كانوا يمارسون فى هذا اليوم بعض الألعاب الشعبية كاللعب بالسيوف الوهمية(٣٦٥). واللهو بالصور والعرائس التى كان يقوم على صنعها أناس متخصصون لهذا اليوم بالذات(٣٦٦).

أما عيد العنصرة(٣٦٧) فهو ثالث أهم الأعياد النصرانية فى الأندلس، وكانوا يحتفلون به فى الرابع والعشرين من يونيه(٣٦٨)، وكان المسلمون يشتركون مع النصارى فى الاحتفال به حيث كانوا يخرجون للنزهة والتفرج وشراء "المجبنات والإسفنج"، وانتقد بعض الفقهاء مثل يحيى بن يحيى الليثى (ت٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)، ومحمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ/ ٩٢٧م) مسلك المسلمين وعاداتهم فى الأختفال بهذا العيد مثل نشر الثياب بالليل وتعريضها للندى، وترك العمل والاغتسال بالماء، وأكل بعض الخضروات المخصوصة كالكرنب، وإجراء سباق الخيل، وقيام النساء برش الماء فى بيوتهن(٣٦٩)، إلى غير ذلك من العادات(٣٧٠).

وكان المسلمون يشتركون مع النصارى أيضًا فى الاحتفال بخميس أبريل[٣٧١]، بشراء المدينات والإسفنج كذلك[٣٧٢].

واختص النصارى فى الأندلس- دون المسلمين- بالاحتفال بأعياد أخرى منها عيد الفصح المسمى عندهم "قيامة المسيح"[٣٧٣]، وعيد الغطاس، وكانوا يحتفلون به فى السادس من شهر يناير، وعيد البشارة وكانوا يحتفلون به فى الحادى والعشرين من مارس، وعيد الصليب وكانوا يحتفلون به فى الثالث من مايو[٣٧٤].

وانفرد النصارى فى الأندلس- دون سائر نصارى العالم- بالاحتفال ببعض الأعياد المحلية، مثل أعياد القديسين والشهداء، المنتمين منهم إلى العهد القوطى أو العهد الإسلامى[٣٧٥]، وكان النصارى فى الريف يحتفلون بالأعياد المحلية بزيارة قبور الشهداء والقديسين، فقد كان بدير بالقرب من قرطاجنة الحلفا (أو الخلفاء)- من عمل تدمير- قبر لإحدى القديسات، كان النصارى يجتمعون لزيارته فى الرابع والعشرين من أغسطس من كل عام فى مشهد عظيم، حيث يحضر للاحتفال النصارى من كل حدب وصوب[٣٧٦].

٣- أعياد قومية:

كان عيد العصير Alacir من أشهر الأعياد القومية فى الأندلس، وكان المسلمون والنصارى- على السواء يحتفلون به، وكان يقام عند جنى محصول العنب، حيث كان يخرج غالبية الفلاحين من قراهم- إلا النفر اليسير- إلى الحقول فيقيمون أيامًا لجمع المحصول فى جو يسوده المرح والغناء والرقص وهى عادة مستمرة حتى اليوم فى إسبانيا[٣٧٧].

وكانت الأعياد والاحتفالات الدينية والشعبية فرصة للناس فى الريف إضفاء التحسينات على الوضع الغذائى اليومى المعتاد، ومناسبة لتناول بعض الوجبات الشهية التى لا تتوافر طوال العام، كما كانت الأعياد والاحتفالات فرصة لارتداء الجديد من الثياب والملابس، وفرصة للتحلل من بعض القيود الشرعية، وممارسة

العديد من أنواع اللهو واللعب فى جو يسوده اختلاط الرجال بالنساء فى الطرق والمتنزهات والكنائس[٣٧٨].

(ز) العادات الاجتماعية(٣٧٩) والسمات العامة للشخصية الريفية الأندلسية:

يمكن تقسيم العادات الاجتماعية فى الريف إلى عادات إيجابية، وعادات سلبية مع ملاحظة أن التقسيم لتسهيل الدراسة، وليس حكمًا مطلقًا من جانبنا، لأن ما نسميه عادات إيجابية، قد يعتبره البعض عادات سلبية، والعكس صحيح، وذلك لأن العادات الاجتماعية تتسم بالنسبية[٣٨٠]، لذا يجب أن تُفهم العادات الاجتماعية فى إطارها المجتمعى والثقافى والزمنى، ولا يصح أن نُقَيِّمها بمنطق عصرنا وثقافتنا.

١- العادات الإيجابية:

يأتى على رأس العادات الإيجابية فى الريف الأندلسى "التدين"، شأنه فى ذلك شأن معظم المجتمعات الريفية، وهذا راجع إلى طبيعة عمل سكان الريف التى تجعلهم أكثر شعورًا بقوة الله سبحانه وتعالى[٣٨١]. وتتجلى مظاهر التدين فى أوضح صورها إبان الأزمات التى يتعرض لها المجتمع الريفى كما كان يحدث أثناء فترات القحط والجفاف عندما يهرع الفلاحون إلى المساجد إقامة صلاة الاستسقاء، وقد يصلون فى مساجد بعينها اعتقادًا فى قداستها وبركتها، وقد يستعينون بأحد الأولياء والصالحين فيجعلونه واسطتهم فى الدعاء بالاستسقاء[٣٨٢].

ومن العادات الإيجابية أيضًا تقدير الريفيين لقيمة العمل لأنه الوسيلة الأساسية للارتقاء الاقتصادى والاجتماعى[٣٨٣]. وقد عبَّرت عن ذلك الكثير من أمثالهم[٣٨٤]. هذا فضلاً عن التعاون والمشاركة الوجدانية، ومساعدة الفقراء والمساكين، وكان يتم ذلك فى عدة صور: منها التصدق على الفقراء والمحتاجين بحقوق الانتفاع لبعض الزروع والثمار والحيوانات والدور لوقت معين[٣٨٥].

على أن أوضح صور التعاون والمشاركة قد تجلت خلال نظام الأحباس[٣٨٦]، حيث كانت هناك أحباس للمسلمين وأحباس لأهل الذمة. وتنوعت أحباس المسلمين،

حتى شملت نواحى عديدة من ذلك الحبس على أفراد الأسرة، والفقراء والمساكين والمرضى، وعتق الرقاب وفك الأسرى، وبناء المساجد والحصون، والحبس فى سبيل الله، والحبس على المقابر، وطلبة العلم وتمثلت الأحباس فى حبس الأراضى والضياع والأنادر والدور والأرحية، والحيوانات ونواتجها، والحلى والثياب على اختلافها، والبذور والزريعة، والزروع والثمار، والخيل والسلاح والعبيد والكتب هذا فضلاً عن الأموال(٣٨٧).

أما أحباس أهل الذمة فتمثلت فى حبس الأموال والعقارات على الكنيسة وعلى الفقراء وعلى أفراد الأسرة، والغريب أن بعضهم كان يشترط- فى وثائق التحبيس- أن يعود الحبس على فقراء المسلمين فى حالة انقراض ذرية المحبس(٣٨٨).

ومن عاداتهم الطيبة أيضًا الكرم، الذى كان يتفاوت مداه من منطقة إلى أخرى، فقد كان فلاحو شلب غاية فى الكرم" لا يجاريهم فيه أحد"(٣٨٩). إلا أن الكرم الريفى كان يشوبه- فى بعض الأحيان والمناطق- نوع من الحرص والاحتياط والتدبير فى المعاش أملاه عليهم الخوف من ذل السؤال لدرجة أن الجاهل بأحوالهم قد ينسبهم إلى البخل(٣٩٠).

وكان حب النظافة من العادات الطيبة فيهم، فقد أشاد أبو حفص عمر بن الشهيد (كان حيًا سنة ٤٤٠هـ)- فى إحدى مقاماته- بنظافة أحد المنازل الريفية التى زارها، كما أثنى على صاحبها وعلى حسن هندامه(٣٩١) وقد وُصِفَ أهل الأندلس عامة بأنهم "أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيه ساعة على حالة تنبو العين"(٣٩٢).

وكانت صيانة العرض والشرف والاعتداد به من العادات والقيم الطيبة التى بثها الإسلام والعروبة فيهم، ولكنها أحيانًا قد تصل إلى حد التطرف(٣٩٣).

٢- العادات السلبية:

يأتى على رأسها اعتقاد الفلاحين فى الأساطير والخرافات والقوى السحرية الخفية كاعتقادهم فى الخصائص الشفائية لبعض العيون المائية دون غيرها، والخصائص السحرية لبعضها الآخر. وإيمانهم بحقيقة الزيتونة العجيبة التى كانت تزهر وتثمر وتطيب فى يوم واحد، وظهور الكحل بجبل الكحل فى أول الشهر، وزيادته بزيادة القمر ونقصانه بنقصان القمر[٣٩٤].

ويمكن فهم هذه الاعتقادات الخرافية فى ضوء الندرة التى كانت تعانى منها الأندلس، واعتماد بعض المناطق الريفية على العيون المائية كمصدر وحيد للمياه، لدرجة أصبحت معها مياه العيون ليست فقط مصدرًا للشرب والرى، ولكن بمثابة مصدر للحياة. هذا فضلاً عن الأهمية الاقتصادية والدينية لشجرة الزيتون[٣٩٥].

وإزاء الأخطار التى كانت تواجه الفلاحين، وفى ظل الشعور بالخوف والعجز عن مواجهتها بطريقة إيجابية، كانوا يلجأون- أحيانًا- إلى دفع هذه الأخطار بطرق ووسائل خرافية كدفع آفات الزروع بغربلة البذور بغربال ذى ثلاثين ثقبًا من جلد الذئب، أو تغطية المكيال الذى يكال به البذر بجلد ضبع لمدة ليلة واحدة قبل استخدامه فى الكيل[٣٩٦].

ومن قبيل الخرافات لديهم أيضًا تفسير ما يعسر عليهم فهمه تفسيرًا خرافيًا، ومن ذلك تفسيرهم لغارات الجراد التى هاجمت أرياف لورقة فى أحد الأعوام بأن سببه كان فقدان جرادة من ذهب كانت فى أحد كنائسهم، فلما فقدت الجرادة الذهبية حدثت غارات الجراد. وبنفس التفسير الخرافى، فسروا "علة البقر" التى يسمونها "اللقيس" وهو مرض أصاب الأبقار فى لورقة وأرجعوا سببه إلى اختفاء ثورين من صخر كان أحدهما يواجه الآخر[٣٩٧].

كما كانوا يعتقدون فى القوى السحرية والخفية لبعض الأحجار مثل "حجر الذئب" بناحية "شنت بول" بساحل إلش، وكان وضعه على ذئب أو سبع يؤدى إلى سلب قوته وعدوانه- على حد زعمهم[٣٩٨]. أما "حجر المطر" بالقرب من طليطلة، فكانت له قوة فى إنزال المطر فإذا "أراد القوم المطر أقاموه فلا يزال يأتى المطر إلى أن يلقوه، وكلما أرادوا المطر فعلوا ذلك[٣٩٩]. وكان أهل قرية "شنترلانة" على طريق قلشانة يعتقدون أن ناقوس قريتهم "معقود ممنوع من جميع الناس"- رغم أنه

ملقى على الأرض لا حارس به ولا رقيب عليه- وأن من أخذه لا يمكنه الخروج به لأن خصيتيه ستنتفخان ويشتد وجعهما، فلا يجد مفرًا من إعادته إلى موضعه[٤٠٠].

وكانوا يلجأون إلى التحقق من بعض الأمور بوسائل خرافية، فكان أهل إقليم لماية من أقاليم رية يختبرون العذراء من النساء بأن تحاذى بيدها أحد التماثيل التى على صورة إنسان يتساقط الماء من منخريه "فإن كانت بكرًا قطر الماء فى يدها، وإلا لم يوافق يدها، ولو جهدت فى ذلك جهدها، هذا عند أهل الناحية مستفيض وأخبر به الثقات"[٤٠١].

ويفهم من كلام ابن حزم أن الأندلسيين بصفة عامة كانوا شديدى الاعتقاد فى القوى السحرية والطلاسم، يشير إلى ذلك قوله: "ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا قد شاهدنا آنفًا آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها جرادة، ولا يقع فيها بَرَدٌ وكسر قسطة التى لا يدخلها جيش (كذا فى الأصل وصحتها حنش) إلا أن يدخلها كرهًا، وغير ذلك كثير جدًا لا ينكره إلا معاند"[٤٠٢].

كما كانوا يعتقدون فى الجان وقدرته على النفع والضرر، لذلك كثيرًا ما كانوا يتخذون التمائم والتعاويذ والحروز، والطلاسم، عبرت عن ذلك كثير من أمثالهم العامية[٤٠٣].

ومرورًا على نفس الدرب كان اعتقادهم الشديد فى التفاؤل والتشاؤم، فتشاءموا من الغراب والبومة، ومن لبس الثياب بطريقة مقلوبة، وبانقلاب الحذاء، وجلوس القط وظهره ناحية الإنسان[٤٠٤].

وكان الفلاحون يعتقدون بشدة فى الحسد والإصابة بالعين[٤٠٥]، وقوة تأثيرها[٤٠٦]. ومن العادات غير الطبيعية أيضًا، والتى شاعت عند بعض الفلاحين الأنانية وحب الذات وسوء الظن والريبة، والخبث والمداراة والنفاق وتبجيل القيم المادية والنفعية، والتواكل وكان ذلك راجعًا إلى ظروف المجتمع الريفى الذى كان مهددًا دومًا بالأزمات الطبيعية والبشرية يسوده فى أغلب الأحيان عدم الاستقرار، فى ظل صراع شبه دائم على الموارد الطبيعية وصراع داخلى بين عناصر السكان وطبقاتهم، وصراع خارجى بين المسلمين ونصارى الممالك الشمالية[٤٠٧].

ويشيع أحيانًا لدى الفلاحين الأندلسيين- شأنهم فى ذلك شأن معظم أهل الريف- روح السذاجة، وجفاء الطبع، والشدة، والجهل، والذعرة وسوء التهذيب، وكانوا بذلك موضع سخرية، وتهكم أهل المدن- أحيانًا[٤٠٨].

وبذلك يمكننا تكوين رأى عام عن سمات الشخصية الريفية فى الأندلس آنذاك، أهمها أنها كانت شخصية قلقة تحمل فى طياتها كثيرًا من المتناقضات فى آن واحد، فهى شخصية متدينة، ولكنها فى الوقت نفسه تؤمن بالخرافات وتعتقد فى قوة الطلاسم والسحر، ورغم أنها شخصية متعاونة، تحب العمل، وتساعد الآخرين إلا أنها على الجانب الآخر تبدو سلبية تكره الآخرين، ومنطوية، ورغم أنها شخصية كريمة تحب الكرم، إلا أنها فى الوقت نفسه تحب الحرص والاحتياط.

ويمكن فهم سمات الشخصية الريفية الأندلسية فى إطارها البيئى والزمنى، إذ كانت نتاجًا لذلك، فالبيئة الطبيعية فى الأندلس غير مستقرة، كما ذكرنا فى الفصل الأول، كما كانت الأحوال السياسية فى كثير من الأحيان غير مستقرة، والمجتمع الريفى يتألف من عناصر شتى، وينقسم لعدة طبقات، ولم تنصهر هذه العناصر، ولم تتآلف فى كثير من الأحيان، كما لم يسد الوفاق الطبقى بين الأغنياء والفقراء، هذا فضلاً عن وقوع السكان فى الريف بين شقى الرحى فى ظل حكومة تضرب بشدة على أيدى المعارضين والخارجين وثوار وخارجين لم يتورعوا عن السلب والنهب والقتل فى سبيل تحقيق أغراضهم، هذا إلى جانب الضغوط الخارجية التى تمثلت فى الضغط النصرانى الشمالى الذى عانت منه الأندلس طوال فترات الضعف. كما كانت الشخصية الريفية نتاجًا لحضارتين مختلفتين: الحضارة الرومانية- القوطية التى تشتمل على العديد من العناصر الوثنية، والأسطورية، وتمجد القيم النفعية والمادية، وتعلى من قيمة الفرد من خلال التأكيد على الذات دون التأكيد على الجماعة، وهو ما أدى إلى تكريس الأنانية لدى البعض، والحضارة العربية الإسلامية التى تؤكد على الجماعية والمشاركة والتعاون، والقناعة، والكرم، والفخر والشجاعة، والإيمان بالقضاء والقدر.

الهوامش

(١) انظر: مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص١١٧، عبد الملك بن حبيب: كتاب التاريخ ت. خورخى أغوادى، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربى، ١٩٩١ ص١٣٧، ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ت. شارل س. تورى، القاهرة، مكتبة مدبولى، ط١، ١٩٩١ ص٢٠٤، ابن خلدون: كتاب العبر، ق١، م١ ص٢٥٤.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، القاهرة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى،١٩٥٧ ص٧٣- ٧٥، مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٦، ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، نشر أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م١٣، ١٩٦٥- ١٩٦٦، ص٤٦، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٩، الحميرى: المصدر السابق ص٩.

(٣) الرقيق القيروانى: تاريخ إفريقية والمغرب ت. المنجى الكعبى، تونس، رفيق السقطى، ١٩٦٨ ص٧٤، إسحاق بن الحسين: المصدر السابق ص١١٠.

(٤) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص١١٨- ١١٩، ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢٠٧، مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص١٥، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٣.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر جـ٢ ص٣١، ويذكر البعض أنه كان من ضمنهم ألفين من الموالى ابن القوطية: المصدر السابق ص٤٠.

(٦) انظر ابن القوطية: نفس المصدر ص٤٣، مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٤٥- ٤٦، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٢٥، الغسانى: رحلة الوزير فى إفتكاك الأسير، ت. الفريد البستانى، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، ١٩٤٠ ص١١٣- ١١٤.

(٧) من الصعب إعطاء إحصاء دقيق عن العرب فى الأندلس آنذاك، لأن ذلك يتطلب معرفة عدد السكان فى إسبانيا قبل الفتح بشكل دقيق رغم أن البعض يقدر ذلك بثلاثة أو عشرة ملايين، ثم عدد السكان بعد الفتح، وهو أمر صعب ويزداد صعوبة حين نحاول إحصاء عدد السكان فى الريف لأن ذلك أمر مجهول بالنسبة لنا تمامًا. انظر:

L.S. Fernandes: Historia de Espana Antigua Y Media. Medrid 1976. P.282, Guichard: the Soc. Hist. of Mus. Sp. PP. 681- 682.

(٨) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٣٦٥، Guichard: the Soc. Hist. of Mus. P.682.

(٩) انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٩٤- ١٠٣، ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٣٨.

(١٠) ابن سعيد: نفس المصدر جـ٢ ص١٠.

(١١) ابن الأبار: التكملة لكِتاب الصلة، نشر السيد عزت العطار الحسينى، القاهرة، ١٩٥٥ جـ١، ت. ٥٣٢ ص١٩٩- ٢٠٠.

(١٢) عن تأثير الظروف السياسية فى المشرق على هجرة العرب إلى الأندلس، وأصناف العرب المهاجرين.

انظر: ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٢. ص١١- ١٢.

(١٣) ويكفى الإشارة إلى ما ذكره الليث بن سعد (ت١٧٥هـ) من أن موسى بن نصير- حين فتح الأندلس- كتب إلى الوليد بن عبد الملك قائلاً: "إنها ليست الفتوح ولكنها الجنة". ابن خلكان: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان ت. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ب.ت م٥ ص٣٢٩.

(١٤) Glick: Islam. and christ.sp.P. 55.

(١٥) انظر: مؤلف مجهول كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص١٣٣، مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٩٥، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٩٦- ٩٧، المقتبس جـ٥ ص٤٠، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٤٩، ٥٥ المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٩٠.

(١٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٣٧٥.

(١٧) العذرى: المصدر السابق ص١٢٥.

(١٨) ابن القوطية: المصدر السابق ص٦٠.

(١٩) المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٩٠- ٢٩٥.

(٢٠) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٣٤٣.

(٢١) انظر: الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص٧٦، ٢٦٨، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٢٨٠، ٤٠٦، ٤٥٥ ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص٣٣، العذرى: المصدر السابق ص٩٠، ابن سعيد: المغرب جـ٢ ص١٢٧، ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص٣٢٠، م٣ ص٢٠، ٢٧٦، ٥٣٩. وانظر أيضًا:

Elias Teres: Linajes Arabes en Al Andalus, Segun La "Ŷamhara" de Ibn Hazm. Madrid. Al Andalus vol XXI. Fasc. 1. 1957. PP.55- 111, Fasc. 2 PP.336- 376.

وكانت أسماء بعض المواضع فى أرياف إلبيرة انعكاسًا للقبائل العربية التى سكنتها مثل: "إقليم ربع اليمن"، "إقليم قنب قيس"، "إقليم تيبل بنى أوس"، و"إقليم تيبل

بنى هود"، وجزء زغيبة بن قطبة وياسين بن يحيى العذريين"، "جزء أرش اليمن"، إقليم اليمانيين"، "إقليم بنى أسد"، "إقليم برجيلة قيس". العذرى: المصدر السابق صـ٩٠- ٩٢.

(٢٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٤٢٣- ٤٢٥.

(٢٣) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٩٥.

(٢٤) انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص٣٩، ٤٥، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٣٢٨- ٣٢٩، ٣٦٤- ٣٦٥، ٤٣٤، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١٤١، ابن الخطيب: الإحاطة م٢ صـ١٠٨. ورغم غلبة اليمنية على أرياف إشبيلية، استقر بعض المضربين بها مثل بعض أفراد قبيلة غطفان القيسية، وبعض الأصبحيين. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب ص٢٤٩، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٩٧.

(٢٥) ابن حزم: جمهرة أنساب ص٨٩. ٣٠٢، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٣٤، وانظر أيضًا:

Elias Teres: Linaj Arab en Al -Andalus Fasc. 2 P.350, 360.

(٢٦) ابن حزم: جمهرة أنساب ص١٩٢، ٢٨٧- ٢٨٨، ٢٩٢، ٤٠٤، ابن بشكوال: المصدر السابق، جـ١، ص١٣٤.

(٢٧) العذرى: المصدر السابق ص، ابن الآبار: التكملة جـ١ ص٤٤، وانظر أيضًا: عبد الواحد زنون طه: الفتح والاستقرار العربى الإسلامى فى شمال إفريقية والأندلس، بغداد،١٩٨٢ ص٢١٧.

(٢٨) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٩٩، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٩١، ٢٩٤، م٣ ص٣٥.

(٢٩) انظر: الزبيدى: طبقات النحويين- ص٢٥٩، ابن حزم: جمهرة أنساب، ص٣٦٣، ٣٦٥، ابن الآبار: التكملة جـ١ ص١٩٩- ٢٠٠، ٢٩٢، ابن الخطيب: الإحاطة م٧ ص٥٢٤، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٩٤.

(٣٠) اليعقوبى: المصدر السابق ص٣٥٤- ٣٥٥.

(٣١) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٥٨- ٥٩.

(٣٢) Glick: Islam. and Christ.Sp.P. 53.

وقد لاحظنا أن العشائر اليمنية قد نزلت أماكن عديدة فى الريف تفوق تلك التى نزلتها القيسية وذلك يتفق مع ما يقال من أن اليمنيين كانوا أكثر اهتمامًا بالزراعة من القيسيين.

(٣٣) Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus.T.1. PP.83- 84.

(٣٤) يردد هذه المقولة معظم المستشرقين الغربيين. انظر: دوزى: المرجع السابق جـ١ ص١٥٧، كولان: المرجع السابق ص٨٩، لين بول: قصة العرب فى إسبانيا، ترجمة على الجارم، مطبعة المعارف ١٩٤٤ ص٤٨،

Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus.T.1. P. 87, Watt: Op. Cit. P. 53.

(٣٥) للمزيد فى تفنيد هذا الرأى انظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٣٧٠، ٣٨٧- ٣٨٩.

Guichard: Structures Sociales "Orientales" et "Orientales" dans L'Espagne Muslmane. Paris. La Haye. 1977. P.173.

(٣٦) ترند: إسبانيا والبرتغال، ترجمة حسين مؤنس، تراث الإسلام، مكتبة الآداب، ١٩٨٣، جـ١ ص١١- ١٣، لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦ ص٢٦٧- ٢٦٩.

(٣٧) ويدعم رأيه برواية المؤرخ الكارولنجى Paul the Deacon الذى وصف المسلمين أثناء دخولهم غالة الجنوبية- حوالى عام ١٠١هـ/ ٧٢٠م- "مع نسائهم وأطفالهم كما لو كانوا سيستقرون هناك" وهذا- فى رأيه- قد ينطبق على عدد كبير من المحاربين العرب الذين وصلوا مع طلائع الفتح الأول. انظر: Guichard: the Soc. Hist. of Mus. Sp. PP. 682- 683.

(٣٨) ابن قتيبة: المصدر السابق ص٧٨، ٨٠.

(٣٩) Guichard: Struc. Socia. Orien. e Occid. Dans l'Esp. Mus. P.133, 173.

(٤٠) Guichard: the Socia. Hist. of Mus. Sp. P. 683.

(٤١) المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٩٣.

(٤٢) المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٩٣.

(٤٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٣٧٥- ٣٧٦.

(٤٤) ليفى بروفنسال: الحضارة العربية فى إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤ ص٥٦- ٥٧.

(٤٥) لم يكن المنصور بن أبى عامر هو أول من حاول تشتيت النظام القبلى للعرب، بل سبقه فى ذلك الخليفة الناصر حين اتخذ إجراءات عنيفة ضد الخارجين عليه من العرب، وحاول تشتيت شملهم وإضعاف عصبيتهم مما دفعهم إلى الاندماج فى المجتمع الأندلسى. انظر:

Levi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus.T.111. P. 173.

(٤٦) هنرى بيريس: المصدر السابق ص٢٣٠- ٢٣١.

(٤٧) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص٤٨٦.

(٤٨) موريس لومبار: المرجع السابق ص١٢١.

(٤٩) ابن الأحمر: المصدر السابق ص٢٣.

(٥٠) Lévi- Provencal: L'Esp. Mus. P. 166.

(٥١) Glick: Islam. and Christ.Sp.PP. 55- 56, 66- 67.

(٥٢) ابن الأحمر: المصدر السابق ص٢٣.

(٥٣) انظر: عبد الملك بن حبيب: كتاب التاريخ ص١٣٧، ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢٠٤، الرقيق القيرواني: المصدر السابق ص٧٤، مؤلف مجهول أخبار مجموعة ص٦- ٧، ابن الكردبوس: المصدر السابق ص٤٦، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٦، الحميرى: المصدر السابق ص٩، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٣١- ٢٣٢. وانظر أيضًا:

Mahmud Makki: Egiptoy los Origenes de la Historiografia Arabigo-Espanola. Revista del institute Egipci de Estudios Islaicos en Madrid, 1957. Vol. V. Fasc. 1- 2 PP. 157- 248.

(٥٤) المقرى: نفح الطيب م١، ص٢٥٩.

(٥٥) يقدر الدكتور محمد بركات البيلى أعداد البربر فى كل من جيش طارق وموسى بحوالى الثلثين من مجموعهما. محمد بركات البيلى: البربر فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الإمارة، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٢، ص١٣٧. ويؤكد Guichard على تفوق أعداد البربر بالنسبة لأعداد العرب فى الأندلس بعد الفتح إلا أنه لا يرى وجود تناسب ضخم بين أعداد الفريقين.

Guichard: struc. Soci. PP. 248- 249, The soc. hist- of Mus. Sp. P.684.

(٥٦) انظر: سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم. ص١٢٢،

Watt: op. cit. P.52.

(٥٧) Fernando Diaz- plaja: la vida contidiana en la Espana Musulmana Madrid. 1993. P.40, Gorcia Gamez: Al- Hakam II ylos Bereberes Segun un texto inedito de Ibn Hayyon. pp. 212- 219.

(٥٨) Guichard: the Soc. hist. of Mus. sp. PP. 691- 692.

(٥٩) انظر: رسائل ابن حزم ج٣ ص١٧٥- ١٧٦، مؤلف مجهول: نبذ تاريخية فى أخبار البربر ص٤٣- ٤٥.

(٦٠) Guichard: the Soc. hist. of Mus. Sp. P. 686.

(٦١) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٧.

(٦٢) العذرى: المصدر السابق ص٢٠،

Guichard: Struc. Socio. Orient. Et occid. P. 252.

(٦٣) العذرى: المصدر السابق ص١١٣، ياقوت: المصدر السابق جـ٢، ص٧، جـ٥، ص١٩٠.

(٦٤) الحميرى: المصدر السابق ص١٢٠، محمد بركات البيلى: البربر فى الأندلس ص١٤٣.

(٦٥) ابن القوطية: المصدر السابق ص٥٠، ٨٣.

(٦٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٤٩٩، العذرى: المصدر السابق ص١٠٦، ١٧٦.

(٦٧) ابن حزم: جمهرة أنساب. ص٥٠٠، ٥٠٢، Guichard: Struc. Socio. Orien. P.252.

(٦٨) انظر: ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٩١ وما يليها، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٧٢، وانظر أيضًا،

Guichard: Struc. Soci. Orien. et occid. PP. 252- 253.

(٦٩) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٥٠١، ابن الآبار التكملة ص٣٦.

(٧٠) الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٧٢،

Guichard: Struc. Soci. Orien. et occid. P. 264

(٧١) ابن الفقيه: المصدر السابق ص٨٧، ياقوت: المصدر السابق جـ١ ص٥٨٣، جـ٣ ص٤٥١، جـ٤ ص٥٢١، جـ٥، ص١٤٨،

Guichard: Struc. Soci- Orien- et occid. P. 253.

(٧٢) ابن القوطية: المصدر السابق ص٥٤، ابن حزم: جمهرة أنساب. ص٥٠٢، ابن حيان: المقتبس: ت. العربى ص٤٥، العذرى: المصدر السابق ص٢١.

(٧٣) انظر ابن القوطية: المصدر السابق ص٤٨، ابن حزم: جمهرة أنساب. ص٥٠٠- ٥٠١، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٢- ٣٨، ٢٨١، المقتبس ت. العربى ص٥٢.

(٧٤) وقد انضمت جموع كبيرة من البربر فى هذه المنطقة إلى دعوة ابن القط الشيعى الملقب بالمهدى سنة ٢٨١هـ.

انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٣٣، العربى ص١٥٥- ١٦١.

(٧٥) انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص٨٣، ابن حزم: جمهرة أنساب ص٥٠٠- ٥٠١، ابن حيان: المقتبس ت: مكى ص٣٩٧، المقتبس جـ٥ ص١٢٠- ١٢٢، ياقوت: المصدر السابق جـ١ ص٢٩٧، ابن الآبار: الحملة السيراء جـ١ ص١٦٠.

(٧٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص١٠٧، ابن حزم: جمهرة أنساب. ص٥٠١، ياقوت: المصدر السابق السابق جـ١ ص٢٣١.

(٧٧) انظر: اليعقوبى: المصدر السابق ص٣٥٥، ابن حزم: جمهرة أنساب ص٥٠١، العذرى: المصدر السابق ص٢٠٠، البكرى: المصدر السابق ص١٢٨، وأنظر أيضًا: محمد بركات البيلى: البربر فى الأندلس ص١٤٢- ١٤٨، Guichard: Struc. Soci- Orien- et occid. PP. 271, 338- 339.

(٧٨) ومثل Sanet وSenet وBeni sanet ياقوت: المصدر السابق جـ١ ص٣٣٠، وانظر أيضًا: عبد الواحد زنون طه: المرجع السابق ص٢٨٣، محمد بركات البيلى: البربر فى الأندلس ص١٤٢، ١٤٨،

Guichard: Struc. Socio. PP. 272- 274, the social. Hist of Mus. sp. P. 685.

(٧٩) انظر الإصطخرى: المصدر السابق ص٣٦، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٤٩٨- ٥٠٠، ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٣٦- ٣٩، العذرى: المصدر السابق ص١٤- ١٥،

Guichard: Struc. Socio. P. 274, 316- 317, 320- 321, the social. Hist. 685.

(٨٠) انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٤٩٩- ٥٠١.

(٨١) ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص١١٩.

(٨٢) Glick: Islam. and christ.sp.P67, Guichard: The soc. hist. of Mus.P. 685

(٨٣) انظر ما ذكرناه عن المستشرقين الذين رددوا هذه المقولة فى حاشية رقم ٢ ص ١٣١ من هذا الفصل ونضيف إليهم هنا:

E. Mitre: op. cit. P. 74, F. Diaz- Plaja: op. cit. P.40.

وانظر أيضًا تفنيد هذه المقولة عند كل من حسين مؤنس: فجر الأندلس ص١٣٨، ٣٧٠، ٣٨٧- ٣٨٩، محمد بركات البيلى: البربر فى الأندلس ص١٤٠- ١٤١.

(٨٤) هذا لا ينفى دخول قبائل بربرية عديدة تنتمى إلى البرانس. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب. ص٤٩٨- ٥٠٢، حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٣٨٠- ٣٨٥، محمد بركات البيلى البربر فى الأندلس، ص١٣٧- ١٣٨.

(٨٥) Guichard: Struc. Socio- Orien- et occid. P. 173, 249- 250

(٨٦) Watt: op. cit. P. 52, L.S. fernandes: op. cit. P. 283.

(٨٧) Lévi- Provencąl: L'Esp. Mus. P. 160 Glick: Islam. and christ.sp.P. 67, 146,

وانظر أيضًا: محمد بركات البيلى: البربر فى الأندلس ص١٨٢- ١٨٧.

(٨٨) E. Mitre. Op. cit. P. 74, F. Diaz- Plaja: op. cit. P.40.

(٨٩) لومبار: المرجع السابق ص١٢١- ١٢٢. Glick: Islam. and christ.sp.P. 103

(٩٠) لومبار: المرجع السابق ص١٢٣، ٢٥٣- ٢٥٤.

Glick: Islam. and christ.sp.PP. 103- 104.

(٩١) ابن الأحمر: المصدر السابق ص٢٤.

(٩٢) ابن الأحمر: نفس المصدر والصفحة. ويضيف المؤلف في نفس الصفحة أنهم عملوا كحمالين في الأسواق والطرقات وكسقائين، حيث كانوا يجلبون المياه إلى الدور، وكعمال بناء.

(٩٣) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٩٨٨، جـ١ ص١٠٨.

(٩٤) أطلق على الإسبان الذين أسلموا بعد الفتح عدة إصطلاحات منها: المسالمة، ومفردها مسلماني، والأسالمة، ومفردها أسلمي، والإسلاميون ومفردها إسلامي، وأطلق على أبنائهم إصطلاح "المولدين" وإن كان البعض يرى أن المولدين كانوا نتاج زواج الفاتحين من النساء الوطنيات، أو هم- على الجملة- مسلمي الجيل اللاحق للفتح، سواء كانت دماؤهم إسبانية خالصة او نصف إسبانية.

انظر ابن العطار: المصدر السابق ص٤٠٥- ٤٠٦، ابن هشام اللخمي: المصدر السابق م٢، ص٢٨٧، هنري بيريس: المرجع السابق ص٢٣١- ٢٣٢، البيلي: طليطلة في عصرها الإسلامي ص١١٥- ١١٦

Simonet: Historia de los Mazarabes de Espana. Amsterdam, "1967. P. XV1. nota. 2, levi- Provencal: Hist de L'Esp. Mus. T. 1. P. 75.

(٩٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٤٣٠.

(٩٦) كولان: المرجع السابق ص٥٢، سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص١٢٧، Lévi- Provencal, L'Esp. Mus. P. 32, E. Mitre. op. cit. P. 76.

(٩٧) سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين ص١٢٨- ١٢٩.

levi- Provencal: Hist de L'Esp. Mus. T. 1. P. 76.

(٩٨) انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب ص٥٠٢- ٥٠٣،

Guichard: The social. hist. p. 689.

(٩٩) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٤٣٥،

levi- Provencal: Hist de L'Esp. Mus. T. 1. P. 76.

(١٠٠) ابن الأحمر: المصدر السابق ص٢٤.

(١٠١) انظر: ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٢٤ وما يليها، وانظر أيضًا:

levi- Provencal: Hist de L'Esp. Mus. T. 1. PP. 75.

(١٠٢) ينقسم الموالى عمومًا إلى موالى الرق أو العتاقة، وموالى الاصطناع، وموالى الحلف. للمزيد عن معنى هذه الإصطلاحات انظر: ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه، القاهرة، مؤسسة الخانجى، ١٩٦٣، ص١٩٣، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص٤٩٤، حسين مؤنس. فجر الأندلس ص٤٠٥، ٤٩٧، ٤١١،

lévi- Provencal: Hist de L'Esp. Mus. T. III. PP.210- 213, E. Mitre. op. cit. P. 75.

(١٠٣) ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢٠٧، ابن القوطية: المصدر السابق ص٤٠، ابن الأحمر: المصدرالسابق ص١١- ١٢، ٢٣، الحميرى: المصدر السابق ص٩.

(١٠٤) العذرى: المصدر السابق ص١٠١ وما يليها.

(١٠٥) ابن القوطية: المصدر السابق ص٩٠، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٤٩٩- ٥٠٠، ابن حيان: المقتبس ت.مكى ص١٣٩- ١٤١.

(١٠٦) ابن الآبار: الحلة السيراء جـ١ ص١٦٠.

(١٠٧) انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص٤٤، ٤٧ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص٧٦، المقرى: نفح الطيب م٣ ص٣٢.

(١٠٨) ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص٦٢، ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص١٢٨.

(١٠٩) ابن حزم: جمهرة أنساب. ص٥٠٢- ٥٠٣، حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٥٠٤، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين. ص١٢٦.

(١١٠) انظر ابن خير: المصدر السابق ص١٩٣. ومن المنتمين لولاء القبائل أيضًا: بنو سالم، وبنو الفرج من بربر مصمودة وكانوا موالى لبنى مخزوم استقروا فى مدينتى سالم والفرج وأحوزهما، وفى طرسونة بالقرب من تطيلة. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٥٠١.

(١١١) ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩، ياقوت: المصدر السابق جـ١ ص٦١٤، جـ٤ ص٢٩٥.

(١١٢) المقرى: نفح الطيب م١ ص٣٣٣.

(١١٣) ابن الأحمر: المصدر السابق ص٢٤.

(١١٤) استخدم المسلمون عدة إصطلاحات للدلالة على نصارى الأندلس منها: العجم، عجم الأندلس، الروم، النصارى، عجم الذمة، الذمة، أهل الذمة، المعاهدون، المعاهدة من النصارى، النصارى المعاهدون، المسيحيون، أهل الكتاب، وقد يشترك اليهود معهم فى بعض هذه الإصطلاحات. وشاعت تسميتهم باسم المستعربين منذ القرن الحادى عشر، وتعنى أولئك الذين تشبعوا بالثقافة العربية واصطنعوا عادات العرب، ولغتهم وأسلوبهم فى الحياة. انظر: ابن حيان: المقتبس جـ٥، ص٢٢٣، ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص٦٨٢، وانظر أيضًا: عبادة كحيلة: تاريخ النصارى فى الأندلس، القاهرة، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط١، ١٩٩٣ ص٧٧ وما يليها، محمود على مكى قراءة جديدة لوثائق مستعربى طليطلة، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، م٥٥، ع٣ يولية١٩٩٥ ص١- ٢٨

Semonet; Hist. de los Moz. PP. VII- IX del prologo, M. de Epalza: An emblematic Christian minority in Islamic Al- Andalus. The legacy of Muslim Spain. Brill. Leiden. 1992. PP. 149- 170.

(١١٥) ابن الأحمر: المصدر السابق ص٢٣. وكان بعض النصارى فى الأندلس ينتمون إلى الشرق الأدنى، وفدوا إلى الأندلس، وعملوا بمختلف المهن، كما وفد إليها نصارى من شمال شبه الجزيرة من خلف البرانس، ومن المغرب. انظر: M. de Epalza: Moz. An embl. chris. min. PP.150- 151

(١١٦) Watt: op. cit. P.56, L.S. Fernandes: op. cit. P.282, Guichard: Struc. Socio. PP. 173- 174, the social. Hist. 687.

(١١٧) ابن حوقل: المصدر السابق ص١٠٦.

(١١٨) ابن حيان: المقتبس جـ٥، ص٢٢٣.

(١١٩) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص٧٢- ١٦٩، المقتبس جـ٥ ص٥٣- ٢١٤.

(١٢٠) يتضح ذلك من بعض وثائق المستعربين فى طليطلة. انظر: شكيب أرسلان: الحال السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ب. ت، جـ١ ص٣٦٦- ٤٢٠.

(١٢١) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٤٢٨، ومن القرى النصرانية أيضًا قرية "بنتيج" من أعمال وبذة. انظر الحميرى: المصدر السابق ص١٩٤. وقد وصف أبو حفص عمر بن الشهيد إحدى القرى النصرانية التى نزل بها- فى أحد الأيام- وصفًا يدل على غلبة النصارى عليها إذ قال: "وقرية آنة كلها حانة، دار البطاريق، وملعب الكاس والإبريق، سائمتها الخنازير، وحياضها المعاصير"، ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص٦٨١. كما استقرت أعداد لا بأس بها فى أرياف مالقة وبلنسية. انظر:

Guichard: The social. hist. of Mus. Sp. P. 688.

(١٢٢) انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص٢٩- ٣١، ٥٧- ٦٠.

(١٢٣) ابن سهل: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة ص٥٦- ٦٠، ٨٠- ٨١.

(١٢٤) ابن الخطيب: الإحاطة، م١ ص١٠٦- ١٠٧.

(١٢٥) Glick: Islam. and christ.sp.P.104.

(١٢٦) Glick: Islam. and christ.sp.P.135.

وقام جيشار بدراسة التركيب الاجتماعى فى الأندلس، مستندًا على مبدأ "العنصرية" كأساس لذلك فى كتابه

Guichard: Structures socials "Orientales" et "occidentaltes" dans l'Espagne Musulmane.

وكذا فى مقاله عن التاريخ الاجتماعى لمسلمى إسبانيا من الفتح إلى نهاية عصر الموحدين

Guuichard: the social History of Muslim spain from the conquest to the end of the Almoh. Regime.

(١٢٧) يذكر جرينبام أن مبدأ المساواة الذى أرساه الإسلام لم يمنع من قيام نظام تفصيلى للطبقات فى داخل الجماعة الإسلامية، وكان للمسلم حظ وافر من الحساسية المرهفة بالمرتبة، التى كانت من أقوى خصائص العصور الوسطى، وليت أمره اقتصر على شدة التنبه للرتب والألقاب، بل إنه كان عظيم الاهتمام بالتعبير عن الفوارق الاجتماعية، بواسطة نظام دقيق من المراسم انظر: جرينباوم: حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ ص٢١٨، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال حفلات الاستقبال التى كانت تقام فى دار الخلافة حيث كان كل قوم يقفون حسب مراتبهم وطبقاتهم. انظر المقتبس ت. الحجى ص٤٥، ٢٠١، ٢٠٢.

(١٢٨) انظر: الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص٢٦١، قضاة قرطبة ص١١٢، ١٣٦، ابن سهل: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة ص٥٦- ٥٧، ٦٥- ٦٩.

(١٢٩) انظر ما ذكرناه فى الفصل الأول عن الفتنة البربرية وأثرها.

(١٣٠) انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص٥٨- ٩١، الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص٢٩٨- ٢٩٩ وانظر أيضًا:

lévi- Provencal: Hist de L'Esp. Mus. T. III. P.268, The combridge History of Islam. Combridge. 1970. vol. 2. PP.519- 520.

(١٣١) وأظهرت معظم النوازل أن الفلاحين كانوا- غالبًا- هم الذين يخالفون شروط التعاقد. انظر ابن أبى زمنين: المصدر السابق، ورقة١١، ابن العطار: المصدر السابق ص٥٩- ٦٤، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١٥ ص٣٨٥ الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص١٧٥. ومن الدلائل على وضعية الفلاح المزراع الجيدة أن المالك إذا باع أرضه فليس للمشترى الحق فى إخراج المزارع من الأرض إلا بعد أن يتم مزارعته على شروطها التى اتفق عليها مع المالك القديم. انظر: المالقى: المصدر السابق ص٢٠٢.

(١٣٢) ليس معنى ذلك أن حالة الفلاحين المزارعين كانت مستقرة على الدوام فى فترات الاستقرار، لأن بعضهم كانت حالتهم سيئة كما يفهم من الأبيات التى وردت على لسان ثلاثة من أولئك المزارعين يخاطبون فيها المالك:

لله أنت فقد أحسنت ماشينا ... أعطيتنا كرمًا أقصى أمانينا

عن الكواسِجَة العور العيون أتوا ... وأنت ترغب عنهم حين يأتونا

وأنهم لمساكينٌ سواسية ... والله أوصاكَ أن تعطى المساكينا

أدوًا عشُورَك واستبقوا على وجلٍ ... وليس عندهم شىء يؤدونا

الزبيدى: طبقات النحويين. ص٣٠٣، القفطى: إنباه الرواه على أنباه النحاه، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة، دار الفكر العربى، ط١، ١٩٨٦، جـ٣ ص١٦٢.

(١٣٣) انظر: المالقى: المصدر السابق ص٢٧٣، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٠٧، ابن رشد: البيان والتحصيل، جـ١٦ ص٢٤٢، الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص٣٣٠- ٣٣٢.

(١٣٤) الونشريسى: نفس المصدر جـ٨ ص٢٦٣. وقد اهتمت كتب الفلاحة بشريحة الرعاة، وأشارت إلى بعض السمات والصفات التى يجب توافرها فى راعى البقر، وراعى الشياه. انظر: الطغنرى: المصدر السابق ص٦٠.

(١٣٥) ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٣ ص٣١١- ٣١٢-، ٣١٤- ٣١٦، ٣٢٠، جـ١٠ ص٢٧٨، الونشريسى: المصدر السابق جـ٩ ص٤٦، ١٠٩.

(١٣٦) انظر: المالقى: المصدر السابق ص٢٦٣، ٢٩٣، ٣٠٩، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١٠ ص٤٣٧، الونشريسى: المعيار جـ٨ ص١٧٧، ٢٠٠، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٦٤، ٢٦٦- ٢٦٧. ومن العاملين فى المجال الزراعى أيضًا عمال نقل الزبال. انظر المقرى: نفح الطيب م١ ص٤٠١.

(١٣٧) الونشريسى: المصدر السابق جـ٨، ص٢٦٥.

(١٣٨) انظر: المالقى: المصدر السابق، ص٢٨٦، ٢٩٨- ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٠٨- ٣٠٩، ٣٤٠.

(١٣٩) تشير المصادر إلى أن الناصر استخدم فى بناء مدينة الزهراء- التى بدأ بناءها سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م- حوالى اثنا عشر ألف عامل، وألف وخمسمائة بغل مكتراة، سوى العمال الذين كانوا يعملون فى قطع الصخور، والجير والجبس، والحمالين. ولابد أن طائفة كبيرة من هؤلاء كانت من أبناء الريف. انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس وصفاتها ص١٨٧- ١٨٨، ابن

غالب: المصدر السابق ص٣٠٠، المقرى: أزهار الرياض جـ٢ ص٢٦٥، ٢٦٩، نفح الطيب م١ ص٥٦٧- ٥٦٨.

(١٤٠) المالقى: المصدر السابق ص٣١٣، الونشريسى: المصدر السابق جـ٨ ص٢٦٥.

(١٤١) المالقى: المصدر السابق ص١٨٣.

(١٤٢) انظر: المقرى: أزهار الرياض جـ٢ ص٢٦٤، وانظر أيضًا ما ذكرناه فى الفصل الثانى.

(١٤٣) انظر: الطغنرى: المصدر السابق ص٥٩- ٦١، أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق ص١٣٩- ١٤٢، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٥٣٢- ٥٣٤.

(١٤٤) السقطى: المصدر السابق ص٦٥، ابن عبدون: المصدر السابق ص٥٦، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٥٣٤.

(١٤٥) القشتالى: المصدر السابق ص١٩- ٢٠. وقد سخرت بعض الأمثال الشعبية من أولئك الذين يعملون فى يوم الجمعة، وأنذرتهم بسوء العاقبة، وقيل فى ذلك: "مكتوب هوفأوراق اللفت من خدم الجمع عطل السبت" الزجالى: المصدر السابق ق٢، م. رقم ١٤٩٨ ص٢٨٩.

(١٤٦) وصورت بعض الأمثال أولئك العمال المتحايلين؛ واتهام أرباب العمل إياهم بالتقاعس والتقصير فقالوا: "ليس على الأجير أكثر من الاجتهاد ويحلف إن ما قصر" الزجالى: نفس المصدر، ق٢، م. رقم ١١٦٣ ص٢٢٩.

(١٤٧) بلغت أحوال الأقنان وعبيد الأرض درجة كبيرة من السوء فى العهد القوطى، فقد ارتبطوا بالأرض، انتقلوا معها من مالك إلى آخر، وعانوا من فداحة الضرائب؛ ومن السخرة، وتعرضوا للعديد من أشكال العقاب البدنى والمعنوى؛ وكانوا لا يتزوجون إلا بموافقة ساداتهم؛ وقد دفعتهم هذه الأوضاع

السيئة إلى الفرار، فاختفوا فى الجبال والغابات وتحولوا إلى لصوص وقطاع طرق. انظر:

Jmamuddin: Som. aspect. Of the soc.- econ. and cul. hist. PP.10- 11.

(١٤٨) أنظر: مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس، ص١١٦- ١١٧، الخشنى: قضاة قرطبة ص٢١٣- ٢١٤، ابن حزم: رسائل ابن حزم جـ٣ ص١٧٥- ١٧٦، ابن سهل: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة ص٨٣- ٨٥، ابن بسام: المصدر السابق ق٣، م١ ص١٩- ٢٠ وانظر أيضًا:

lévi- Provencal: Hist de l'Esp. Mus. T. 111. P.208, 210, Watt op. cit. P. 57, Guichard: the social. Hist. of Mus. Spa. P. 692.

وقد تزايدت أعداد الرقيق فى الأندلس فى عهد المنصور بن أبى عامر الذى اشتهر بكثرة غزواته حتى لقب بلقب "الجلاب". انظر: عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار العرب ت. محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩ ص٣٨، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣ ص١٣.

(١٤٩) Vallve: op. cit. P.28

(١٥٠) أحمد مختار العبادى: الزراعة فى الأندلس. ص١١٠- ١١١ وتشير بعض المصادر إلى أن موسى بن نصير، جعل فى أرض الخمس مجموعة من المزارعين الأقنان عرفوا باسم "الأخماس" وأبناؤهم باسم "أبناء الخمس". الغسانى: المصدر السابق ص١١٢.

(١٥١) ابن القوطية: المصدر السابق ص٥٩.

(١٥٢) ابن حيان: المقتبس ت.مكى ص١٩٤.

(١٥٣) ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص١٠٦- ١٠٧.

(١٥٤) ابن جلجل: المصدر السابق ص٩٣، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١٣ ص١٦٧.

(١٥٥) ابن العطار: المصدر السابق ص٥٥-٥٦، ١١٧- ١١٨، المالقى: المصدر السابق ص٢٨٣.

(١٥٦) يروى المالقى نازلة تتعلق بثلاثة رجال اشتروا جارية شركة بينهم، فوقع عليها أحدهم فأحبلها فلما علم الشريك الثانى ضربها ففقأ عينها، ودخل الثالث فركضها برجله فطرحت جنيناً ميتًا، ثم ما لبثت أن ماتت. المالقى: نفس المصدر ص٣٥٠. ويبدو أن العبيد السود كانوا أكثر تعرضًا للقسوة دون غيرهم من الرقيق. عبرت عن ذلك بعض الأمثال المتأخرة مثل قولهم "أسود بلا سياط بحال جامع بلا حصور" ابن عاصم: المصدر السابق م. رقم٢٣٥ ص٣١٥.

(١٥٧) هناك مثل عامى متأخر يعبر عن إرهاق أرباب الأعمال لرقيقهم، الذين يكلفونهم بالعمل تلو الآخر، ولا يتركون لهم فرصة للراحة، من ذلك قولهم: "أطلق الفاس خد المصحا". الزجالى: المصدر السابق، ق٢ م. رقم٤٤٢.

(١٥٨) ابن العطار: المصدر السابق ص١٣٧- ١٣٩.

(١٥٩) المالقى: المصدر السابق ص٢٥٦، ٣٣٨، ٥١٣، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١٣ص ١٥.

(١٦٠) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١١٤.

(١٦١) ابن بسام: المصدر السابق ق٣ن م١ ص١٦. ويبدو أن العبيد ورقيق الأرض قد شكلوا أغلبية فى منطقة بلنسية منذ نهايات عصر الإمارة، إذ يتحدث العذرى عن ثورة قاموا بها ضد عبيد الله بن ديسم بن إسحاق سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م. انظر: العذرى: المصدر السابق ص١٢.

(١٦٢) وتتفاوت هذه المنازل أو القصور فى فخامتها تبعًا لمكانة صاحبها الاقتصادية والاجتماعية، وكانت تتكون من عمل أكثر من جزء، الجزء الأمامى للبيت يتوسطه باب يفتح على قاعة كبيرة أو قاعتين- تبعًا لمكانة رب

الدار- ويخصص هذا الجزء للضيوف والغرباء، ويحتوى على أثاث بسيط يتغير حسب الفصول وبجوار هذا الجزء قد يوجد مرحاض وصهريج للمياه ويلى الجزء الأمامى الجزء الأوسط من الدار، وهو عبارة عن فناء المنزل حيث تجرى به قناة للمياه وسط بعض الأشجار دائمة الخضرة، ويتوسطه مجلس مفروش، ومظلل بعرايش الكروم والورود، يخصص لقضاء أوقات الراحة، ثم يلى هذا الفناء الجزء الداخلى من المنزل ويحتوى على غرف المعيشة والنوم، وبعض الأصطبلات، وقد يحيط بالمنزل سياج أو سور بداخله بستان أو حديقة تحيط بالبيت. انظر: مؤلف مجهول منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص١٠٠- ١٠١، ابن بشكوال: المصدر السابق جـ١ تر٧١ ص٤١، وانظر أيضًا: الطاهر أحمد مكى: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٣ ص٣٨،

levi- Provencal: Hist de l'Esp. Mus. T. 111. PP.413- 415.

(١٦٣) الزبيدى: لحن العامة. ص١٥٨- ١٥٩، بلباس: الأبنية الإسبانية الإسلامية، تعريب عليه إبراهيم العنانى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ع١، ١٩٥٣ (ص٩٧- ١٢٨) ص١٢٣، ١٢٧، ١٢٨،

levi- Provencal: Hist de l'Esp. Mus. T. 111. PP.410- 411.

(١٦٤) انظر: ابن بسام: المصدر السابق، ق١، م٢ ص٦٧٦- ٦٧٨.

(١٦٥) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، جـ٢ ص٤٧١.

(١٦٦) المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٠٥.

(١٦٧) المقرى: نفس المصدر م٣ ص٢١٣.

(١٦٨) ابن العطار: المصدر السابق ص٢١١ وما يليها، المالقى: المصدر السابق ص١٠٠، ١٣٢- ١٣٥، ١٣٧- ١٣٨، ١٤١، ١٤٧- ١٤٨، ٢٠٣- ٢٠٤، ٢٨٩، ٣٠٤.

(١٦٩) المالقى: نفس المصدر ص٢٥٩، الطاهر مكى: المرجع السابق ص٣٦، محمد بركات البيلى: المرأة الأندلسية فى عصر أموىّ الأندلس، مجلة المؤرخ المصرى، ع١٦، يوليه١٩٩٦ (٤٥- ١٠٤) ص٧١.

(١٧٠) ابن عبدون: المصدر السابق ص٥٤، ٥٧.

(١٧١) المالقى: المصدر السابق ص١٠٨- ١٠٩.

(١٧٢) يعبر عن ذلك مثل عامى متأخر يقول: "هم البنات للممات" ابن عاصم: المصدر السابق م. رقم٧٧٩ ص٣٥٧.

(١٧٣) فهم الأندلسيون الوضعية الحساسة للبنت داخل الأسرة منذ ولادتها وحتى زواجها وربما يعبر عن ذلك المثل العامى الأندلسى الذى يقول: "إذا قالت البنت دد، فكر لها فى مخد، وإن رفعت القدح لفمها، تحتاج ما تحتاج أمها" ودد: الأب والأم بلغة الأطفال. الزجالى: المصدر السابق ق٢ م. رقم ٢٧ ص١٠.

(١٧٤) ابن سهل: نوازل الأحكام ص٢٨- ٢٩، المالقى: المصدر السابق ص١٤٦- ١٤٧، ١٤٩، ١٨٢- ١٨٣، الونشريسى: المصدر السابق جـ٦ ص٢٥١، ٢٦٣- ٢٦٤.

(١٧٥) انظر ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١١ ص١٨٩، ١٩٤، جـ١٣ ص٢١٠، جـ١٤ ص١٣، الونشريسى المصدر السابق جـ٤ ص٢٢٠، جـ٨ ص١٦٦، جـ٩ ص١٦٨.

(١٧٦) الخشنى: قضاة قرطبة ص٦٩، المالقى: المصدر السابق ص٤٤٥، ابن عبدون: المصدر السابق ص٥٥، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٨٧.

(١٧٧) عريب بن سعد: المصدر السابق ص٤٩،

lévi- Provencal: Hist de l'Esp. T. 111. P. 285.

(١٧٨) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١١٤.

(١٧٩) المالقى: المصدر السابق ص٤٦٦.

(١٨٠) انظر: ابن عبدون: المصدر السابق ص٣٢، ٤٦- ٨٤، ٥٦- ٥٧، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص١١٣، الجرسيفي: رسالة فى آداب الحسبة، نشر ليفى بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٥٥ ص١٢١.

(١٨١) انظر: الزجالى: المصدر السابق ق٢ أمثال أرقام ٣٨٨، ٤٧٦، ١٠٤٠، ١٢١٥، ١٤٢٥.

(١٨٢) عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق ص٦٠- ٦١.

(١٨٣) يذكر جيشارا أن نظام الزواج من الأقارب شاع بين الجماعات التى تتميز بالتركيب القبلى مثل العرب والبربر؛ وكان زواج الابن من ابنة عمه هو الزواج المفضل والمثالى لأنه يبقى على سلطة وثروة الجماعة، بعكس الزواج من بنت الخال أو العمة الذى يفقد هذه المزايا.

Glick: Islam. and christ.sp.P.137.

(١٨٤) ابن عبدون: المصدر السابق ص٥٣.

(١٨٥) ابن العطار: المصدر السابق ص١٣، محمد بركات البيلى: المرأة الأندلسية. ص٦٧. وكان النساء يقمن بدور كبير فى الخطبة والزواج يشير إلى ذلك ابن حزم بقوله: "وإنك لترى المرأة الصالحة المسنة، المنقطعة الرجاء من الرجال وأحب أعمالها إليها وأرجاها للقبول عندها، سعيها فى تزويج يتيمة وإعارة ثيابها وحليها لعروس مقلة" ابن حزم: طوق الحمامة فى الإلفة والآلاف، ت. الطاهر أحمد مكى، القاهرة، دار المعارف، ط٥، ١٩٩٣ ص٧٨- ٧٩.

(١٨٦) الونشريسى: المصدر السابق جـ٣ ص١٩٨.

(١٨٧) محمد بركات البيلى: المرأة الأندلسية: ص٦٨. ولدينا نماذج لوثائق وعقود الزواج كان ينص فيها على قيمة الصداق، وبعض إلتزامات الزوج تجاه زوجته. انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص٨- ٩.

(١٨٨) وكان الأزواج يتحيلون أحيانًا للتهرب من دفع الكالىء بكتابة بعض العبارات الملتوية رغم أن الكالىء كان لا يسقط بوفاة الزوج، بل تستحقه المرأة من ميراثه. انظر: ابن العطار: نفس المصدر ص٢٢- ٢٣، المالقى: المصدر السابق ص٤٠١، ٤٠٧.

(١٨٩) المالقى: نفس المصدر ص٣٩٨.

(١٩٠) انظر: ابن العطار المصدر السابق ص١١، المالقى: المصدر السابق ص٣٧٩، ٣٩٧، ٤٠١، ٤١٧، ٤٦٨، ٤٧٣- ٤٧٤، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١١ ص١٨٩، الونشريسى: المصدر السابق جـ٦ ص٢٦٢.

(١٩١) محمد بركات البيلى: المرأة الأندلسية ص٦٩. وقد نحل (أعطى) تدمير صاحب أوريولة ابنته عند زواجها بعبد الجبار بن نذير- قريتين كاملتين هما قرية "ترسة" وقرية "تل الخطاب" والأولى على بعد ثلاثة أميال من ألش والثانية على بعد ثمانية أميال من أوريولة. انظر: العذرى: المصدر السابق ص١٥. والنحلة بمعنى العطية والهبة، لا تنحل النحلة بطلاق الابنة المنحولة أو موت الزوج، وإن ماتت الابنة المنحولة فمن حق الزوج أن يرث فى تلك النحلة، وأن فسخ النكاح لا تنفسخ نحلة الأب لابنته لأنه حق قد أجبه لها وأشهد به على نفسه. وقد ينحل الأب ابنه نحلة وشروطها هى نفس الشروط السابقة. انظر المالقى: المصدر السابق ص٣٧٣- ٣٧٤، ٤٧٥.

(١٩٢) الشوار والشورة هو لباس ومتاع العروس الذى تتجهز به، وقد بقيت الكلمة فى الإسبانية فى صورة ajur ومازالت تستعمل بنفس المعنى إلى اليوم فى إسبانيا. انظر ابن يحيى بن عمر: أحكام السوق: نشر محمود على مكى حاشية٣ ص١٤١.

(١٩٣) وقد أشار ابن الشهيد فى معرض وصفه لأحد المنازل الريفية- عرضًا- إلى مكونات جهاز العروس مثل الغلائل، والملاءات والهمايين والسراويلات والعصائب، والمقنعة والخمار، والدلال المستعار، وحراقة الورد باللبان،

وعصارة العصفر الزعفران، ومراود الزجاج، والأثمد والأسفيذاج، وحبات المصطكى واللبان وغيرها. انظر ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص٦٧٧.

(١٩٤) الونشريسى: المصدر السابق جـ٧ ص١٣٧. وقد يحضر بعض القادرين من أهل الريف طباخًا محترفًا ليتولى الطبخ فى العرس نظير أجر معلوم. ابن عبدون المصدر السابق ص٥٢.

(١٩٥) الونشريسى: المصدر السابق جـ٣ ص٢٥١.

(١٩٦) الطرطوشى: كتاب الحوادث والبدع ت. محمد الطالبى، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٥٩ ص١٤٢.

(١٩٧) وقد فاجأ القاضى أحمد بن بقى بن مخلد (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م) أحد هذه الإحتفالات إذ "بينما هو يسير بشرقى قرطبة، ومعه جماعة من أصحابه الفقهاء وغيرهم، إذ أفضى إلى مجمعة عرس بفناء بعض الدور، وقد اجتمعوا إلى زمارين يلهونهم، فى خلق عظيم، قد قام وسطهم ماجن، وقد أخرج لهم لعبتهم المسماة بعبد الخالق، وقد أعتم قلنسوة، وشبه بلحية زور بيضاء وافرة، وارتدى، وتوكأ على عصا، وهو يكلمهم بمضاحكة، إذ فاجئهم موكب القاضى من حيث لا يشعرون، فقطعوا الزمر، وغطوا الآلة، وأبلسوا بأجمعهم...". القاضى عياض: ترتيب المدارك. ت. محمد بن شريفة، المحمدية (المغرب)، مطبعة فضالة، ب.ت، جـ٥ ص٢٠٦- ٢٠٧.

(١٩٨) يبدو أنه كان يستخدم العديد من الآلات الموسيقية كالبوق والعود وغيرهما فى حفلات العرس يدل على ذلك تشديد أهل الحسبة على منع استخدام معظم تلك الآلات، وإباحة القليل منها. انظر: يحيى بن عمر: أحكام السوق نشر محمود مكى ص١١٩- ١٢٢، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٨٣.

(١٩٩) الونشريسى: المصدر السابق جـ٣ ص٢٥٢.

(٢٠٠) كانت العروس تخضب يديها بالحناء وترتدى ثوبًا أحمر اللون غالبًا وفى ذلك يقول الشاعر:

وهبها قينة تهدى عروسًا   خضيب الكف قانية الرداء

ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٢٥٣.

(٢٠١) وفى ذلك يقول ابن قزمان: ابن قزمان:

أنا تايب، يالس نقول بزواج   ولا جلو ولا عروس بتاج

ديوان ابن قزمان ت. ف. كورينطى، المعهد الإسبانى العربى للثقافة مدريد ١٩٨٠ ص١٥٤.

(٢٠٢) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام. ص٢٢٣. وأحيانًا كان يتزوج بعض الريفيين من المدينة، عندئذ يخرج العرس من المدينة متجهًا إلى الريف، يتبعه جمع غفير من الناس، يتقدمه بعض المهللين، وقد يصاحبهم بعض أعوان القاضى لحمايته من الشباب المعربد. ابن عبدون: المصدر السابق ص٥٣- ٥٤.

(٢٠٣) أشار عمر بن عثمان الجرسيفى إلى ضرورة منع الجهلة من القوابل من ممارسة مهنة توليد النساء، لأن جهلهن قد يؤدى إلى خطر كبير على حياة النساء. الجرسيفى: المصدر السابق ص١٢٣.

(٢٠٤) الطاهر مكى: المرجع السابق ص٣٦- ٣٧، البيلى: المرأة الأندلسية. ص٧١.

(٢٠٥) الطرطوشى: المصدر السابق ص١٤٣. وذهب عبد الملك بن حبيب إلى كراهية الإنذار بالجنازة فى الطرق والأسواق، وأجاز الإنذار بها على أبواب المساجد، وعلى خاصة لأخوان الميت. انظر: ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٧٦.

(٢٠٦) يحيى بن عمر: أحكام السوق، نشر محمود على مكى ص١٢٤- ١٢٥، نشرة فرحات دشراوى ص٨٩- ٩١. وقد نهى ابن حبيب النساء من اتباع الجنائز، حتى لو كن غير نائحات، بينما أجاز السقطى اتباع النساء للجنازة

شريطة أن يكن غير حاسرات ولا متكشفات. انظر ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٧٧، السقطى: المصدر السابق ص٦٨.

(٢٠٧) اعتبر الطرطوشى عمل توابيت للموتى من البدع التى يجب النهى عنها. الطرطوشى: المصدر السابق ص١٤٣.

(٢٠٨) وكره ابن رشد لبس البياض من جانب أهل الميت حدادًا على ميتهم. ابن رشد: البيان والتحصيل، جـ٢ ص٢٠٣- ٢٠٤.

(٢٠٩) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٧٦، الطرطوشى: المصدر السابق ص١٤٢.

(٢١٠) يحيى بن عمر: أحكام السوق، نشره فرحات دشراوى ص٩١ وحاشية ٤٧ من نفس الصفحة، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٧٦.

(٢١١) اعتبر الطرطوشى حفر القبور دون لحد من البدع التى يجب النهى عنها، وشدد السقطى على حافرى القبور بضرورة تعميقها وتوسيعها لستر الموتى. الطرطوشى: المصدر السابق ص١٤٣، السقطى: المصدر السابق ص٦٨.

(٢١٢) السقطى: نفس المصدر والصفحة.

(٢١٣) القاضى عياض: ترتيب المدارك ت. عبد القادر الصحراوى، مطبعة فضالة، المحمدية (المغرب)، ١٩٧٠ جـ٤ ص٤٢٣.

(٢١٤) وقد تشدد أهل الحسبة المتقدمين فى منع النساء نهائيًا من الخروج إلى المقابر، بينما خفف المتأخرون منهم من هذا المنع، وأجازوا للنساء زيارة القبور مع التشديد فى مراقبة المقابر، ومنع الشبان من التعرض للنساء. انظر يحيى بن عمر: أحكام السوق، نشره محمود على مكى ص١٢٥، وحاشية ٣ من نفس الصفحة، نشره فرحات دشراوى ص٩١- ٩٢، ابن عبدون: المصدر السابق ص٢٧.

(٢١٥) انظر: ابن الفرضى: المصدر السابق جـ١ تر٣٠٢ ص١٨٠، ابن شهيد: المصدر السابق ص٩٨، وانظر أيضًا: الطاهر مكى: المرجع السابق ص٣٧،

Lévi- provencal: Inscriptions Arabes d'Espagne. Lyde. Paris. 1931. PP.4- 5.

(٢١٦) وتصور بعض الأبيات الشعرية لابن دراج القسطلى مدى قوة العلاقة والارتباط بينه وبين أسرته، انظر الأبيات التى قالها فى وداع زوجته وابنته قبل رحيله إلى قرطبة. ابن دراج: المصدر السابق ص١٣- ١٤.

(٢١٧) عبد الملك بن زهر: كتاب الأغذية، ت. اكسبيراثيون غارثيا، مدريد ١٩٩٢ ص١١، السقطى: المصدر السابق ص٢١،

lévi- Provencal: Hist de l'Esp. Mus. T. 111. 273.

(٢١٨) خبز الخشكار، هو الخبز المصنوع من دقيق الحنطة الخشن الذى لم ينخل، وأصل اللفظ من الفارسية فالخشكر ما خشن من الدقيق. انظر: إحسان صدقى العمد: الخبز فى الحضارة العربية الإسلامية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، جـ١٢، ١٩٩٢ ص٦٨.

(٢١٩) عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطب ص٥٤، إحسان صدقى العمد: المرجع السابق، نفس الصفحة، وهناك أنواع أخرى من خبز القمح منها خبز السميذ، والخبز المصنوع من الدقيق المدهون، والدقيق الأحمر. انظر: السقطى: المصدر السابق ص٢١، ٢٦.

(٢٢٠) انظر: عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطب ص٥٥، عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١١، السقطى: المصدر السابق ص٢٦.

(٢٢١) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ١ ص٣٩٤.

(٢٢٢) ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٧٨، ٨١- ٨٢ وانظر أيضًا:

Imamuddin: Som. asp. of soc. P.59.

(٢٢٣) انظر طريقة إعداد هذه الأنواع والأطعمة التى تؤكل معها عند كل من: ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٢٥١، ٢٥٧، ٣٠١، ٣٢٨- ٣٢٩، ٣٤٦، جـ٢ ص٦٣، ٦٧، ٧٠، ٩٤- ٩٥، عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١١- ١٣. وكانت كثير من هذه الأنواع تؤكل فى أوقات الأزمات الغذائية مثل فترات القحط والمجاعة.

(٢٢٤) التنور: نوع من الكوانين يخبز فيه، وهو عبارة عن تجويف إسطوانى مصنوع من الفخار، يجعل فى الأرض ومازال شائعًا فى عدد من الأقطار الإسلامية. للمزيد انظر: إحسان صدقى العمد: المرجع السابق ص٩٤.

(٢٢٥) عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١٠.

(٢٢٦) الطابق عبارة عن وعاء يطبخ فيه، وهو يشبه الصاج المحدب الذى يوضع فوق موقد يخبز عليه انظر: ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٢٥١، إحسان صدقى العمد: المرجع السابق ص٩٩.

(٢٢٧) عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطب ص٥٤، عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١٠.

(٢٢٨) الملة: هى الرماد الحار والجمر؛ ويسمى خبز الملة أيضًا بالمليل والمملول، ويسمى القرص، وهو نوع ردىء من الخبز، مختلط بالرماد. انظر: إحسان صدقى العمد: المرجع السابق ١٠١.

(٢٢٩) عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١١، مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين، ص٧٧- ٧٨.

(٢٣٠) الطغنرى: المصدر السابق ص٧٥، عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطب ص٦٠، ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص٦٧٧.

(٢٣١) السقطى: المصدر السابق ص٣٢. وقد ذكر صاحب كتاب الطبيخ صفة بعض الأطعمة التى كان يتناولها الفلاحون والرعاة على أيامه والتى كانت

تصنع من اللحم من ذلك "دجاجة بدوية" وطعام آخر سماه "المعلك والمقلو" انظر: مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ ص١٣٣، ١٤٠، ١٨٨.

(٢٣٢) ابن بشكوال: المصدر السابق جـ١ ص٤١، مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ ص١١٧- ١١٨.

(٢٣٣) عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص٢٠، ٣٧- ٣٨.

(٢٣٤) عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطب ص٥٤- ٥٥، عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١١، ١٤.

(٢٣٥) الطغنرى: المصدر السابق ص٧٣، مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ ص٨٢.

(٢٣٦) انظر طريقة تخليل الزيتون كما بيَّنها أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق ص١٧٦.

(٢٣٧) من أصناف المجبنات التى ذكرها صاحب كتاب الطبيخ: مجبنة بالبيض، المجبنة المثلثة، المجبنة بالسميذ والمجبنة الطليطلية. وكانت المجبنة عمومًا تصنع من الجبن البقرى والغنمى بنسبة ١: ٣، ويتم عجن الخليط حتى يتماسك، ثم يضاف إليه بعض اللبن الحليب والدقيق ثم يقلى فى المقلاة. انظر: السقطى: المصدر السابق ص٣٢، مؤلف مجهول: كتاب الطبيخ ص١٦٩- ٢٠١.

(٢٣٨) المقرى: نفح الطيب م١ ص١٨٤.

(٢٣٩) من الأشربة أيضًا شراب: عيون البقر، الكمثرى، الرمان، السفرجل، وشراب حب الآس، انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص٣٧، ٧٥، ٧٧، ٨٥، ٩١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٩، ١٣١، ١٣٣، ١٤٥، ١٥٩، ١٧٣.

(٢٤٠) ابن زهر: المصدر السابق ص٢٩- ٣٠. وجاء فى بعض أمثالهم قولهم: "غزر الجراد يرخص القمح" انظر: ابن عاصم: المصدر السابق، م. رقم ٥٣٠ ص٣٣٨.

(٢٤١) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٢١٣.

(٢٤٢) اهتم بعض الكتّاب الزراعيين بعملية خزن الطعام، فخصص لها ابن العوام الباب السادس عشر من كتابه للحديث عنها، مما يدل على أهميتها بالنسبة للفلاحين انظر ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٦٦٠- ٦٨٩.

(٢٤٣) الونشريسى: المصدر السابق جـ٤ ص١٠٨.

(٢٤٤) وفى ذلك قالوا: "سوسُ خير من فلوسُ" الزجالى: المصدر السابق ق٢ م. رقم ١٨٤٦ ص٣٤٧ وقد عبر ابن خلدون عن فلسفة الفلاحين فى تخزين الطعام عندما قال: "وليس فلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود، ولا على وتيرة واحدة، فطبيعة العالم فى كثرة الأمطار وقلتها مختلفة، والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر، والزرع والثمار والضرع على نسبته، إلا أن الناس واثقون فى أقواتهم بالاحتكار، فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات". ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص٧٧٢.

(٢٤٥) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٤٨- ٤٩، ٥٣، مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافيا ص٨٣، ابن غالب: المصدر السابق ص٢٨٨، الزهرى: المصدر السابق ص٨٣.

(٢٤٦) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٧٣، ٨٤ مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافيا ص٨٣، ٨٥ ابن غالب: المصدر السابق ص٢٩٢، الزهرى: المصدر السابق ص٨٢، ١٠١، كما كان يتم تخزين أنواع عديدة من الأطعمة فى أرياف غرناطة. وانظر: ابن الخطيب الإحاطة م١ ص١٣٧.

(٢٤٧) انظر تفصيل طرق تخزين الأطعمة بمختلف أنواعها عند كل من: مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص٦١- ٦٤، أبو الخير الإشبيلى: المصدر السابق ص١٧٦، ١٧٨- ١٧٩، ١٨٢- ١٨٣، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٦٦٠- ٦٧٨.

(٢٤٨) مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة. ص٧١، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٦٧٨- ٦٨٢. ومن المناطق الريفية التى اشتهرت بتخزين الغلال أيضًا "حصن استيرش" الذى بناه الأمير محمد "لغلال مدينة سالم"، ومكانه الآن قرية Esteras de Medina من أعمال مركز "مدينة سالم"- إلى الجنوب على بعد ٩ كم- بمقاطعة سرية. ومازالت هذه القرية إلى اليوم مشهورة بخزن الغلال ولا سيما القمح. انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١٣٢، والتعليق رقم ٢٨٥ ص٥١٣- ٥١٤.

(٢٤٩) عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطب ص٥٤- ٥٥، عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١١.

(٢٥٠) عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطب ص٥٦- ٥٧.

(٢٥١) عبد الملك بن حبيب: نفس المصدر ص٦٣- ٦٥، ٦٨.

(٢٥٢) عبد الملك بن حبيب: نفسه ص٧٠- ٧٣.

(٢٥٣) مثل نبات "الإكليل الجبلى" وهو مدر ومحلل ومفتح، ونبات "الهارة أو القارة" واستخدم فى علاج المرة السوداء، وتقوية القلب، وعلاج عضة الكلب، ونبات "الأسليخ" فى علاج الأورام البلغمية والقولنج والسموم، و"الإنجبار" استخدم فى علاج نزيف الدم وسجح الأمعاء، وجبر الكسور والتئام الجروح وقرحة المعدة. أما نبات "أبو فيسطون" فكانوا يستخدمونه فى علاج إدرار البول. وكانت هذه النباتات والأعشاب تستخدم بمفردها أو مع مواد أخرى لعلاج الأمراض المشار إليها. انظر: الغافقى: المصدر السابق ص٢٦، ٣٠، ٣٧- ٣٨، ٤٢- ٤٣.

(٢٥٤) استخدم الإثمد أو الحكل فى علاج القروح وقطع الرعاف، وحجر الولاة المسمى أكثمكث أو حجر العقاب أو حجر النسر، فى تسهيل عملية الولادة، حيث كان يعلق بعد وضعه فى جلد الإبل على الفخد اليسرى للنفساء، انظر:

مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص٦، الغافقى: المصدر السابق ص٥١، ياقوت: المصدر السابق جـ٥ ص١٢.

(٢٥٥) انظر: عبد الملك بن حبيب: مختصر فى الطب ص٥٧- ٦١، ٦٦.

(٢٥٦) الغافقى: المصدر السابق ص٥٠، ٥٣.

(٢٥٧) انظر: الإدريسى: المصدر السابق م٢، ص٥٦٦، القزوينى: المصدر السابق ص٥٠٩، الحميرى: المصدر السابق ص٣٨- ٣٩.

(٢٥٨) القزوينى: المصدر السابق ص٥١٢.

(٢٥٩) الحميرى: المصدر السابق ص١٦٩. وهناك حمات أخرى كثيرة ذكرتها المصادر يضيق المقام هنا عن إيرادها كلها. انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٩٢، الزهرى: المصدر السابق ص٩٩- ١٠٠، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٦- ٥٦٧.

(٢٦٠) العذرى: المصدر السابق ص٩.

(٢٦١) مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص٨٤- ٨٥.

(٢٦٢) انظر الحميرى: المصدر السابق ص١٣٥، ١٨٢.

(٢٦٣) انظر: ابن جلجل: المصدر السابق ص١٠١. ويبدو أن كثيرًا من الأطباء كانوا من النصارى واليهود لدرجة أن ابن عبدون قد نبه- فى القرن السادس- إلى خطورة الارتكان إليهم والاطمئنان لهم لأنهم- فى رأيه- "لا يرون نصيحة مسلم" ابن عبدون: المصدر السابق ص٥٧.

(٢٦٤) انظر ابن جلجل: المصدر السابق ص٩٧، ١٠٠- ١٠١، ١٠٩. ويبدو أنه كان يمارس مهنة الطب كثير من المدعين مثل الحشاشين والعشابين الذين يجمعون الحشائش والأعشاب الطبية، والعطارين، وصانعى الأشربة والمعاجين، والصيادلة وغيرهم، وكان هؤلاء يجلسون فى الطرقات والأسواق

عارضين خدماتهم على المارة، وقد هاجمت كتب الحسبة المتأخرة هؤلاء المدعين لأنهم كانوا يتسببون- فى كثير من الأحيان- فى قتل الناس لا علاجهم. انظر: ابن عبدون: المصدر السابق ص٤٦- ٤٧، ٥٣، الجرسيفى: المصدر السابق ص١٢٣، السقطى: المصدر السابق ص٤١- ٤٧.

(٢٦٥) ترجع معظم الوسائل الخرافية إلى أفكار موروثة قد يعود بعضها إلى ما قبل الفتح العربى مثل الاعتقاد فى تماثيل الثيران على أنها تشفى من مرض البقر. وانظر: القزوينى: المصدر السابق ص٥٥٦، الحميرى: المصدر السابق ص١٧٢.

(٢٦٦) خصص ابن العوام حيزًا كبيرًا من كتابه للحديث عن طب الحيوان أو البيطرة فتحدث عن كثير من أمراض الحيوان وكيفية علاجها. انظر ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٦٠- ٧٣٠، كما تحدث السقطى عن بعض أمراض الدواب. السقطى: المصدر السابق ص٤٦.

(٢٦٧) lévi- Provencal: Hist de l'Esp. Mus. T. 111. P. 422.

(٢٦٨) من هذه الشواهد ما يحكى عن أحمد بن كليب النحوى، وكان كلفًا بأسلم بن عبد العزيز، فتحيل فى بعض الليالى لكى يراه فلبس "جبة من جباب أهل البادية، وأعتم بمثل عملهم". الحميدى: المصدر السابق ق١ ص٢٢٣. وللمزيد من هذه الشواهد انظر: ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص٦٦٩، ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٢٢٢.

(٢٦٩) لعل أوضح مثال على ذلك استجهان أهل قرطبة وازدرائهم للقاضى سعيد بن سليمان قاضى الجماعة فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم- لانتمائه إلى أرياف فحص البلوط وتمسكه بزيه الريفى البلوطى. انظر: الخشنى: قضاة قرطبة ص١٣٧، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٥٢- ٥٣. كما أن ملابس

أهل شرق الأندلس كانت تختلف عن ملابس أهل غرب الأندلس. انظر: المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٢٢.

(٢٧٠) انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٥٩.

(٢٧١) ويحكى عن القاضى محمد بن بشير المعافرى قاضى الجماعة بقرطبة فى عهد الحكم الأول أنه كان يلبس رداءً معصفرًا، وحذاء صرارًا، ويفرق شعره إلى شحمة أذنيه، ويختضب بالحناء، ويكتحل بالكحل حتى حسبه أحد الداخلين عليه زامرًا. انظر: الخشنى: قضاة قرطبة ص٧٩- ٨٠، القاضى عياض: المصدر السابق جـ٣، تحقيق عبد القادر الصحراوى، المغرب، ١٩٦٨ ص٣٣٦. وتشير النقوش والصور المحفورة على علب العاج الأندلسية التى ترجع إلى عصر الخلافة إلى أزياء بعض الفئات الفلاحية كالصيادين، والبياذرة. انظر السيد عبد العزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسى فى عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج، مدريد، فصلة من مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، م١٩، ١٩٧٦- ١٩٧٨ (٦١- ٨١) ص٧٩- ٨٠.

(٢٧٢) انظر: ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٢ ص٢٠٣- ٢٠٤.

(٢٧٣) يقول ابن قزمان: كنريد نلبس فذا العيد/ محشوًا جديد مشاكل.

ابن قزمان: المصدر السابق ص٦٦٢.

(٢٧٤) انظر: يحيى بن عمر: المصدر السابق، نشرة محمود على مكى ص١٢٨، نشرة فرحات دشراوى ص٩٦- ٩٧، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١ ص٢٤٩، الونشريسى: المصدر السابق جـ١١ ص٢٧- ٢٨، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٢٢- ٢٢٣، هنرى بيريس: المرجع السابق ص٢٥٤.

(٢٧٥) ابن بسام: المصدر السابق ق٣، م١ ص١٩.

(٢٧٦) انظر: القاضى عياض: المصدر السابق جـ٣ ص٣٢٨، العمرى: المصدر السابق ص٤٢، المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٢٢- ٢٢٣.

(٢٧٧) ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص١٠٨، ١٣٢- ١٣٢- ١٣٣. كما أمر محمد بن هشام بن عبد الجبار بعض رؤساء البربر- بعد أن أعطاهم الأمان- "أن يزيلوا زيهم وأن يتزيوا بزى جار، ويخلعوا العمائم ففعلوا". ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣ ص٨٢.

(٢٧٨) الزهرى: المصدر السابق ص٨٨.

(٢٧٩) عبد العزيز الأهوانى: ألفاظ مغربية. م٣، ج٢ ص٢٩٣. ويشير دوزى إلى أن الشاشية تعنى الكلوتة والطاقية، وكانت توضع على الرأس، وهى تشبه ما يسمى بالطربوش فى مصر. وانظر:

Dozy: Dicion. de nom. de vet. chez les Ara. PP. 240- 243, 371,

(٢٨٠) سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال فى الأندلس فى العصر الإسلامى، ندوة الأندلس: الدرس والتاريخ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ب. ت. (٢٤٧- ٢٧٤) ص٢٥٤.

(٢٨١) وأصل الغفارة عند العرب خرقة تكون على رأس المرأة توقى الخمار بها عن دهن الرأس. عبد العزيز الأهوانى: ألفاظ مغربية م٣ ج٢ ص٣٠٠.

(٢٨٢) سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال ص٢٥٥.

(٢٨٣) الخشنى: قضاة قرطبة ص١٣٧.

(٢٨٤) المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٢٣.

(٢٨٥) الكنبوش: قطعة من القماش، كانت المرأة تجعله تحت مقنعتها، وهى كلمة دخيلة على العربية، ويقال له أيضًا الغفارة والوقاية والوقية والشنتقة. أما

القنزع، فهو ما يقى الرأس من حر الشمس. انظر: ابن هشام اللخمى: المصدر السابق م٢ ص٢٩٢، ٣٠٣. وانظر أيضًا:

Dozy: Dicion. de nom. de vet. chez les Arab. P. 390.

(٢٨٦) يبدو أن القناع كان من ملابس الرأس بالنسبة للمرأة فى الريف، يدل على ذلك قولهم: "يبدم تتقمع الحول، يفترق سوق الغزل". الزجالى: المصدر السابق ق٢، م. رقم ٥٦٤ ص١١٣. وذكر ابن سهل المقنع من ضمن ملابس الرأس للمرأة، كما ذكر "اللفافة" وتكون تحت المقنعة وتجمع الرأس والصدر، فإن لم تكن هناك مقنعة يمكن أن يستعاض عنها بالخمار، فإن لم يتوافر الخمار يمكن أن يحل الإزار محله بحيث تقذفه المرأة على رأسها وتجمع به ثيابها. وانظر: ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام. ص٢٦٨، ٢٧٦.

(٢٨٧) جمع ابن قزمان فى أحد أزجاله العديد من ألبسة الرأس. انظر ابن قزمان: المصدر السابق ص٦٩٤- ٦٩٥.

(٢٨٨) البرنس: "كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراعة كان أو ممطرًا أوجبه.... وكذلك هذه التى يسمونها الغفارة رأسها ملصق بها فحكمها هذا الحكم" ابن هشام: المصدر السابق، م٢ ص٢٦٠.

(٢٨٩) ابن رشد البيان والتحصيل جـ١ ص٢٤٩.

(٢٩٠) عبد العزيز الأهوانى: ألفاظ مغربية. م٣، جـ٢، ص٣٠٤. وقد ذكر دوزى أن كلمة "برنس" كانت تعنى فى البداية القلنسوة الطويلة أو الطاقيات الصغيرة ثم أصبحت تشير فيما بعد إلى معطف ضخم له قلنسوة.

Dozy: Dic. det. des vet. PP. 73- 80, supp. Aux dic. T. 1. P. 79.

(٢٩١) سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال ص١٦.

(٢٩٢) انظر ابن حيان المقتبس ت. مكى ص١٥٩، المقتبس جـ٥ ص٣٨٩، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٥٦.

(٢٩٣) انظر ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام ص٢٧٦. كما كانت هناك ملاحف من الكتان تستخدم فى تغطية الموتى. انظر: مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافيا ص٩٢.

(٢٩٤) انتقل لفظ الجبة العربى إلى بعض اللغات الأوربية فدخل الإسبانية فى صورة aljuba, chupa, Jupa والبرتغالية aljupe، والإيطالية giuppa والفرنسية jupe و jupon. انظر: Dozy: Dic. det. des vet. P. 117

(٢٩٥) "والخز هو ما كان سداه حرير فاللحم بالوبر" ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١٧ ص٥

(٢٩٦) انظر الخشنى قضاة قرطبة ص١٣٧، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٥٢، ١٦٥، المقتبس ت. الحجى ص١٠٨، ١١٨، ١٢٦، ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام ص٣٤٩، المقرى: نفح الطيب م٤، ص١٢٤.

(٢٩٧) الذهبى: المصدر السابق جـ١٦ ص١٧٧.

(٢٩٨) انظر ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام ص٢٦٨، ٢٧٤، ٢٧٦، المقرى: نفح الطيب، م١ ص١٩٨.

(٢٩٩) المقرى: نفس المصدر م١ ص٢٢٣. ويذكر العمرى فى هذا الصدد قوله "ويتطيلسون إلا العامة فيلقون الطليسان على الكتف أو الكتفين مطويًا طيًا ظريفًا" العمرى: المصدر السابق ص٤٢. وكان هناك نوعان من الطليسان منها المربع الشكل وكان يسمى بالطليسان المحنك، وشاع استخدامه فى صلوات الجمعة والاحتفالات، ونوع آخر عرف بالطليسان المقور وهو على عدة أشكال. انظر: سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال ص٢٥٨.

(٣٠٠) وذكر دوزى فى تفسيره لكلمة "زنار" أنها تشير فى إسبانيا إلى مئزر غليظ يلبسه الفلاحون. انظر: Dozy: Dic. det. des vet. P. 40, 196- 198.

(٣٠١) انظر: ابن قزمان: المصدر السابق ص١١٨، ٢٤٢، سحر السيد عبد العزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسي. ص٧٩، سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في الأندلس ص٢٥٩.

(٣٠٢) انظر: ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام ص٢٦٨، ٢٧٦، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣ ص٧٣، ١٣٩، وانظر أيضًا: سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال. ص٢٥٩.

(٣٠٣) مفردها سروال، وأصلها من الفارسية "شلوار" ودخلت الإسبانية من العربية في صورة: Zaraguelles Caraguelles.

Dozy: dic. det. des vet. PP. 203- 209.

(٣٠٤) انظر: ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام. ص٢٧٤، ٢٧٦، سحر السيد عبد العزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسي. ص٧٩.

(٣٠٥) ومفردها "قرق" وأصلها لاتيني quercus وتعني شجر الفلين أو لحاؤه التي كان يصنع منها الأقراق. وانظر:

J. oliver Asin: "Quercus" en L' Espana Musulmana. Al- Andalus. vol. XXIV. 1959. PP. 125- 181.

وقد ورد اللفظ عند ابن قزمان في معرض حديثه عن محبوبه انظر ابن قزمان: المصدر السابق ص١٠٤.

(٣٠٦) يبدو أن لفظ النعل كان يرادف الخف، وإن كان يطلق أحيانًا على الجزء السفلي من الحذاء. انظر: ابن عبدون: المصدر السابق ص١٠٣.

(٣٠٧) انظر: الخشني: قضاة قرطبة، ص٧٩، القاضي عياض: المصدر السابق جـ٣ ص٣٣٦.

(٣٠٨) انظر: يحيى بن عمر: المصدر السابق. نشرة محمود على مكى ص١٢٦، نشرة فرحات دشراوى، ص٩٣- ٩٤. وانظر أيضًا: ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام ص٢٧٤، ٢٧٦.

(٣٠٩) ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص١٦٠.

(٣١٠) وفى تعليل اسمها قال أحد الشعراء الأندلسيين:

لتبليغها المضطر تدعى ببُلغةٍ   وإن قِستَ بالتشبيه شبهتها نعلا

انظر: Dozy: suppl. Aux diction. Arab. T. I. P. 113.

(٣١١) انظر: دوزى: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، بغداد، وزارة الأعلام، ب. ت. ص٢٩.

(٣١٢) levi- Provencal: Hist de l'Esp. Mus. T. 111. PP. 424- 425.

(٣١٣) انظر الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص١٦٥.

(٣١٤) عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١٢٧، ابن العوام: المصدر السابق جـ١ ص٢٥٢، ٣٣٥. وقد أشارت المصادر إلى أن موسى بن نصير كان يصبغ رأسه ولحيته بالحناء. انظر: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص١٧- ١٨، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٥.

(٣١٥) ولحفظ البشرة من الأمراض الجلدية كانوا يغسلونها بماء العسل والبطيخ وغيرها. انظر: عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص٩٧، ١١٩، ١٢٨، ابن العوام: المصدر السابق جـ٢ ص٤٦٧.

(٣١٦) عبد الملك بن زهر: المصدر السابق ص١٢١.

(٣١٧) انظر: عبد الملك بن زهر: نفس المصدر ص١٢٤- ١٢٨.

(٣١٨) انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص١٩٧، ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام ص٦٩٦، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٧ ص١٠.

(٣١٩) كان رزين البرنسى- أحد القادة البربر فى جيش طارق- أول من اختط منية الرصافة، ثم اشتراها الأمير عبد الرحمن الداخل من ورثته، وقام بتوسيعها، وغرسها بأكارم الشجر وغرائب الغروس المجلوبة من داخل الأندلس وخارجها، وسماها الرصافة على اسم رصافة جده الخليفة هشام بن عبد الملك، ثم آلت إلى الأمير محمد فقام بتجديدها وإعادة بناءها. انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٢٢٧- ٢٣٥، الحميرى: المصدر السابق ص٧٨. وانظر أيضًا:

lévi- Provencal: l'Esp. Mus. P. 224, Hist de l'Esp. Mus. T. III. PP. 358-359, 366.

(٣٢٠) كانت منية كنتش من إنشاء الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى "اتخذها منسكًا من مناسك نزهته، وموطنًا من مواطن مسرته" انظر ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٢٣٧.

(٣٢١) كانت منيه الناعورة تقع على الوادى الكبير أسفل قرطبة، متصلة بمصلى فحص المصارة، وهى من إنشاء الأمير عبد الله، وكان قد اشتراها- فى عهد والده الأمير محمد- من خليل البيطار سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م، ثم قام بتوسيعها وغراستها. ثم اصطفى منية نصر"- وكان يمتلكها فى الأصل أبو الفتح نصر الخصى من كبار رجال دولة الأمير عبد الرحمن عبد الله الثانى، ثم أقطعها الأمير عبد الرحمن الثانى لمغنيه زرياب سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، ثم آلت ملكيتها إلى الأمير عبد الله- بالقرب من قرطبة على ضفة نهر الوادى الكبير بجانب مقبرة الربض، وقام بتجديدها وإعادة بناءها. وكان يقسم أوقات نزهته بين هاتين المنيتين الصيغيتين حتى وفاته. انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص٨- ١٥، والتعليق رقم ٥٦ ص٤٣٤، المقتبس ت. العربى ص٥٩- ٦٠، الحميرى: المصدر السابق ص١٨٧.

(٣٢٢) وتكتب أيضًا بوقريط، وقوقريط وكانت تقع إلى الغرب من قرطبة، وكانت في الأصل منية يمتلكها هاشم بن عبد العزيز كبير وزراء الأمير محمد، وهو نفس المكان الذى أنشأ فيه الناصر مدينة الزهراء وأطلالها الآن تبعد إلى الغرب من قرطبة بنحو تسعة كيلو مترات. والاسم لاتينى يتألف من "قوقر+ يط" والنهاية "يط" (باللاتينية etum= it) تدل على التكثير انظر ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص١٩٠، والتعليق رقم ٣٦٤ ص٥٥١، العذرى: المصدر السابق ص١٢٣.

(٣٢٣) كما اقتضى الناصر أثر أسلافه "فلم يكن ينشأ له غلام من بنيه إلا ابتنى له بالمدينة معه قصرًا يقرنه لكل واحد بمنية بستان بخارج البلد (يعنى خارج قرطبة) فى أمكنة متنزهاته الحسنة" انظر ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص١٥، ٤٧٨، ٤٨٣.

(٣٢٤) ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص١٠٦- ١٠٧. وكانت منية أرملاط guadalmellato من متنزهات الحاجب عبد الملك المظفر بن أبى عامر ثم آلت إلى عبد الرحمن شنجول، وكانت تقع إلى الشمال من قرطبة على بعد ثلاثين ميلاً بالقرب من دير أرملاط. انظر: ابن عذارى: المصدر السابق جـ٣ ص٥، ٧١. وانظر أيضًا:

Simonet: Hist. de los Moz. P. 334.

وكان الأغنياء والأعيان يمتلكون العديد من القصور والمنيات الريفية لأغراض التنزه والراحة، كما يتضح من وصف ابن حزم لنزهاته هو وأصحابه فى الريف. ابن حزم: طوق الحمامة ص٩٦، ١٣٣- ١٣٤.

(٣٢٥) انظر: ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٢٩١، ٢٩٦، جـ٢ ص٢٩٨، ٣٠٨، ٤٣٤- ٤٣٥، القلقشندى: المصدر السابق جـ٥ ص٢٣٠- ٢٣١، المقرى: نفح الطيب م١ ص١٨٢. وكان أهل المرية يخرجون إلى عين الحمة بحصن

الحمة فى أيام الربيع "مع نسائهم وأولادهم باحتفال فى المطاعم والمشارب والتوسع فى الأنفاق" الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص٥٦٦.

(٣٢٦) الأنشام هى الأخصاص التى كانت توجد على ضفاف النهر وهى تشبه ما نسميه الآن بالشاليهات والكبائن.

(٣٢٧) المقرى: نفح الطيب م٣ ص٢١٢. وذكر ابن سعيد عن نهر إشبيلية قوله: "وهو ميدان لهوهم ومضحكاتهم وتنديرهم" ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٢٨٧.

(٣٢٨) المقرى: نفح الطيب م١ ص٢٠٨.

(٣٢٩) انظر: ابن خفاجة: المصدر السابق ص١٠، ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص٦٧٦- ٦٨٤، ٨٧٣- ٨٨٢، ابن عبدون: المصدر السابق ص٥٧، الجرسيفى: المصدر السابق ص١٢١، وانظر أيضًا: سحر السيد عبد العزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسى. ص٦٤. وقد ذكر الشقندى عن الوادى الكبير: "وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسره، وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر، لا ناه عن ذلك ولا منتقد، مالم يؤد السكر إلى شر وعربدة". المقرى: نفح الطيب م٣ ص٢١٢.

(٣٣٠) كان الصيد من أهم وسائل التسلية لدى الشعوب الشرقية عمومًا، وأولع به العرب على وجه الخصوص، وبلغ من اهتمام أمراء بنى أمية بالصيد حدًا أن جعلوا له خطة مستقلة كان يتولاها أكابر الموظفين والمقربين عرفت بخطة البيازرة أو البيازة أو البيزرة، وتعنى بالصيد بالبزاة، والجوارح. انظر: ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص١١٩، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٥٩. وانظر أيضًا: سحر السيد عبد العزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسى ص٧٠- ٧٢، lévi- Provencal: l'Esp. Mus. P. 55.

(٣٣١) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص١١٠، ١١٧، ابن الآبار: الحلة السيراء جـ١ ص٤١.

(٣٣٢) والغرانيق جمع غرنوق وهو طائر مائى أسود، وقيل أبيض، وقيل هو الكركى أو يشبهه. وقد وصف الشاعر ابن الشمر رحلة صيد خرج فيها مع الأمير عبد الرحمن الثانى. انظر: ابن سعيد: المغرب جـ١ ص١٢٥- ١٢٦.

(٣٣٣) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٢٧٧. ٢٧٨.

(٣٣٤) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص١٤٦.

(٣٣٥) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٤١، ٥٧.

(٣٣٦) الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص٢١٦، العذرى: المصدر السابق ص٢٦، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٦٣. وانظر وصف ابن شهيد لمنظر صيد له ولأصحابه فى إحدى القرى فى الريف. ابن بسام: المصدر السابق ق١ م٢ ص٦٨٣. وكان الأندلسيون يمارسون الصيد بالكلاب والحراب أيضًا فى الريف. انظر. سحر السيد عبد العزيز سالم صور من المجتمع الأندلسى. ص٧٨.

(٣٣٧) انظر ما ذكره ابن خلدون فى تعريف الغناء. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص٩٧٦.

(٣٣٨) أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس ص١٤٤.

(٣٣٩) للمزيد انظر: الطرطوشى: المصدر السابق ص٧٧- ٧٨.

(٣٤٠) من ذلك ما ذكره ابن سعيد عن "يحيى بن عبد الله بن البحبضة" الذى عاش فى القرن السابع الهجرى أنه كان "له أزجال على طريقة البداة التى يتغنون بها على البوق" ابن سعيد: المغرب جـ١ ص١٧٧.

(٣٤١) انظر عن الزامر: الخشنى: قضاة قرطبة ص٨٠، القاضى عياض: المصدر السابق جـ٣ ص٣٣٦، الزجالى: المصدر السابق ق٢ أمثال أرقام: ٣٨٦، ٩٣٨، ١٥١٦، سحر السيد عبد العزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسى ص٦٤.

(٣٤٢) انظر: يحيى بن عمر: المصدر السابق ت. مكى ص١٢٢، نشرة فرحات دشراوى حاشية ٣٦ ص٨٠.

(٣٤٣) انظر أمثلة لبعض هذه الألعاب السحرية عند ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ت. محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، السعودية، عكاظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢ جـ١ ص١٤٦، جـ٥ ص١٠٤.

(٣٤٤) انظر: ابن عبدون: المصدر السابق ص٥١، ٥٣، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص١١٣، الجرسيفى: المصدر السابق ص١٢٣، السقطى: المصدر السابق ص٦٧.

(٣٤٥) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص١١٣. وقد ورثت جماعة "الخجلير" Losjuglares فى إسبانيا فنون هذه الفئات وألعابها، بعد سقوط الأندلس، بل إن كثيرًا من أعضاء هذه الجماعة كانوا من المسلمين، كما أثبتت ذلك الدراسات التى جرت عليهم. انظر: الزجالى: المصدر السابق، ق٢ حاشية رقم ٦٧٢ ص١٣٢.

(٣٤٦) وصلت لعبة خيال الظل إلى مصر فى العصر الفاطمى، عن طريق الهند أو الصين، ومن مصر انتقلت إلى الأندلس فى أواخر القرن الرابع الهجرى أو أوائل القرن الخامس الهجرى. انظر: ابن حزم: الأخلاق والسير فى مداواة النفوس، ت. الطاهر مكى، مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٢، حاشية ١١ ص١٢١، سعيد عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، ١٩٨٧ ص١٠٥.

(٣٤٧) الأخلاق والسير ص١٢١.

(٣٤٨) يؤكد ذلك ما ذكره ابن حزم عن حيلة بعض اللاعبين لهذ اللعبة، يقول: "وقد فضحت أنا حيلة أبى محمد المعروف بالمخرق فى الكلام المسموع

بحضرته ولا يرى المتكلم، وسمت (أى راهنت) بعض أصحابه أن يسمعنى ذلك فى مكان آخر، أو بحيث الفضاء دون بنيان، فامتنع من ذلك، فظهرت الحيلة، وإنما هى قصبة مثقوبة توضع وراء الحائط على شق خفى، ويتكلم الذى طرف القصبة على فيه حين غفلة ممن فى المسجد كلمات يسيرة الكلمتين والثلاث، لا أكثر من ذلك، فلا يشك من فى البيت مع المخرق الملعون فى أن الكلام اندفع بحضرتهم وكان المتكلم فى ذلك محمد بن عبد الله الكاتب صاحبه". ابن حزم: الفصل. جـ١ ص١٩٣.

(٣٤٩) وقد كره بعض الفقهاء اللعب بهذه العرائس المصورة، كما كرهوا بيعها، وأجازها البعض للبنات "لما فى ذلك من تدريبهن على التربية". انظر: يحيى بن عمر: المصدر السابق، نشرة محمود على مكى ص١١٧- ١١٨، نشرة فرحات دشراوى ص٨٣- ٨٤، ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٨٣، الجرسيفى: المصدر السابق ص١٢١. وانظر أيضًا:

J. viguera Molins: La Censura de costumbres en El Tanbih Al- Hukkam de Ibn Al- Munasif (1168- 1223). Instituto hispano- Arabe de cultura. Madrid, 1985. PP. 591- 611.

(٣٥٠) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق ص٥٢- ٥٣، الجرسيفى: المصدر السابق ص١٢٤.

(٣٥١) وكانت الكرة عبارة عن جلد مخروز محشى بالصوف أو الخرق أو الزبل، كما قيل فى المثل: "حشو الكور زبل وخرق". الزجالى: المصدر السابق ق٢، م. رقم ٨٤٢ ص١٦٧.

(٣٥٢) كما كانت الحال بالنسبة لأهل قلعة خولان وكان "لعبهم فى أكثر الأوقات فى ظاهر بلدهم بالرماح والسيوف" ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٣١٠.

(٣٥٣) الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص١٤٩.

(٣٥٤) lévi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T. III P. 436.

(٣٥٥) الطرطوشى: المصدر السابق ص١٤٠.

(٣٥٦) انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص٦٠- ٦١.

(٣٥٧) lévi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T. III PP. 436- 437.

وقدم لنا ابن قزمان معلومات طيبة عن مظاهر الاحتفال بهذا العيد فى الأندلس، ومنها يفهم أن معظم الناس- خاصة الفلاحين- كانوا يشترون خروف العيد صغيرًا فى أول العام الهجرى ثم يقومون بتسمينه استعدادًا لعيد الأضحى، وكان البعض يشترى خروف العيد كبيرًا من الأسواق حيث يتوفر العديد من الأنواع التى ترضى رغبات الزبائن. ويبدو أن الأضحية قد انحرفت عن معناها الشرعى، وأضحت وسيلة للحصول على وجبات من اللحم الشهى، وسبيلاً لإدخال السرور على قلوب الأطفال، وأشار الطرطوشى إلى أنها أصبحت مظهرًا من مظاهر التباهى والافتخار. وانظر: ابن قزمان: المصدر السابق ص٣٢٤، ٣٢٦، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٦، الطرطوشى: المصدر السابق ص١٤٢.

(٣٥٨) انظر: ابن قزمان: المصدر السابق ص٣٢٤، ٣٢٦، الطرطوشى: المصدر السابق ص١٤١، وانظر أيضًا:

lévi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T. III P. 437.

(٣٥٩) والأول من يناير يوافق يوم ختان المسيح عليه السلام. انظر عريب بن سعد: المصدر السابق ص٢٧، ١٨٣.

(٣٦٠) ذكر المقريزى أن أول من احتفل بالنيروز هو جمشيد أو جمشاد أحد ملوك الفرس الأول، ومعناه اليوم الجديد، واعتبره الأقباط فى مصر من المواسم العادية وليس من الأعياد الشرعية. انظر المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار التحرير للطبع والنشر، ١٩٦٧- ١٩٦٨ جـ١ ص٤٩٦.

(٣٦١) انظر: ابن بسام: الذخيرة ق١، م٢ ص٧٨، ابن قزمان: المصدر السابق ص٤٦٤، الزجالى: المصدر السابق ق٢ م. رقم ١٤١٢ ص٢٧٥.

(٣٦٢) lévi- Provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T. III P. 438.

(٣٦٣) كان من الأمور التى لفتت الأنظار، واعتبرت خروجًا على العادة ما روى عن "بيت بنى هلال بن يزيد بن عمران القيسى القرطبيين" أنهم "كانوا لا يوقد فى دورهم ليلة يناير نار، ولا يطبخ عندهم شىء مخالفة لسيرة أهل بلدهم العجمية" القاضى عياض: المصدر السابق جـ٤ ص٤٢٩.

(٣٦٤) انظر: ابن قزمان المصدر السابق ص٢٨٤، الطرطوشى: المصدر السابق ص١٤٠- ١٤١، الونشريسى: المصدر السابق جـ١١ ص١٥٠- ١٥١.

(٣٦٥) وفى ذلك قالوا: "سيف ينير يبرق وش يقطع" ابن عاصم: المصدر السابق م. رقم ٤٧٧ ص٣٣٢.

(٣٦٦) ابن رشد (الجد): مسائل أبى الوليد بن رشد، ت. محمد الحبيب التجكانى، المغرب، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٩٢ جـ٢ ص٨٣٤.

(٣٦٧) وكان يسمى أيضًا بيوم المهرجان. انظر قصيدة ابن دراج القسطلى فى مدح المنصور بن أبى عامر. ابن دراج القسطلى: المصدر السابق ص٢٦. وذكر ابن حيان عن يوم "العنصرة" أنه "مهرجان أهل الأندلس" ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص١٣٨.

(٣٦٨) ويوافق هذا اليوم ميلاد النبى يحيى بن زكريا عليهما السلام، وهو اليوم الذى حبس الله فيه الشمس على يوشع بن نون- عليه السلام- حين بعثه موسى- عليه السلام إلى أريحا لقتال الجبابرة.

انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص١٠١، ابن خلكان: المصدر السابق م٧ ص٢٢٧- ٢٢٨.

(٣٦٩) ذكر المقريزى أن عادة رش الماء ترجع فى أصلها إلى اليوم الذى رد الله فيه إلى سليمان بن داود- عليهما السلام- خاتمة، فجاءت إليه الشياطين بالتحف وحفته الخطاطيف حاملة الماء فى مناقيرها فرشته بين يديه. انظر: المقريزى: المصدر السابق جـ٢ ص ٢٨١.

(٣٧٠) انظر: الطرطوشى: المصدر السابق ص ١٤٠- ١٤١، الونشريسى: المصدر السابق جـ١١ ص ٩٢، ١٥١، وانظر أيضًا:

Lévi- Provencal : l'Esp. Mus. P. 172.

(٣٧١) ويسمى أيضًا بخميس العهد، وكانت العامى فى مصر تسميه خميس العدس لأنهم كانوا يطبخون فيه العدس المصفى، أما أهل الشام فكانوا يسمونه خميس الأرز وخميس البيض. المقريزى: المصدر السابق جـ١ ص ٤٩٨.

(٣٧٢) الطرطوشى: المصدر السابق ص ص ١٤٠- ١٤١.

(٣٧٣) وهو يوم فطورهم وأكبر أعيادهم، وكانوا يصومون قبله باثنين وأربعين يومًا، ويحتفلون به فى أحد أيام الآحاد فى الفترة من الثانى والعشرين من مارس حتى الرابع والعشرين من أبريل. عريب بن سعد: المصدر السابق ص ٢١، ٢٣، ٥٩، ٧٣. ويذكر المقريزى أن عيد الفصح هو العيد الكبير عند النصارى، وهو يوافق اليوم الذى صلب فيه المسيح- عليه السلام- على حد زعمهم. المقريزى: المصدر السابق جـ١، ص ٤٩٥.

(٣٧٤) وقد ذكر عريب بن سعد العديد من أعياد النصارى التى كانوا يحتفلون بها فى الأندلس، بعضها كانوا يشتركون فيه مع إخوانهم من المسيحيين الشرقيين، وبعضها الآخر كانوا ينفردون بالاحتفال به دون النصارى الشرقيين. انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص ٣٩، ٤١، ٥٩، ٨١، ١٣٧، ١٤١، ١٤٣، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥.

(٣٧٥) عريب بن سعد : نفس المصدر ص ٣٣، ٨١، ٩٩، ١١٣، ١٢٥، ١٥١، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩. وقد ذكر- فى إجمال- حفص بن البر أعياد النصارى فى الأندلس بقوله: "فإن الذى أردت علمه من الأعياد السبعة التى أمر القانون بصيانتها، فهى معروفة. فأول يوم منها: إذ بشر جبريل الملك مريم بإيلاد المسح (أى بميلاد المسيح). والثالث: إذ ختن إلى ثمانية أيام. والرابع: إذ ظهر للهجين (أى المجوس) وأهدوا إليه ذهبًا، ولوبانًا (الصحيح لبانًا كما ورد

فى إنجيل متى، الإصحاح الثانى، آية١١) ومرّا. وهو يوم النجم. والخامس: يوم الفصح. إذ قام عن القبر. والسادس: إذ تخطفته السحابة، ورقى إلى السماء بمحضر الحوارين. والسابع: إذ نزل روح القدس على الحواريين وتكلموا بجميع الألسن. وأما غيرها من الأيام التى استشهد فيها الشهداء، ويصونها الناس، ويتصدقون فيها على المساكين والضعفاء، واجب على كل ذى عقل أن يصونها. إما فى مدينة، وإما فى قرية". الإمام القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام. ت. أحمد حجازى السقا، القاهرة، دار التراث العربى، ١٩٨٠، جـ٤ ص ص ٤٢٤- ٤٢٥.

(٣٧٦) انظر: العذرى: المصدر السابق ص ٦، الحميرى: المصدر السابق ص ١٥٢.

(٣٧٧) الونشريسى: المصدر السابق جـ٧ ص ١١٤- ١١٥، أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس ص ١٤١. ولأهمية عيد العصير خصص له ابن قزمان الزجل رقم ٧٨. انظر: ابن قزمان: المصدر السابق ص ٤٩٨. وكان أهل المدن والحواضر يخرجون فى أيام العصير إلى نواحى الريف المختلفة للتنزه والراحة وشرب الخمر. انظر ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص ٨٨٢.

(٣٧٨) انظر: ابن عبدون: المصدر السابق ص ٤٧- ٤٨، ابن قزمان: المصدر السابق ص ٦٦٢، وانظر أيضًا:

Lévi- provencal: Hist. de l'Esp Mus. T. III. P. 439.

(٣٧٩) يعرف البعض العادة الاجتماعية بأنها كل سلوك متكرر، يكتسب اجتماعيًا، ويُمارس اجتماعيًا، ويُتوارث اجتماعيًا. انظر: فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة، دار الكتاب العربى، ١٩٦٦، ص ١٠٤- ١٠٥.

(٣٨٠) فوزية دياب: نفس المرجع ص ١٢٩.

(٣٨١) لأن الفلاح يشعر دائمًا- أكثر من غيره- بحاجته إلى مساعدة الله له فى عمله، فالفلاح يقوم بواجبه ولكنه لا يستطيع أن يضمن محصوله فربما أصابته حشرة أو آفة. انظر: على فؤاد أحمد: المرجع السابق ص ٥٤.

(٣٨٢) العذرى: المصدر السابق ص ١١٩، ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة جـ٢، تر ١٨٦١ ص ٧٤٩- ٧٥٠، الحميرى: المصدر السابق ص ٧٥. وتتجلى مظاهر التدين أيضًا فى الإيمان بالقضاء والقدر، خاصة فيما يتعلق بأمور الرزق يشير إلى ذلك قولهم: "الرزق والأجل ما فيهم عمل". و"الذى خرق الأشداق يأتى بالأرزاق". الزجالى: المصدر السابق ق٢م. رقم ٢٥٧، ٣٥٣.

(٣٨٣) فوزية دياب: المرجع السابق ص ٢٥٧.

(٣٨٤) انظر الزجالى: المصدر السابق ق٢، م. رقم ١٤٢١، ١٤٥٦.

(٣٨٥)انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص ٩٨- ١١١.

(٣٨٦) الأحباس والحبوس، والمفرد منهما حبس، هى مصطلحات استُخدمت فى الأندلس والمغرب من جانب فقهاء المالكية، وهى ترادف مصطلح الوقف المستخدم فى مشرق العالم الإسلامى، ومعنى الحبس هو حبس العين فلا يتصرف فيها بالبيع والرهن والهبة، ولا تنتقل بالميراث، وتصرف لجهات الخير على مقتضى شروط الحابسين. والحبس نوعان: حبس خاص مقصور على ذرية المحبس وفقراء أسرته، وحبس عام أو أهلى وفيه يُنفق ربع الحبس فى أنواع البر والخير المتعددة. انظر: كمال أبو مصطفى: الأحباس فى الأندلس فيما بين القرنين الرابع والتاسع للهجرة (١٠- ١٥م)، الإسكندرية، دار نشر الثقافة، ١٩٨٩ ص ٢٣، محمد عبد الوهاب خلاف: خطة الأحباس فى الأندلس، مجلة كلية الآداب، ع٥٣، مارس ١٩٩٢ (١٨٧- ٢٣٥) ص ١٨٧- ١٨٨.

(٣٨٧) انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص ١٧١- ١٧٣، ١٧٧-١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٦-٢٠٧، العذرى: المصدر السابق ص ١٢، ابن سهل: الإعلام

بنوازل الأحكام ص ٦٩٥، ٦٠٥، ٧١٠، ٧٢٧- ٧٢٨، ٧٣١، ٧٣٤، المالقى: المصدر السابق ص ١٤٢- ١٤٣، ١٢٥، ٢٠٥، ٤٩٠، ٥٠٨، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١٣ ص ٤٤٩- ٤٥٣، جـ١٤ ص٩، ١٣، ١٧-١٨، الونشريسى: المصدر السابق جـ٧ ص ٦٤-٦٥، ٧٦، ١٠٥، ١٢٠، ١٤٣- ١٤٤، ١٥١، ١٥٣، ٢١٨، ٤٢٤، جـ٩ ص٣٩٩، جـ١٠ ص٢٩٤.

(٣٨٨) انظر: ابن السهل: نوازل الأحكام ص ٢٢٠، الإعلام بنوازل الأحكام ص ٧٣٣، ابن رشد: البيان والتحصيل جـ١٣ ص ٣٢٦-٣٢٧، الإدريسى: المصدر السابق م١ ص٥٤٤، الونشريسى: المصدر السابق جـ٧، ص٥٩، ٤٣٨.

(٣٨٩) الحميرى: المصدر السابق ص ١٠٦. وانظر وصف أبى حفص عمر بن الشهيد لحب أحد الريفيين للكرم ودلالة ذلك ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص٦٧٧.

(٣٩٠) انظر ما حكاه ابن سعيد عما رآه فى إحدى القرى الأندلسية عن مروءة وحرص وحسن تدبير، بعض أهل الريف. المقرى: نفح الطيب م١ ص ٢٢٣- ٢٢٤.

(٣٩١) ابن بسام: المصدر السابق ق١، م٢ ص ٦٧٦-٦٧٧.

(٣٩٢) المقرى: نفح الطيب م١ ص ٢٢٣.

(٣٩٣) من ذلك قتل البنت أو المرأة التى ترتكب الفاحشة، انظر ابن سهل: وثائق فى أحكام القضاء الجنائى فى الأندلس. ت. محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود على مكى، المركز العربى الدولى للإعلام، ط١ ١٩٨٠ ص٥٩. من الجدير بالذكر هنا القول بأن قيم الفخر والشرف فى المجتمع القبلى العربى والبربرى فى الريف الأندلسى كانت تختلف عنها فى المجتمع النصرانى، فالشرف والفخر لدى العرب والبربر مرتبط بالنسب والقرابة فى حين أن الفخر مرتبط عند النصارى بالثروة. انظر

Glick: Islam. And chirst. spain.P. 145.

(٣٩٤) انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس وصفاتها ص ٢١- ٢٣، ٧٤-٧٥، مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافيا ص ٩٤-٩٦، العذرى: المصدر السابق ص ٧-٨، أبو حامد الغرناطى: المعرب عن بعض عجائب المغرب، ت. إينغرد بيخارانو، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربى ١٩٩١ ص ١١، القزوينى: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بيروت، دار الشرق العربى، ب. ت ص١٧٢، الحميرى المصدر السابق ص١٧١، ١٩٤.

(٣٩٥) بلغ اهتمام الفلاحين الأندلسيين بشجرة الزيتون حدًا جعلهم يعتقدون أنه يجب أن يتولى غراستها رجل عفيف طاهر منزه عن الفحشاء والفجور، وألا يقربها امرأة حائض أو رجل جُنب ولا عقيم ولا فاجر حتى لا يقل ثمرها أو ينعدم. انظر: ابن العوام: المصدر السابق جــ١ ص ٢٤٣.

(٣٩٦) أبو الخير الأشبيلى: المصدر السابق ص ص ٦٦- ٦٧.

(٣٩٧) انظر: العذرى: المصدر السابق ص٢، القزوينى: آثار البلاد ص ٥٥٦، الحميرى: المصدر السابق ص ١٧٢.

(٣٩٨) العذرى: المصدر السابق ص ٨، الحميرى: المصدر السابق ص ٣١.

(٣٩٩) القزوينى: آثار البلاد ص ٥٤٦.

(٤٠٠) الحميرى: المصدر السابق ص ١١٣. وبنفس الاعتقاد كانوا يزعمون أن لسرقسطة قوة خفية تمنع من بقاء الزواحف والحشرات بها، ويتوهمون أن بعض الأودية فى بعض القرى تنتج الثمار والفواكه دون زرع أو غرس. انظر: مؤلف مجهول: كتاب بلاد الأندلس ص ٨٤، العذرى: المصدر السابق ص٨، المصدر السابق ص١٧٢.

(٤٠١) الحميرى: نفس المصدر ص ١٧٠.

(٤٠٢) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ت٥ ص١٠٢.

(٤٠٣) انظر: الزجالى: المصدر السابق ق٢، أمثال أرقام: ٦٨٦، ٨٤٣، ١٢٥٣.

(٤٠٤) الزجالى: نفس المصدر، ق٢، أمثال أرقام: ٦٠٩، ٦١١، ٧٦١، ١٠٥٣.

(٤٠٥) انظر تفسير ابن خلدون للإصابة بالعين وكيفية حدوث ذلك. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، جـ٢، ص١١٥٨.

(٤٠٦) انظر: الفشتالى: المصدر السابق ص١٦٦.

(٤٠٧) انظر: ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص١٢٤، ابن سعيد: المغرب جـ٢ ص١٨٦، الزجالى: المصدر السابق ق٢ أمثال أرقام: ١١٩، ٢٢١، ٢٥٣، ٤٠٨، ٤٨٠، ٨٩٤، ١٠٨٣، ١١٦٨، ١١٧٧، ١٢٤٦، ١٦١٩، ١٦٩٩، ١٨٦٦، ١٩٠٠، ٢٠٢٥، ابن عاصم: المصدر السابق، أمثال أرقام: ١٥٣، ١٨٠، ٢٥٠، ٣٨٨، ٤٧٧، ٥٣٩، ٥٦٦، ٦٨٠، ٧٥٠، ٨٤١.

(٤٠٨) انظر: ابن عبدون: المصدر السابق ٥٥، السقطى: المصدر السابق ص ٢٤، ٢٦، ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٢٢٧، ٣١٠، ٣٣٤.

الفصل الرابع

النظام الإدارى والمالى

أـ النظام الإدارى:

١- نبذة عن أسس التقسيم الإدارى فى الأندلس:

اعتمد التقسيم الإدارى فى الأندلس على أساسين: الأول: المدينة باعتبارها قسمًا إداريا لا يقتصر على خطة المدينة وأرباضها. فقط – بل يشمل حوز المدينة بما يضم من مدن أخرى، وأقاليم وقرى وحصون وغيرها. وكان الرومان هم أول من اتخذوا المدينة كأساس للتقسيم الإدارى فى إسبانيا، وتابعهم فى ذلك القوط ثم العرب[١]. يؤكد ذلك الوصف الجغرافيين المسلمين للمدن الأندلسية، فعلى سبيل المثال: كانت شاطبة من عمل بلنسية، "ولها بساتين جميلة، وأرضون فسيحة"[٢]. وكان لرية مدن كثيرة وحصون منيعة[٣].

ثم أدخل العرب نظام "الكورة"[٤]، كأساس آخر للتقسيم الإدارى فى الأندلس، وبدأوا تطبيقه فى نواحى الجنوب، ثم مناطق الوسط والشرق والغرب، وظلت المدينة أساسًا للتقسيم الإدارى فى مناطق الثغور الشمالية[٥].

٢- التقسيم الإدارى للريف الأندلسى:

(أ) الإقليم :[٦]

كان الإقليم هو أكبر الوحدات الإدارية فى الريف الأندلسى. وقد جعل المقدس – (الذى ألف كتابه سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) – الإقليم مقابلاً للرستاق عند الفرس[٧]. والرستاق يعنى عند الفرس .

"كل موضع فيه مزارع وقرى"[٨]. وذكر ياقوت أن الأندلسيين يسمون "كل قرية كبيرة جامعة إقليما"[٩].

ويفهم من حديث المصادر الأندلسية عن الأقاليم أنها كانت تمثل أحوازًا ريفية للمدن وأن عددها يختلف من مدينة لأخرى تبعا لاتساع الحوز الريفى لكل مدينة، فقد ذكر العذرى (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) أن لقرطبة خمسة عشر إقليما أورد أسماء اثنى عشر منها، بينما ذكر لإشبيليه أثنى عشر إقليما، ولسرقسطة تسعة، ولمدينة لبلة ثمانية أقاليم[١٠].

وقد اختلفت الأقاليم فيما بينها من حيث مساحتها[١١]، ولكنها فى نفس الوقت كانت محددة تحديدا دقيقا بما تضم من قرى وحصون وغيرها، وما تدفعه من ضرائب، لأن الإقليم اعتُبر وحدة مالية وإدارية[١٢]، وكانت الحكومة الأندلسية تعين ولاة وعمالا من قبلها على هذه الأقاليم للعناية بشئونها الإدارية والمالية[١٣].

ويبدو أن الأقاليم كأقسام إدارية كانت موجودة قبل الفتح العربى لإسبانيا لأن المصادر تشير إلى ذلك منذ وقت مبكر، فقد نزل عبد الرحمن الداخل أول ما نزل بالأندلس "بقرية بله نوبة البحريين من لإقليم طشانة من كورة إشبيلية"[١٤]، هذا فضلا عن أن معظم أسماء هذه الأقاليم كانت غير عربية، وإن كان ذلك لا يمنع من القول بأن الداخلين من العرب والبربر استحدثوا أقاليم جديدة – بحكم استقرارهم فيها – أعطوها أسماءهم[١٥].

(ب) القرية :[١٦]

كانت الأندلس من الأمصار الإسلامية التى تميزت بالعمران القروى "فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع"[١٧].

وقد تعددت أنماط القرى الأندلسية، ويمكن أن نميز من بينها نمطين: النمط الأول: القرى التى تقع على طرق المواصلات[١٨]. النمط الثانى: هو النمط الشائع للقرية الزراعية التى تحوطها المزارع والحقول.

بالنسبة للنمط الأول، تبين من المعلومات القليلة التى أوردتها المصادر أن القرى التى كانت تقع على طرق المواصلات قد قامت بدور هام فى خدمة التجار والمسافرين، لأن النشاط السكانى فيها غلب عليه الطابع الخدمى والتجارى، أكثر من أى نشاط سكانى آخر. وتناثرت هذه القرى على طول خطوط المواصلات الداخلية فى الأندلس، لدرجة أن المسافر عبر الأندلس كان "لا يمشى ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت فى الجوانب على طول سفره"[١٩]، وحيثما سار "يجد الحوانيت فى الفلوات والشعارى والأودية فى رؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة"[٢٠].

أما نمط القرية الزراعية، فكان هو النمط الشائع فى الريف الأندلسى، وفى هذا النمط من القرى يعيش الناس فى منازل متجاورة، يخرجون فى الصباح إلى حقولهم التى تبعد عن القرية بمسافة معينة، ويعودون فى المساء، فالقرية هنا مكان للسكن[٢١]. ويعتمد النشاط السكانى فى تلك القرى على الزراعة، وما يلحقها من أنشطة كالرعى وتربية الحيوان وغيرهما. وخير مثال على هذا النمط من القرى الزراعية ما يقدمه العذرى فى بيانه عن قرى أقاليم قرطبة[٢٢].

ورغم أن المعلومات عن القرى الأندلسية ضئيلة ونادرة، خاصة إذا حاولنا الحديث عن تخطيط القرية ومساحتها؛ إلا أنه يمكن القول بأن بعض القرى كانت كبيرة وتضاهى المدن بما تحويه من مرافق وكان بعضها الآخر يتكون من حارات متفرقة، تنسب كل حارة إلى قوم بعينهم، وربما توارثها الأنباء عن الآباء[٢٣].

أما عن مرافق القرية، فيمكن القول أن بعض القرى احتوت على العديد من المرافق مثل:

١- المساجد:

كانت المساجد تمثل أهم المرافق العامة فى القرية بالنسبة للمسلمين، ففى المسجد كان الفلاح يستطيع أن يؤدى الصلاة؛ ويستفسر عما غمض عليه من أمور

دينه ودنياه؛ وفيه يجد أيضًا حلولاً للعديد من مشاكله، إذا كان المسجد مكانا مناسبا للفصل فى القضايا بين الفلاحين، حيث كان يجلس فيه القاضى أو من ينوب عنه للاضطلاع بهذه المهمة؛ وإذا ضرب القحط القرية هرع الفلاحون إلى المسجد لأداء صلاة الاستسقاء، هذا فضلا عن أن المسجد كان يمثل منشأة تعليمية، ساهمت بدور كبير فى نشر العلم والثقافة فى الريف – كما سنوضحه فى الفصل التالى.

وقام المسجد فى الريف بدور إعلامى كبير، وكان بمثابة النافذة التى تطل منها الفلاح ليعترف على أخبار العالم من حوله، إذ كانت تقرأ فيه الكتب الواردة من الحاضرة، والتى كانت تحوى معلومات عن مقادير الضرائب وتوقيتات فرضها وإسقاطها، والتعليمات الخاصة بحشد المتطوعة، والأوامر والتحذيرات الحكومية بالابتعاد عن المذاهب والفرق الخارجة ودحض آرائها ـــ وأخبار الانتصارات على أعداء الدولة. وفى المساجد أيضا قد يجتمع عمال الضرائب لتحصيلها من الفلاحين[٢٤] . وكان مسجد القرية – أيضا – مأوى للغرباء، ومن خلاله يتعرفون على طبيعة القرية وأخلاق سكانها.

وعلى الجملة فإن المسجد كان مركزا لترابط الجماعة الإسلامية فى القرية، وكان يمثل ضرورة دينية وسياسية واجتماعية[٢٥].

وانتشرت المساجد الجامعة فى العديد من القرى الريفية، وعُرِف عن الأمير عبد الرحمن الثانى اهتمامه ببناء المساجد الجامعة فى سائر أنحاء الأندلس، واقتدى به فى ذلك جواريه اللاتى حبسن الأحباس المختلفة للصرف على تلك المساجد[٢٦].

وكان وجود المسجد الجامع فى قرية أو حصن أو إقليم بمثابة الدليل على أهمية المكان وتحضره وكثرة سكانه، لذا كان الفلاحون يهتمون ببناء المسجد وإتقانه وتجميله لأن ذلك كان من مظاهر تفاخرهم وتباهيهم لذلك تشير المصادر دائما إلى المسجد الجامع كأحد أبرز المعالم فى القرية أو الحصن[٢٧].

وكان أهل القرية متضامنين فى بناء المساجد والجوامع يحبسون عليها الأحباس للصرف عليها وصيانتها، فإذا لم توجد لها أحباس، اجتهدوا فى جمع الأموال من أهل القرية لإصلاح شئونها[٢٨].

وتتميز المساجد – غير الجامعة – فى الريف الأندلسى عموما بالبساطة والفقر المعمارى، فقد كان أكثرها عبارة عن مساحات واسعة مسورة بأسوار بسيطة، لدرجة أنها كانت تستخدم – فى بعض الأحيان من جانب الفلاحين، استخداما سيئا، فقد كانوا ينزلون بأفنيته الزروع والحطب وغيرها، وقد يتركون أغنامهم تسرح بأفنيتها، فتبول وتلوث المسجد، وتزيل طهارته، وقد أفتى محمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ / ٩٢٧م) بمنع ذلك[٢٩].

وكان لبساطة تلك المساجد وفقرها المعمارى أثره فى تعرضها فى كثير من الأحيان للتخريب بفعل العوامل الطبيعية والبشرية، لذا حرص الفلاحون دوما على إعادة تجديدها أو بناء مساجد غيرها إذا تعذر تجديدها[٣٠].

٢- الكنائس والأديرة: (٣١)

تضاهى الكنائس والأديرة – فى الريف – المساجد من حيث أهميتها للفلاحين النصارى اللذين كانوا يشكلون عددا لا بأس به من سكان الريف خاصة فى العهود الأولى من تاريخ الأندلس وكانت إسبانيا – قبل دخول المسلمين – تحتوى على العديد من المطرانيات والإسقفيات، التى تناقصت أعدادها – بعد دخول المسلمين – بسبب اعتناق الكثير من أهل البلاد الإسلام[٣٢]. ورغم ذلك بقى العديد من الكنائس والأديرة فى ظل المدن الكبرى – والتى لعبت دورًا كبيرًا فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للنصارى آنذاك.

لعبت الكنائس والأديرة فى الريف دورا بارزا فى مؤازرة الخارجين على الحكومة من النصارى والمولودين والمثال البارز على ذلك كنائس وأديرة كورة ريه وأحوز طليطلة والتى تعرض كثير منها للتخريب من جراء ذلك[٣٣]. كما لعبت

الكنائس والأديرة التى كانت موجودة بأحواز قرطبة نفس الدور فى مؤازرة حركة شهداء قرطبة[٣٤]. التى اندلعت فى قرطبة فى أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط، أوائل عهد الأمير محمد[٣٥]، من ذلك "كنيسة الأسرى" Ecclesia carceratrum والتى كانت تعرف أيضًا بكنيسة القديس أجلح (Sancti Acisdi) Sanctus Acisclis غربى قرطبة[٣٦].

وعلى شاطئ الوادى الكبير المواجه لجنوب قرطبة، وفى منية عجب كانت توجد كنيسة ودير القديس قرشتوبل (Sancti christophori) Sanctus christophorus حيث دفن فيها عدد من الشهداء[٣٧]. وفى سهل القنبانية Campana جنوب قرطبة. كانت توجد كنيسة شويلش Sancti Zoyl [٣٨].

ومن الأديرة الريفية التى لعبت دورًا خطيرًا فى حركة الاستشهاد، دير تابانوس Coenobium Tabanemse إلى الشمال من قرطبة[٣٩].

ولعبت الكنائس والأديرة فى الريف دورًا كبيرًا على المستوى الاجتماعى، فقد كانت تؤدى وظائفها الاجتماعية دون تدخل من الحكومة الإسلامية، فكان القسس يعقدون الزيجات ويعمدون المواليد، ويختارون لهم الأسماء، ويسجلون المبايعات والعقود بين الناس[٤٠]. كما كانت الكنائس والأديرة بمثابة مؤسسات تعليمية وتثقيفية للنصارى فى الريف، وكانت الكنيسة مصدرًا لمعرفة الأخبار الدينية والمدنية على السواء[٤١].

وفى بعض الأديرة، كان يقيم أطباء من النصارى كانوا يقدمون خدماتهم وخبراتهم الطبية إلى كل من يلجأ إليهم من النصارى والمسلمين على السواء، فلم تكن الأديرة معزولة عن محيطها الاجتماعى[٤٢].

وكانت الكنائس والأديرة – فى بعض الأحيان – مكانا للراحة والنزهة واللهو، حيث كان يتوفر بها الشراب الجيد من الخمر لمن يريدون الشرب[٤٣]، لذا كثير ما كانت كتب الحسبة تنبه على ضرورة منع الاختلاط بين الرجال والنساء فى تلك الكنائس والأديرة التى لم تكن موصدة أمام مرتاديها من المسلمين والمسلمات[٤٤].

٣- الفنادق والأسواق:

احتلت الفنادق فى الريف مواقع متميزة على طرق المواصلات[٤٥]، وكان يقيمها الأهالى على نفقتهم لخدمة العابرين والتجار بهدف تحقيق الربح؛ وقد يشترك اثنان فى إقامة فندق على أن يكون الربح مناصفة بين الاثنين. والفندق فى الريف عبارة عن مجموعة من الحجرات التى يأوى إليها النازلون، وبجوارها مجموعة من السقائف الخاصة بالدواب[٤٦].

وقد بقيت الفنادق الإسلامية بنظمها فى إسبانيا بعد رحيل المسلمين، كما بقيت أسماؤها[٤٧]. لذا يمكننا الاسترشاد بما ذكره الغسانى (١١١٩/ ١٧٠٧)- فى رحلته إلى إسبانيا- عن الفنادق إذ يقول: "وهذه عوائدهم فى جميع هذه البلاد الأندلسية وغيرها من سائر بلاد العدوة فعند كل مسافتين أو ثلاث مسافات يجعلون فندقا أو دارا معدة لنزول الضيوف والمسافرين، فإذا وصل المسافر إلى موضع منها ينزله ويجد فيه الطعام ما يشتهيه، وما تبلغ إليه مقدرته. كل على قدره وسعته، ويجد العلف لدوابه والفراش لنفسه فيأكل ويستريح ويطعم دوابه إن كان نهارا وإن كان ليلا وعندما يريد الخروج من الفندق أو الدار المعداة ذلك تأتيه زوجة الموكل الموضع أو ابنته بزمام فى يدها؛ وقد حسبت ما عليه من ثمن الطعام والعلف وكراء المسكين والفراش، فلا يمكن للضيف إلا إعطاء جميع ما تحسبه عليه من غير مناقشة"[٤٨].

ويبدو أن بعض الفنادق كانت من مراكز اللهو إذ كان يسكنها فى بعض الأحيان بعض النساء من محترفات البغاء عرفوا فى العامية الأندلسية الخراجيات ويعنى الخراجيات نسبة إلى الخراج[٤٩].

أما الأسواق الريفية فقد تحدثنا عنها فى الفصل الثانى، ولا داعى لتكرار الحديث عنها هنا، إلا أننا نعيد التأكيد على أنها كانت من أهم المرافق الاقتصادية فى القرية الأندلسية.

٤- المعاصر والأرحية:

كانت المعاصر والأرحية من المرافق الهامة فى القرية الأندلسية، ساعد على كثرة انتشارها اعتماد أهل الأندلس بشكل عام على الحبوب كغذاء رئيسى، هذا إلى جانب وفرة إنتاج الزيتون واستهلاكه وكثرة الجداول والروافد المائية التى كانت تعمل عليها هذه الطواحين، ولكما كانت هذه الجداول تتسم بالتذبذب المائى، فإن ذلك قد أعطى الفرصة لظهور الأرحية والمعاصر التى كانت تدار بواسطة الحيوان. كما كانت هناك طواحين تعمل طوال العام، خاصة تلك التى كانت مقامة على ضفاف الأنهار الكبرى، هذا بالإضافة إلى الطواحين المتنقلة التى استخدمت على نطاق واسع(٥٠).

وكان الفلاحون فى القرية يشتركون فى بناء الأرحية، وإدارتها بأنصبة معلومة، وكان يمكن بيع الأرحية وشراؤها، وقد يشترط البائع على المشترى أن يطحن حبوبه وزيتونه كما كان بعض ملاك الأرحية يكرون أرحيتهم لمن يديرها فى مقابل مبلغ معين من المال(٥١).

وكانت الأرحية تعمل نهارا وليلا حسب الطلب، وإن كانت تعمل بكثافة فى نهاية الموسم الزراعى فقد كان كثير من الفلاحين يحرصون على طحن محاصيلهم قبل تخزينها، كما كان بعض الملاك يشترطون على المزارعين طحن نصيبهم من المحصول أو عصره قبل استلامه، لذا كان يشتد الزحام على الأرحية والمعاصر فى ذلك الوقت، وقد أدى تكالب الفلاحين على الأرحية فى ذلك الوقت إلى استغلال أصحاب الأرحية لهم وسرقتهم فى بعض الأحيان مبتكرين فى ذلك حيلا شتى(٥٢).

٥- الحمامات:

كانت الحمامات من المرافق العامة، خاصة فى القرى الكبيرة(٥٣)، لدرجة أن البعض يجعلها تأتى فى الأهمية بعد المساجد بالنسبة للمسلمين، نظرًا لأن عادة الاستحمام أصلية فى نفوس المسلمين لأن الاستحمام شرط لطهارة البدن لا يستطيع

المسلم إهماله حتى يستطيع أداء فروض الدين على أكمل وجه، لذا كانت غالبية الحمامات تقع دوما بجوار المساجد، ويأتى ذكر الحمامات فى المصادر – كثيرًا – مقترنًا بالمساجد(٥٤).

وقد انتشرت الحمامات فى كثير من القرى والمناطق الريفية، وكان وجودها علامة على التحضر والتمدن، ففى إقليم الشرف بإشبيلية كانت العديد من القرى آهلة بالحمامات(٥٥)، وفى إقليم طالقه – من أقاليم إشبيلية أيضا – كان أحد حماماته يتزين بتمثال على هيئة "جارية من مرمر، معها صبى وكأن حية تريده، لم يسمع فى الأخبار ولارئى فى الآثار صورة أبدع منها(٥٦).

وكانت هناك حمامات خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء، وقد يستخدم الجنسان الحمام الواحد فى أوقات مختلفة(٥٧).

ولعبت الحمامات دورًا اجتماعيًا أيضًا، فقد كانت مكانا للقاء الأصدقاء، ولم تكن مقصورة على المسلمين فقط بل كان يرتديها النصارى والمسلمون على السواء(٥٨).

وبعد أن استعرضنا المرافق والمنشآت العامة فى القرية، نذكر أن القرية كانت تتبع الأقليم إدرايا الذى بدوره يتبع المدينة أو الكورة (٥٩). ويبدو أن بعض القرى الكبيرة كانت تمثل وحدات إدارية ومالية لذا كانت الحكومة الأندلسية تعين عليها ولاة وعمالا من قبلها لإدارة شئونها(٦٠).

(جـ) الحصن:

توزعت الحصون فى كثير من القرى والمناطق الريفية، حتى ليصعب على المرء إحصاؤها(٦١)، وذلك راجع لطبيعة المجتمع الريفى، فقد كان التناقض والصراع هما السمة الغالبة عليه نظرا لتكون من عناصر شتى متناحرة فيما بينها، هذا فضلا عن الضغط الحكومى والضغط الخارجى، فى وسط طبيعة شجعت على اتخاذ الحصون لسهولة الدفاع عنها.

وإذا تتبعنا الانتشار الجغرافى للحصون فى الريف نجد أنها توزعت فى طول الأندلس وعرضها خاصة فى المناطق الحدودية والثغرية المواجهة للثغور البرية فى الشمال والثغور البحرية فى الشرق والغرب، كما وجدت فى رؤوس الجبال وسفوحها وأصولها، وانتشرت على شواطىء الأنهار وطرق المواصلات الداخلية إلى غير ذلك من المناطق الريفية[٦٢].

ومن المهم أن نذكر أن هذه الحصون لم تكن مجرد منشآت دفاعية، بل أنها كانت تزخر بألوان كثيرة من النشاط البشرى، وكانت نسبة كبيرة منها تعتمد فى اقتصادياتها على الزراعة، فعلى سبيل المثال وصف حيان الموارد لأحد الحصون بقوله: "وحواليه عمائر واسعة، وكروم ألفاف وأشجار متصلة ومسارح للمواشى عريضة تظل فيها سوام أهل الحصن رائعة" [٦٣]. كما كانت هناك حصون اعتمدت على النشاط التعدينى والصناعى والتجارى[٦٤].

ولما كانت هذه الحصون من مراكز الاستقرار البشرى فى الريف، فإنها وصفت دائما بأنها عامرة، وآهلة، كثيرة الخلق ممدنة، كثيرة الساكن.

واختصت بعض الحصون فى الريف بالعرب وبعضها اختص بالبربر والعجم[٦٥]. وقد لجأت حكومتا الإمارة والخلافة إلى هدم كثير من الحصون المخالفة والمعارضة لها، كما أقامت فى ذات الوقت كثير من الحصون الدفاعية فى مناطق الفتن والثورات لوأد حركات المعارضة[٦٦]. واتجهت حكومة الخلافة إلى تدعيم الحصون الثغرية بتشجيع سياسة التوطين العسكرى، كما حدث فى عهد الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبى عامر (٣٩٢هـ/ ١٠٠٢ -١٠٠٨م) عندما فتح حصن ممقصر Monmagstre سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م إذ شرع "للوقت فى إصلاحه ونادى فى المسلمين من أراد الإثبات فى الديوان بدينارين فى الشهر على أن يستوطن فى هذا الحصن فهل وله مع ذلك المنزل والمحرث فرغب فى ذلك خلق عظيم، واستقروا به حينهم"[٦٧]، وبذلك عملت الحكومة على تحويل الجنود إلى فلاحين مستوطنين لمنع تقدم النصارى.

وبلغت بعض هذه الحصون حدا من الاتساع جعلها تضم بعض المدن كتوابع لها(٦٨). كما كانت تضم حصونا أخرى صغيرة فى أحوازها(٦٩)، وقد وصف ياقوت أحد هذه الحصون بقوله: "له ولاية وقرى"(٧٠).

وكان اتساع بعض الحصون الريفية مدعاة لتشبيهها بالمدن لما احتوت عليه من مرافق عديدة كانت لا تتوافر إلا فى المدن من الفنادق والحمامات والأسواق، هذا فضلا عن انقسام بعضها إلى أرباض مع إحاطة الأسوار بها شأنها فى ذلك شأن المدن(٧١).

وقد كانت بعض هذه الحصون تمثل وحدات إدارية، يديرها عمال وولاة من قبل الحكومة الأندلسية، فقد عينت الحكومة عاملا يدعى إدريس بن عبد الله فى سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م، على حصن لوشة Loja من أعمال إلبيرة(٧٢)، وفى سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م ولى الناصر سعيد بن المنذر القرشى على حصن أشب Aspe بالقرب من قلعة ببشتر(٧٣).

(د) القلعة والبرج والرباط:

كانت القلاع والأبراج والأربطة من مراكز الاستقرار البشرى فى الريف. فأما القلاع فكانت تشبه الحصون فى كونها من المنشآت الدفاعية، وقد تكون القلعة حصنا فى الوقت نفسه أو يكون الحصن قلعة، فببشتر كانت حصنا وقلعة فى نفس الوقت(٧٤).

ولم تكن القلاع منشآت دفاعية فقط، بل كانت أيضا تعج بالنشاط البشرى، فقد انتسب بعضها إلى أشخاص وقبائل سكنتها(٧٥). وتحولت معظم هذه القلاع إلى مدن بسبب ازدياد عمرانها، واتساع خططها(٧٦).

والأبراج تشبه الحصون أيضا، لأن البرج(٧٧) ورد مقترنا – فى كثير من المصادر– بالحصن. وكانت الأندلس تضم العديد من الأبراج حتى ليصعب

إحصاؤها[٧٨]، إذ كانت "لا تخلو ضيعة منها أن يكون بها برج أو سرداب يمتنع فيه العامرون بها من العدو"[٧٩].

ويرى البعض أنه ربما كان المقصود بالبرج تلك القرى الاستيطانية العسكرية القوطية والتى كانت تسمى باللاتينية Burgus وبالقشتالية Burgo، وتعنى قرية أو مستوطنة تعتمد على مستوطنة أكبر منها هى ال Castrum أو الحصن القوطى[٨٠]. على حين يذكر البعض الآخر أن الاستراتيجية العسكرية فى حروب العصور الوسطى اعتمدت على أبراج المراقبة، والتى كانت بمثابة مواقع أمامية لاستطلاع العدو والتحذير من هجماته، خاصة فى الأماكن قليلة الكثافة السكانية على الحدود[٨١].

وبذلك يتضح أن البرج كان منشأة دفاعية مثله فى ذلك مثل الحصن والقلعة، كان يقيم بعض الناس بغرض الحراسة، فإذا وجدوا خطرًا أشعلوا النيران[٨٢]، ليلاً أو أثاروا الدخان نارا، أو استخدموا الطبل والنفير للتحذير[٨٣].

أما الرُبُط، فهى أيضا من المنشآت الدفاعية التى وجدت فى الريف[٨٤]، وكانت من مراكز الاستقرار البشرى، فقد أقام فيها المرابطون إقامة شبه دائمة، إذ كانت حياتهم تقوم على الحراسة والزهد والتعبد، وكانوا يعملون بالزراعة والصيد لإعالة أنفسهم، فقد كانت "جزيرة التوبة" "مأوى للصالحين ورباطا لأخيار الملمين، وبها آبار عذبة يعتلون عليها من أصناف البقول ما يقوم لمعايشهم مع مرافق البحر"[٨٥].

(هـ) الضياع والمنيات:

كانت الضياع والمنيات من مراكز الاستقرار البشرى فى الريف. ومصطلح الضيعة ظهر فى الأندلس منذ وقت مبكر[٨٦]. والضيعه قد تكون ذات مساحة محدودة يعتمرها صاحبها بيده أو بمعاونة أفراد أسرته[٨٧]، أو تكون ذات مساحة كبيرة يستعين مالكها فى زراعتها، بمزارعين وفلاحين يزرعونها لحسابه[٨٨].

ويقترب مصطلح "المنية"[٨٩] Almunia من مصطلح الضيعة، من حيث أنهما يحتويان على أراض يمكن زراعتها، إلا أن المنيات اقترنت فى الغالب بكبار الملاك، واستخدمت فى الأساس لأغراض النزهة والراحة – كما ذكرنا فى الفصل السابق – لذا غلبت عليها زراعة البساتين، دون الزراعات الأخرى يؤكد ذلك ما ذكره المقدسى فى معنى "المنية": "قالت وما المنية قال: البستان"[٩٠].

والضياع والمنيات تشبه ما يسميه علماء الاجتماع المحدثون بالمزرعة المنفردة[٩١]، فقد كانت معظم هذه الضياع والمنيات تحتوى على منزل أو قصر للمالك يحيطه بستان أو حديقة، ثم أرض زراعية تنتج ما يحتاجه المالك أو مزارعوه، بالإضافة إلى بعض المنشآت الأخرى كالآبار، والنواعير، وأبراج الحمام، والاصطبلات والحظائر[٩٢].

وقد حفلت الضياع والمنيات بالعديد من أنواع النشاط البشرى بوصفها من مراكز الاستقرار البشرى فى الريف، فضمت العديد من الفلاحين والمزارعين والخدم والعبيد[٩٣].

(و) الجبال:

كانت الأندلس من الأمصار الإسلامية التى تميزت بارتفاع سطحها ووعورة تضاريسها، وكثرة جبالها[٩٤]. وكانت معظم جبال الأندلس مأهولة آنذاك لتوفر مقومات السكنى فيها مثل الزراعة كما كانت الحال بجبال قرطبة[٩٥]، ومنها جبل العروس إلى شمال منها، وكان "مغروسا" بالكروم والزيتون وسائر الأشجار وأنواع الأزهار"[٩٦]. وتوفر النشاط الزراعى والرعوى فى جبال: أكشونبه – إلى الغرب من قرطبة – وشلب وطرطوشة، وشقورة – من أعمال جيان–، وجبل الشرف من أعمال إشبيلية[٩٧].

وقد ضمت هذه الجبال العديد من القرى والحصون، المدن، مثل جبل طارق، وجبال طليطلة وجبل الثلج بغرناطة وجبل شقورة وغيرها[٩٨].

وبما أن هذه الجبال كانت من مراكز الاستقرار البشرى فى الريف، فإن بعضها اختص بعنصر معين من السكان مثل جبل البرانس بفحص البلوط، واختص بالبربر البرانس، وجبل "منت روى" الذى كان "كثير السكان من أعاجم من نصارى الذمة"(٩٩).

ولوفرة عمران تلك الجبال كان بعضها يمثل وحدات إدارية ومالية، فكانت الحكومة الأندلسية تعين عليها الولاة والعمال لإدارة شئونها(١٠٠).

(ز) الفحوص:

عرف ياقوت "الفحص" بأنه "كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع"(١٠١). وهذا التعريف ينطبق تماما على الفحوص فى الأندلس إذ كانت مأهولة ومزروعة، فقد كان فحص الفندون EL Fondon بتدمير "قليلا ما يوجد مثاله فى طيب الأرض وجودة نمو الزرع"(١٠٢)، وفحص إلبيرة "أطيب البقاع نفعة وأكرم الأرضيين تربة"(١٠٣)، وكان فحص البلوط عبارة عن "كورة خصبة واسعة"(١٠٤).

ونظرًا لخصوبة هذه الفحوص، ووفرة مقومات السكنى فيها، كانت من مراكز الاستقرار البشرى المهمة فى الريف، وكان بعضها يضم العديد من القرى(١٠٥)، وبعضها الآخر كان يمثل وحدات إدارية ومالية كما كانت الحال بالنسبة لفحص البلوط، الذى كان يمثل كورة كبيرة فى التقسيم الإدارى للأندلس، قاعدتها مدينة غافق(١٠٦)، وكان من مواطن استقرار البربر فى الأندلس(١٠٧).

(ح) الأجزاء والمجاشر:

وكانت من مراكز الاستقرار البشرى فى الريف أيضا. فأما الأجزاء فمفردها جزء، وذكر ياقوت أن الجزء سمى بذلك "لأن الإبل تجزأ فيه بالكلأ أيام الربيع فلا ترد الماء"(١٠٨).

ويفهم من هذا التعريف أن الأجزاء كانت من مواطن الرعى، يعزز ذلك أن الأجزاء فى الأندلس كانت تقع فى مناطق الرعى، وبهذا يمكننا القول بأن الأجزاء

كانت – على الأرجح – أرضًا مشاعة، اتخذت للرعى أساسًا، وكانت وضعيتها تشبه ما كان عليه الحال بالنسبة للمراعى المشاع Campascuas التى كانت موجودة قبل الفتح العربى[١٠٩].

وكانت هذه الأجزاء تتوزع جغرافيا فى العديد من أنحاء الأندلس على السواحل، وفى المناطق الداخلية وفى أحواز المدن والقرى والحصون والقلاع. وكانت أعدادها كثيرة جدًا، لدرجة أنه كان لبلنسية أربعة عشر جزءًا، ولإلبيرة سبعة وثلاثين جزءًا[١١٠].

ومما يؤكد أن هذه الأجزاء كانت من مواطن الاستقرار البشرى فى الريف أن معظمها كان ينتسب إلى أشخاص أو عشائر أو قبائل سكنتها مثل: جزء مصمودة، جزء بنى غتيل، جزء البربر، جزء البكريين، جزء اللخميين، وجزء زغيبة بن قطبة وياسين بن يحيى العذرين"[١١١].

ويشبه مصطلح المجشر "فى دلالته مصطلح الجزء، لأن المجاشر استخدمت فى الريف – فيما يبدو – فى الرعى أيضا[١١٢]، ويفهم من حديث المصادر عنها أنها كانت من مناطق الرعى، وأنها كانت عامرة ومأهولة، فارطباس القومس وهب لميمون العابد "المجشر الذى على وادى شوش، وما فيه من البقر والغنم والعبيد"[١١٣].

(ب) النظام المالى:

١ – ملكية الأرض:

تضاربت أقوال المصادر بشأن ملكية الأرض فى الريف، لذا يصعب الحديث عن ملكية الأرض ما لم نرجع إلى أحداث الفتح وما تلاها للتعرف على التطورات التى حدثت بشأن ملكية الأرض فى الريف آنذاك.

(أ) وضعية الأرض إبان الفتح وعصر الولاة:

ذكر محمد بن مزين (كان حيا فى ق ٥ هـ) – نقلا عن الرازى (ت٣٤٤هـ / ٩٥٥م) – أن موسى ابن نصير حين فتح الأندلس قسم بين الجيوش الفاتحة المغانم والسبى، بعد أن أخرج "الخمس"، وبعث بجزء من خيار السبى والرقيق إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، وترك سائر السبى والرقيق من الخمس لتعمير أرض الخمس "ليثلث مال المسلمين"[١١٤]. فهل يعنى ذلك أن هؤلاء كانوا يدفعون الثلث من المحصول للدولة؟ الأقرب إلى المنطق القول بأنهم يدفعون الثلثين لأن ابن مزين يذكر فيما بعد أن أصحاب الأراضى التى صولحوا عليها كانوا يدفعون – بالإضافة إلى الجزية – الثلث أو الربع طبقا لجودة الأرض، وطيبتها[١١٥]، إذ ليس من المعقول أن يتساوى من فتحت أرضه عنوة مع من فتحت أرضه صلحا.

ولم "يبق بالأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسيافهم، وأصبحت ملكا لهم إلا قسَّم موسى بن نصير بينهم أراضيها إلاَّ ثلاثة بلاد وهى شنترين وقلنبرية فى الغرب وشية فى الشرق، وسائر البلاد خُمِّسَتْ وقُسِّمَتْ بمحضر التابعين، ثم توارث الأراضى الأبناء عن الآباء"[١١٦]. ويفهم من هذا النص أن معظم أرض الأندلس قد فتحت عنوة، عدا النواحى المشار إليها .

ولكن ابن مزين يعود ليوقعنا فى حيرة عندما يذكر أن أكثر أرض الأندلس "إنما فُتِحَ صلحا إلا الأقل من مواضع معروفة، وإنه لما هزم لذريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلد إلا أذعنوا إلى الصلح ولذلك بقى الروم فيها على أرضهم وأموالهم ويباع منهم"[١١٧].

ولا تفسير لهذا التناقض فى كلامه إلا القول بأن كل الأراضى التى فتحت عنوة والتى جرى عليها التخميس إنما هى تلك الأراضى السهلية الجنوبية، التى تقع جنوبى الوادى الكبير، فيما عدا شنترين وقلنبرية فى الغرب وشيه Xea فى الجنوب الشرقى[١١٨].

ويشير بن مزين أيضًا إلى أن موسى بن نصير لم يتسن له إكمال تخميس كل الأراضى التى فتحت عنوة، لأنه ترك الأندلس، ولكن يبدو أن الخليفة الوليد بن عبد الملك قد أقّر عملية التخميس المحدودة التى أجراها موسى بن نصير على أرض عنوة، يدل على ذلك ما ذكره ابن مزين أيضا من أن طائفة أخرى من الذين فتحوا الأندلس مع موسى وطارق، قد وفدوا على الخليفة الوليد بن عبد الملك "فأقرهم على ما قسَّم بينهم وسجل لهم به، وأقطع من دخل الأندلس بعدهم من الخُمس إقطاعات كثيرة"(١١٩).

وكان على هؤلاء أن يدفعوا العشر فى مقابل تملكهم لهذه الأراضى(١٢٠). وكان عدم إكمال موسى بن نصير لعملية تخميس الأراضى التى فُتحت عنوة، معناه، استقرار بعض الفاتحين فى أراضى لم يجر تخميسها، وبالتالى فإن تغلبهم عليها قد تم بطريقة غير شرعية. وقد اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بتدارك هذا النقص فبعث مولاه جابرًا – لأول خلافته – ليكمل ما بدأه موسى بن نصير من عملية التخميس، فنزل إقليم قرطبة، وأخرج أحد أرباضها، وجعله مقبرة للمسلمين "ثم أتته رفاة عمر رضى الله عنه فرفع يده من التخميس"(١٢١). ويبدو أنه قد شارك فى ذلك السمح بن مالك الذى بعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز واليا عليها سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م وأمره "أن يخمس أرضها ويخرج منها ما كان عنوة خمسا لله من أرضها وعقارها ويقر القرى فى يدى غنامها بعد أن يأخذ الخميس"(١٢٢). ولكن الوقت لم يسعف السمح لإتمام عملية التخميس – ولم يستطع إلا أن يخمس إقليم قرطبة، حيث أخرج – فى الخمس البطحاء المعروفة بالربض واتخذتها مقبرة للمسلمين بناء على أوامر الخليفة الذى ما لبث أن توفى سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م(١٢٣).

ومرة أخرى لم تكتمل عملية تخميس أرض العنوة، وبقيت المشكلة قائمة ببقاء جملة من الأراضى استولى عليها الفاتحون بطريقة غير شرعية.

وبوصول الجند الشامى إلى الأندلس سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م بقيادة بلج بن بشر القشيرى استحلفت مشكلة الصراع على الأرض أن رفض البلديون(١٢٤) مشاركة الشاميين لهم فى أراضيهم التى استولوا عليها.

وانتهى الأمر بتفريق أبى الخطار للجند الشامى فى الكور، بناء على اقتراح أرطباس زعيم عجم الذمة" وكان إنزالهم على أموال أهل الذمة"[١٢٥]، "وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمه"[١٢٦].

وبذلك استقر الشاميون فى الكور كمقطعين للأراضى من قبل الحكومة، وكانوا يقيمون بجباية الخراج من الفلاحين فيحتفظون بثلثه ويرسلون للحكومة المركزية الثلثين، دون أن تتدخل فى شئون أقاليمهم[١٢٧]. وكانوا أحرار من العشر ، معدين للغزو، ولا يلزمهم إلا المقاطعة على أموال الروم التى كانت بأيديهم[١٢٨]، "وبقى البلديون والبربر على غنائمهم لم ينتقصهم شيئا[١٢٩]" وكانوا "يؤدون العشر مع سائر أهل البلد"[١٣٠].

وعلى ذلك يتضح أن الشاميين كانوا معفين من العشر فى مقابل أداء الخدمة العسكرية، أما البلديون فكانوا يدفعون العشر مع سائز المسلمين.

ومعنى ذلك أن الوضعية القديمة للأرض لم تتغير وبقيت مشكلة التملك اللاشرعى للأرض قائمة لأن أراضى الأندلس لم يجر تخميسها على الوجه الأكمل على نحو ما رأينا، يؤيد ذلك ما ذكره أبو جعفر أحمد بن نصر الداودى (ت٤٠٢هـ/ ١٠١١م): "وما أرض الأندلس فقد طعن فيها بعض الناس وزعم أنها أو أكثرها فتحت عنوة وأنها لم تخمس، ولم تقسَّم، غير أن كل قوم وثبوا على طائفة منها بغير إقطاع من الإمام"[١٣١] هذا فضلا عما ذكره ابن حزم: "هذا مع ما لم نزل نسمعه سماع استفاضة توجيب العلم الضرورى أن الأندلس لم تخمس وتقسَّم كما فعل رسول الله فيما فتح، لكن نفذ الحكم فيها بأن لكل يد ما أخذت، ووقعت فيها غلبة بعد غلبة، ثم دخل البربر والأفارقة فغلبوا على كثير من القرى دون قسمة، ثم دخل الشاميون فى طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيرى فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعرزفين بالبلدين عما كان بأيديهم، كما ترون الآن مع فعل البربر ولا فرق"[١٣٢].

هناك رواية ثالثة لأبى عبد الله الزهرى (متوفى أواسط القرن السادس الهجرى) – نقلها عن الرازى – تؤيد ما سبق، إذ قال فى معرض حديثه عن بركة مرسية: "وذلك أنه لما فتح جميع ما ملك فيها على غير قوام إلا مدينة مرسية... فإن أهلها تصالحوا عليها مع موسى بن نصير فلم يملك فيها شيىء إلا عن حق[١٣٣]" وقد كرّست الاضطرابات والصراع السياسى والعرقى فى عصر الولاة من الوضعية غير القانونية للأرض. ولكن هل طرأ تغيير على تلك الوضعية إبان عصر الإمارة؟

(ب)وضعية الأرض فى عصر الإمارة:

بدأ عبد الرحمن الداخل ولايته بمحاولة انتزاع أملاك يوسف الفهرى وأراضيه، ولم يعترف بما كان يظهره الأخير من حجج تدل على ملكيته، فكان ذلك من أسباب خروجه على عبد الرحمن الداخل[١٣٤]. ثم صادر عبد الرحمن الداخل ضياع أرطباس بن غيطشة زعيم عجم الذمة وكانت تبلغ ألف ضيعة فى وسط الأندلس – ثم عاد ورد له عشرين ضيعة منها بعد أن شكا للأمير سوء حاله[١٣٥].

وهناك دلائل كثيرة على تفاقم عملية اغتصاب الأراضى فى عصر الإمارة منها ما قاله الفقيه زياد بن عبد الرحمن حين حاول وزراء الأمير هشام الأول إجباره على تولى منصب القضاء فقال لهم: "أما إذا أكرهتمونى على القضاء فزوجتى طالق ثلاثا لئن أتى لى مدع فى شىء مما فى أيديكم لأخرجنه عنكم ثم لأجعلنكم فيه مدعين. فلما سمعوا ذلك منه عملوا فى معافاته"[١٣٦].

وحاول العباس بن عبد الله المروانى – مستغلا صلته بالأمير الحكم الأول – اغتصاب ضيعة رجل بجيان[١٣٧]. كما كان الولاة والعمال يعتدون أحيانا على أموال وأراضى الرعية فى الكور ، مما جعل الناس يرفعون شكايتهم إلى الحكومة فى قرطبة مطالبين برد أراضيهم المغتصبة.

وفى ظل انعدام قانون واضح للملكية، وانعدام عقود التملك كان بعض القضاة يحابون كبار رجال الدولة - أحيانا - ويساعدونهم على اغتصاب الأراضى، من ذلك ما فعله القاضى عمرو بن عبد الله حين حكم لهاشم بن عبد العزيز "فى مجشر كان بيده بجانب جيان، بعمله، بلا بينة، ولا أعذار، وسجل وأشهد ونفذ"[١٣٨]. ولم يكتف هاشم بن عبد العزيز باغتصاب الأراضى من أصحابها، بل كان يلجأ إلى تزوير عقود الملكية[١٣٩].

ويبدو أن عملية اغتصاب الأراضى، قد سارت قدما، لدرجة أن بعض القضاة كانوا يرفضون البت فى القضايا التى تتعلق بملكية بعض الأراضى، ويرجئونها خوفا من الوقوع فى أخطاء نظرًا لانعدام عقود تثبيت الملكية[١٤٠].

وفى ظل غياب قانون محدد لملكية الأرض وانعدام ما يثبت الملكية، صار قانون الغلبة والقوة هو الفيصل، لدرجة أن الاعتراف بالأمر الواقع كان من الأمور التى أقرها بعض القضاة الذى جاء على لسانه ينصح أحد المتظلمين إليه - قوله: "الغالب فى القرية هو الغالب عندى، فلقنها عنه ابن فطيس، فجمع عبيده، ومن لاف به سلطانه على خصمه فغلبه"[١٤١]. ومما يؤيد سيادة قانون الغلبة آنذاك تزايد ما كان يعرف "بإقطاع الاعتراف" فقد اضطرت حكومة الإمارة - منذ النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى - إلى قرار الخارجين والمنتزين على ما بأيديهم من أراضى[١٤٢].

بقى أن نذكر أن الحروب والفتن التى اندلعت على الأخص منذ النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى قد كرست الوضعية اللاشعرية للأرض، فقد كان المنتصر يستولى على أراضى المهزوم، هذا فضلاً عن أن حكومة الإمارة كانت تقطع أراضى المخالفين لمؤيديها، مما كان له أثره فى إثارة الأحقاد والفتن[١٤٣]. كما تعددت النوازل التى تدور حول مسألة اغتصاب الأراضى، مما يؤكد عدم وجود قانون يحدد الملكية؛ هذا فضلا عن انعدام العقود والوثائق الخاصة بالملكية، وزاد الطين بله تكريس الفقهاء بفتاواهم لتلك الوضعية اللاشرعية للأرض، إذ كانوا يقفون - غالبا فى صف المغتصبين، خاصة إذا كانوا من ذوى النفوذ[١٤٤].

(جـ) وضعية الأرض فى عصر الخلافة:

بدأ عبد الرحمن الثالث (الناصر) فترة ولايته بمواجهة شديدة للخارجين والمنتزين، فأقر بعضهم على ما بأيديهم بعد إذعانهم بالطاعة، وأقطع الآخرين بعض الأراضى بعد أن استنزلهم عن مواضعهم. وقد آلت كثير من الأراضى إلى الحكومة- أو بالأحرى إلى الناصر- نتيجة لإذعان كثير من الخارجين إلى الطاعة[١٤٥].

ولا نلمح تغيرات جوهرية على ملكية الأرض حتى أواخر القرن الرابع الهجرى. ولكن فى إبان انهيار الخلافة الأموية فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى، حدثت تغيرات جوهرية بالنسبة لملكية الأرض، فاستولى البربر على كثير من الأراضى فى الريف، وشاركهم فى ذلك الصقالية الذين استولوا على تدمير وماوالاها من شرق الأندلس[١٤٦].وكانت المساحات التى سيطر عليها البربر أكثر اتساعا، فاستولى بنوذى النون على طليطلة وأحوازها وما اتصل بها من بلاد الجوف والشرق إلى بلنسية، واستولى بنوبرزال على قرمونة وأحوازها وما اتصل بها، واستولى بنويفرن على رندة وأحوازها، وشذونه وتاكرنا ومورو وغيرها[١٤٧].

وتحول كثير من الملاك الأحرار إلى عبيد أقنان خاضعين للملاك الجدد من البربر، وفى ذلك يذكر صاحب كتاب "مفاخر البربر" عن بنى برزال وأقرانهم فى البربر المتغلبين:" وملكوا من حولهم من الرعية وصيروهم عبيد العصا كما فعل غيرهم بمن يواليهم ويجاورهم وذلك فى أول المائة الخامسة"[١٤٨].

وخلاصة القول أن وضعية الأرض فى الريف لم يجر امتلاكها بطريق شرعى منذ الفتح وحتى نهاية عصر الخلافة إلا القليل النادر، وساد مبدأ القوة فى أغلب الأحيان خاصة فى إبان الفتنة الأولى (من منتصف القرن الثالث حتى بداية الرابع الهجرى)، والفتنة الثانية مع انتهاء الخلافة فى الأندلس.

٢- فئات الملاك وأشكال الملكية:

(أ) فئة الحكام الأمويين من الأمراء والخلفاء وأبنائهم:

وهؤلاء تكونت ملكياتهم بطرق شتى منها: المصادرة فقد صادر الأمير عبد الرحمن الداخل أملاك يوسف الفهرى، وضياع أرطباس القومس – كما سبق أن ذكرنا – وصادر أيضا أملاك مولاه بدر[١٤٩]، وأملاك الصميل بن حاتم[١٥٠]. ولا يبعد أن يكون الحكم الأول قد صادر أراضى وأملاك الثائرين عليه من أهل قرطبة فيما عرف "بحادثة الهيج" أو هيج الربض[١٥١] (٢٠٢هـ / ٨١٧م)، كما صادر أراضى بعض عماله المنحرفين ومنهم ربيع القومس[١٥٢].

أما الأمير عبد الرحمن الثانى فقد صادر أملاك رئيس خاصته نصر الفتى ومنها منيته الشهيرة المعروفة بمنية نصر، والتى أقطعها لمغنيه زرياب[١٥٣]. وصادر الأمير المنذر بن محمد ضياع هاشم بن عبد العزيز وضياع أولاده بعد أن أمر بقتله سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م[١٥٤]. ويبدو أن الأمير عبد الله قد وضع يده على كثير من الأراضى المقطعة للجند فى عهده[١٥٥].

وصادر الناصر كثيرًا من أراضى الخارجين عليه – كما ذكرنا سابقا – أما المنصور بن أبى عامر، فمن الثابت أنه صادر كثيرًا من أملاك الصقالبة بعد أن قهرهم، وكذا أملاك جعفر المصحفى وأموال أسرته[١٥٦]. وأموال جل من خالفه[١٥٧].

وتكونت ملكيات الأمراء والخلفاء بطرق أخرى أيضا منها الميراث، كميراثهم لأراضى الأخماس وميراثهم من آبائهم وأجدادهم[١٥٨]. وامتلكوا الأراضى أيضا عن طريق الشراء، فقد اشترى عبد الرحمن الداخل "منية الرصافة" من ورثة رزين البرنسى البربرى، كما اشترى الأمير هشام بعض الضياع فى الريف، واشترى الأمير عبد الله "منية الناعورة" من خليل البيطار[١٥٩].

وامتلك الناصر بعض الأراضى والضياع فى الريف عن طريق الإهداء، فقد أهدى له وزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد فى سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م قريتين فى أرياف قرطبة وجيان(١٦٠).

أما ملكيات أبناء الأمراء والخلفاء وأخواتهم فقد تكونت عن طريق الإقطاع، فعلى سبيل المثال: اهتم الأمير محمد بإخوته "فتقدم فى ابتداع الدور الفخمة والضياع المغلة لهم بحسب مقاديرهم... وخص سراتهم على ذلك بالقطائع الواسعة"(١٦١). وسلك الخلفية الناصر سبيل من سبقه من الأمراء فى هذا المجال، واهتم بإقطاع أبنائه "وأوسع لهم من الضياع المغلة وانعقار الخراجية"(١٦٢).

ويرتبط بملكية الأمراء والخلفاء للأراضى فى الريف ملكية الدولة، التى تكونت أساسًا من أراضى الخمس وأراضى الصوافى(١٦٣)، وهذه الأراضى التابعة للدولة يصعب فصلها عن ملكية الأمراء والخلفاء(١٦٤).

(ب) فئة الملاك من الجند:

امتلك الجند الداخل إلى الأندلس بصحبة طارق وموسى كثيرًا من الأراضى، ثم الجند الوافد مع السمح بن مالك(١٦٥)، ثم الجند الشامى – كما ذكرنا، ولكن إلى أى مدى تطورت ملكية الجند فيما بعد؟

ترسخت ملكية الجند من الأراضى منذ الفتح، ومرورًا بعصر الولاة، ولم تشر المصادر إلى قيام عبد الرحمن الداخل بمصادرة ملكيات الجند من الأراضى فى الثغور، بل إنه دعم ملكيات الجند فى الثغور بإقطاع بعض الأسر المولدية والبربرية بعض الأراضى الثغرية فى مقابل الدفاع عن تلك المناطق ضد غارات نصارى الشمال(١٦٦).

وزادت الإقطاعات العسكرية فى مناطق الثغور فيما بعد فقد أُقْطِعَ بنوسراج القضاعيون إقليم أرش اليمن فى الساحل الجنوبى الشرقى من الأندلس لقاء "حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل"(١٦٧). وأقطع الأمير محمد بنى ذى النون وبنى المهاجر التجيبيين وغيرهم إقطاعات ثغرية على أن يحفظوا مناطقهم من هجمات النصارى(١٦٨).

ومنذ بداية النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، تفاقمت الأوضاع فى الأندلس. فتحولت معظم الإقطاعات الثغرية من إقطاعات استغلال إلى إقطاعات تمليك توارثها الأبناء عن الآباء[١٦٩]. حتى إذا كان عهد الأمير عبد الله "صار فى كل جهة متغلب"[١٧٠]، فاتجة أمراء الثغور إلى تملك ما تحت أيديهم. أسوة بالقائمين بالبلاد"[١٧١].

ولكن الناصر أعاد الأمور إلى صوابها، بالنسبة لإقطاعات الجند فى الثغور، إذ نجح فى إعادة الإقطاعات الثغرية إلى إقطاعات استغلال، أو إلغائها كلية، عندما استنزل معظم الأمراء المنتزين وأخضعهم لسلطات الحكومة، وعين على نواحيهم ولاة وعمالاً من قبله، وأبقى البعض منهم فى نواحيهم بصفتهم عمالاً للحكومة. بعد أن أقروا بالطاعة[١٧٢].

وعادت الأمور إلى الاضطرابات فى الأندلس مرة أخرى فى أواخر عصر الخلافة، وظهر الأمراء المتغلبون فسيطروا على كثير من نواحى الثغور، كما ذكرنا سابقا.

. وقد تمثل الشكل الثانى من ملكيات الجند فى تلك الإقطاعات التى حازوها فى الكور المجندة، فقد أنزل الوالى أبو الحظار بن ضرار الكلبى فى سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م الجند الوافد مع بلج بن بشر القشيرى فى بعض الكور، فأنزل جند دمشق فى إلبيرة، وجند الأردن فى رية، وجند فلسطين فى شذونة، وجند حمص فى إشبيلية، وجند نسرين فى جيان، وجند مصر فى باجة وتدمير[١٧٣]. "وكان إنزالهم على أموال العجم من أرض ونعم"[١٧٤]. أى أن إقطاعاتهم كانت إقطاعات تمليك للأرض وما تغله، كما يذكر البعض[١٧٥].

وتوارث أبناء الأجناد هذه الإقطاعات، وظلوا يؤدون ما عليها من ضرائب. كما ظلوا يؤدون واجب الخدمة العسكرية. حتى ثار جند مصر بباجة بقيادة العلاء بن مغيث اليحصبى، على عبد الرحمن الداخل، فألغى الأخير إقطاعهم. "وأسقط جندهم وأخمل ذكرهم"[١٧٦].

واستمرت بقية الكور المجندة تؤدى دورها المرسوم، حتى تفاقمت الفتنة فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، فتوترت العلاقات بين المقطعين فى الكور المجندة وبين السلطة المركزية، وتفاوتت بين مقطعين التزموا بأداء ما عليهم من ضرائب وآخرين امتنعوا من أدائها(١٧٧)، واستمر ذلك حتى أوائل عهد الناصرى نجح فى إخضاع الكور المجندة، وأجبر المقطعين على الالتزام بواجباتهم. وبقيت الكور المجندة على حالها فى عهد الحكم المستنصر(١٧٨).

إلا أنه حدث تطور مهم بالنسبة للإقطاعات العسكرية، فى أواخر عهد المنصور بن أبى عامر، الذى عمل على الاستئثار بالسلطة، وفى سبيل تحقيق ذلك لجأ إلى تنويع عناصر الجيش لأنه رأى من الخطورة بمكان الاعتماد على عنصر واحد، لذلك ألغى معظم إقطاعات الأجناد العسكرية – خاصة إقطاعات الجند فى الكور المجندة– واستبدل تلك الإقطاعات برواتب شهرية نقدية(١٧٩).

ولكن عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبى عامر أعاد نظام الإقطاع العسكرى فى الثغور مرة أخرى كما فعل فى حصن ممقصر(١٨٠).

أما الجند المرتزقة من الصقالبة والبربر، فقد امتلكوا هم أيضا العديد من الأراضى فى الريف فقد زادت أعداد الصقالبة بشكل ملحوظ خاصة منذ عصر الناصر بن أبى عامر، وهناك شواهد كثيرة على امتلاكهم لمساحات كبيرة من الأراضى فى الريف(١٨١). وقد أقطع الحكم المستنصر كثيرا من الأراضى والإقطاعات لفرسان البربر وأجنادهم الذين استدعاهم من العدوة المغربية لمعاونته فى حروبه وأسكنهم الأندلس(١٨٢). وقد ازداد نفوذ هؤلاء فيما بعد لدرجة أن المنصور اعتمد عليهم بشكل كبير نتيجة للإصلاحات العسكرية التى أجراها، واستتبع ذلك اتحافهم بالإقطاعات الكبيرة فى أنحاء الريف(١٨٣).

وفى إبان الفتنة التى عمت الأندلس فى أواخر عصر الخلافة علا شأن الجند المرتزقة، خاصة البربر حين اعتمد عليهم بعض خلفاء الفتنة فأقطعوهم مساحات شاسعة من الأراضى فى الريف، لدرجة أنه قد أقطعت إلى بعضهم بعض الكور برمتها(١٨٤).

(جـ) فئة الملاك من البيوت الكبرى والموظفين:

امتلك رجال البيوتات الكبرى والموظفون مساحات كبيرة من الأراضى فى الريف، توارثها الأبناء عن الآباء، وكان ذلك من أسباب تميزهم وظهورهم على المسرح السياسى خلال عصرى الإمارة والخلافة. وأمثال هذه البيتوتات كثيرة نذكر منهم بيت بنو عبده الذى ينسب إلى أبى عبدة حسان بن مالك الذى كان وزيرًا وقائدًا لعبد الرحمن الداخل "استعمله على إشبيلية قائدًا بها... فملك الغرب أجمع خمسة أعوام"[185]. واستمرت ذرية هذا البيت تلى العديد من المناصب حتى عصر الطوائف[186].

ومن أصحاب هذه البيوتات أيضا الذين تولوا مناصب رفيعة، أبو عثمان عبيد الله بن عثمان من قواد الأمير هشام الذى كان يسمى: "Seignuer. de La grand Terre" ويعنى "صاحب الأرض الكبيرة"[187].

أما بيت شهيد، فكان من البيوتات الشهيرة التى تولى أفرادها أرفع المناصب فى عصرى الإمارة والخلافة، برز منهم فى عصر الخلافة ذو الوزارتين أحمد بن عبد الملك بن شهيد[188]، وكان وافر الثراء، يتضح ذلك من هديته الضخمة التى قدمها للخليفة الناصر[189]. وأمثلة هذه البيوتات كثيرة يصعب حصرها إذ يكفى القول أن هذه البيوتات انتمت إلى مختلف العناصر التى كانت موجودة بالأندلس آنذاك[190].

(د) فئة الملاك من المثقفين:

وتشمل هذه الفئة العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وهؤلاء امتلكوا مساحات كبيرة من الأراضى فى الريف. آلت إليهم بطرق مختلفة منها الإرث والإقطاع، فقد ورث الفقيه زهير بن مالك البلوى إقطاعا- كان لجده عدى بن جذيمه، أقطعه إياه عبد الرحمن الداخل- بفحص البلوط، توارثه أبناءه عنه[191].

ولعل تقريب بعض الأمراء والخلفاء للمثقفين كان من أسباب تملكهم للعديد من الأراضى فقد اشتهر الأمير محمد أنه "كان مكرما لأعلام الناس، مقدما على طبقاتهم لذوى الفقه والعلم منهم، يرفع مجالسهم، ويزلف وسائلهم، ويسعف رعيتهم"(١٩٢)، ويروى فى ذلك أنه أقطع فقيه يحيى بن إبراهيم بن مزين "القطائع والقرى الشريفة"(١٩٣). وأقطع الناصر أبا على القالى حين وفد عليه بعض الأراضى، كما أقطع الأديب الشاعر أحمد بن محمد بن أضحى الهمدانى إقطاعا اشتمل على بعض الأراضى والأرحية وغيرها(١٩٤).

ولدينا أمثلة عديدة على امتلاك المثقفين للعديد من الأراضى فالقاضى مصعب بن عمران الهمدانى - الذى ولى قضاء الجماعة للأمير هشام- كان يمتلك ضيعة بجهة المدور من قرطبة، أما سعيد بن سليمان الغافقى- الذى ولى قضاء الجماعة بقرطبة لعبد الرحمن الأوسط - فكانت له ضيعة بفحص البلوط(١٩٥). كما كان للفقيه أبى وهب عبد الأعلى بن وهب (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) ضيعة بالقرب من مقبرة قريش بقرطبة كان يزرعها بنفسه(١٩٦).

ومن الأدباء والشعراء أبى بكر بن هذيل، وأبى بكر بن القوطية اللذين امتلكا ضيعتين بسفح جبل قرطبة(١٩٧)، أما الشاعر أبو العباس طاهر بن محمد بن عبد الله (ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م) فقد "لزم ضيعته ببلده، وكانت واسعة مغلة، فكان قليل الشهود بقرطبة"(١٩٨). ومن الأطباء الطبيب حمدين بن أبا، وكان من الأطباء المشهورين زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وكان على ثراء واسع، امتلك عدة ضياع استثمرها استثمارًا جيدًا(١٩٩).

والواقع أن امتلاك الأراضى كان من السبل المهمة لتحقيق الثراء، فى وقت كانت فيه الزراعة هى العمود الفقرى لاقتصاديات البلاد، وكان الثراء من أهم السبل للوصول إلى الجاه والسلطان والمناصب الرفيعة، ولا أدل على ذلك سوى أن معظم من تولوا مناصب رفيعة كانوا على ثراء وافر ويمتلكون العديد من الأراضى، هذا فضلاً عن أن بعض الوظائف مثل الوظائف التى تتعلق بالفتوى كان

يشترط فى من يشغلها أن "يكون ذا مال فى غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما فى أيدى الناس، فيبيع به حقوق الدين"[٢٠٠] وهذا يفسر حرص مختلف الطبقات آنذاك على تحقيق الثراء، وامتلاك الأراضى خاصة فئة المثقفين.

(هـ) فئة الملاك من أهل الذمة:

احتفظ أهل الذمة من اليهود والنصارى بملكية بعض الأراضى فى الريف[٢٠١]، فقد اتفق أبناء غيطشة مع طارق بن زياد على أن يتعاونوا معه فى مقابل "أن يمضى لهم ضياع أبيهم بالأندلس، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة، سميت بعد ذلك: صفايا الملوك"[٢٠٢].

كما كان أهل الذمة يملكون معظم الأراضى التى فتحت صلحا، فى مقابل أداء ما عليها من ضرائب تنفيذا لشروط المعاهدات التى عقدوها مع الفاتحين، والتى اختلفت بنودها من منطقة إلى أخرى حسب الظروف، وكانت معظم هذه الأراضى تقع شمال الوادى الكبير[٢٠٣]، بالإضافة إلى منطقة تدمير التى فتحت صلحا أيضا[٢٠٤]. وليس أدل على امتلاك أهل الذمة للأراضى فى الريف من أن بعض القرى قد نسبت إليهم[٢٠٥]. هذا فضلا عن أن المصادر تشير صراحة إلى امتلاك اليهود والنصارى فى الريف للأراضى، وقيامهم التصرف فيها تصرف الملاك فى أراضيهم من بيع وشراء وحبس وخلافه[٢٠٦].

أما عن أشكال الملكية، فقد تراوحت بين ملكية جماعية، وملكية فردية، وملكيات كبيرة وملكيات متوسطة وصغيرة. فقد اتسمت ملكيات القبائل منذ الفتح بالطابع الجماعى، حيث كانت الإقطاعات بيد رؤساء القبائل الذين كانوا يتولون توزيع حصص الملكية -- وتحديدها على أفراد القبيلة[٢٠٧]، وفى إطار ذلك يمكن فهم نسبة بعض القرى والأقاليم إلى بعض القبائل والعشائر[٢٠٨].

وتميزت ملكيات الأمراء والخلفاء وملكيات الأسر والبيوتات الكبيرة والنبيلة بالضخامة والاتساع، فقد كانت ملكياتهم عبارة عن ضياع وقرى ومنيات بكاملها تحتوى على كثير من العبيد والأقنان والفلاحين الذين كانوا يقومون بزراعتها واستغلالها لحساب الملاك[٢٠٩].

وكانت هناك أشكال من الملكيات الصغرى والمتوسطة حيث زادت أعداد صغار الملاك منذ بداية القرن الرابع الهجرى، وخير مثال على هؤلاء فئة المثقفين وغيرهم ممن تحفل بهم كتب التراجم والطبقات وكتب الفقه والنوازل فى القرنين الرابع والخامس الهجريين، فقد أدى شيوع الملكيات الصغيرة آنذاك إلى ظهور العديد من المشكلات حول الأرض وما يتعلق بها، وتتطلب ذلك حلولا فقهية. وأدى ذلك أيضا إلى ظهور لون من الكتابة يهتم بالوثائق والعقود الخاصة بالأرض وفلاحتها وما يتعلق بها، وخير مثال على ذلك كتاب "الوثائق والسجلات" لابن العطار (ت ٣٩٩هـ/١٠٠٨م). وكان شيوع الملكيات الصغرى ونموها دليل على تقدم الطبقة الوسطى التى ساهمت بدرجة كبيرة فى تقدم وازدهار المجتمع الأندلسى بشكل كبير خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

٣- حيازة الأرض:

وتتمثل حيازة الأرض فى أشكال العلاقات الزراعية- من زراعة ومغارسة ومساقاة وكراء وغيرها- بين الملاك والفلاحين المزارعين، فقد كان كثير من فئات الملاك السابقين- فى الحقيقة- لا يحوزون الأرض، وإنما كان يحوزها الفلاحون المزارعون الذين كانوا يقومون بزراعتها طبقا لعلاقات زراعية تتم مسبقا بين الملاك والفلاحين المزارعين على شروط محددة مثل:

(أ) المزارعة:

تعددت أنواع المزارعات التى كانت تعقد بين الفلاحين المزارعين وأرباب الأراضى من الملاك فكان منها المزارعة على النصف، وفيها كان يقوم كل من الفلاح المزارع أو المناصف، وصاحب الأرض بتقديم جزء متساوى من الزريعة أو البذور، ليزرعها الفلاح فى أرض المالك مع تحمله لكل أعباء العمل حتى يتم نضج المحصول، واقتسامه مناصفة بين الطرفين[٢١٠]. كما كانت هناك مزارعات على الثلث والربع والخمس والسدس. وكانت المزارعة تنعقد لعام أو لعدة أعوام حسب اتفاق الطرفين[٢١١].

وجرى العرف فى الريف الأندلسى أن يتحمل المزارع – فى عقد المزارعة – كل الأعمال الزراعية من حرث وتزبيل وحصاد ودراس، وغيرها استنادا إلى رأى عيسى بن دينار[٢١٢]، فى المزارعة، وكان رأيه هو المأخوذ به فى الريف لأنه كان يرى : الأخذ بسنة البلد الكائنين فيه[٢١٣]. وربما كان ذلك تأثيرا منه بالبيئة الأندلسية، وما ساد بها من نظم زراعية قبل الفتح.

وكانت هناك مزارعات تخرج شروطها على ما تعارف عليه الفقهاء من الشروط الصحيحة للمزارعة، وتخضع بنودها لما اتفق عليه الطرفان المتزارعان[٢١٤].

وتدخل عملية كراء الأرض أو قبالتها[٢١٥]، ضمن عمليات المزارعة التى سادت فى الريف آنذاك، وإن اختلف ذلك إلى أخرى فى الريف حسب العرف والسنة فى كل منطقة، فعلى سبيل المثال كان أهل المُنَكَّب[٢١٦] Almunecar يكرون أرضهم لزراعة قصب السكر مع اشتراط الإبقاء على جذرة القصب لرب الأرض، أو يشتريها المكترى منه عند نهاية مدة الكراء[٢١٧]. وكان يتم تخفيض الكراء أو القبالة حين تصاب الأرض المكتراة ببعض الجوانح.

(ب) المغارسة:

وكانت تتم فى الأشجار والنباتات التى يمكن غراستها[٢١٨]، وكانت عمليات المغارسة مثلها فى ذلك مثل المزارعة، تقوم على اتفاق بين المغارس والمالك، بموجب عقود ووثائق، يحدد فيها أسماء الطرفين، وموقع الأرض ومساحتها وحدودها، وأنواع الشجر المراد غراسته وكميته، والعمل الذى سيقوم به المغارس، ومدة الغراسة ونصيب كل منهما، وذلك بمحضر الشهود[٢١٩].

(جـ) المساقاة:

وهى من العلاقات الزراعية التى شاعت فى الريف أيضا بين الملاك والفلاحين وتنعقد فى الأرض المغروسة بأصناف الغروسات المختلفة، التى لم يبد صلاحها بعد، على أن يكون للمساقى جزءًا من الثمرة: النصف أو الثلث أو الربع

بحسب ما يتفق عليه رب الأرض. والأصل فيها أن يقوم المساقى بكل العمل والنفقة، وليس على رب الأرض شيء[٢٢٠].

وكانت تكتب وثائق المساقاة متضمنة أسماء الطرفين، وموقع البستان أو الأرض المغروسة وحدودها وأصناف الأشجار المغروسة، ومقدار العمل الذى سيبذله المساقى من رى، وحفر وتزبيل وخلافه، ونصيب كل منهما، ومدة المساقاة وغير ذلك من الشروط المتفق عليها[٢٢١].

(٤) أنواع الضرائب:

(أ) الضرائب الشرعية:

(١) الخراج:

كان الفلاحون فى الريف يدفعون الخراج، الذى اختلف مقداره، تبعا لوضعية الأرض من حيث الصلح أو العنوة، وطبيعة الأرض من حيث الخصوبة ونظام الرى، ومقدار المؤونة وربما قربها أو بعدها عن الأسواق[٢٢٢].

(٢) الزكاة:

كان المسلمون يدفعون العشر على ما تخرجه الأرض من الزروع والثمار، إذا اكتمل نصابها الشرعى[٢٢٣]، شريطة أن تروى سيحا أو بماء السماء، فإذا رويت صناعيا أى بوسائل وآلات الرى المختلفة كان عليها نصف العشر[٢٢٤].

ويبدو أن الزكاة كانت متروكة لأمانات المسلمين، ولم تكن وظيفة (ضريبة) مضروبة عليهم فى أول الأمر، كما يفهم مما جاء عن ابن سعيد الذى ذكر أن الناس نعت على الحكم الربضى "أن جعل العشر ضريبة على الناس، بعد أن كان مصروفا إلى أمانتهم"[٢٢٥].

وقد صارت الزكاة منذ ذلك ضريبة مفروضة، كما يتضح من الحديث الذى دار بين الأمير محمد ووليد بن غانم صاحب المدينة سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م[٢٢٦]، ومن البيان الذى قدمه العذرى عن الضرائب الخاصة بأقاليم وقرى قرطبة[٢٢٧].

(٣) الجزية[٢٢٨]:

اختلف الفقهاء حول مقدار الجزية[٢٢٩]، وإن كان الإمام مالك -الذى ساد مذهبه فى الأندلس- رأى أن "على أهل الذهب أربعة دنانير. وعلى أهل الورق أربعين درهما. مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام[٢٣٠].

والواقع أن مبلغ أربعة دنانير أو الأربعين درهمًا لم يكن مبلغًا كبيرًا[٢٣١]، خاصة وأن هذا المبلغ كان يسقط على مدار العام، هذا إلى أن كان يعفى من دفع الجزية الفقراء، والنساء، والصبيان والشيوخ، وذوو العاهات والعبيد والرهبان، كما كانت الجزية تسقط عمن أسلم من أهل الذمة. وقد حثت كتب الفقه على الرفق بأهل الذمة حين جبايتها، وقبول قيمتها عينًا إذا انعدمت النقود [٢٣٢].

ومن الجدير بالذكر هنا القول بأن الجزية التى أشرنا إليها كانت تخص أهل الذمة فى الأرض التى فتحت عنوة، أما الأرض التى فتحت صلحًا فى الأندلس فكان يطبق فيها نوع من الجزية "الصلحية"[٢٣٣]، وخير مثال لدينا على ذلك الصلح الذى عقده عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تدمير Teodmiro صاحب أوريولة من شرق الأندلس. ويظهر من كتاب الصلح أن أهل الذمة قد التزموا بالتزامات يسيرة فى مقابل الحقوق التى ظفروا بها[٢٣٤].

إذًا اختلف تطبيق الجزية فى الأندلس تبعًا لاختلاف وضعية الأرض من حيث الصلح أو العنوة، وتوقف ذلك عمومًا على ظروف الفتح والمعاهدات التى عقدت بين المسلمين وأهل الذمة فى كل منطقة فتحوها[٢٣٥].

هذا إلى أنه – فيما يبدو – كان الولاة والحكام اجتهاداتهم فى موضوع الجزية – وقد أجاز الفقهاء ذلك كما أشرنا – لأن البعض يذكر أن أهل الذمة كانوا يدفعون

– فى الأندلس– ضريبة استثنائية بالإضافة إلى الجزية، فى حين يرى البعض الآخر أنها فرضت– فى عهد الأمير عبد الرحمن الثانى– على القسس، الذين كانوا يتظاهرون بالمرض تهربًا من الجزية التى تطالبهم بها الدولة فى نهاية كل شهر[٢٣٦].

(٤) عشور التجارة:

كان المسلمون يدفعون ربع العشر، وأهل الذمة نصف العشر، وأهل الحرب العشر. وكان ذلك يتم فى العام مرة واحدة. وكان أهل الذمة يدفعون العشر على التجارة فى الخمور. وشدد الفقهاء على ضرورة قبول "العاشر" لقول صاحب المال فى مالهن سواء كان مسلمًا أم ذميًا، كما نبهوا على ضرورة عدم جباية العشور من أموال التجارة إذا لم تبلغ النصاب[٢٣٧].

واهتمت الحكومة الأندلسية بجمع العشور عن طريق موظفين، انتشروا فى الأسواق والمراكز التجارية، حيث التزم التجار بتقديم تقارير عند دخول المدن أو مغادرتها، وقد اعفيت السلع سريعة التلف من الضرائب التجارية، وكذا سلع صغار التجار، والعبيد، والأسلحة، والخيول، والكتب، وحلى العرس، وسلع الاستهلاك الشخصى، وفقًا لما ذكره البعض[٢٣٨].

ويبدو أنه كانت تحدث بعض التجاوزات إبان فترات الاضطرابات والأزمات، حيث درج "العشارون" على ترصد الناس على الطرق وأبواب المدن، وتفتيشهم ذاتيًا، وكذا تفتيش أمتعتهم، والتضييق عليهم لجباية المكوس[٢٣٩].

(ب) الضرائب غير الشرعية:

وتشمل العديد من الأنواع، ابتدعها الأمراء والخلفاء لسد الاحتياجات المتزايدة، خاصة أثناء الحروب والأزمات. وكانت تفرض فى صور وأشكال عديدة منها:

١- المغرم

و"المغرم" تسمية عامة تطلق على بعض الضرائب غير الشرعية، والجمع "مغارم"[٢٤٠]. ويبدو أن هذه المغارم كانت وظيفة[٢٤١] أو ضريبة مفروضة على القرى فى الريف منذ عصر الإمارة[٢٤٢].

٢- القطيع:

وتم فرضها إبان انهيار الخلافة الأموية فى الأندلس، واتسع مجال فرضها ليشمل: رؤوس الناس، وأموالهم من الغنم والبقر والدواب والنحل، وكل ما يباع فى الأسواق وعلى السماح ببيع الخمر من جانب المسلمين فى بعض البلاد، وكانت تدفع مشاهرة[٢٤٣].

٣- ضرائب تخص المجهود الحربى:

مثل ضريبة الحشود والبعوث[٢٤٤]، ومنها: "الناض للحشد" و "الطبل للعام"، والأولى ضريبة مالية تؤخذ نقدًا لخدمة المجهود الحربى، والثانية ضريبة كانت تدفع فى مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية.[٢٤٥] وبناءً على التعديلات التى أدخلها المنصور بن أبى عامر على الجيش فى عهده، تم إعفاء الرعية من الغزو فى مقابل دفع ضريبة سنوية كانت تسمى "الإقطاع" استخدمت للإنفاق على الجيش وتجنيد المرتزقة[٢٤٦].

ويرتبط بضرائب المجهود الحربى التزام الفلاحين فى الريف أيضًا بميزة الجيش وتموينه أثناء مروره بالمناطق الريفية[٢٤٧]. وهو عبء إذا علمنا مدى كثرة الحروب الداخلية والخارجية.

٤- القطيعة والمفارقة :(٢٤٨)

وهذه الضريبة عبارة عن مقدار من المال، كان يتعهد بتقديمه سادة النواحى المنتزين، إلى الحكومة، فى مقابل انفرادهم بالأمور فى نواحيهم، وشاع ذلك – خاصة– خلال الفترة من منتصف القرن الثالث وحتى أوائل القرن الرابع الهجرى[٢٤٩].

٥- ضرائب أخرى:

وهناك طائفة من الضرائب المتنوعة الشرعية أيضًا مثل: ضريبة "عشر الأطعمة" التى فرضها الحكم الأول على أهالى قرطبة وأقاليمها، وكانت تدفع سنويًا.[٢٥٠] وضريبة الزيتون، التى كانت تجنى على الزيت بإقليم قرطبة، والتى أمر ولى العهد هشام بإلغائها سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م.[٢٥١] ومن الضرائب غير الشرعية ما كان يقدمه الأهالى عينًا مثلما كان يقدمه أهل كورة جيان من أخشاب وزفت وقطران لحساب دار صناعة السفن الخلافية فى الجزيرة الخضراء[٢٥٢].

ومن الضرائب غير الشرعية أيضًا ضريبة "السخرة" وارتبط تطبيقها بظروف معينة، ولم تكن من الضرائب الشائعة، ولدينا بعض الأمثلة عليها منها: أن عامل بنى سلمه التجيبيين على قرية شلقوة Selgua – جنوب بربشتر Barbastro من أعمال الثغر الأعلى – كان "يسخر أهلَها ويؤذيهم بالنوائب وغير ذلك"[٢٥٣]، كما سخر الناصر أعدادًا كبيرة من رعيته فى بناء مدينة الزهراء[٢٥٤]، وفى إبان انهيار الفتنة التى عمَّت أرجاء الأندلس إبان انهيار الخلافة سخر المتغلبون من البربر كثيرًا من الناس فى خدمتهم، واسترقوهم[٢٥٥].

ومن الضرائب غير الشرعية أيضًا "ضريبة النازلة" وكان يدفعها أصحاب الأراضى التى يمر بها الخليفة وحاشيته فى أى وقت لتسديد نفقاتهم، وكانت فى أول أمرها ضريبة مؤقتة تدفع فى ظروف خاصة، ثم أصبحت مع مرور ضريبة ثابتة[٢٥٦].

وإبان انهيار الخلافة الأموية فى الأندلس فرض المتغلبون البربر "المكوس والجزية على رقاب المسلمين" وسلطوا اليهود على قوارع طرق المسلمين لتحصيلها[٢٥٧].

(جـ) طرق تحصيل الضرائب ومقاديرها ووجوه إنفاقها:

كانت عملية تحصيل الضرائب تتم على أيدى عمال وموظفى الحكومة، حيث كان يجرى تقدير المحاصيل – فى الحقول أو فى الأهراء أو المطامير– لتحديد الضرائب، زمن الحصاد – فى شهر يونيه غالبًا – بعد استقطاع نفقات الحصاد. وكان يجرى تعيين الحراس على الصوامع والمطامير، وإقامة خيام مخصوصة لاستلام العشور [٢٥٨].

وأحيانًا كان يعهد إلى المتقبلين بتحصيل الضرائب لصالح الحكومة، عن طريق مزاد يتم فيه تقبيل الضرائب لأكبر عطاء [٢٥٩].

وكان يتم تحصيل الضرائب فى صورة نقدية تسمى "الناض"، ولدينا تقديرات نقدية عديدة لجباية الأندلس، وبعض الكور والأقاليم، ولكن لا يمكن الاطمئنان عليها بسبب التناقض فى الأرقام والمبالغة – أحيانًا.[٢٦٠]

وإلى جانب الدفع النقدى للضرائب فى الريف، كانت الضرائب تجمع أحيانًا فى صورة عينية، تسمى "الوظيفة" [٢٦١].

وكانت الجباية العينية للضرائب مفيدة لكلا الطرفين، الحكومة والفلاحين على السواء فالحكومة كانت تحتفظ بنصيبها فى الأهراء والمطامير لتستخدمه وقت الحاجة خاصة فى أوقات الأزمات والمجاعات والحروب، وقد تدفع منه رواتب عينية للجنود، وتقدم جزاء منه كقروض للفلاحين فى صورة بذور لزراعتها، وتبيع الباقى إذا احتاجت إلى الأموال[٢٦٢]. وكان الفلاحون يحبذون نظام الجباية العينية للضرائب أيضًا، إذ لم تكن تتوفر لغالبيتهم سيولة مالية كافية لدفع الضرائب نقدًا، وقت جبايتها.

واستمرت عملية جباية الضرائب فى صورتها العينية إلى جانب الجباية النقدية حتى أوائل القرن الخامس الهجرى عندما أمر الخليفة على بن حمود (٤٠٧–٤٠٨هـ/ ١٠١٦–١٠١٨م) أن تجنى الضرائب نقدًا لا عينًا، وتم حساب

الضريبة على أساس ستة دنانير لكل مدى من القمح، وثلاثة دنانير لمدى الشعير، وذلك تخفيفًا عن الرعية من مشقة حمل المحاصيل إلى الأهراء العامة.[٢٦٣] ويبدو أن الدافع إلى هذا الإجراء كان فى المقام الأول انعدام الأمن، وصعوبة المواصلات بسبب الفتن والحروب.

ويبدو أن صرف الضرائب فى الريف كان يتم وفق نظام لا مركزى حيث كان يتم دفع رواتب الموظفين وعمال الإدارة المحلية فى الريف من تلك الضرائب، هذا فضلاً عن الإنفاق على بعض المشروعات العامة مثل إقامة الجسور، وحفر القنوات، وترميم الحصون، ودفع فديات الأسرى، ثم إرسال الباقى إلى الخزانة العامة فى الحاضرة[٢٦٤].

وكان هذا الأسلوب اللامركزى فى الإدارة يبدو ناجحًا فى فترة قوة الدولة إذ كفل للولاة والعمال حرية التصرف، واتخاذ القرار السريع مما مكنهم من تنفيذ الإصلاحات بطريقة سريعة وفعالة، مع عدم إغفال رقابة الحكومة المركزية. ولكن كان لهذا الأسلوب عواقبه الوخيمة فى ظل ضعف الحكومة المركزية إبان الفتن والاضطرابات، فقد استبد العمال والولاة بالسلطة فى نواحيهم، وأعلن بعضهم الاستقلال عن الحكومة، وامتنعوا عن إيراد الجباية للحكومة المركزية واستغلوا ضعف الرقابة فى إهمال شئون نواحيهم وعسف رعاياهم، حدث ذلك أثناء الفتنة الأولى التى حدثت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى وعبر عن ذلك ابن خلدون بقوله "وقد اضطربت نواحى الأندلس بالثوار، ولما كثر الثوار قبل الخراج لامتناع أهل النواحى من الأداء"[٢٦٥].

(د) موظفو الإدارة المحلية:

١- الإدارة المدنية:

رغم ندرة المعلومات الخاصة بالإدارة المحلية عمومًا فى الريف، إلا أنه يمكن القول بأن الإدارة المركزية فى الحاضرة. كان يتبعها عمال الكور والمدن، وهؤلاء كان يتبعهم عمال الأقاليم والقرى، وكان حاكم الكورة يسمى العامل أو الوالى، وحاكم المدينة ذات الحوز يسمى القائد[٢٦٦].

وكان تعيين هؤلاء العمال والولاة يتم عن طريق الأمراء والخلفاء[٢٦٧]، وكانوا يقيمون فى حواضر الكور وقواعد المدن وقصباتها لإدارة شئون كورهم ومدنهم.

وتحفل المصادر بأسماء العمال والولاة والقواد فى الكور والمدن الأندلسية المختلفة ولكنها لا تورد إلا اليسير من أسماء عمال الأقاليم والحصون والقرى، فابن حيان – على سبيل المثال – بعد أن استعرض أسماء عمال الكور والمدن المتولين لشئونها فى سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م يقول: "إلى أصاغر من الأعمال يطول اقتصاصها، أعرضنا عنها"[٢٦٨]. ويؤكد قوله على وجود عمال للوحدات الإدارية الصغرى كالأقاليم والقرى والحصون، ويبدو أن تعيينهم كان يتم عن طريق ولاة وعمال الكور والمدن، بعد موافقة السلطة المركزية فى الحاضرة.

والملاحظ أن الخليفة الناصر قد اتبع سياسة تغيير واستبدال عمال الكور والنواحى من حين إلى آخر وهى سياسة حكيمة إذ كان الغرض منها الحد من تمكين العمال والولاة لأنفسهم فى ولايتهم، والحد مدة نفوذهم، وقد استلزمت هذه السياسة تعيين مراقبين للعمال والولاة خوفاً من استغلال هؤلاء لقصر مدة عمالتهم فى الإهمال وجمع الأموال واستغلال النفوذ، وقد أوكل الناصر إلى بعض الموظفين القيام بهذه المهمة، فكان أمناء الكور يراقبون الولاة والعمال، ويروى فى ذلك أن الناصر قد ولى محمد بن عبد الله ابن أبى عيسى "قضاء عدة من الكور..... وقلده مع القضاء أمانة[٢٦٩] الكور، والنظر على عمالها، فكانوا لا يقدمون ولا يؤخرون إلا عن أمره، ولا يظلم أحد من جانب من جوانبها إلا نصره وكان معه"[٢٧٠].

هناك موظف آخر مهم على مستوى الكورة وهو "الأمين"[٢٧١]، وكان يتولى شئون المال فى الكورة، حيث يشرف على جباية الضرائب، وخصم نفقات الموظفين، ورواتب الجند، والمصروفات الأخرى، وإرسال الباقى (الفائض أو المستفاض) إلى الإدارة العامة بقرطبة[٢٧٢]. وكان تحت إمرته العديد من الموظفين الآخرين منهم "المشرف" الذى كان يشرف على شئون المالية فى الأقاليم والقرى[٢٧٣].

وكان يتولى جمع الجبايات فى الأقاليم والقرى طائفة من الموظفين منهم عمال الصدقات، ويسمى الواحد منهم "مصدق" وهو الذى يقوم بجمع الصدقات، وهى الزكوات من الزروع والماشية وغيرها وكانوا يعرفون أيضًا باسم "السعاة" ومفردها ساعى، "وعمال العشور"، وقُبَّاض العشور" (٢٧٤).

ويعاون هؤلاء طائفة من أصاغر العمال عرفوا باسم "الخراص" الذين كانوا يقومون بخرص(٢٧٥) الزروع والثمار، أى تقديرها تمهيدًا لفرض الضرائب عليها، وذلك بداية من شهر يونيه، وحتى شهر أكتوبر، وكان يتم فيه خرص الزيتون، ولم يكن يتم خرص الزروع والثمار إلا فى إبان قطافها ونضجها (٢٧٦).

ومن أصاغر الموظفين فى الريف أيضًا "الحارز" (الحارس)، وكان يقوم بحراسة الغلات فى أوان الحصاد، حتى لا تحصد وتباع دون أداء الضرائب المقررة عليها، كما كانت تقوم طائفة من الحراس أيضًا بحراسة زروع أهل المدن فى الريف(٢٧٧) وكان يوكل إليهم أيضًا حراسة الصوامع والمطامير لحين دفع الضرائب والعشور على ما بداخلها (٢٧٨).

وكان عمال الأقاليم والقرى والحصون يشرفون على موظفى الإدارة الريفية فى نواحيهم(٢٧٩) ويبدو أن وكلاء الضياع والأراضى الخاصة بالأمراء والخلفاء وأبنائهم، كان يرأسهم مباشرة "صاحب الضياع"(٢٨٠) فى الحاضرة، وكان هؤلاء يتم اختيارهم بدقة، ورقابتهم، فقد اهتم الناصر باختيار وكلاء لإدارة ضياع أبنائه من "وجوه الناس وأولى مرواتهم.... وزادهم على ذلك كتابًا سراة مسيطرين على وكلائهم يحصون عليهم ويثقفون ما يرتفع من محاصيل كل واحد منهم، ويكتبون عنهم فيما يحتاجون إليه من شؤونهم" (٢٨١).

كما كان هناك طائفة من الوكلاء الذين كانوا يديرون أراضى وضياع كبار الملاك فى الريف وهؤلاء كانوا يعينون من قبل هؤلاء الملاك، وليس للإدارة الحكومية سلطة عليهم، إلا فيما يخص حق الدولة من الضرائب. وكان هؤلاء

الوكلاء يلتقون بالملاك من وقت لآخر لتقديم كشف حساب عن هذه الأملاك، وتقديم بقية الإيرادات والمحاصيل بعد خصم النفقات. وكانوا رهن إشارة الملاك، يستجيبون لطلباتهم فى أى وقت.[٢٨٢]

٢- الإدارة الدينية:

(أ) القاضى:

كان قضاة الكور والمدن يتم تعيينهم بواسطة الأمراء والخلفاء أنفسهم، أما المتولون لسلطة القضاء فى المدن الصغيرة أو فى الأقاليم والقرى، فكانوا يعينون من قبل قضاة الكور والمدن، وكان لا يطلق عليهم لقب "القاضى" إلا على سبيل التجوز، وإنما كان يطلق عليهم لقب "مُسَدِّد" أو "مُستَخلَف" أو "مخلف" لأنه كان يخلف قاضى الكورة أو المدينة فى الأقاليم والقرية[٢٨٣]، ويبدو أنه كان يتوفر لكل قرية كبيرة – على الأقل- قاض أو مسدد[٢٨٤]، وقد يتولى شخص واحد قضاء عدة قرى، كما كانت الحال بالنسبة لسراج ين حسان ين سراج الغسانى الذى تولى قضاء: برجه ودلاية وبشيرة أعمال إلبيرة، وتوفى سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م.[٢٨٥] وأحيانًا كان يقوم ولاة الكور والأقاليم بدور القاضى، فينظرون فى الأحكام، ويفصلون الناس، إذا لم يكن هناك قاض مختص.[٢٨٦]

وكان القاضى- إلى جانب قيامه بالفصل فى الخصومات- يقوم بالعديد من المهام الأخرى التى أجملها ابن لبابة (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٧) على النحو الآتى: النظر فى "الوصايا والأحباس والإطلاق والتحجير والقسم والمواريث، والنظر للأيتام وأموال الغيب".[٢٨٧]

وتسند إلى القاضى –أحيانًا- إمامة الصلاة، إذا لم يكن هناك "صاحب صلاة" مختص. كما كان القاضى هو المختص باستطلاع هلال رمضان، والمشرف على الأحباس أيضًا.[٢٨٨]

ولا نعتقد أن نفوذ المسدد أو المستحلف فى القرية أو الإقليم كان يرقى إلى القيام بكل هذه المهام، بل المنطقى القول بأنه كان ينظر فى بعض المهام، لأن كثيرًا من القضايا كانت ترفع إلى قضاة الكور والمدن، وإلى قاضى الجماعة بقرطبة، خاصة القضايا الجنائية [٢٨٩].

وكان القضاة والمسددون فى الريف يمارسون مهام وظائفهم فى المساجد – غالبًا– أو فى بيوتهم وقد يتخذون بعض الأعوان لمساعدتهم، ويرتزقون من بيت المال. [٢٩٠]

(ب) صاحب الصلاة، المفتى، والموثق:

وكان بعض هؤلاء يتولى الوظائف الثلاث معًا. ولدينا أمثلة عديدة لبعض من تولوا هذه الوظائف فى الريف، فمن الذين تولوا وظيفة صاحب الصلاة –على سبيل المثال– "زيد بن شريح"، وكان صاحب الصلاة "بمنزل أبى هبيرة" من عمل قبرة [٢٩١]، و"أبان بن سالم اليحصبى"، وكان صاحب صلاة "قلعة دراهم" بإلبيرة، و"حبيب بن سيد الجذامى" صاحب صلاة "بقصرة" من عمل مرسية.[٢٩٢]

وكان يشترط فيمن يتولى وظيفة صاحب الصلاة، أن يكون على قدر من العلم الدينى، لأنه كان يؤم الناس فى الصلاة، خاصة الصلوات الجامعة كصلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء، ويخطب فى يؤم الناس وقد تصدى للإفتاء أيضًا، وقد ذكرت المصادر أنه "كان بخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية، فى كل منها منبر يخطب عليه مقلس، وهو الفقيه المشاور الذى تكون له الفتيا فى الأحكام والشرائع، وكان لا يجعل القالس عندهم على رأسه إلا من حفظ المدونة وحفظ عشرة آلاف حديث" [٢٩٣].

وتؤيد بعض التراجم الواردة فى كتب الطبقات، ما وصل إليه معظم هؤلاء من علم أهلهم لتولى مثل هذه المناصب فى الريف، فسعيد بن محمد بن شعيب الأنصارى (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)– خطيب جزيرة قبتور من عمل إشبيلية– "كان شيخًا صالحًا من أئمة أهل القرآن، عالمًا بمعانيه، وقراءاته، عالمًا بفنون العربية، متقدمًا فى ذلك كله" [٢٩٤].

وكان الإمام أو صاحب الصلاة يأخذ راتبه من الحكومة، وقد يأخذ راتبه – أحيانًا- من أهل القرية، إذا استأجروه للإمامة، ولم يكن لهم إمام معين من قبل الحكومة [٢٩٥].

ولدينا أيضًا تراجم لمن تولوا وظيفتى "الإفتاء"، و"عقد الشروط والوثائق" من ذلك "حفص ابن حسن" وتولى وظيفة الإفتاء وعقد الشروط والوثائق فى إقليم لورة من عمل قرمونة[٢٩٦]، و"سعدان بن معاوية" (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) الذى تولى الإفتاء وعقد الشروط فى "إقليم القصب" من أعمال قرطبة.[٢٩٧] ويبدو من تراجم المفتين وعاقدى الوثائق أنهم كانوا على درجة كافية من العلم أهلتهم للوفاء بمتطلبات وظائفهم، فكان "الخضر بن زكريا بن عبيد" مفتى قرية برجة_ على سبيل المثال- "ممن عنى بالعلم وجمعه وأدرك الشيوخ فى المصدر الأول" [٢٩٨].

ويذكر ريبيرا أن وظيفة الموثق لم تكن وقفًا على أولئك الأشخاص الذين تسمح لهم السلطة العامة بمزاولة هذه المهنة، بل كان يمكن أن يمارسها أى شخص يكتسب ثقة مواطنيه. ونتيجة لأن القاضى كان لا يقبل أى دعوى دون أن تتوافر فيها بعض الشروط الضرورية، لذا أصبح من الشائع- حتى بين الأفراد المثقفين- اللجوء إلى أولئك الموثقين وعاقدى الشروط. وكان هؤلاء يمارسون مهنتهم فى بيوتهم أو فى المساجد أو فى الشوارع أو فى الأسواق أو فى الحوانيت، وعلى أبواب المدن حتى يتيسر للراغبين الوصول إليهم بسهولة.[٢٩٩]

٣- موظفو الإدارة المختصون بأهل الذمة:

(أ) القومس:[٣٠٠]

يأتى على رأس الموظفين المختصين بنصارى الذمة القومس، وكان يتزعم الجماعة النصرانية، ويتوسط بينهم وبين السلطة الحاكمة، إذ كان مسؤولا عن جمع الضرائب من جماعته يعاونه فى ذلك طائفة من صغار القمامسة والمساعدين المنتشرين فى الريف، كما كان يرعى شؤون جماعته لدى السلطة المركزية.[٣٠١]

وكانت الحكومة المركزية هى التى تتولى تعيين قومس الأندلس، أما قمامسة المدن والنواحى فكان يتم تعيينهم فى مناصبهم عن طريق الاختيار والانتخاب الحر من قبل الجماعة النصرانية خلافًا لما كان يحدث أيام القوط قبل الفتح. وكان يعاون قمامسة المدن – الذين امتد نفوذهم إلى النواحى والقرى التابعة لهم- موظفوا آخرون أقل رتبة، كانوا يعملون تحت أمرتهم، وينوبون عنهم فى القرى التابعة لهم- موظفوا آخرون أقل رتبة، كانوا يعملون تحت أمرتهم، وينوبون عنهم فى القرى والأقاليم. وكان يطلق على هؤلاء لقب "مدافع" أو "حامى"[٣٠٢].

ولدينا أسماء لبعض القمامسة الذين تولوا وظيفة القومس فى الأندلس، لعل أشهرهم كان أرطباش Ardabastro، الذى كان أول قومس بالأندلس فى عهد المسلمين، وكان ينتمى إلى أسرة عريقة إذ كان أصغر أبناء غيطشة- آخر ملوك القوط بإسبانيا- وكان واسع الثراء، وقد أهله ذلك إلى أن يصبح شخصية ذات نفوذ ساهم فى سياسة عصر الولاة، بأن أشار على أبى الخطار بتفريق الجند الشامى فى الكور، كما تولى منصب القماسة فى عهد عبد الرحمن الداخل[٣٠٣].

وفى عهد الحكم الأول نسمع عن قومس آخر للنصارى يسمى "ربيع القومس" أو ربيع بن تيودلف Teodulfo ، ويبدو أن نفوذه قد ازداد بدرجة كبيرة حتى غضب عليه الحاكم وصادره[٣٠٤]. وفى أوائل عهد الأمير عبد الله كان هناك قومس للنصارى يدعى حجاج، قتله الأمير وصلبه، كما قتل ابنه أيضًا لانضمامه لثورة عمر بن حفصون[٣٠٥]، ثم ولى حزمير أو جذمير Hazemerio الذى يبدو أن نفوذه كان كبيرًا لدرجة أنه استطاع صرف نظر الأمير عن تولية أحد القضايا إلى غيره[٣٠٦]، ولكن الأمير ما لبث أن غضب عليه وقتله سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٥م، بعد أن حبسه بسبب تورطه فى فتنة ابن حفصون[٣٠٧].

ويبدو أنه قد تضاءل نفوذ القمامسة فى عصر الخلافة، واقتصر ظهورهم على الاشتراك فى بعض حفلات استقبال السفراء الأجانب، فقد كان "معاوية بن لبن" قومس قرطبة ضمن وفد كبار نصارى قرطبة المشارك فى استقبال رسل "حلويرة" Elvira وصية رذمير بن شانجه Ramiro III ملك جليقية سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م[٣٠٨].

ويظهر من نازلة أوردها ابن سهل (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م)- تدور أحداثها، على ما يبدو، فى أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الهجرى- بداية تضاؤل نفوذ قومس العجم، لأنه لم ينجح فى إقناع هيئة المحكمة الإسلامية بأهليته فى الدفاع عن مصالح أهل طائفته، وجوبه باعتراض بعض كبار الفقهاء المسلمين، الذين استندوا إلى أنه ليس للقومس صفة فى تمثيل المدعين -رغم أنهم نصارى- بدون وكالة صريحة منهم [٣٠٩].

(ب) قاضى العجم:[٣١٠]

ومنصبه يأتى فى الأهمية بعد منصب القومس. وكانت مهمته الفصل فيما ينشب من نزاعات بين النصارى، لذلك كان يسمى: "قاضى النصارى" أو "قاضى الذمة"[٣١١]. ويبدو أن تعيينه وعزله كان من سلطة الأمير أو الخليفة، فقد قام الخليفة الحكم الثانى بعزل "أصبغ بن عبد الله بن نبيل" قاضى النصارى سنة ٣٦٣هـ/ ٩٦٣م لعدم رضائه عن ترجمته لما قاله رسل حلويرة الوصية على عرش جليقية (ليون) [٣١٢].

وكان قاضى النصارى يقضى بين أهل ملته وفقًا للقانون القوصى القديم[٣١٣]، فى الحدود والنكاح والطلاق والعتق والبيوع، وأما ما يتظالمون فيه من القتل والغصب، وغير ذلك، فلقاضى المسلمين النظر فيه [٣١٤].

ومن أشهر قضاة النصارى حفص بن البر، الذى ينتهى نسبة إلى "وقله بن غيطشة" وكان قاضيًا فى عهد الناصر[٣١٥] . وأصبغ بن نبيل قاضى النصارى فى عهد الحكم المستنصر الذى أشرنا إليه آنفًا [٣١٦].

وقد تقلص دور قضاة النصارى على ما يبدو فى عصر الخلافة إذ لا نراهم إلا فى حفلات استقبال الرسل الأجانب، حيث كانوا يقومون بعملية الترجمة [٣١٧].

(جـ) مستخرج الخراج:

وهو الموظف المسؤول عن جمع الضرائب من نصارى الذمة، وحل قومس الخزانة .Comes thesaurornm في العهد القوطى، وعرف فى النصوص اللاتينية باسم Exceptor أى الجابى أو المتقبل.[٣١٨] ويبدو أن قومس بن أنتنيان قد تولى هذا المنصب فى عهد الأمير عبد الرحمن الثانى، وقبل التحاقه بالكتابة للأمير محمد لأن إيولوخيو Eulogio القرطبى ذكر أنه كان متولى جمع الضرائب أو حسابها للسلطان publicarie exceptor. ويرى سيمونيت أنه يقصد ما كان يدفعه النصارى من الجزية. وهذا يتفق مع ما وصفه به ابن حيان بقوله: "وكان قومس مع بلاغته وجودة رسائله بصيرًا بصناعة الكتابة الحسبانية، عارفًا بمعانيها العويصة، مدققًا لحساباتها الصعبة"[٣١٩].

الهوامش

١- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥٤٧، ٥٧٦، ٥٧٩.

٢- العذرى: المصدر السابق ص ١٨-١٩.

٣- مؤلف مجهول: كتاب في ذكر بلاد الأندلس صـ ١١.

٤- الكورة كما عرفها ياقوت: "كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها". ياقوت: المصدر السابق حـ١ صـ٤١.

٥- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥٧٧، أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس ص ١١٦.

٦- للإقليم عدة مفاهيم لدى الجغرافيين المسلمين: أهمها ذلك المفهوم الموروث عن الإغريق والذى يذكر أن العالم مقسم إلى سبعة أقاليم رئيسية. وهناك مفهوم آخر للإقليم أشار إليه ياقوت، وفيه جعل الإقليم يشمل قطرًا بعينه نحو الصين وخرسا، والعراق والشام ومصر وإفريقية. انظر: الأدريس: المصدر السابق م١ ص٩، ياقوت: المصدر السابق حـ١ ص٤٢.

٧- المقدسى: المصدر السابق ص ٢٢٢

٨- ياقوت: المصدر السابق حـ١ ص ٤١.

٩- ياقوت: نفس المصدر حـ١ ص ٤٢.

١٠- العذرى: المصدر السابق ص ٢٣-٢٤، ١٠٩، ١١١، ١٢٤، ١٢٧.

١١- قد تتسع مساحة بعض الأقاليم لتشمل حوز مدينة بكاملها كما كانت الحال بالنسبة لإقليم لورقة، وإقليم مرسية. انظر: العذرى: نفس المصدر ص ١٠.

١٢- انظر. مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص ٤٣- ٤٥، العذرى: المصدر السابق ص ١٢٤ - ١٢٧، مؤلف مجهول: وصف جديد لقرطبة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، م١٣، ١٩٦٥ - ١٩٦٦ (١٦١١ - ١٨١)، ص ١٧٩ - ١٨١، وانظر أيضا: حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥٨٣.

١٣- انظر ابن حيان: المقتبس حـ ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

١٤- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٤٨.

١٥- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥٨٥.

١٦- وجد مصطلح القرية فى الأندلس منذ وقت مبكر، واستخدم للدلالة على مجموعة من بيوت الفلاحين. انظر: ابن قوطية: المصدر السابق ص ٤٨. وانظر أيضا:

Imamuddin: Som. Asp. Of the soc. Eco. And cult. Hist. of. P. 79.

وأوضح أستاذى الدكتور محمود على مكى فى إحدى تعليقاته على الرسالة أن لفظ القرية alquira الإسبانى ليس مقابلا للقرية بمفهومها العربى وإن كان اللفظ مأخوذا من مقابلة العربى. إذ أنه يعنى البيت الريفى أو المزرعة الصغيرة التى تحيط بهذا البيت فهو من هنا يقابل لفظ "الضيعة" أو "العزبة" أما القرية بمفهومها اليوم فهى تقابل فى الإسبانية لفظ "aldea" والغريب أن هذا اللفظ هو مأخوذ من العربية "الضيعة".

١٧- المقرى – نقلا عن ابن سعيد: نفح طيب م١ ص٢٠٥.

١٨- يصنف علماء الاجتماع المحدثون هذا النمط من القرى إلى الصنفين: القرية عبر الطريق Cross-road Village والقرية الخطية. Line village . انظر: على فؤاد أحمد: المرجع السابق ص ٦٠-٦١.

١٩- الزهرى: المصدر السابق ص ٨٠.

٢٠- المقرى – نقلا عن ابن سعيد: نف الطيب م١ ص ٢٢٦. ووصف الإدريسى بعض الخدمات التى تقدمها إحدى القرى للمسافرين بقوله: "ويباع بها للمسافرين الخبز والسمك وجميع الفواكه، كل شيء منها فى إيانة" الإدريسى: المصدر السابق م ٢ ص ٥٦٦.

٢١- القشتالى: المصدر السابق ص ٢٠، على فؤاد أحمد: المرجع السابق ص ٦١.

٢٢- انظر: العذرى: المصدر السابق ص ١٢٤ -١٢٧.

٢٣- انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص ٥٣، العذرى: المصدر السابق ص ٨٦، الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص٣٣١.

٢٤- انظر ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص ص ٢٥ - ٢٩، ٢٣٢ - ٢٣٧، المقتبس ت. الحجى ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

٢٥- حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة، الكتاب رقم ٣٧، يناير ١٩٨١ ص ٣٤.

٢٦- الغسانى: المصدر السابق ص٢٠. ومن أمثلة المساجد التى بناها الأمير عبد الرحمن الثانى المسجد الجامع بيانه من أعمال قرطبة. انظر الحميرى: المصدر السابق ص ٥٩.

٢٧- انظر: مؤلف مجهول: كتاب فى ذكرى بلاد الأندلس ص ٧٢، ٧٥، العذرى: المصدر السابق ص ص ١٠- ١١، ٥٥، البكرى: المصدر السابق ص ١٢١ - ١٢٣، الحميرى: المصدر السابق ص ١٠٢ - ١٠٣.

٢٨- ابن سعيد: المغرب حـ ٢ ص ١٨٦.

٢٩- انظر: ابن سهل: وثائق فى شئون العمران. ص ٦٦ - ٦٧، الونشريسى: المصدر السابق حـ ٧ص ٤٨٢.

٣٠- ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام. ص ٧٣٤، الونشريسى: المصدر السابق حـ ٧ ص ص ١٥٣ - ١٥٤.

٣١- كان عامة الأندلسين يطلقون على الكنيسة لفظ "أكلاشيه" وهو مشتق من اللاتينية Ecclesia وصار يطلق عليها فى القشتالية Eclegia و Eglesia و Egrisa، أما الدير فكانوا يسمونه "منستير" وهو من اللاتينية Monasterium، وصار فى القشتالية Monastrio. انظر:

Simonet: Glos. De voc. Iper. Ylat. Usa. Ent. Los Moz. PP. 371-372

٣٢- انظر اختلاف المؤرخين حول عدد الأسقفيات والمطرانيات فى الأندلس. الحميرى: المصدر السابق ص ٥٦، ١٣٤ وانظر أيضا: حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٩٢،

Simonet: Hist. de los Moz. P. 122, E. Mitre: op. cit. p. 79.

٣٣- انظر: ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص ١٤٩، النويرى: المصدر السابق جـ ٢٣ ص ٣٩١، ابن خلدون: كتاب العبر، ق١، م ٤ ص ٢٨٦.

٣٤- استخدمنا مصطلح "شهداء قرطبة" رغم تحفظنا عليه لأنه المصطلح الذى شاع استخدامه فى الكتب التى تناولت الحركة بالدراسة.

٣٥- انظر عن حركة شهداء قرطبة

Simont: Hist. de Los Moz. PP. 357 – 501,:

Levi- Provemcel: Hist. de L'Esp. T. I. PP. 225 – 23

دوزى: المسلمون فى الأندلس، ترجمة حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، جـ ١ ص ٨٥ – ١٢٧، عبادة كحيلة: المرجع السابق ص ١٩٩ – ٢١١.

٣٦- والقديس أجلح هذا أحد الشهداء النصارى فى العصر الإسلامى، وكان النصارى يحتفلون بعيده فى الثامن عشر من نوفمبر من كل عام. انظر عريب بن سعد: المصدر السابق، ص ١٦٧ وانظر أيضا: عبادة كحيلة: المرجع السابق ص ٩٥،

Simont: Hist. de Los Moz. pp. 328 – 329,

٣٧- عريب بن سعد: المصدر السابق ص ١١١،

Simont: Hist. de Los Moz. p. 329.

٣٨- وكانت هذه الكنيسة مقرًا لإسبيرا – إن ديو Sepera-in-deo (الأمل فى الله) أول المحرضين على الاستشهاد فى أوائل القرن الثالث الهجرى، ويعُد الأب الروحى لشهداء قرطبة، والذى تتلمذ على يده كل من أيولوخيو وألبرو وهما من زعماء حركة الاستشهاد آنذاك. انظر: عريب بن سعد: المصور السابق ص ١٦٣، Simont: Hist. de Los Mozar. p. 331, دوزرى: المسلمون فى الأندلس جـ١ ص ص ٨٩-٩٠، عبادة كحلية: المرجع السابق ص ٩٦، ٢٠٢.

٣٩- وإلى هذا الدير ينتمى إيساك (اسحق) الراهب أحد شهداء حركة الاستشهاد وكان هذا الدير على حد قول دوزى: "بؤرة التعصب" حيث تخرج فيه الكثيرون من شهداء حركة الاستشهاد. انظر:

Simont: Hist. de Los Mozar. p. 335 , 391-394

دوزى: المسلمون. جـ١ ص ١٠٠ – ١٠١، عبادة كحلية: المرجع السابق ص ٢٠٣ – ٢٠٤. ومن الكنائس الكبرى فى الريف كنيسة "أبرونية" بالقرب من مدينة دروقة وكنيسة "الغراب" وهى كنيسة بجنت Sanctus vicenti على البحر المظلم قرب شلب. وفى جبل قرطبة كان يوجد العديد من الأديرة منها دير سان سالبادور San Salvador أو (Coenobium . sanctisalvatoris) المعروف "بتلة العسل" Penamelaria (Pinnamellariense) على بعد أربعة أميال من قرطبة، وكان يضم العديد من الرجال والنساء يفصل بينهم حائط ويرأسه عباد واحد (رئيس دير). انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص ٢٩، ٨١، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص ٥٤٤، أبو حامد الغرناطى: المصدر السابق صـ ٧٢، الحميرى: المصدر السابق صـ ٧٦، وانظر أيضا:

Simont: Hist. de Los Mozar. p. 334

وعن كنائس وأديرة قرطبة انظر: محمد عبد الوهاب خلاف: قرطبة الإسلامية . ص ٧٢- ٧٣

٤٠- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥٠١.

٤١- جيمس بيرك: عندما تغير العالم، عالم المعرفة، الكتاب رقم ١٨٥، مايو ١٩٩٤ ص ١٢١ – ١٢٢.

٤٢- انظر: ابن جلجل: المصدر السابق ص ١٠١.

٤٣- يصور ابن شهيد أحد مجالس الشرب واللهو فى أحد الأديرة بقوله:

ولرُبَّ حان قد أدرْتُ بِديَرْهِ — خَمْرِ الصِّبا مُزِجَتْ بصَفو خُمُورِه

فى فتيةٍ جَعَلُوا الزّقاق تَكاءَهُم — مُتَصاغِرين تخشُعا لكبيـــــــره.

للمزيد انظر ابن شهيد: المصدر السابق ص ١١٥ – ١١٦.

٤٤- انظر : ابن عبدون: المصدر السابق ص ٤٨.

٤٥- كما كانت الحال بقريتي عذره وبزليانه على الساحل الشرقي للأندلس. انظر: الإدريسي. المصدر السابق م٢، ص ٥٦٤- ٥٦٥، الحميرى : المصدر السابق ص ٤٤.

٤٦- انظر: الونشريسي: المصدر السابق جـ٨ ص ١٣٤. وقد وصف توريس بلباس الفنادق في الأندلس قياسا على الخانات التي كانت موجودة في المغرب فذكر أن الفندق كان يتألف من صحن مستطيل تحيط به أربعة أروقة تشتمل على حجرات يأوى إليها التجار والحيوانات والبضائع، وفي حالة وجود طابق ثان يخصص الأول للبضائع والإصطبلات، والثاني لإ يواء التجار. وكان على باب الفندق أو الخان خادم يسمى "فندقي" يختار عادة من كبار السن، ويتسم بالأمانة والوقار. وكان على باب الفندق يمد النازلين بالأغطية والحصر. وكان يخدم في تلك الفنادق – أحيانا – الأرامل من النساء حيث يقمن بطهي الطعام وتنظيف الفندق وخدمة النزلاء. توريس بلباس: الأبنية الإسبانية الإسلامية ص ص ١١٨ – ١١٩.

٤٧- ظل الفندق يعرف باسم Alfondiga أو Alhondiga ومنها اشتققت Fonda وتعنى اليوم بالإسبانية فندقا ريفيا انظر: السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص ٢٥١٥ – ٢١٦.

٤٨- الغساني: المصدر السابق ص ٣١

٤٩- إذ كن يدفعن – على ما يبدو- ضرائب للحكومة عن عملهن. انظر بن هشام اللخمي: المصدر السابق جـ٢ ص ٣٢٥، عبد العزيز الأهواني: ألفاظ، م٣ جـ١ ص ص ١٥٥ ١٦٦. وتشير بعض الأمثال العامية إلى هؤلاء النسوة وتلك التي كان يجرى فيها الاختلاط بين الرجال والنساء على نطاق واسع. انظر: الزجالي: المصدر السابق ق٢، م. رقم ١٧٧٠ ص ٣٣٤، ابن عاصم: المصدر

السابق، م . رقم ٢٤٤ ص ٣١٦. ويبدو أن هذه الفنادق كانت عرضة للتخريب والتدمير فى أوقات الفتن والأزمات السياسية فقد أحرق البربر فندقا لابن أبى أصبغ الوزير فى أرملاط على ثلاثين ميلا شمالى قرطبة أثناء الفتنة البربرية. انظر : ابن عذارى: المصدر السابق حـ ٣ ص ٨٨.

٥٠- ويبدو واضحا أن طواحين الهواء كانت موجودة فى هضبة الميسيتا، وأشار الحميرى إلى طواحين الهواء التى أقامها الرومان فى "طركونة"، إلا أن طواحين الماء كانت الأكثر انتشارا فى الأندلس. انظر: الإدريسى: المصدر السابق م ٢ ص ٥٥٩، القزوينى: آثار البلاد ص ٥٤٥، ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص ١٠٠، الحميرى المصدر السابق ص ١٢٦. وانظر أيضا:

Levi-provencal Hist. de L'Esp T. 111. pp. 273, Glick:Islam.and. chist. Sp.p. 230- 233, The Cambrdge Hist. of Islam. P. 518, Vallve: op. cit. p. 296

٥٠- انظر ابن العطار: المصدر السابق ص ٢٠١، ابن رشد: البيان والتحصيل حـ١٠ ص ص ٢٧٠ – ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٢، الونشريسى: المصدر السابق حـ٥ ص ٢٥٦، ص ٢٨٥

٥٢- وكان ضعف الإضاءة ليلا فى الأرحية عاملاً مساعدًا على هذه السرقة. انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص ٦٠، المسقطى: المصدر السابق ص ص ٢١ – ٢٦، ابن عاصم: المصدر السابق، أمثال أرقام: ٥٦٩، ٥٧٢،٦٨٨ ص ٣٤١، ٣٥٠.

٥٣- الإدريسى: المصدر السابق م ٢ ص ص ٥٦٤ – ٥٦٥.

٥٤- انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص ٧٥، البكرى: المصدر السابق ص ١٢٣، الحميرى: المصدر السابق ص ص ١٠٢ – ١٠٣، وانظر أيضا: توريس بلباس: الأبنية الإسبانية الإسلامية. ص ١٠٨، السيد عبد العزيز سالم: فى تارخ وحضارة الإسلام. ص ٤٣، ٢١٠. ويذكر البعض أن المسلمين

تأثروا فى إنشاء الحمامات بما كان موجودا من منشآت رومانية فى إسبانيا، كما حدث فى بلاد الشام. انظر: B.P. Maldonado : Op. cit. P. 299، ويمكن القول بأن المسلمين انطلقوا أساسا – فى بناء الحمامات – من مبدأ التطهر الذى يعد من مبادئ الشريعة الإسلامية، وليس تأثرا بالمنشآت الرومانية كما ذكر مالدونادو.

٥٥- الإدريسى: المصدر السابق م ٢ ص ٥٤١، المقرى: نفح الطيب م ١ ص ١٥٩.

٥٦- البكرى: المصدر السابق ص ١١٦، المقرى: نفخ الطيب م ١ ص ١٥٨.

٥٧- بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية ص ١١٥. وعن مكونات الحمام وكيفية عمله انظر: بلباس: الأبنية الإسبانية. ص ١٠٩، السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الإسلام. ص ٢١٢ - ١٢٣

٥٨- الطرطوشى: المصدر السابق ص ٤٢، بلباس: الأبنية الإسبانية ص ١٠٨.

٥٩- على سبيل المثال: كانت قرية "ربلس من لإقليم همدان من كورة إلبيرة" الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين. ص ٤٧.

٦٠- انظر: ابن حيان: المقتبس حـ ٥ ص ٤٨٩

٦١- انظر: عدد الحصون التى وردت فى المقتبس لابن حيان من خلال الفهارس التى وضعها المحققون ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٦٩٧، حـ ٥ ص ٥٦٢ – ٥٦٤، ت. الحجى ص ١٠٧. وقد كرر الإدريسى عبارة "وحصون كثيرة" عند ذكر لأقاليم الأندلس حسب تقسيمه. انظر الإدريسى: المصدر السابق م ٢ ص ٥٤٢، ٥٤٦، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٧١ ، ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٨٥، ٢٩٥، الحميرى: المصدر السابق ص ٢٢، ٣٧، ٥٦، ١٦٤

٦٢- انظر: ابن حيان: المقتبس حـ٥ ص ٢٢٣، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص ٥٤٢، ٥٤٦، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٧١، ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٨٥، ٢٩٥، الحميرى: المصدر السابق ص ٢٢، ٣٧، ٥٦، ١٦٤

٦٣- ابن حيان: المقتبس حـ ٥ ص ٢٢٣. أما حصن ببشتر بكورة ريه "إذا توصل المتوصل إلى أعلاه ألفاه سهلا، منفسحا ورحبا منبسطا، كثير الكروم والزيتون والرمان واللوز "ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٩٥. وعن الحصون الزراعية أيضا: انظر الإدريسي: المصدر السابق م٢ ص ٥٤٢، ٥٦٨.

٦٤- انظر: الإدريسي: نفس المصدر م٢ ص ٥٥٧، الحميرى: المصدر السابق ص ١٦، ١٨٥.

٦٥- من الحصون التى تنسب للعرب حصن مراد الذى ينسب إلى قبيلة مراد العربية، وحصن غافق الذى ينسب إلى قبيلة غافق العربية أيضا، ومن حصون البربر حصنا وبذة Hute ومدلين Medelin والأول يتبع أقليش من كورة شنتبرية والثانى فى غرب الأندلس، ومن حصون المولدين والنصارى، حصون كورة رية. انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب حـ١ ص ص ٤٤٩- ٥٠٠، ياقوت: المصدر السابق حـ ٤ ص ٢٠٨، ابن سعيد: المغرب حـ ١ ص ٢٣٢.

٦٦- انظر: ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ٧٥ - ٧٦، ت. مكى ص ١٣٢، حـ ٥ ص ٢١١، وكانت حكومة الناصر تملك طائفة من العمال المهرة - فى بناء مثل هذه الحصون - فى مختلف تخصصات البناء بكامل أدواتهم وآلاتهم، يشرف عليهم طائفة من المهندسين. انظر: ابن حيان: المقتبس حـ ٥ ص ٣٨٨.

٦٧- ابن عذارى - نقلا عن ابن حيان - : المصدر السابق حـ٣ ص ٧. وحصن "مقصر" يرجح أنه كان من أعمال برشلونة Barcelona . انظر ابن دراج: المصدر السابق، حاشية ١ ص ٤٥٠.

٦٨- ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٨٩.

٦٩- الإدريسى: المصدر السابق م ٢ ص ٥٥٥، الحميرى: المصدر السابق ص ٣٧.

٧٠- ياقوت: المصدر السابق حـ٤ ص ٥١٥.

٧١- انظر: العذرى: المصدر السابق ص ص ٥٥ - ٥٦، الإدريسى: المصدر السابق م ٢ ص ٥٣٧، ٥٥٧، ٥٦٠، ٥٦٩، ٥٧١.

٧٢- ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص ١٢٤.

٧٣- ابن حيان: المقتبس جـ ٥ ص ٢١١.

٧٤- ابن حيان : نفس المصدر جـ ٥ ص ١٦٨، ١٧٢، الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص ٥٧٠.

٧٥- مثل قلعة أيوب، وقلعة بحصب أو قلعة بنى سعيد، وقلعة خولان، وقلعة رباح. انظر: الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص ٥٥٤، المقرى: نفح الطيب م١ ص ص ٢٩٥ - ٢٩٧، م٢ ص ٣٣٠.

٧٦- انظر: الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص ٥٥٣- ٥٥٤، الحميرى: المصدر السابق ص ١٦٣.

٧٧- يعنى البرج فى لهجة شمال المغرب - تطوان وما حولها - "الحصن". انظر: عبد المنعم سيد عبد العال: معجم شمال المغرب - تطوان وما حولها، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٨ ص ٢٦.

٧٨- المقرى: نفح الطيب م١ ص ٢٢٦.

٧٩- الحميرى: المصدر السابق ص ١٦٨. وكانت الأبراج أكثر انتشارا فى الريف من الحصون حتى أنها بلغت فى بعض المناطق ضعف عدد الحصون، فقد احتوت أقاليم قرطبة حسب بيان صاحب "وصف جديد لقرطبة" على ٢٩٤ برجا فى مقابل ١٤٨ حصنا. انظر مؤلف مجهول: وصف جديد لقرطبة. ص ١٨٠ - ١٨١. وكانت هناك بعض المواضع فى الريف اقترنت أسماؤها بلفظ "برج" مثل "برج أسامة"، "برج القبذان" و"برج هلال". انظر: مؤلف مجهول:أخبار مجموعة ص ٩٧، ابن حيان: المقتبس جـ ٥ ص ٣٥٨، ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص ١٣٠.

٨٠- عبد الواحد زنون طه: المرجع السابق ص ٢٠٦.

٨١- وتتزايد الأسماء المشتقة من لفظ "البرج" فى إسبانيا كلما اتجهنا جنوبا. وكان هناك نوعان من الأبراج يتشابهان فى وظيفتهما بالنسبة للعرب هما : الطليعة والمنارة: انظر

Glick: Islam. And Christ. Sp. PP. 61-62.

٨٢- ذكر الإدريسى فى وصفه لطريق بين المرية ومالقة: "وعليه برج مبنى بالحجارة مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور العدو فى البحر ستة أميال" الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص ٥٦٣.

٨٣- أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ب. ت.. ص ٣٠١.

٨٤- الربط جمع رباط، وهى دار يسكنها أهل طريق الله والمجاهدون. انظر: المقريزى: المصدر السابق حـ٣ ص ٤٢٢.

٨٥- ويرى Glik أن الربط كنظام عسكرى ظهر فى الأندلس مع دخول المرابطين ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م. .Glik Islam. Amd Christ.sp. P. 62 ولكن المصادر تثبت العكس أن الربط كانت موجودة قبل دخول المرابطين، واستخدم فى الأغراض الدفاعية، فقد ذكر عبد الملك بن حبيب عن رابطة روطة Ruda بالقرب من سرقسطة أن طمن أصبح فيها مرابطا صائما غُفرت له ذنوب سبعين سنة". انظر: المؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص ٨٥. كما ذكرت المصادر العديد من العلماء الذين التزموا الرباط بغرض الجهاد قبل الفتح المرابطى. انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٣٨٤، ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ١ ص ٢٧، ٢١٧، ٢٦١.

٨٦- انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص ٣٠.

٨٧- وربما يقترب مصطلح "الجنة" التى يراد بها المزرعة Huerta من الضيعة الصغيرة لأن كل منهما عبارة عن مساحة محدودة من الأرض يعمرها بنفسه. انظر: الخشنى: أخبار الفقهاء. ص ٢٦١، قضاة قرطبة ص ١١٢، ابن بشكوال:

المصدر السابق جـ١ ص ٣٣- ٣٤، ٥٩ – ٦١. وانظر أيضا: حسين مؤنس تاريخ الجغرافيا فى الأندلس، ص ٥٦٠.

٨٨- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٥٧- ٥٨.

٨٩- والمنية تعنى أيضا الضاحية الريفية. انظر: محمود على مكى: مدريد العربية، دار الكتاب العربى، ب. ت ص ١٣٥ ص ١٣٦.

٩٠- المقدسى: المصدر السابق ص ٢٣٣

٩١- فى المزرعة المنفردة Single Farmasted ، يبنى المالك منزله على أرض مزرعته، ويحيط بالمنزل عادة بعض المنشآت الأخرى كالمخازن والحظائر، وعدد قليل من بيوت العمال المساعدين . انظر: على فؤاد أحمد: المرجع السابق ص ٥٨.

٩٢- مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة الأندلسية ص ١٠٠- ١٠٢. وهناك مصطلحات أخرى قد تتشابه مع الضياع والمنيات بدرجة أو بأخرى مثل مصطلح "المنزل" و "الدار" و "البلاط" وكلها كانت تحتوى على أراضى زراعية، يقيم فيها العديد من السكان يمارسون أنشطة مختلفة. انظر: المقدسى: المصدر السابق ص ٢٣٣، ابن حزم: جمهرة أنساب. ص ٦٦، ٤٤٣، ٤٩٨، ابن رشد: البيات والتحصيل جـ ١١ ص ٢٠٥.

٩٣- انظر: ابن حوقل: المصدر السابق ص ١٠٦، ابن قوطية: المصدر السابق ص ٥٧ – ٥٨، ابن جلجل: المصدر السابق ص٩٣، ابن حيان : المقتبس ت. الحجى ص ٣٠٤.

٩٤- Levi-provencal: Hist. de L'Esp. Mus. T. 111. P. 260.

وقد فصل الرازى (ت ٣٣٤هـ/ ٩٥٥م) القول عن السلاسل الجبلية الكبرى البرانس (جبال المعدن) وجبال الثلج Sierranevada انظر: La" Descr." De Esp d'A.Al-Razi. PP. 100-101. وللمزيد عن جبال الأندلس انظر: مؤلف

مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص ٢، البكرى: المصدر السابق ص ٨٤ – ٨٥، ابن غالب: المصدر السابق ص ٣٠٧.س

٩٥- عريب بن سعد: المصدر السابق ص ١٤٥.

٩٦- ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٩٥ – ٢٩٦.

٩٧- الزهرى: المصدر السابق ص ٨٠. ٩٦، ٩٦، ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٩١ – ٢٩٢، القزوينى: آثار البلاد. ص ٥٤١ – ٥٤٥، الحميرى: المصدر السابق ص ١٠١ – ١٠٢، ١٠٥–١٠٦.

٩٨- انظر: الإصطخرى: المصدر السابق ص ٣٥-٣٦، البكرى: المصدر السابق ص ٨٤ – ٨٥، الزهرى: لجودتها وتوفر مقومات زراعتها. انظر الحميرى: المصدر السابق ص ٧١.

٩٩- انظر: ابن حيان: المقتبس حـ٥ ص ٥٣، ١٧٩.

١٠٠- انظر : ابن حيان: نفس المصدر والجزء ص ٣٥٦.

١٠١- المصدر السابق حـ٤ ص ٢٦٨.

١٠٢- الإدريسى: المصدر السابق م٢ ص ٥٥٩، الحميرى: المصدر السابق ص ١٥١.

١٠٣- الحميرى: نفس المصدر ص ٢٤.

١٠٤- الإصطخرى: المصدر السابق ص ٣٦. وكان بالأندلس فحوص عديدة وردت فى كثير من المصادر منسوبة إلى أشخاص أو قبائل سكنتها: انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب. ص ٩٨، ٤٣٤، ٤٩٩، ابن حيان: المقتبس حـ٥ ص ١٤٨، ٣٦٢، ٤٥٠، المقتبس ت. الحجى ص ٢١، ١٨٩، ١٩٦، ٢٢٨.

١٠٥- انظر: ياقوت: المصدر السابق حـ١ ص ٥٢٩ – ٥٣٠، ٥٦٨، حـ٢ ص ١٣٧، حـ٣ ص ٤٥١، حـ٤ ص ٢٠٨.

١٠٦- الإصطخرى: المصدر السابق حـ١. وكانت بعض الفحوص تمثل وحدات إدارية أصغر من ذلك فبعضها كانت عبارة عن أقاليم تابعة للمدن أو الكور مثل

"إقليم الفحص" وكان أحد أقاليم مدينة طلبيرة و "لإقليم الفحص" من أقاليم كورة إشبيلية. انظر: العذرى: المصدر السابق ص ١٠٩، البكرى: المصدر السابق ص ١١٥، ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٨٩.

١٠٧- ابن الفقيه: المصدر السابق ص ٨٧.

١٠٨- المصدر السابق حـ٢ ص ١٥٤.

١٠٩- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥٨٧.

١١٠- انظر: العذرى: المصدر السابق ص٢٠، ٩٠، ٩٢-٩٣ ، ١٢٠

١١١- العذرى نفس المصدر ص ٢٠، ٩٠، ١٢٠، ياقوت: المصدر السابق حـ٣ ص ٢٦

١١٢- يقول الأندلسيون للمنزل المنفرد جشر، ومجشر. وإنما الجشر: القوم يبيتون مكانهم ولا يرجعون إلى أهلهم، ويقال مال جشر، إذا رعى فى مكانه، ولم يرجع إلى أهله، وجشرنا دوابنا، إذا أخرجناها إلى المرعى. انظر: الزبيدى: لحن العامة. ص ٢٥٧، ابن حزم: المحلى، حـ٥ ص٢، ابن منظور: لسان العرب، ت. عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، م٤ ص١٣٧. ويذكر دوزى أن المجاشر تعنى أراضى الرعى، وتعنى كذلك حيوانات الرعى، ويقول أنها تكتب أحيانا: المداشر والدشار، ويفهم من كلامه أنها كانت عامرة ومأهولة.

Dozy: Suppl . oux diction. Arab. T.I.PP. 195-196.

١١٣- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٥٩.

١١٤- الغسانى: المصدر السابق ص ١١٢.

١١٥- الغسانى: نفس المصدر ص ١١٦.

١١٦- الغسانى: نفسه ص ١١٢ - ١١٢.

١١٧- نفسه ص ١١٣.

١١٨- L'evi- Provencal: Hist. del'Esp. Mus. T. 111. PP. 202-203.

١١٩- الغسانى : المصدر السابق ص ١١٤.

١٢٠- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٦٢٨.

١٢١- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٣٨.

١٢٢- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص ٢٣.

١٢٣- مؤلف مجهول: نفس المصدر ص ٢٤، ابن عذارى: المصدر السابق حـ٢ ص ٢٦.

١٢٤- البلديون هم الجند المسلمين الداخليين برفقة جيوش الفتح مع طارق وموسى.

١٢٥- ابن قوطية" المصدر السابق ص ٤٤.

١٢٦- ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص١٠٣. "والطعمة هى أن تدفع الضيعة إلى رجل ليعمرها ويؤدى عشرها، وتكون له مدة حياته، فإذا مات ارتجعت من ورثته". الخوارزمى : المصدر السابق، ص ٤٠. ولكن يبدو أن إقطاعات الجند الشامى كانت إقطاعات تمليك كما سيتضح فيما بعد.

١٢٧- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٢٢١.

١٢٨- ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص ١٠٤.

١٢٩- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٤٤.

١٣٠- ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص ١٠٤.

١٣١- كتاب الأموال، ت. رضا محمد سالم، الرباط، مركز أحياء التراث المغربى، ط١ ١٩٩٨ ص ٧٠.

١٣٢- رسائل بن حزم، حـ٣ ص ١٧٥.

١٣٣- الزهرى: المصدر السابق ص ١٠١.

١٣٤- ابن الأثير: المصدر السابق م٥ ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

١٣٥- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٣١، ٥٧-٥٨.

١٣٦-الخشنى: قضاة قرطبة ص ٢٨. وذكر الخشنى أيضا أمثلة لبعض الاغتصابات الفردية لأراضى فى عهد الأمير عبد الرحمن الداخل . انظر ص ٦٥ - ٦٦.

١٣٧- الخشنى: نفس المصدر ص ٦٨.

١٣٨- الخشنى: قضاة قرطبة ص ١٤٧- ١٤٨.

١٣٩- ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ١٤٨ - ١٤٩.

١٤٠- الخشنى: قضاة قرطبة ص ١٨٤.

١٤١- الخشنى: نفس المصدر ص ١٤٧

١٤٢- ابن القوطية: المصدر السابق ص ١٠٢، ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ٢٧ - ٢٨، ٤٧ المقتبس ت. مكى ص ٣٤٥.

١٤٣- ابن حيان: نفس المصدر ص ٣٦٣.

١٤٤- انظر: ابن رشد: البيان والتحصيل حـ١١ ص ٢٥٢ - ٢٥٥، الونشريسى: المصدر السابق حـ ٩ ص ١٦٨.

١٤٥- انظر: ابن حيان: المقتبس حـ٥ ص ٥٤، ٥٨، ٦٠ -٦٢، ٢٤٨ - ٢٤٩. وتمتع الناصر بحرية التصرف فى هذه الأراضى، وكذا خلفاؤه من بعده، فكانوا يقطعونها لمن شاءوا من المقربين والوافدين عليهم.

١٤٦- انظر: ابن حزم: رسائل ابن حزم حـ٣ ص ١٧٥ - ١٧٦، العذرى: المصدر السابق ص ١٦، ابن بسام: المصدر السابق ق٣ ص ١٩-٢٠.

١٤٧- ابن الأثير: المصدر السابق م٩ ص ٢٧٥، ابن عذارى: المصدر السابق حـ٣ ص ١٠٢، مؤلف مجهول نبذة تاريخية فى أخبار البربر ص ٤٣ -٤٥، ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص ١١٧، ١١٩.

١٤٨- مؤلف مجهول: نبذة تاريخية فى أخبار البربر ص ٤٤.

١٤٩- ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص ٤٤٥.

١٥٠- وكان الصميل يمتلك ضيعة كبيرة مشهورة عرفت" بعقدة الزيتون" كانت تقع فى إقليم المدور من قرطبة، وكانت تحتوى على ما يقرب من مائة ألف شجرة. انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص ٦٠ وانظر أيضا: حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٦٣٢.

١٥١- ولنا أن نتصور مقدار تلك الأراضى المصادرة إذا علمنا أن طائفة من هؤلاء الذين أجلاهم عن الأندلس، ونزلوا الإسكندرية بلغ تعدادهم خمسة عشر ألفا، وذلك بخلاف من منزل منهم بساحل المغرب، ومن قتل أثناء الثورة. انظر ابن القوطية: المصدر السابق ص ٦٩.

١٥٢- الخشنى: قضاة قرطبة ص ٩٠- ٩١.

١٥٣- ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ١٣.

١٥٤- ابن عذارى: المصدر السابق حـ٢ ص ١١٥ - ١١٦.

١٥٥- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص ١٥١.

١٥٦- ابن خاقان: المصدر السابق ص ١٥٦، ابن عذارى: المصدر السابق حـ٢ ص ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٦٩.

١٥٧- لا يبعد أن يكون المنصور بن أبى عامر قد وضع يده على كثير من الأراضى فى الريف بعد أن ألغى نظام الإقطاع العسكرى الذى كان معمولا به منذ الفتح. انظر: الطرطوشى: سراج الملوك، مطبعة بولاق ١٢٨٩هـ ص١٢٣.

١٥٨- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص ٨١، ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ٥٩ -٦٠.

١٥٩- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص ١٢٠، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٢٣٤، المقتبس ت. العربى ص ٥٩، ابن الآبار: الحلة. حـ١ ص ٤٣.

١٦٠- المقرى :أزهار الرياض حـ٢ ص ٢٦٣ - ٢٦٤، نفح الطيب م١ ص ٣٥٩ - ٣٦٠. وتقرب الفتى الكبير درى الأصغر الخازن الصقلبى فى سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م إلى مولاه الحكم المستنصر بإهدائه منيته المعروفة "بالمنية الرمانية" ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ١٠٦ - ١٠٧.

١٦١- ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ١٩٤ - ١٩٥.

١٦٢- ابن حيان: المقتبس حـ٥ ص ١٥.

١٦٣- انظر أصناف أرض الصوافى كما حددها أبو يوسف فيما يتصل بسواد العراق، وانظر أيضا ما ذكره ابن سلام من أصناف أرض الصوافى، ويمكن إضافة - بالنسبة للأندلس - أملاك الملوك وأهل بيتهم، وأملاك الكنائس، إلى هذه الأصناف، ويمكن تصور مدى إتساع هذه الأراضى إذا صدقناما ذكره ابن عبد الحكم من أن لذريق كان "يملك ألفى ميل من الساحل إلى ما وراء ذلك "وحكم أرض الصوافى من الناحية الفقهية أنها للإمام يقطعها لمن يشاء على أن يدفع عنها العشر. انظر: أبو يوسف: المصدر السابق ص ٥٧ - ٥٨، ٦٣، ابن سلام: المصدر السابق ص ٢٨١، ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص ٢٠٨، وانظر أيضا: حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٦٢٨.

١٦٤- L'evi-provencal: Hist.de L'Esp.Mus. T. 111.p. 207.

١٦٥- انظر: الغسانى: المصدر السابق ص ١١٢- ١١٤.

١٦٦- إبراهيم القادرى بوتشيش: المرجع السابق ص ٨٦ - ٨٧.

١٦٧- الحميرى: المصدر السابق ص ٣٧.

١٦٨- انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٣٤١ - ٣٤٢، المقتبس ت. العربى، ص ٣٧، ٣٩، وانظر أيضا: إبراهيم القادرى بوتشيش: المرجع السابق ص ٨٧.

١٦٩- ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ٣٨.

١٧٠- ابن حزم: رسائل ابن حزم حـ٢ ص ١٩٣.

١٧١- ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ٤٠.

١٧٢- انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص ١٢٤، ابن حيان: المقتبس حـ٥ ص ٢٠٣، ٢٧١ - ٢٧٢ن ٣٩١، ٤٠١ -٤٠٧، ٤٩٠.

١٧٣- ابن الطية: المصدر السابق ص ٤٤، ابن الآبار: المحلة. حـ١ ص ٦١.

١٧٤- ابن عذارى: المد السابق حـ ص ٣٣.

١٧٥- انظر: إبراهيم القادرى بوتشيش: المرجع السابق ص ٨٩.

١٧٦- الحميرى: المصدر السابق ص ٣٦. ويبدو أن بقية إقطاعات جند مصر فى تدمير وبلنسية قد بقيت على حالها، يدل على ذلك بقاء ذكرهم ضمن أجناد الأندلس فى عهد الحكم المستنصر.انظر: ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ٢٠١.

١٧٧- انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٣٩٣، المقتبس ت. العربى ص ٢٧- ٢٨، ٧٨-٧٩، ٨٣-٨٤، ٨٩-١٠٧، ١٤٦.

١٧٨- ابن حيان: المقتبس حـ٥ ص ٥٨، ٨٥، ٢٥٣-٢٥٤، المقتبس ت. الحجى ص ٢٠١.

١٧٩- ابن زيرى: المصدر السابق ص ١٦- ١٧، الطرطوشى: سراج الملوك ص ١٢٣.

١٨٠- انظر ما ذكرناه عن تدعيم الحكومة للحصون الثغرية. ويبدو أن عبد الملك المظفر بن المنصور قد اقتدى فى ذلك بوالده المنصور بن أبى عامر الذى ورد عنه قوله: "لما ضحت بلاد الروم ومافاتهم عمرتها بالأقوات من كل مكان وسجنتها بها حتى عادت فى غاية الأمكان ووصلتها ببلاد المسلمين وحصنتها غاية التحصين فاتصلت العمارة" . ابن الكردبوس: المصدر السابق ص ٦٤.

١٨١- انظر: الخشنى: قضاة قرطبة ص ١٨٤، ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ١٠٦-١٠٧، وانظر أيضا: أحمد مختار العبادى: الصقالبة فى أسبانيا. فصلة من مجلة العهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٥٣، ص ١١.

١٨٢- ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ١٨٩-١٩٤ ، وانظر أيضا:
E. G. Gomez: Al-Hakam 11 y los Insereberes. PP. 212-219.

١٨٣- انظر: ابن زيرب: المصدر السابق ت. الحجى ص ١٦-١٧، المقرى: نفح الطيب م١ ص ٢٩٣، ٣٩٧، ٤٠٥- ٤٠٦، ٤١٧.

١٨٤- ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص ١١٩.

١٨٥- ابن الآبار: الحلة. حـ١ ص ٢٤٦.

١٨٦- انظر: ما كتبه الدكتور مكى عن تاريخ هذا البيت ودوره فى تاريخ الأندلس، والمصادر التى أشار إليها، وذلك فى التعليق رقم ٩٧ من تعليقاته على المقتبس لابن حيان ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

١٨٧- L'evi- provencal: la "descrp." de l'Esp d'A.Al-Razi. P.77.

١٨٨- وهو غير الوزير الأديب الشاعر أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (٣٨٢- ٤٢٦هـ/٩٩٢- ١٠٣٤م) انظر: ابن خاقان: المصدر السابق ص ١٦٦-١٦٩، ١٨٩-٢٠١، ابن بسام: المصدر السابق ق١، م١ ص ١٩١ وما يليها.

١٨٩- انظر: المقرى: أزهار الرياض حـ٢ ص ٢٦١ وما يليها، نفح الطيب، م١ ص ٣٥٩-٣٦٠. وعن بيت بنى شهيد ودرورهم فى تاريخ الأندلس انظر: التعليق رقم ٨٦ من تعليقات الدكتور مكى على المقتبس لابن حيان ص ٤٤٧- ٤٤٨. ويوحى ثراء بعض الموظفين الواسع، أنهم امتلكوا العديد من الأراضى فى الريف، فقد بلغ أحمد بن عبد الرحمن المعروف بدحيم الخازن شأنًا كبيرًا فى الغنى والثراء لدرجة أنه استضاف المنصور بن أبى عامر وجميع عسكره فى بلنسية أياما "وصنع له فيما صنع حماما كان ماء الحمام من ماء الورد الطيب الغاية، وأهدى له قناطر من الفضة الخالصة". العذرى: المصدر السابق ص ١٥.

١٩٠- من أمثلة هذه البيوت بيت: بنى ثعلبة بن عبيد الجذامى، وبنى السليم بن أبى عكرمة، وبنى بسيل، وبنى مغيث، وبنى رستم، وبنى بخت، وبنى قسى وغيرهم.انظر من هذه البيوتات ودورها فى تاريخ الأندلس تعليقات الدكتور مكى على المقتبس ص ٤٠٣ وما يليها.

١٩١- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، الترجمة رقم ٤٥٤ ص ٢٧٧

١٩٢- ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٢٤٥.

١٩٣- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ٣٧١

١٩٤- ابن حيان: المقتبس حـ٥ ص ٤٧٩-٤٨٠

١٩٥- ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص ١٥٠-١٥٣.

١٩٦- الخشنى: قضاة قرطبة ص ٦٩، ١٣٦.

١٩٧- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ٢٦١.

١٩٨- المقرى: نفح الطيب م٣ ص ٧٣-٧٤.

١٩٩- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١ ص ٣٦١.

٢٠٠- المقرى: نفح الطيب م٣ ص ٣١٤.

٢٠١- Vallve: op.cit.p .289

٢٠٢- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٣٠.

٢٠٣- الغسانى: المصدر السابق ص ١١٢. وانظر أيضا: Levi-provnecal.: Hist. de L'Esp.mus. T.III. PP. 201-202, دوزى: المسلمون حـ١ ص ٤٧، حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٦٢٥.

٢٠٤- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص ١٢-١٣، الزهرى: المصدر السابق ص ١٠١.

٢٠٥- مثل قرية فنيانة بالقرب من وادى آش "وقرية بنتيج بالقرب من وبذة. الحميرى: المصدر السابق ص ١٤٣-١٤٤، ١٩٤.

٢٠٦- ابن سهل: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة ص ٥٦-٦٠، ٦٥-٦٩، ٨٠-٨١، الإدريسى :المصدر السابق م٢ ص ٥٤٤، ابن رشد: البيان والتحصيل حـ١٢ ص ٨٠، حـ١٣ ص ٢٣٤، ٣٢٦-٣٢٧، الونشريسى: المصدر السابق حـ٧ ص ٥٩، ٤٣٨-٤٣٩. وكانت هناك فئات أخرى من الملاك مثل: بعض الأشراف ووجوه بنى أمية الوافدين على الأمراء والخلفاء، وبعض المقربيين من الأحظياء والندماء والمغنين مثل زرياب وغيره. انظر : مؤلف مجهول : أخبار

مجموعة ص ١٣٩، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ١٣، ٩٦-٩٧، حـ٥ ص ٤٠، المقرى: نفح الطيب م٣ ص ١٢٥.

٢٠٧- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٦٣٥-٦٣٧.

٢٠٨- مثل قرية البحريين بشرقى إشبيلية التى تنسب إلى بنى بحر وهم فخذ من لحم، وإقليم ربع اليمن وإقليم قنب قيس بإلبيرة، وغيرها. انظر: ابن حزم: جمهره أنساب العرب، ص ٣٦٤- ٣٦٥، العذرى: المصدر السابق ص ٩٠.

٢٠٩- انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص ٥٧- ٦٠، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ١٩٤- ١٩٥، ٢٣٦-٢٣٧، حـ٥ ص ١٤-١٥، المقتبس ت. الحجى ص ١٠٦-١٠٧، المى: أزهار الرياض حـ٢ ص ص ٢٦٣-٢٦٤، المقرى: نفح الطيب م١ ص ٣٥٩-٣٦٠.

٢١٠- انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص ٥٨. وانظر أيضا

L'evi-provencal: Hist.de l'Esp.Mus. T.III P. 268the Cambr. Hist. of isl.V.2.p.519.

٢١١- ابن العطار: المصدر السابق ص ٥٨، ٦٦-٦٩.

٢١٢- هو عيسى بن دينار الغافقى الطليطى، من أئمة الفقه والإفتاء فى الأندلس توفى سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م. انظر عنه: ابن الفرضى: المصدر السابق حـ٢، الترجمة رقم ٩٧٣ ص٥٥٦، الحميدى: المصدر السابق، ق٢، الترجمة رقم٦٧٨ ص ٤٧٢.

٢١٣- وكان عيسى بن دينار يختلف فى ذلك عن الإمام مالك- رغم اعتناقه للمذهب المالكى- الذى كان لا يجوز ذلك لأنه غرر ومجهول، وكان يرى اقتسام العمل الزراعى بين الطرفين، وكان يحيى بن الليثى يلزم المزارع بجميع العمل إذا اشترط ذلك قبل الشروع فى المزارعة، وإذا لم يشترط فليس عليه إلا الحرث فقط. انظر الونشريسى: المصدر السابق حـ٨ ص١٥٤، ١٦١، ١٧٧.

٢١٤- انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص ٦٠ وما يليها، ابن رشد: البيان والتحصيل حـــ١٥ ص ٣٨٤- ٣٨٦.

٢١٥- انظر اختلاف الفقهاء حول كراء الأرض، وآرائهم فى ذلك. الطغنرى: المصدر السابق: ص١٠، الإمام مالك: الموطأ. تصحيح محمد فؤاد عبد الباقى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ب. ت حـــ٢، ص ٧١١-٧١٢، أبو يوسف: المصدر السابق ص ٨٨-٩١.

٢١٦- المنكب بلدة ومرسى على ساحل الأندلس الشرقى من أعمال إلبيره بينها وبين غرناطة – ٢٣كم. انظر: ياقوت: المصدر السابق حـــ٥ ص ٢٥٠، ابن الآبار: المحلة، حـــ٢، حاشية ١ ص ٢١٥.

٢١٧- انظر فتوى ابن لبابة (ت ٣١٤هـــ/ ٩٢٦م) فى نازلة تتعلق بهذا الموضوع. الونشريسى: المصدر السابق حـــ١٠ ص ٢٩٨-٢٩٩.

٢١٨- والمغارسة الصحيحة فى رأى الفقهاء هى المغارسة إلى حد "الإطعام" أى إلى ظهور الثمرة للمزيد انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص ٧٧-٨١.

٢١٩- ابن العطار: نفس المصدر ص ٧٣-٧٦.

٢٢٠- انظر: الإمام مالك: المصدر السابق حـــ٢ ص ٧٠٤، ٧٠٦.

٢٢١- انظر ابن العطار: المصدر السابق ص ٨٣- ٨٦.

٢٢٢- ويقدر البعض مقدار الخراج الذى كان يدفعه الفلاحون بالثلث أو الربع أو النصف، ومنهم من يقدره بالخمس أو أربعة أخماس المحصول، طبقا للعوامل التى ذكرناها . انظر: الماوردى: الأحكام السلطانية ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٥ ص ص ١٨٨-١٩٠، ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص١٠٣، الغسانى: المصدر السابق ص ١١٢، ١١٦، دوزى: المسلمون. حـــ١ ص ٤٧- ٤٨ Levi-provncal: Hist. del'Esp .Mus. T. lll. P. 206 Glick: Isl. And chris. PP. 83-84.

٢٢٣- كان النصاب الشرعى لزكاة الزروع فى الأندلس خمسة أوسق، والوسق ستون صاعًا، والصاع أربعة أمداد، والمد رطل وثلث، الوسق يساوى خمسة أقفزة أندلسية، والقفيز اثنا عشر صاعا. وأن اختلفت التقديرات فى بعض الأحيان. انظر: ابن رشد: المقدمات المُمهدات حـــ١ ص ٢٨٣- ٢٨٤.

٢٢٤- الإمام مالك: المصدر السابق: حـــ١ ص ٢٧٠، أبو يوسف: المصدر السابق ص ٥١-٥٢.

٢٢٥- ابن سعيد: المغرب حـــ١ ص ٤٣ .

٢٢٦- ابن حيان : المقتبس ت. مكى ص ١٧٣.

٢٢٧- العذرى: المصدر السباق ص ١٢٤-١٢٧.

٢٢٨- كانت الجزية تؤخذ من أهل الذمة تطبيقًا للأمر القرآنى الوارد فى سورة التوبة أية ٩٢ فى مقابل أن توفر لهم الحكومة الإسلامية الحماية والأمن والحرية، وتعفيهم من الخدمة العسكرية، انظر: الإمام مالك: المصدر السابق جـــ١ ص ٢٨٠، محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظام المالية للدولة الإسلامية، القاهرة، دار الأنصار، ط٤، ١٩٧٧ ص ١٢١.

٢٢٩- رأى أبو حنيفة أن على الأغنياء ثمانية وأربعين درهمًا، وأوسط أهل الذمة أربعة وعشرين درهمًا، والفقراء اثنا عشر درهمًا، وقدر بذلك حدها الأدنى والأقصى، ومنع من اجتهاد الولاة فيها، لبينما أجاز الإمام مالك اجتهاد الولاة، وذهب الشافعى إلى أن حدها الأدنى دينار، وليس لها حد أقصى لأن ذلك موكول إلى اجتهاد الولاة. انظر: الماوردى: المصدر السابق ص ١٨٤، الطرطوشى: سراج الملوك ص١٣٨.

٢٣٠- الإمام مالك: المصدر السابق ، جـــ١ ص ٢٧٩.

٢٣١- يتضح ذلك إذا نظرنا إلى أن قفيز القمح كان يبلغ سعره أحيانًا فى أوقات المجاعة ما بين ثلاثة دنانير، واثنى عشر دينارًا. انظر: ابن حيان: المقتبس جـــ٥ ص ١٠٩، ١٢٤.

٢٣٢- انظر: الإمام مالك: المصدر السابق جـ١ ص ٢٨٠، بأبو يوسف: المصدر السابق ص ١٢٢-١٢٣، الماوردى: المصدر السابق ص ١٨٣، ابن رشد (الحفيد): بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ت. عبد الحليم محمد عبد الحليم ، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٩٨٣، ج١ ص ٤٦٩-٤٧٠.

٢٣٣- يصنف بعض الفقهاء الجزية إلى ثلاثة أصناف: الجزية العنوية، وهى جزية أهل الحرب، ثم الجزية الصلحية، ويتبرع بها أهل الذمة ليكف عنهم المسلمون، وليس فيها توقيت ولا تحديد لمن تجب عليهم، وإنما يرجع ذلك إلى اتفاق بين المسلمين وأهل الصلح، وأخيرًا الجزية العشرية، حيث رأى بعض الفقهاء ومنهم الشافعى وأبو حنيفة وأحمد والثورى، مضاعفة (الصدقة) على أهل الذمة كما فعل عمر رضى الله عنه مع نصارى تغلب. انظر: ابن رشد (الحفيد): نفس المصدر جـ١ ص ٤٧١.

٢٣٤- انظر نص هذه المعاهدة عند كل من: العذرى: المصدر السابق ص٤-٥، الضبى: بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس، ت إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتب اللبنانى، ط١ ١٩٨٩، جـ١ ص ٣٤٠-٣٤١، الحميرى: المصدر السابق ص ٦٢-٦٣. وسوف نورد ملحقًا لنص كتاب الصلح فى ملاحق الرسالة.

٢٣٥- وقد أورد الذهبى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) كتاب أمان نسبة إلى عبد الرحمن الداخل، عقده مع "أهل قشتالة وأعمالها" سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م ولمن يبدو أن هذا الكتاب ظاهر الوضع، لأنه لم يرد عند أى من الكُتاب الأندلسيين، هذا فضلاً عن أن الذهبى كاتب شرقى متأخر، كذلك لم يستطع المؤرخون تحديد مكان "قشتالة" المذكورة، هذا بالإضافة إلى أن شروطها غير منطقية مقارنة بمعاهدة الصلح مع تدمير. انظر: الذهبى: المصدر السابق جـ٨ ص ٢٥٠. وانظر أيضًا
Simonet: Hist. de los Moz. P. 813.

٢٣٦- دوزى: المسلمون جـ١ ص ٨٨، Levi-provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T. III.p.218 ويبدو أن الجزية المفروضة على القسس والتى ذكرها دوزى- فى عهد الرحمن الثانى كانت مرتبطة بظروف استثنائية هى "حركة شهداء قرطبة" التى اتهم القسس بإشعالها، وقد أجاز بعض الفقهاء للولاة والحكام الاجتهاد فى وضع الجزية - كما ذكرنا - إذا لم يكن فرضها أنذاك بدعة، كما أننا لم نسمع عنها بعد ذلك.

٢٣٧- انظر: أبو يوسف: المصدر السابق ص ١٢٣، ١٣٢-١٣٣، يحيى بن آدم: المصدر السابق ص ٢٥، ٦٨-٦٩.

٢٣٨- Levi-provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T. III. P. 218.

٢٣٩- ابن سهل: وثائق فى شئون الحسبة ص ١١١.

٢٤٠- انظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس حاشية ١ ص٥٨٠.

٢٤١- ذكر الخوارزمى (ت٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) أن "التوظيف أن يوظف على عوامل حمل ومال معلوم إلى أجل مفروض فالمال هو الوظيفة". الخوارزمى: المصدر السابق ص ٤١.

٢٤٢- وقد أعفى الأمير عبد الرحمن الثانى أهل قرية "فج البشر" أو "فج البشرى" من أعمال طليطلة من المغارم بسبب وجود قبر جاريته الشفاء بتلك القرية. ابن حيان: المقتبس ص ١٠٦، وحاشية ١ ص ١٠٥ وكان بعض الأمراء والخلفاء يتقربون إلى الرعية بإسقاط بعض هذه المغارم أيضًا كما ذكرنا فى الفصل الثانى. وإذا ادّعى بعض الأفراد أو أهالى القرى أن أراضيهم معفاة من المغارم كان عليهم إثبات ذلك بوثائق مذيلة بشهادة الشهود. انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص ٥٩٧ وما يليها.

٢٤٣- انظر: ابن حزم: رسائل ابن جزم جـ٣ ص ١٧٦. وانظر أيضًا:
A.palccios: un cod. Inxp. Del cord. Ibn Hazam.P. 37.

٢٤٤- وذكر عريب فى تقويمه أن الكتب كانت تنفذ فى فبراير من كل عام إلى أحكام الأقاليم والكور لحشد الجنود والمطوعة استعدادًا للصوائف، وقد أعفى الأمير محمد أهل قرطبة وأقاليمهما من هذه الضريبة الإلزامية، كما أسقط الحكم المستنصر سدس مغرم الحشد عن جميع الرعايا بالأندلس لسنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م. وقدم لنا ابن حيان بيانيًا بما كانت تقدمه بعض الكور والقرى والحصون من جنود ومتطوعين وذلك فى إحدى الصوائف المجردة على حليقية فى عهد الأمير محمد. انظر: عريب بن سعد :المصدر السابق ص ٤٩، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٢٧١-٢٧٣، المقتبس ت. الحجى ص ٢٠٧-٢٠٨، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص ١٠٩.

٢٤٥- العذرى: المصدر السابق ص ١٢٤-١٢٧، حسين مؤنس: فجر الأندلس حاشية ٢ ، ٣ ص ٥٨٠.

٢٤٦- ابن زيرى: المصدر السابق ص ١٧.

٢٤٧- انظر: ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٣٥٩.

٢٤٨- ذكر ياقوت فى معنى "القطيعة": أن يقطع السلطان لمن يشاء القرى والنواحى، فى مقابل أداء مبلغ معين من المال كل عام للسلطان مع انفراد المقطع بناحيته. ياقوت: المصدر السابق ج١ ص٦. ويأتى لفظ "المفارقة" عند أبى حيان بأكثر من معنى منها: المصالحة على مبلغ معين من المال.

٢٤٩- انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ١١٩، ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ٢٧-٢٨، ٤٧،جـ٥، ص٢٤٩، العذرى: المصدر السابق ص ١١- ١٢، ابن الآبار: الحلة جـ١ ص ٢٣٠.

٢٥٠- النويرى: المصدر السابق جـ٢٣ ص٣٧١.

٢٥١- ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٢٥٩.

٢٥٢- ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ١٠١.

٢٥٣- العذرى: المصدر السابق ص ٥٨. وذكر العذرى فى الصفحة التالية أنه كان يسخرهم فى الخدمة وحصاد الزروع.

٢٥٤- ابن الكردبوس: المصدر السابق ص ٥٩.

٢٥٥- ابن حزم: رسائل ابن حزم جـ٣ ص ١٧٥ - ١٧٦، مؤلف مجهول: نبذ تاريخية فى أخبار البربر ص ٤٤.

٢٥٦- انظر: التهامى الراجى الهاشمى: نظم وإدارة بنى أمية من خلال المقتبس لابن حيان، فصله من مجلة المناهل، ع٢٩، ١٩٨٤ ص٣٦. وكانت لهذه الوظيفة (الضريبة) خطة فى الحكومة المركزية بقرطبة تسمى "أمانة العطب والنزائل" كان يتولاها سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١ ثلاثة من الأمناء هم: مغيث بن محمد بن مغيث، وأحمد بن عبد الله بن أبى عبده، وياسر الفتى. انظر: ابن حيان: المقتبس ـ. الحجى ص ٩٢.

٢٥٧- ابن حزم: رسائل ابن حزم جـ٣ ص ١٧٣.

٢٥٨- انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص ١٠٦. وانظر أيضا:

Imamuddin :som. Asp. P. 54, valve : op. cit. p. 295.

٢٥٩- وكان المتقبلون يهدفون إلى تحقيق أقصى ربح، لذا كانوا يشتطون فى جمع الضرائب من الفلاحين وكان ذلك من دواعى كراهة نظام قبالة الضرائب من جانب بعض الفقهاء. انظر أبو يوسف: المصدر ص ٢٦١، ابن عبدون: المصدر السابق ص ٣٠- ٢٣. وكان يجرى تقبيل أراضى الحكومة أيضا إلى المتقلبين الذين كانوا بدورهم يسندونها إلى مزارعين من قبلهم. ابن سهل: وثائق فى شئون الحسبة ص ٦٢- ٦٤.

٢٦٠- وعلى الرغم من ذلك لدينا بعض التقديرات الضرائبية النقدية التى يمكن الاطمئنان إليها لاتفاق أكثر من مصدر حولها، وعدم وجود تفاوت كبير فى تقديراتها من ذلك ما ذكره البكرى حول جباية أقاليم قرطبة فى عهد الحكم الأول أنها بلغت من الحشد وناض الطبل وناض البيزرة مائة وعشرين ألف دينار،

ويختلف تقدير كل من غالب والمقرى عن تقدير البكرى بدرجة يسيرة. انظر: البكرى: المصدر السابق ص ١٠٤-١٠٥، ابن غالب: المصدر السابق ص ٣٠٦، المقرى: نفح الطيب م١ ص ٥٤١.

٢٦١- وكانت أقاليم قرطبة تدفع ضريبة عينية فى عهد الحكم الأول أيضا بلغ مقدارها ٤٦٠٠ مديًا من القمح ومن الشعير ٧٦٤٧ مدى. انظر: ابن غالب: المصدر السابق. انظر العذرى: المصدر السابق ص ٣٠٦، المقرى: نفح الطيب م١ ص ٥٤١. ووردت هذه الأرقام مصحفة عند العذرى. انظر العذرى: المصدر السابق ص ١٢٤-١٢٧ وكانت الضرائب تفرض جملة على كل إقليم ثم تقوم كل قرية فى الإقليم بدفع ما يخصها من الضرائب حيث تقسم الضرائب على المساحات الزراعية التى يفلحها الفلاحون. انظر: ابن العطار: المصدر السابق، ص ٥٩٧-٦٠٥، العذرى: المصدر السابق ص ١٢٤-١٢٥.

٢٦٢- Imamuddin : som. Asp. P. 55, valve : op . cit. p. 296

وكان الشاعر يحيى بن حكم الغزال يتولى جباية العشور فى "بلاط مروان"، فاستغل ارتفاع السعر وباع كل ما لديه من المحاصيل المخزونة، فلما علم الأمير عبد الرحمن الثانى بذلك غضب لأنه كان يرى تخزينها لوقت الحاجة، وحلاً للمشكلة اشترى الغزال مقدارًا مساويًا للمحاصيل التى باعها مستغلاً انخفاض السعر، وحقق بذلك أرباحًا طائلة.

انظر: ابن دحية: المصدر السابق ص ١٣٦.

٢٦٣- انظر: ابن بسام: المصدر السابق ق١، م١ ، ص٩٧

٢٦٤- ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٦-٧ وانظر أيضا:

Imamuddin :som . aspec. P. 57.

٢٦٥- ابن خلدون: كتاب العبر، ق١، م٤ ص٢٨٨.

٢٦٦- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥٥٥، ٧٩٥.

٢٦٧- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص ٢٩، ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص ٢٥٣- ٢٥٥.

٢٦٨- ابن حيان: نفس المصدر والجزء ص ٢٢٥.

٢٦٩- كانت هناك عدة وظائف ارتبط بها لفظ "أمانة" فى عهد الخلافة منها: أمانة الأهراء، أمانة الطراز، وأمانة العطب والنزائل. انظر: التهامى الراجى الهاشمى: المرجع السابق ص ٢٨.

٢٧٠- النباهى: المصدر السابق ص ٥٩- ٦٠.

٢٧١- الأمين والجمع الأمناء، وكان هناك عدة أمناء تولوا وظائف مختلفة مثل: أمين الطراز، أمين العطب والنزائل، أمين الأهراء. انظر عن هؤلاء الأمناء، واختصاصاتهم: ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ٩٢، ١١٨-١١٩، ١٥٣، التهامى الراجى الهاشمى: المرجع السابق ص ٢٨ وما يليها. والأمين هنا غير الأمين الذى يعنى رئيس أو نقيب أهل مهنة أو حرفة معينة كما شرحه دوزرى. انظر:

Dozy :suppl. Aux dict. Arab. T. I . p. 39.

٢٧٢- انظر ابن الآبار: المحلة. جـ١، حاشية ١ ص ١٤٢، انظر أيضًا:

Levi – provecal :Hist. de l'Esp . Mus. T. III. P. 41.

٢٧٣- وكان يعرف قبل دخول المسلمين باسم Praefectus aerarii ، فعُرِبَتْ إلى "المشرف" وانتقل لفظ المشرف إلى الإسبانية فى صور شتى منها: Almxarife , almssarife, almojarife وبقيت هذه الوظيفة فى طليطلة بعد سقوطها، وكان متوليها يشرف على الجبايات، وكثيرًا ما كان يضاف إلى القائم بها لقب الوزير التشريفى. انظر: L'evi – provencal :Hist . de l'Esp. T. III. P. 40,

حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٣٦٤، محمود على مكى: قراءة جديدة لوثائق مستعربى طليطلة ص ١٣.

٢٧٤- انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص ١٠٦، ابن حزم: المحلى جـ٥ ص ٢٦٨،ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٢ ص ٤٥٥، ابن دحيه: المصدر السابق ص ١٣٦.

٢٧٥- الخرص للنخل والكروم خاصة، والتخمين يعنى الخرص للخضر والفاكهة وهو من الفارسية "خمانا" بمعنى شك وظن. انظر: الخوارزمى: المصدر السابق ص ٤١.

٢٧٦- انظر: عريب بن سعد: المصدر السابق ص ١٠٣، ١١٩، ١٥٩. ويبدو أن الخراص. كانوا على درجة كبيرة من الظلم والتعدى فى عصر ابن عبدون، الذى شن عليهم حملة شعراء. ابن عبدون: المصدر السابق ص ٥-٦.

٢٧٧- ابن عبدون : نفس المصدر ص ٤٩.

٢٧٨- Valle: op. cit. P. 295

٢٧٩- انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ١٧٥ -١٧٦، جـ٥، ص ٢٨٤-٢٨٥، ت. الحجى ص ١٥٠.

٢٨٠- L'evi – Provencal : L'Esp. Mus. P.161.

٢٨١- ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص ص ١٤-١٥. كما كان هؤلاء وكلاء لإدارة أراضى الأحباس التى تخضع للحكومة، وكذا أراضى الأيتام، وكان هؤلاء الوكلاء يخضعون لسلطة قاضى الجماعة فى قرطبة، وقد حامت حول بعضهم الشبهات واتهموا فى ذمتهم المالية. انظر: ابن السهل: نوازل الأحكام ص ٣٨-٣٩، النباهى: المصدر السابق ص ٧٣.

٢٨٢- انظر: الخشنى: قضاة قرطبة ص ١٣٧-١٣٨، ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٢١٢. وتشير بعض المصادر المتأخرة إلى "شيخ القرية"، ووصف الفشتالى أحدهم وكان يسمى عبد الله بن بشر بقوله: "وكان شيخ القرية ومما زجًا للحكام، آخذًا معهم فى مآخذهم على نحو عادة أشياخ القرى".

الفشتالى : المصدر السابق ص ١٠٥. وذكر الدكتور حسين مؤنس أن لفظ "مشيخة" Curia تعنى المجلس أو الجماعة من أعيان الناس، الذين يتولون أمر البلد وأن الشيخ هو العضو فى مجلس البلده purado Encibdad وقد أبقى المسلمون على نظام المشيخة الإدارى، الذى كان موجودًا قبل الفتح ليكون وسيطًا فى التعامل بينهم وبين أهل البلاد. حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ص ٥٩٥-٥٩٦. ويبدو أن وظيفة المشيخة تدهورت لتصبح وظيفة شرفية أكثر منها إدارية، كما يفهم مما ورد عند الفشتالى.

٢٨٣- انظر: ابن سهل: نوازل الأحكام ص٤، الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ٤٧، العذرى: السابق ص ١٥-١٦، المقرى: نفح الطيب م١، ص٢١٨.

٢٨٤- مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس ص ٩١.

٢٨٥- ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، بقية السفر الرابع، ت. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٤، ت ر ١٩ ص٩.

٢٨٦- القاضى عياض: مذاهب الأحكام. ص٣٦.

٢٨٧- الونشريسى: المصدر السابق جـ١٠ ص١٠٠. وعن مهام القاضى -عمومًا- وواجباته انظر: عهد بن الحجاج السلولى والى الأندلس (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤١م) إلى قاضيه مهدى بن مسلم وما جاء فى مقدمة ابن خلدون فى هذا الصدد . الخشنى: قضاة قرطبة ص ص ٣٨-٤٣، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: جـ٢ ص ٦٣٠-٦٣١.

٢٨٨- انظر: الونشريسى: المصدر السابق جـ٧ ص ١٢٧، انظر أيضًا: محمد عبد الوهاب خلاف: تاريخ القضاء فى الأندلس من الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجرى، المؤسسة العربية الحديثة، ط١، ١٩٩٢ ص ص ٢٧١-٢٧٢.

٢٨٩- انظر: الخشنى : قضاة قرطبة ص ٦٨، ١٨٤، ابن سهل: وثائق فى أحكام القضاء الجنائى ص ٥٩-٦١،وثائق فى شئون الحسبة ص ١٨٤-١٨٨، وثائق فى قضاء أهل الذمة ص ٥٦-٥٨.

٢٩٠- ابن العطار: المصدر السابق ص ٤٩٢ -٤٩٤.

٢٩١- الخشنى: أخبار الفقهاء. ت ر ١١٧ ص ١٠١، ابن الفرضى: المصدر السابق، جـ١، ت ر ٤٦٠ ص ٢٨٢.

٢٩٢- ابن الآبار" التكملة، جـ١، ت ر ٥٦٣، ٧٤٠ ص ٢١١، ٢٧٨.

٢٩٣- مؤلف مجهول: وصف جديد لقرطبه ص ١٧٠-١٧١.

٢٩٤- ابن بشكوال: المصدر السابق جـ١، ت ر ٣٨٥ ص ٢١٢.

٢٩٥- الونشريسى: المصدر السابق جـ٧ ص ١١٣- ١١٥، ١٤٧.

٢٩٦- الخشنى: أخبار الفقهاء. ت ر ٧٩ ص ٧٦، ابن الفرضى: المصدر السابق جـ١، ت ر ٣٦٦ ص ٢١٦.

٢٩٧- ابن الفرضى: نفس المصدر جـ١، ت ر ٥٤٢ ص ٣٢١-٣٢٢... والأمثلة على ذلك كثيرة يضيق المقام هنا هن إيرادها.

٢٩٨- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، ت ر ٩٦ص٨٥.

٢٩٩- ريبيرا: التربية الإسلامية فى الأندلس. ترجمة الطاهر أحمد مكى، القاهرة، دار المعارف ١٩٨١ ص٧٠ وقد بقيت هذه الوظيفة فى طليطلة -بعد سقوطها فى أيدى النصارى، وأصبح متوليها يعرف بالكاتب أو الموثق الذى يتولى تحرير الوثائق. انظر: محمود على مكى: قراءة جديدة لوثائق مستعربى طليطلة ص ١٢.

٣٠٠- القومس Comes كلمة لاتينية تعنى فى الأصل نديم الملك ومرافقه، وأصبحت تطلق فى أسبانيا فى عهد القوط على ولاة الأقاليم، ثم تطور حتى أصبح منصبًا دينيًا. واشتقت من اللفظ العديد من الألفاظ الحديثة مثل Conde ، وConte ، Count ، وتعنى حاكم منطقة، وتعنى أيضًا الرجل الشريف. انظر: البكرى: المصدر السابق حاشية ١ ص ٩٩، ابن الخطيب: الإحاطة جـ١، حاشية ٣ ص ١٠٣. انظر أيضًا:

Simonet: Glos . de voc. Iber. Y Lat .PP. 125-126.

٣٠١- انظر: ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص ١٠٣، أعمال الإعلام ص ١٥، وانظر أيضًا:

Watt :op. cit. P. 58, L.S. Fernandes : op. cit. P. 282.

٣٠٢- انظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٤٥٩- ٤٦١. ونظر أيضًا:

Levi-provencal :Hist. de l'Esp. Mus. T lll. P. 218, L'Esp. Mus . P.37.

٣٠٣- انظر: ابن قوطية: المصدر السابق ص ٢٩-٣١، ٥٧-٦٠، ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص١٠٣.

٣٠٤- انظر: الخشنى: قضاة قرطبة ص ٩٠، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٩٦، انظر: أيضًا:

Levi-provencal :hist. de l'Esp. Mus. T lll. PP. 218-129.

وذكر صاحب "كتاب ذكر بلاد الأندلس" أن السبب فى ثورة الربض الشهيرة فى عهد الحكم الأول كان إستياء الناس من أحد القوامس الذى ولاه الحكم أمور الجباية فاشتط فى جمع الأموال حتى جمع أموالاً عظيمة، وزاد نفوذه لدى الأمير حتى فوضه فى جميع أموره "فجار القومس على الناس...وقتل خلقًا كثيرًا بالسياط والعذاب، وبلغ من أمره أن العرب والبربر كانوا يقبلون يده، فإذا خلا مع خاصته دعا بالماء وقال اغسلوا ما نجست الكلاب فأبغض الناس الحكم لذلك". مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس. ص ١٥٦-١٥٧.

٣٠٥- ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ١١٤-١١٥. وانظر أيضًا:

Simonet : Hist . del los Moz . P. 553.

٣٠٦- الخشنى: قضاة قرطبة، ص ص٢٠٢-٢٠٣.

٣٠٧- ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢ ص ١٤٢. انظر أيضًا Simonet :Hist. del los Moz. P. 571

٣٠٨- ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ٦٤.

٣٠٩- ابن سهل: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة ص ٥٩-٦٠.

٣١٠- وكان يسمى فى اللاتينية بالكنسور Censor أو Judex ثم أصبح يلقب اللقب العربى القاضى Alcalde انظر: Levi-provencal :L'Esp. Mus.P. 37, Hist. del l'Esp. T III. P.219 حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٤٦٢. ودخل لفظ القاضى الإسبانية فى صورة Alcalde ، ويعنى حاكم المدينة أو البلدة أو القرية، وهى من الوظائف التى بقيت فى طليطلة بعد سقوطها فى أيدى النصارى. انظر: محمود على مكى: قراءة جديدة لوثائق مستعربى طليطلة، ص ١٢.

٣١١- ابن حيان: المقتبس: الحجى ص ١٤٦، وانظر أيضًا:

Levi-provencal :L'Esp. Mus.P.. 37, Hist. del l'Esp. T III. P.219.

٣١٢- ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ١٤٦.

ويفهم مما ورد عند القرطبى أن الكنيسة كانت لها قوانينها التى كان يقضى بها الأساقفة ورجال الدين، وربما اختلفت عن القانون المدنى الذى كان يحكم به القضاة، خاصة ما يتعلق منها بمسألة غفران الأساقفة والقسين لذنوب المذنبين "واختراعهم الكفارة للعاصين". انظر: الإمام القرطبى: المصدر السابق، جـ٤ ص ص ٤٠٥- ٤٠٩.

٣١٣- القانون القوطى القديم أو ما يسمى بكتاب القوانين Forum Judicum أو Liber Judicum وينسب إلى الملك ركسفنث Reccesvinth ٦٥٣- ٦٧٢م. انظر: Levi-provencal : l' Esp. Mus. P. 37, حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٤٤٧، وحاشية ١ من نفس الصفحة، عبادة كحلية: المرجع السابق حاشية ٦ ص ٨٩.

٣١٤- ابن رشد: البيان والتحصيل جـ٤، ص ١٨٦.

٣١٥- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٣١. وانظر أيضًا:

Levi-provencal :Hist. de l'Esp. Mus. T III. P. 219.

٣١٦- وذكر ليـفى بروفنسال باسم وليد بن خيزران تولى قضاء النصارى فى عهد الحكم أيضًا

Levi-provencal : Ibid . P. 219.

٣١٧- ابن حيان: المقتبس ت. الحجى ص ١٤٦.

٣١٨- انظر:

Levi-provencal :Hist. de l'Esp. Mus. T III. P. 219.

حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٤٦٣.

٣١٩- انظر: ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ١٤٢، والتعليق رقم ٣١٣ ص ٥٢٦.
وانظر أيضًا:

Simonet: Hist . delos Moz . P. 400.

وكان يساعد هذا الموظف بالطبع موظفون صغار فى القرى والنواحى على ما ذكر ابن الخطيب: "واستمر سكانهم فى غمار من الروم، يعالجون فلاحة الأرض، وعمران القرى، يرأسهم أشياخ من أهل دينهم، أولوا حنكة ودهاء ومداراة، ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم". ابن الخطيب: الإحاطة م١ ص ١٠٦-١٠٧.

الفصـــل الخامس

الحيـاة الثقـافية

١- التعريب وانتشار الإسلام:

صاحبت عملية انتشار الإسلام عملية التعريب، أو سبقت الأخيرة فى بعض الأحيان. ولا يعنينا فى هذا المقام مناقشة الأسباب التى دفعت الأيبيريين إلى اعتناق الإسلام[١]، بقدر ما يعنينا معرفة الفترة الزمنية التى استغرقها انتشار الإسلام واكتمال عملية التعريب، لمعرفة اللغة التى كان يتحدثها الأندلسيون بعامة، وسكان المجتمع الريفى بخاصة.

تقدم لنا بعض المصادر التاريخية بعض الإشارات التى يمكن الاستفادة منها هنا، فابن القوطية (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) يذكر أن عمر بن عبد العزيز طلب من السمح بن مالك – واليه على الأندلس- سنة ١٠٠هـ/ ٧١٩م إجلاء "المسلمين إشفاقًا مما دخل عليهم، إذ خشى تغلب العدو عليهم، فكتب إليه السمح بن مالك يعرفه بقوة الإسلام، وكثرة مدائنهم، وشرف معاقلهم[٢]". أما ابن عذارى (ت٧١٢هـ/ ١٣١٣م) فيذكر أن عمر بن عبد العزيز "كان رأيه نقل المسلمين منها، وإخراجهم عنها لانقطاعهم عن المسلمين، واتصالهم بأعداء الله الكفار، فقيل له: إن الناس قد كثروا بها، وانتشروا فى أقطارها، فأضرب عن ذلك[٣]".

ويفهم من كلام هذين المؤرخين أن الأندلس قد دخلها أعداد كبيرة من المسلمين، وإن الإسلام قد استقر بها –فى ذلك الوقت القصير الذى لا يتعدى ثمانى سنوات ونصف- إلى حد كبير، رغم اعتراضات البعض على ذلك[٤].

ويجب أن نشير هنا إلى دور بعض التابعين الذين دخلوا الأندلس، فى عملية الإسلام، والتعريب، رغم أن معظمهم قد قفل إلى المشرق، بقفول موسى بن نصير، ولا شك أن قفولهم هذا قد أثر سلبا على عملية نشر الإسلام والتعريب[٥].

ويبدو أن عملية نشر الإسلام والتعريب قد سارت قدما، ولكن بصورة بطيئة فى عصر الولاة، لما اتسم به العصر من اضطراب سياسى وصراع عنصرى، نستثنى من ذلك فترة ولاية الوالى عقبة بن الحجاج السلولى (١١٦-١٢٣هـ/ ٧٣٤-٧٤١م) لما اتصف به من الصلاح والتقوى وحب الجهاد "فكان صاحب جهاد ورباط... وكان أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حينا، ويرغب فيه، ويبصره بفضله، ويبين له عيوب دينه الذى هو عليه، فيُذكر أنه أسلم على يديه بذلك الفعل ألفا رجل[٦]. "وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها، وأعظم طريقة وأعدلها"[٧].

ولكن جهود نشر الإسلام والتعريب، قد تعرقلت بعد ذلك، إذ ما لبث أن تأزمت الأمور فى الأندلس، ودخلت البلاد فى طور جديد، حين انفجرت الثورة البربرية، ودخل البربر فى صراع رهيب مع العرب، ثم اندلاع الصراع بين القيسية واليمنية، كل ذلك حدث فى ظل تعرض الأندلس لسنوات متتالية من القحط والمجاعة استمرت من سنة ١٣١-١٣٦هـ/ ٧٤٨-٧٥٤م، وكان من نتائج ذلك خلو مناطق كبيرة من قاطنيها، خاصة فى الشمال والشمال الغربى، وواكب ذلك نمو حركة المقاومة النصرانية التى استولت على هذه المناطق دون عناء[٨].

وبقيام الإمارة الأموية فى الأندلس، انتعشت عملية الإسلام والتعريب، فقد سعى عبد الرحمن الداخل إلى قرار السلام بالقضاء على الفتن الداخلية. وسار الإسلام والتعريب قدما بفضل العناصر التى دخلت الأندلس عقب الإمارة. ونشط البربر فى ظل العهد الجديد - وكانوا قد استعربوا إلى حد كبير- فى نشر الإسلام فى الريف الأندلسى، حتى أن الطابع البربرى غلب على كثير من المناطق الريفية[٩].

وازدهرت حركة نشر الإسلام والتعريب -على الأخص- فى ظل حكم الأمير عبد الرحمن الثانى الذى تميز عهده ببناء الكثير من المساجد فى نواحى الأندلس، واهتم هو شخصيا بتعريب نظم الحكم، والأخذ بالرسوم المشرقية، وفى عهده ازدهر العلم والتعليم، فقد كان ممن اتصف بالبلاغة والعلم، وتقريب

العلماء[١٠]. وبقيت الأمور هادئة فى عهد خلفه الأمير محمد مما كان له أثره فى نشر الإسلام والتعريب، إلا أن الأمور اضطربت فى أواخر أيامه.

وتفاقمت الأمور فى عهد الأمير عبد الله، وتعرضت عملية نشر الإسلام والتعريب لبعض العقبات خاصة إبان حركة ابن حفصون الذى كان تنصره- رغم الشكوك التى تحيط بذلك- وانضمام كثير من النصارى إليه فى الريف قد كوّن علامة استفهام كبرى لدى المؤرخين التقليديين القائلين بإسلام الأندلس واستعرابها منذ الفتح[١١]. لا يمكن فهم ذلك إلا فى إطار القول بأن الأندلس، لم تكن حتى ذلك الحين قد تم إسلامها واستعرابها، على النحو الذى يظنه البعض، وإن كثيرًا من النصارى كانوا ما يزالون على دينهم القديم.

ولكن حركة الإسلام والتعريب عادت إلى الانتعاش والازدهار فى ظل الخلافة، حتى تم استعراب الأندلس وإسلامها إلى حد كبير، رغم ملاحظة ابن حوقل من وجود أعداد كبيرة من النصارى فى الريف، عند زيارته للأندلس سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م[١٢].

وكان مما ساعد على سرعة انتشار الإسلام آنذاك تيسير الفقهاء لعوامل التعريف بالإسلام لمن لا يحسن العربية، فأجاز ابن حزم تفسير القرآن بالأعجمية، ومنع من تلاوته بغير العربية[١٣].

٢- لغة أهل الريف:

إذا أردنا أن نتحدث عن اللغة فى الريف الأندلسى خاصة واللغة فى الأندلس عامة فلابد لنا أن نتحدث عن أكثر من لغة، لأنه من الإجحاف بمكان أن ندعى أن لغة واحدة كانت موجودة، فدراسة الواقع التاريخى منذ الفتح وحتى نهاية عصر الخلافة الأموية، يؤدى بنا إلى القول بوجود أكثر من لغة تصارعت فيما بينهما، فمات ضعيفها أو كاد أن يموت، وبقى قويها بعد أن تغذى فى صراعه على بعض

عناصر اللغات المهزومة، وخرج من الصراع مخلوقا شبه مهجن، تغلب عليه سماته الأصلية، التى لم تستطع محوها العناصر الدخيلة.

وعلى ذلك يمكن القول بأنه كانت هناك- عشية الفتح الإسلامى لإسبانيا- اللغة اللاتينية التى تفرعت منها "اللاتينية الكنسية"، وهى لغة الصلاة، والتراتيل الكنسية، وكان يلم بها فئة محدودة من السكان، أغلبهم من المثقفين، وكانت بذلك محدودة الانتشار، إذ كانت على حد تعبير البعض" محتسبة وراء جدران الأديرة، وقفا على عدد من رجال الدين"(١٤). ثم "اللهجات الرومانثية EL Romance هى لهجة محلية تفرعت عن اللاتينية، متأثرة بعناصر محلية إسبانية.

ثم دخلت العربية والبربرية مع الداخلين المسلمين، وتطور الصراع فيما بين هذه اللغات فى الأندلس على النحو التالى:

قل استخدام اللغة اللاتينية الكنسية بمرور الوقت، بسبب ولع المثقفين من المستعربين النصارى باللغة العربية، وهجرهم للاتينية، وما إن أتى القرن التاسع الميلادى حتى بدأت فى الاحتضار يؤكد ذلك ما ذكره ألبرو القرطبى Alvaro de Cordoba – وهو مسيحى مستعرب شغل منصب مطران العاصمة- عن ولع الشباب النصرانى باللغة العربية وآدابها، وهجره اللاتينية يقول "لقد سلبت الفصاحة العربية عقولهم، فتابوا ينهمون بشغف، ويناقشون بحمية وغيرة الكتب الإسلامية.... ولم يكن هؤلاء الفتية ليعرفوا شيئًا من آداب الكنيسة، كما أن أساقفة النصارى يجهلون قانونهم، ولا يهتمون باللغة اللاتينية، ومن العسير أن تجد واحدا من بين كل ألف منهم يستطيع أن يكتب خطابا باللاتينية ليسأل عن صحة صديق له بطريقة منمقة، بينما تجد عدد لا حصر له منهم يتحدث اللسان العربى بطلاقة وفصاحة، حتى أنهم يستطيعون أن ينظموا الشعر المقَّفى الذى ينم عن جمال فائق ومهارة فى التعامل مع الوزن والقافية"(١٥).

فإذا قال قائل إن شهادة ألبرو القرطبى تنطبق أساسًا على سكان قرطبة، قلنا إن النصارى فى الريف كانوا يجيدون العربية، وتسمى الكثير منهم بأسماء

عربية[١٦]، ثم إنه لدينا شهادة لا تقل عن شهادة ألبرو القرطبى، يقدمها لنا أبو حفص عمر بن الشهيد من خلال حديث دار بينه وبين أحد الشباب النصارى أثناء نزهة له فى الريف، حيث يقول: "فلما بلغنا... وعبراته تنسكب على نجاده. قلنا: مالك لا أبالك؟ فقال: منفلت من السجن، وآبق من أهل الحصن، وعائذ من ظلمات الغواية بنور الهداية، ومن بذل عبادة الأوثان إلى عز عبادة الرحمن ولى خبر أريد أن أقصه... ثم قال: أيها الفقيه للأشياء غايات تنتهى إليها ومقادير تجرى عليها... لقد أنحلتنى عبادة الطواغيت فعبدت الصليب وقرعت الناقوس، وفعلت كل ما قرت به عين أبليس... إلى أن استنقذنى ربى وهدانى وأنا أشهد الأشهاد أن الله إله واحد، وليس له ولد ولا والد كان. ولم تكن الأكوان: لا أرض ولا ماء ولا دخان، مخترع الكل ومنشئه، ومعيده ومبدئه له المثل الأعلى والأسماء الحسنى"[١٧]

وهذه الشهادة لا تقل عن شهادة ألبرو القرطبى دلالة على مدى استعراب النصارى فى الريف، بل تفوقها من حيث الدلالة ، فهى توضح -ليس فقط استعراب النصارى فى الريف آنذاك، بل أيضا تعمق الشباب النصرانى فى الريف للفكر الإسلامى، والفهم الصحيح للوحدانية، وأن إسلام هؤلاء الشباب نبع من فهم عميق للإسلام ولدعوة التوحيد، مع ملاحظة أن هذه الشهادة ترجع إلى القرن الخامس الهجرى، ولكنها ذات دلالة واضحة على أن التعريب واللغة العربية قد استقرا فى النواحى الريفية منذ وقت مبكر.

أما اللهجات الرومانثية التي كانت تمثل العامية الإسبانية قبل دخول المسلمين، فقد بقيت ولكن دخلتها ألفاظ وتراكيب لغوية من اللغات واللهجات الداخلة مع الفاتحين، ورغم ذلك حافظت على عناصرها الأصلية إلى حد كبير، وعرفت فى الأندلس بعجمية أهل الأندلس أو "اللاطينية" كما يسميها ابن حزم، وكان يتحدث بها كثير من السكان الأندلسيين من نصارى ومسلمين، ولا أدل على ذلك من قول ابن حزم عن قبيلة "بلىّ بن عمرو بن الحافى بن قضاعة": "ودار بلى بالأندلس:

الموضع المعروف باسمهم بشمالى قرطبة، وهم هنالك إلى اليوم على أنسابهم لا يحسنون الكلام باللطينية لكن بالعربية فقط، نساؤهم ورجالهم"[١٨].

وكلام ابن حزم يدل على شيوع استخدام هذه اللغة بين كل الأندلسيين ذوى الأصول المختلفة واستخدامه لفظ: "لا يحسنون" يعنى أن أفراد هذه القبيلة كانوا يعرفون "اللطينية"، ولكنهم لا يجيدونها، إذ يبدو كم كلامه عنهم أنهم كانوا قبيلة شبه منغلقة على نفسها، لم تتوسع فى الاختلاط كما فعلت معظم القبائل العربية الداخلة[١٩].

واستخدمت "اللغة البربرية" فى نطاق محدود بين الداخلين البربر، ولابد أنها تأثرت باللغات واللهجات الموجودة فى الأندلس آنذاك، ولم نسمع أن أحدا من غير البربر – فى الأندلس- كان يعرفها أو سعى لتعلمها، ويبدو أنه بمرور الوقت، ومع تعرب البربر، قل استخدام البربرية من جانب البربر وإن لم يتخلوا عنها نهائيًا، فقد اتخذ كثير من البربر أسماءًا عربية، وادعوا أيضا أنسابا عربية[٢٠].

أما العربية الفصحى فشاع استخدامها على نطاق واسع بين المثقفين الأندلسيين ذوى الأصول المختلفة، إذ كانت لغة الإدارة والدواوين والمكاتبات، والعقود والوثائق هذا فضلا عن أنها كانت لغة الأدب بمختلف فنونه، وعلى الجملة فقد كانت لغة الثقافة بكل فنونها، كما أوضحت من شهادة ألبرو القرطبى، وأبى حفص عمر بن الشهيد.

وكانت العامية العربية الأندلسية هى لغة الحياة اليومية الأندلسية، فرغم بقاء العجمية التى كان يعرفها كثير من الأندلسيين – على نحو ما ذكرنا- إلا أنها حققت تراجعا أمام العامية العربية الأندلسية وهو تراجع يتفق مع منطق الأمور؛ إذ كان دليلا على تراجع الثقافة الإسبانية المحلية لصالح الثقافة العربية[٢١] التى هيمنت بالفعل – كما رأينا.

وتكونت العامية العربية الأندلسية أساسًا من لهجات القبائل العربية الداخلة من قيسية ويمنية ومن الواضح أن بعض الألفاظ، والظواهر اللغوية فى العامية العربية الأندلسية كالإمالة مثلا ترجع إلى لهجات عربية معينة[٢٢]. هذا فضلاً عن تأثير العامية العربية الأندلسية بالرومانثية أو العجمية (اللطينية) من ذلك كثرة استعمال اللواحق الرومانثية الدالة على التصغير والتحقير وصفة المبالغة واسم الفاعل[٢٣].

كما دخلت العامية العربية الأندلسية بعض الألفاظ والتراكيب البربرية[٢٤]. وكان للبربر نطقهم المميز لبعض الألفاظ العربية، وفى ذلك يقول ابن حزم: "وإذا تعرب البربرى فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة"[٢٥].

وكانت العامية العربية الأندلسية هى لغة الحياة اليومية فى المدن والأرياف على السواء، كما كانت لغة الأزجال والأمثال[٢٦].ولكن العامية العربية الأندلسية كانت تختلف عن اللهجات العامية العربية فى الأمصار الإسلامية الأخرى، بسبب اختلاف مكونتها عن تلك اللهجات، يعبر عن هذا الاختلاف المقدسى (المتوفى أواخر القرن الرابع الهجرى) بقوله عن لغة أهل الأندلس: "ولغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكر فى الأقاليم، ولهم لسان آخر يقرب الرومى"[٢٧]. ويذكر المقرى عن اللهجة العامية العربية الأندلسية، ومدى اختلافها عن العربية الفصحى قوله: "مع أن كلام أهل الأندلس الشائع فى الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية، حتى لو أن شخصا من العرب سمع كلام الشلوبينى أبى على المشار إليه بعلم النحو... وهو يقرأ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذى فى لسانه"[٢٨].

وعن نفس المعنى يذكر ابن حزم – مبينا مدى التحريف الذى دخل العامية العربية الأندلسية، حتى جعلها تبدو للآخرين وكأنها لغة أخرى غير العربية-: "ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ فى اللغة العربية تبديلا وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق، فنجدهم يقولون: فى العنب العينب وفى السوط أسطوط، وفى ثلاثة دنانير ثلثدا"[٢٩].

لذلك كثر – فى الأندلس– التأليف فى لحن العامة، وبدأ ذلك مبكرًا، على يد الزبيدى (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م) فى كتابه "لحن العامة"[٣٠].

ورغم التحريف الذى أصاب العامية العربية الأندلسية إلا أنها حافظت على طابعها العربى كما ذكر ابن سعيد: "وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربى لأنهم إما عرب أو متعربون"[٣١].

وإذا كانت العامية العربية الأندلسية قد عمت أنحاء الأندلس، إلا أنها اختلفت من منطقة إلى أخرى بسبب تأثرها بالعناصر المحلية فى كل منطقة، مما أدى إلى تولد لهجات محلية منها، كما يدل على ذلك قول ابن حزم: "ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهى على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول أنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة وهكذا فى كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى يتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله[٣٢]"

ومن خلال العرض السابق يتضح أن العامية العربية كانت لغة الحياة اليومية، وليست العجمية أو الرومانثية كما يدعى البعض[٣٣]. وأنها كانت اللغة العامة لأهل الريف آنذاك أيضا.

٣- التعليم فى المجتمع الريفى:

(أ) المرحلة الأولى من التعليم:

١ – التعليم فى المنزل:

كان الصبى يتلقى دروسه الأولى فى التعليم فى المنزل بطريقه مباشرة، وأن كان الصبى يتلقى فى هذه المرحلة المبكرة دروسًا سلوكية أكثر منها تعليمية، بغرض ضبط سلوكه وتهيئته لولوج طريق الحياة، فإذا كان الصبى محظوظًا، ونشأ فى أسرة عملية، فإنه فى هذه المرحلة سيتلقى– بلا ريب– دروسًا علمية بطريقة

مباشرة، ولدينا بعض التراجم التى تشير إلى هذا النوع من التعليم الأسرى، من ذلك أبى ثابت الفرج بن عيشون من أرياف استجه، تلقى العلم عن أبيه عيشون بن إسحاق (ت ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م) وروى عنه، ومحمد بن قاسم بن هيكل من أهل قريش(٣٤)، سمع العلم من أبيه أول ما سمع(٣٥). والأمثلة على ذلك عديدة.

٢- التعليم فى المكتب

المكتب هو المكان الذى يتعلم فيه الصبيان والصغار، وأول إشارة لوجود مكان لتأديب الصبيان فى الأندلس تلك التى وردت عند ابن القوطية فى معرض حديثه عن الصميل بن حاتم، ويرجع ذلك إلى ما قبل قيام الإمارة الأموية فى الأندلس.

ولدينا إشارات لا بأس بها عن أولئك الذين التزموا التأديب فى الريف من ذلك سعدان بن معاوية (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) الذى التزم التأديب بإقليم القصب(٣٦) من عمل قرطبة، وأحمد بن هشام بن أمية بن بكر الأموى (ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) وكان مستوطنا بقرية إختيانة من عمل قبرة، وكان يشتغل بالتأديب وإمامة الصلاة(٣٧)، وأبو إسحاق المؤدب الذى التزم التأديب بغدير ابن الشماس من أعمال قرطبة(٣٨).

وقد يكون المكتب غرفة فى منزل أو فناء يتسع لعدد من الصبيان أو حانوتًا يكترى لهذا الغرض، ولم يكن له مكان معين، وإن كانت العادة قد جرت – فى الغالب- بوجوده فى المسجد أو بالقرب منه، لأن كثيرا من خدمة المساجد كانوا يشتغلون بتأديب وتعليم الصبيان، وفى هذه الحالة كان المؤدبون يستغلون أحد أجزاء المسجد أو أحد أركانه لممارسة عملهم(٣٩).

وتوحى كثرة التراجم الخاصة بالمؤدبين، بشيوع مهنة التأديب وانتشار مكاتب تأديب الصبيان فى أنحاء الأندلس(٤٠).

أما سن الذهاب إلى المكتب فيصعب القطع بسن معينة يذهب فيها الصبى إلى المكتب إلا أن الآباء -فيما يبدو- كانوا يفضلون أن يدخل أبناؤهم المكتب فى سن مبكرة لأن "تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبنى عليه"[٤١]. ويحدد أبو بكر بن العربى (ت٥٤٣/ ١١٤٨م) سن الذهاب إلى المكتب بطريقة منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب"[٤٢]. أما ابن حزم فيذكر فى هذا الصدد قوله: "فالواجب على من ساس صغار ولدانه وغيرهم أن يبدأ منذ أول اشتدادهم وفهمهم ما يخاطبون به، وقوتهم على رجع الجواب، وذلك يكون فى خمس سنين أو نحوها من مولد الصبى، فيسلمهم إلى مؤدب"[٤٣].

وإذا كنا لا نستطيع الجزم بسن معينة يبدأ فيها الصبى دخول المكتب، فنحن أيضا لا نستطيع أن نحدد سناً معينة يترك فيها الصبى المكتب، وينتقل إلى مرحلة تعليمية أخرى، وإن كان البعض يرى أن سن الرابعة عشرة، هى تلك السن التى كان الصبى ينهى فيها- تقريبا- مرحلة التعليم فى المكتب[٤٤].

أما المنهج الدراسى الذى كان يدرسه الصبى فى المكتب، فيتلخص فى تعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وشىء من اللغة والنحو والشعر والحساب. ويبدو أنه كان هناك تخصص فى تدريس هذه المواد، فقد كان هناك "معلم هجاء" لتعليم القراءة والكتابة، و"مؤدب نحو"، و"مؤدب حساب"[٤٥]، وكان هناك مؤدبون بالقرآن، فقد كان محمد بن سليمان الأنصارى المكفوف الملقب بالجرفى - نسبة إلى جرف مواز قرية بجبل قرطبة[٤٦] - (ت ٣٢٦هـ/٩٣٧) "مؤدبا بالقرآن"[٤٧]، وكان "محمد بن عبد الله بن محمد البهرانى المؤدب" (ت ٣٥٨هـ/٩٩٥م) "معلم هجاء"[٤٨]. وممن اشتغل بالتأديب بأكثر من علم "أبو الأصبع عيسى بن أبى جرثومة الخولانى "وكان يؤدب بالنحو والحساب والعروض والقرآن[٤٩].

ويشير ابن حزم إلى المستوى الذى يجب أن يحققه الصبى فى كل علم من تلك العلوم فى هذه المرحلة، فعلى الصبى أن يجيد القراءة والكتابة، دون التزيد فى الاهتمام بحسن الخط، مع الحرص على حفظ القرآن(٥٠)، وضرورة حفظ أنواع معينة من الشعر،خاصة الشعر الحكمى والأشعار التى تدعو إلى الخير؛ وأما بالنسبة للحساب فعليه أن يتعلم الضرب والقسمة والجمع والطرح، وليأخذ بطرف من علم الفلك، مثل دوران الكواكب والكسوفات، وأوقات الليل والنهار، والمد والجزر(٥١).

أما عن وقت الدراسة فى المكتب وطريقة التعليم، فيمكن القول بأن الصبى كان يذهب يوميًا– فى الصباح– إلى المكتب، ويظل به حتى وقت الظهيرة، ثم يعود إلى منزله لتناول الغداء ولبعض الراحة، ثم يعود إلى المكتب بعد الظهيرة، ويظل به حتى آخر النهار. ووقت الراحة الاسبوعية كان يبدأ من بعد ظهر يوم الخميس وحتى صباح السبت حيث يعود إلى المكتب للدراسة(٥٢).

والواقع أن التدريس فى المكتب يحدد غالبا حسب العرف والعادة(٥٣) فى كل قرية، وكان المؤدب يلعب دورًا رئيسيًا فى تحديد وقت الدراسة كى لا يتعارض مع بعض مسؤلياته الأخرى.

وطريقة التعليم فى المكتب تتلخص فى عدة أشكال أولها التلقين، حيث يقوم بتلقين الصبية الحروف الهجائية قراءة بصوت مسموع حتى يتعود الصبية على نطقها سليمة، ثم يقوم برسمها كتابةً فى ألواح الصبيان، على أن يقوم الصبى فيما بعد تقليد رسم الحرف كتابةً، وهكذا حتى ينتهى من جميع حروف الهجاء. ومتى تم للصبية حفظ الحروف وإجادة كتابتها ينتقل المؤدب إلى تحفيظهم القرآن. ويتم تلقين الصبية قصار السور بصوت مرتفع، ويقوم الصبية بالترديد خلف المؤدب، ومن حين إلى آخر يجرى المؤدب اختبارًا للصبية يسمى "الاستظهار" وهو عبارة عن مراجعة لما حفظه الصبى(٥٤).

ويستخدم الصبية فى دراستهم فى المكتب، ألواحًا من الخشب المصقول يكتبون عليها بالأقلام تملى أو تغمس فى الحبر من حين إلى آخر، وتمحى الكتابة بالماء متى تم لهم استيعاب الدرس، ثم تعاد الكتابة على الألواح مرة أخرى، وهكذا[٥٥].

وكان المؤدب يتمتع ببعض السلطات فى إنزال العقاب بتلاميذه بغرض تقويمهم وتعليمهم، وعملية العقاب كوسيلة تعليمية كانت شبه مقننة من جانب الفقهاء، حتى أن ابن خلدون انتقد الإسراف والشدة فى العقاب لأن ذلك قد يأتى بنتائج سلبية، تورث فى الصبيان صفات مرذولة كالكذب والنفاق والمكر والخديعة إلى آخره[٥٦]، لذلك نبه الفقهاء إلى عدم استعمال الشدة فى العقاب، كما حددوا كيفية العقاب الخفيف ووسائله ومواطنه، ونبهوا على ضرورة مراعاة حاجات الصبيان الأساسية، وعدم استغلالهم فى قضاء حوائج المؤدبين. وأشار البعض منهم إلى الصفات الواجب توافرها فى المؤدب أو العلم، وكيفية التعامل مع الصبية، وعدم إهمالهم أو الانشغال عنهم[٥٧].

ويبدو أن تنبيهات الفقهاء لم تتوافر عند بعض مؤدبى الأندلس آنذاك، يدل على ذلك قيام الوزير أبو عامر بن شهيد الأديب الشاعر (ت٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م) بمهاجمة طائفة منهم ووصفهم بالجهل، رغم أن هجومه انطوى على كثير من المبالغة التى اقتضتها محاولة إظهار ملكاته الأدبية فى الهجاء والذم[٥٨]، يتضح ذلك من خلال الكثير من تراجم المؤدبين والمعلمين التى أوردها الزبيدى، حيث يتبين أن معظمهم كانوا على درجة كبيرة من العلم والثقافة، هذا فضلاً عن الالتزام الخلقى. كما أن ممارسة مهنة التأديب لم تقتصر على الطبقات الفقيرة بل مارسها رجال ينتمون إلى الطبقات العليا[٥٩].

أما عن أجر التعليم فى هذه المرحلة، فيمكن القول باتفاق معظم الفقهاء على إجازة أخذ الأجر على تأديب الصبيان فى هذه المرحلة، وأقدم خبر يتعلق بهذا الموضوع ما أورده الزبيد (ت٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) عن غازى بن قيس

(ت١٩٩هـ/٨١٤م) – وكان قد التزم التأديب بقرطبة إبان دخول عبد الرحمن الداخل الأندلسى سنة ١٣٨هـ – وملخص الخبر: "أن رجلا حاكر[٦٠] بعض المؤدبين فى الحَذَقَة[٦١] فمنعها المؤدب، فناظره فى ذلك وتعصب له المؤدبون بقرطبة وأشفقوا أن ينفتح عليهم فى ذلك باب منع، فأتوا غازى بن قيس فقالوا يا سيدنا– تعريضًا له بالتأديب– عرض غرض لنا كيت وكيت، فقال يغرمها صاغرًا قمينًا وقضى لهم بذلك، إذ هو مما جرى عليه أمر الناس"[٦٢].

ولم يكن هناك أجر محدد لتعليم الصبيان، وإنما اختلف ذلك من معلم إلى آخر حسب شهرة المؤدب والحالة الاقتصادية لأسرة الصبى، وحسب العرف فى القرية فإذا اختلف والد الصبى والمؤدب–مثلا– فى "الحذقة"، ولم يكونا قد اشترطا أجرًا محددًا "حملا على سنة أهل البلد عندهم"[٦٣]. والغالب أن أسرة الصبى تتفق على أجرة المؤدب قبل أن يبدأ الصبى فى التعليم، فإذا لم يكمل الصبى مدة تعليمه، وخرج قبل أن تنتهى المدة المتفق عليها لزمه دفع الأجرة عن المدة التى تعلمها[٦٤]. وكان بعض المؤدبين يشترطون أحيانًا الحصول على بعض المخصصات العينة، فى بعض المناسبات مثل عيدى الفطر والأضحى[٦٥].

وكانت تكتب عقود إجارة بين أسر الصبية والمؤدبين تحدد فيها بدقة مدة التعليم ونوعه وأجرة المؤدب وشروط دفعها سواء كانت نقدًا أم عينًا[٦٦].

(ب) المرحلة الثانية من التعليم:

وتبدأ هذه المرحلة بعد انتهاء الطالب من المرحلة الأولية. والسن التى يبدأ فيها الطالب تلقى العلم فى هذه المرحلة تتراوح ما بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة، كما يفهم من بعض التراجم، فعلى سبيل المثال: رجل "غالب بن عبد الله بن أبى اليمن القطينى" –نسبة إلى قرية قطين من عمل ميورقة– (ت٤٥٦هـ/١٠٧٢م) فى طلب العلم وهو فى سن الرابعة عشرة[٦٧]، و"عبد الجبار بن فتح بن منتصر البلوى" (ت٢٥٨هـ/ ٨٧١م) – من فحص البلوط– "طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة"[٦٨]، وأبو عمرو الدانى – نسبة إلى مدينة دانية من شرق الأندلس– طلب العلم فى سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م، وكان مولده فى سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م من أى كانت سنة يوم طلب العلم ستة عشر عامًا[٦٩].

١- أماكن التعليم فى المرحلة الثانية:

تنوعت أماكن التعليم فى هذه المرحلة على النحو التالى:

(أ) المنزل والضيعة:

كان المنزل هو المكان الملائم لتلقى الأبناء العلم على أيدى آبائهم، وتحفل المصادر كثير من الذين تلقوا العلم على أيدى آبائهم؛ وبالطبع كان المنزل هو المكان الأول لتلقى أولئك للعلم على أيدى آبائهم(٧٠). كما كان بعض العلماء يلقون دروسهم على طلبتهم فى منازلهم مثل الفقيه أبو عمر أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصارى الذى اتخذ من منزله بطليطلة مكاناً لإلقاء دروسه، وكان الطلبة يرحلون إليه من النواحى القريبة لتلقى العلم(٧١).

وكان أبو وهب عبد الأعلى بن وهب (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م) يلقى دروسه على طلبته وهو يعمل فى جنانة بالقرب من مقبرة قريش بقرطبة(٧٢). وبالمثل كان إبراهيم بن محمد بن باز يلقى دروسه على طلبته فى منيته، وفى فدادينه، وفى أندرة وفى الطريق(٧٣).

(ب) المسجد والرابطة:

أما المسجد فكان المكان الأساسى لتلقى العلم فى هذه المرحلة، ويوضح "المقرى" الدور الهام الذى لعبته المساجد فى الحركة التعليمية فى الأندلس بقوله: "ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم فى المساجد"(٧٤).

كما كانت الأربطة من الأماكن التى استخدمت فى نشر العلم، إذ كان يرابط بها العديد من العلماء والزهاد والمتصوفة، وتحفل كتب التراجم بأخبار أولئك العلماء المرابطين مثل سعيد بن موسى الغسانى من قرية "فرخشنيط" من أعمال

إلبيرة، أقام مرابطًا بثغر تطيله حتى وفاته سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م "وكان فقيهًا عالمًا"[٧٥]، وأحمد بن محمد بن عبيدة الأموى (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) وكان ملازمًا للرباط فى "الفهمين" من عمل طليطلة، وكان الناس يرحلون إليه لسماع العلم، فقد كان واسع العلم والرواية[٧٦].

٢- الرحلة فى طلب العلم:

كانت الرحلة فى طلب العلم من أهم سبل الطالب الريفى لتلقى العلم فى هذه المرحلة[٧٧]. وكان الطالب الريفى يقوم برحلة داخلية أى داخل الأندلس- وقد يقوم برحلة خارجية- أى خارج الأندلس- إذا تيسر له ذلك، لزيارة مراكز الثقافة الإسلامية الأخرى، وتلقى العلم على أيدى علمائها.

(أ) الرحلة الداخلية:

جرت العادة أن يبدأ الطالب الريفى تلقى علومه على أيدى علماء قريته، فإذا لم يتيسر له ذلك، رحل إلى قرية مجاورة أو إلى حاضرة كورتة أو إلى مدينته، فعلى سبيل المثال رحل حى بن مطاهر (ت٣٠٦هـ/ ٩١٨م)- من أرياف إلبيرة- إلى إلبيرة الحاضرة لتلقى العلم ثم رحل إلى حاضرة جيان لنفس الغرض[٧٨]، ورحل عيسى بن صالح بن مروان (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) -من إقليم بإشبيلية- إلى إشبيلية الحاضرة لطلب العلم[٧٩].

وحرص الطلاب الريفيون على الرحلة إلى العلماء المشهورين فى أنحاء الأندلس، مثل سعيد بن النمر بن سليمان الغافق (ت ٢٦٩ أو ٢٧٣هـ/ ٨٨٢م ـ أو ٨٨٦م) وكان من أهل قرية بيرة من أعمال إلبيرة، وكان أحد السبعة الذين كانوا بإلبيرة من رواة سحنون، وكانت الرحلة إليه من جميع أنحاء الأندلس[٨٠]، أما عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم (ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م) من أهل قلعة أيوب، فكانت "الرحلة إليه من جميع نواحى الثغر، نفع الله به عالمًا كثيرًا"[٨١].

وجرت العادة أن ينهى الطالب رحلته الداخلية بقرطبة، وقد يقصدها الطالب الريفى لأول رحلته، "وإليها كانت الرحلة فى الرواية إذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء"(٨٢). ويضيق المقام هنا ممن ذكر الطلاب الريفيين الذين تلقوا العلم بقرطبة، ولكن سنذكر بعض الأمثلة للإيضاح. فمن الذين تلقوا العلم بقرطبة من أهل الريف محمد بن سعدون (٣٩٢هـ/ ١٠٠٠م) من ساكنى حصن مورة من عمل باجة(٨٣)، ووسيم بن أحمد بن محمد ناصر الأموى (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) من ساكنى قرية راشة من عمل قرطبة(٨٤).

وكان بعض الطلاب الريفيين يفدون إلى قرطبة لطلب العلم فتستهويهم، فيستقرون بها، كما فعل محمد بن أبى عامر المنصور الذى كان ينتمى إلى قرية طرش أو تركش من أعمال الجزيرة الخضراء، ورد شابًا إلى قرطبة فى طلب العلم، ثم استأجر دكانًا بالقرب من القصر الخليفى يكتب فيه لمن يريد، فكان ذلك من أسباب توصله إلى السيدة صبح أم المؤيد هشام ثم كان من أمره ماكان(٨٥).

(ب) الرحلة الخارجية:

تطلع بعض الطلاب الريفيين- بعد إنهاء رحلتهم الداخلية فى طلب العلم- إلى الرحلة خارج الأندلس لطلب العلم، فكانوا يقصدون مراكز الثقافة الإسلامية على طول الطريق من الأندلس إلى المشرق، وكانت أول محطة يحطون بها رحالهم، "قيروان"(٨٦)، حيث كانت من أهم المحطات الثقافية فى شمال إفريقية آنذاك، فقد كان بها جِلّة من أفاضل العلماء من أمثال سحنون(٨٧)، الذى روى عنه كثير من الطلاب الريفيين مثل سعيد بن النمر بن سليمان الغافقى من قرية بيرة من عمل إلبيرة(٨٨). ومن مشاهير علماء القيروان أيضًا أبو الحسن القابسى(٨٩)، وممن روى عنه من الطلاب الريفيين الأندلسيين حجاج بن محمد بن عبد الملك المركيشى- نسبة إلى حصن مركيش من أعمال إشبيلية- (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)(٩٠). وتحتفل كتب التراجم وغيرها بأسماء العديد من الطلاب الريفيين الذين تلقوا العلم بالقيروان، وهم فى طريقهم للمشرق، وبعضهم أقام بها فترة لتلقى العلم(٩١).

وكانت مصر ثانى المحطات التى يحط بها الريفيون الأندلسيون، وهم فى طريقهم إلى المشرق، ولدينا العديد من الطلاب الريفيين الذين درسوا بمصر مثل أبى عامر يوسف بن يحيى المغامى- نسبة إلى قرية مَغَام Magam من أعمال طليطلة- (ت ٢٨٣ أو ٢٨٥هـ/ ٦٩٨ أو ٨٩٨م)(٩٢)، وسعد بن معاذ بن عثمان (ت٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) من أرياف جيان(٩٣).

أما مكة والمدينة فكانتا من أهم المراكز الثقافية فى المشرق آنذاك، ففى المدينة كان يقيم الإمام مالك (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م) عالم أهل المدينة؛ وصاحب المذهب المالكى، الذى ساد الأندلس فيما بعد، وقد حرص الطلاب الأندلسيون على الاختلاف إلى مجلسه لرواية العلم، وكان من الريفيين الأندلسيين الذين رووا عنه عبد الرحمن بن موسى الهوارى وكان ساكنًا بأرياف مورو، ثم سكن إستجه(٩٤)، وعبد الرحمن بن عبيد الله وكان من أهل أشبونة بغرب الأندلس(٩٥).

وفى مكة تلقى الطلاب الريفيون الأندلسيون العلم على يد أشهر علمائها من أمثال أبى بكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠هـ/ ٣٠٧م)(٩٦)، ومن الريفيين الأندلسيين الذين رووا عنه حماد بن شقران بن حماد من أهل طَلْيَاطَة من عمل إستجة (٣٥٤هـ/٩٦٥م)(٩٧).

وتحفل المصادر بأسماء الراحلين للحج من الأندلسيين، فقد كانت رحلات الحج فى جوهرها رحلات علمية، وقد أقام بعضهم بمكة لفترات طويلة مجاورًا مثل أبى محمد عبد الله بن سعد الشنتجيالى(٩٨)، الذى أقام مجاورًا بالحرم أربعين عامًا، تلقى خلالها الكثير من العلم على أيدى العلماء(٩٩).

وعرج بعض الطلاب الراحلين إلى المشرق على بغداد لتلقى العلم بها من ذلك سعيد بن موسى الغسانى من قرية فرخشنيط بإلبيرة(١٠٠)، وأبو العباس أحمد بن قاسم عيسى الأقليشى(١٠١) (ت ٤١٠هـ/ ١٠١٩م)(١٠٢).

٣- المنهج الدراسي في هذه المرحلة:

(أ) مجموعة العلوم الدينية:

١- القراءات:[١٠٣]

من أوائل الأندلسيين والريفيين الذين اهتموا بهذا العلم ورحلوا في طلبه أبو موسى الهوارى الذى تلقى هذا العلم على أساتذته بالمشرق، وبرع فيه، حتى أنه صنف فيه كتابا رواه عنه بعض الأندلسيين[١٠٤].

ومن الريفيين الذين درسوا علم القراءات أيضًا أبو العباس أحمد بن قاسم الأقليشى الذى درس القراءات على أبى الطيب بن غلبون (ت٣٨٩هـ/ ٩٩٨م) المقرى المصرى. وقد ألف أبو العباس كتبا فى معانى القراءات أخذها الناس عنه، والتزم الإقراء بمسجد الغازى بقرطبة، ثم أقرأ فى طليطلة حتى وفاته سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م[١٠٥]. ومن الذين درسوا القراءات على ابن غلبون أيضًا خلف بن موسى بن فتوح المقرئ من قرية أشبرة إحدى قرى سرقسطة، وقد تصدر للإقراء بالأندلس، وأخذ عنه الكثيرون[١٠٦].

٢- علم التفسير:[١٠٧]

لم يكتف الطلاب الريفيون بدراسة التفسير على يد علماء الأندلس، بل رحلوا فى طلبه، فقد رحل على بن حسن المرى (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) -من أرياف إلبيرة- إلى القيروان، لدراسة علم التفسير[١٠٨]، وقام محمد بن سعدون من ساكنى حصن مورة من عمل باجة، بتدريس كتاب التفسير لابن عباس أول كتب التفسير[١٠٩].

على أن أشهر من اهتم بالتفسير من الريفيين كان منذر بن سعيد البلوطى، الذى ينتمى إلى أرياف فحص البلوط، وينسب إليه بعض المؤلفات فى علم التفسير[١١٠].

٣- علم الحديث:[١١١]

درس الطلاب الريفيون علم الحديث على يد كبار المحدثين الأندلسيين من أمثال "بقى بن مخلد"[١١٢]، (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) الذى روى عنه بعض الريفيين مثل بكر بن رداد من "إقليم ابن جرير "أحد أقاليم إلبيرة، وكان من أهل الحديث" سمع من بقى بن مخلد، وصحبه، وكان بقى يؤثره، ويقدمه"[١١٣] ومن الذين رووا عنه أيضًا عبد الله بن محمد الكشكينانى –نسبة إلى كشكينان– من قرى قرطبة (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م)[١١٤]

ودرس الطلاب الريفيون علم الحديث أيضًا على يد أبى عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع القرطبى[١١٥] (ت٢٨٧هـ/ ٩٠٠م)، ومن الذين رووا عنها من أهل الريف، زيد بن شريح الساكن بمنزل أبى هبيرة من أعمال قبرة[١١٦]، ويوسف بن عمروس المنيى من ساكنى منية العجب من أعمال قرطبة[١١٧] ونابغة بن إبراهيم بن عبد الواحد من أهل قلعة يحصب– من أعمال إلبيرة– (ت٣١٣هـ/ ٩٢٥م)[١١٨].

ومن أكابر محدثى الأندلس الذين درس الطلاب الريفيون عنهم علم الحديث آنذاك– أيضًا– قاسم ابن أصبغ بن عطاء البيانى (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)[١١٩] ومن الريفيين الأندلسيين رووا عنه أبو أحمد (٣٩٤هـ/ ٩٦٠م)[١٢٠]، وأبو عمر أحمد بن هشام بن أمية (ت٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) من ساكنى قرية إختيانة من عمل قبرة[١٢١].

٤- علم الفقه:[١٢٢]

كان مذهب الأوزاعى[١٢٣] (ت١٥٧هـ/ ٧٧٤م) من أوائل المذاهب الفقهية التى انتشرت فى الأندلس، وقد روى عنه المصعب بن عمران الهمذانى، الذى تولى قضاء الجماعة فى قرطبة فى عهد الأمير هشام الرضى، وفى عهد ابنه الحكم

الأول، وكان المصعب بن عمران من الجند الشاميين نزل أول ما نزل بقرية "باذو" من عمل جيان، ثم انتقل إلى سكنى قرية "غليار" بجوفى المدور الأدنى من عمل قرطبة [١٢٤].

وروى عن الأوزاعى أيضًا "أسيد بن عبد الرحمن السباتى"، وأصله من الشام نزل بقرية "ربلس" من "إقليم همدان" من كورة إلبيرة، وكان "فقيهًا عالمًا"، وكان أفقه الناس فى عصره بمسائل الجهاد، وقد ولاه الأمير عبد الرحمن الداخل قضاة كورة إلبيرة مرتين[١٢٥].

ومن أهل الريف الذين كانوا على مذهب الأوزاعى أيضًا "زهير بن مالك البلوى"، الذى تنقل فى السكنى بين باجة وفحص البلوط، وتوفى صدر إمارة الأمير محمد بن عبد الرحمن[١٢٦].

ومازال مذهب الأوزاعى منتشرًا فى الأندلس، حتى دخل المذهب المالكى فى عهد الأمير هشام الرضى، فأصبح منذ ذلك عمدة المذاهب الفقهية فى الأندلس. ولا يهمنا هنا التأريخ لدخول المذهب المالكى الأندلسى[١٢٧]، بقدر اهتمامنا بالتأكيد على أنه منذ دخول المذهب المالكى الأندلس، أقبل الطلبة الأندلسيون على دراسته إقبالاً كبيرًا، ساعد على ذلك تبنى الحكومة الأندلسية له، واتخاذه مذهبًا رسميًا للدولة، كما ذكر القاضى عياض (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م): "إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هشام بن عبد الرحمن ... الناس جميعا بالتزام مذهب مالك، وصير القضاء والفتيا عليه وذلك فى عشرة السبعين ومائة من الهجرة فى حياة مالك... فالتزم الناس بها من يومئذ هذا المذهب وحموه بالسيف عن غيره جملة"[١٢٨]. ولاشك أن مذهب الإمام مالك (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م) لاقى هوى فى نفس الأندلسيين الذين تطلعوا إلى مذهب حاسم، بعد أن عانوا من الخلافات والفتن فى عصر الولاة[١٢٩].

وأهم الكتب التى كان يدرسها الطلبة الريفيون فى الفقه المالكى آنذاك كتاب "الموطأ"[١٣٠] للإمام مالك، وبعض الشروحات والتعليقات عليه، مثل مدونة سحنون

بن سعيد، التى شرحها واختصرها "خلف أبو مولى يوسف بن بهلول البريلى -نسبة إلى قرية بريل من عمل بلنسية- فى كتاب سماه "التقريب" كان الطلبة يستخدمونه فى المناظرة، وقد قيل: "من أراد أن يكون فقيها من ليلته فعليه بكتاب البريلى"[١٣١].

ومن كتب الفقه المالكى التى كان يدرسها الطلبة الريفيون آنذاك -أيضا- كتاب "الواضحة" لعبد الملك بن حبيب السلمى (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)- التى أثنى عليها ابن الفرضى (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٣م) بقوله: "لم يؤلف مثلها"[١٣٢]- وقد رواها عنه تلميذه وصهره، أبو عمر يوسف بن يحيى الأزدى المغامى- نسبة إلى قرية مغام أو مغامة من أعمال طليطلة- (٢٨٣هـ أو ٢٨٥هـ/ ٨٩٦م أو ٨٩٨م)، وعنه انتقلت روايتها فى ربوع الأندلس، إذ "لا يكاد يوجد شىء منها إلا عنه"[١٣٣].

وكانت "العتبية، وهى المستخرجة من الأسمعة المسموعة عن مالك بن أنس[١٣٤]"، من أهم كتب الفقه المالكى التى كان يدرسها طلبة الريف أيضا. وقد اختصرها عبد الله بن فتوح بن موسى بن عبد الواحد الفهرى (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)، قرية البونت من أعمال بلنسية[١٣٥].

ويضيق بنا المقام هنا لو أحصينا عدد المؤلفات الأندلسية فى الفقه المالكى، وأنما اقتصرنا على الإشارة إلى أهم كتب الفقه المالكى التى كان يدرسها الطلبة آنذاك[١٣٦].

ودرس بعض الطلبة الريفيين الفقه على المذهب الشافعى[١٣٧]، على يد أساتذة المذهب فى الأندلس مثل قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م)[١٣٨]، وبقى بن مخلد[١٣٩]، وغيرهما[١٤٠].

ومن الريفيين الأندلسيين الذين برزوا فى دراسة هذا المذهب "عثمان بن وكيل" من أهل المدور الأقصى من أعمال قرطبة، درس المذهب على يد بقى بن مخلد، "وكان من ثقات أصحابه"[١٤١]، وعبد الله بن محمد بن سعيد الأموى البشكلارى - نسبة إلى قرية بشكلار من أعمال جيان- (٣٧٧هـ- ٤٦١هـ/ ت٩٨٧م- ١٠٦٨م)[١٤٢].

ودرس بعض أهل الريف المذهب الظاهرى[١٤٣]، ونبغوا فيه، وأصبحوا من أساتذته، وأوضح مثال على ذلك أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطى (ت٣٥٥هـ/٩٦٥م)؛ وكان ينتمى إلى أرياف فحص البلوط، ومن ملفاته الفقهية: "الإنباه عن الأحكام من كتاب الله"، أو "الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله"، وكتاب "الإبانة عن حقائق أصول الديانة"، وكتاب "الناسخ والمنسوخ" وغيرها، وكان مذهبه فى الفقه النظر والاحتجاج وترك التقليد، يميل فى ذلك إلى المذهب الظاهرى.

ومن أشهر أساتذة المذهب الظاهرى- الذين ينتمون إلى أصول ريفية أيضا - ابن حزم فقد كانت أسرته تنتمى، إلى قرية منت لشم Mont lisam، من إقليم الزاوية من عمل أونبة من كورة ليلة من غرب الأندلس[١٤٤]. وأصبح فى القرن الخامس الهجرى أكبر أساتذة هذا المذهب فى الأندلس. وأن كان ابن حزم لا يعتبر ريفيًا.

(ب) العلوم اللسانية:

ومنها علم اللغة، ومن أوائل الأندلسين- ذوى الأصول الريفية- الذين درسوا علم اللغة، ورحلوا فى طلبه إلى المشرق عبد الرحمن بن موسى الهوارى، وكان ساكنًا فى إحدى قرى مورور، ورحل إلى المشرق فى أول إمارة عبد الرحمن الداخل، وتلقى علم اللغة على أيدى أساتذته فى المشرق وجعله الزبيدى على رأس الطبقة الأولى من اللغويين والنحويين الأندلسيين[١٤٥].

ومن الريفيين الأساتذة فى علم اللغة أيضًا "خصيب الكلبى" من أرياف كورة مورور، وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى يبعث إليه يستفتيه "فى الكلمة من اللغة، والمسألة من العربية تحدث عندهم"، وقد جعله الزبيدى فى الطبقة الثانية من اللغويين والنحويين الأندلسيين، وكانت له مؤلفات فى اللغة[١٤٦].

وكـــان وفود أبى على القـــالى[١٤٧] إلى الأندلس، قد أحدث تطورًا ملحوظًا فى دراسات اللغة والنحو فى الأندلس، خاصة وأنه بقى بها منذ مجيئه سنة

٣٣٠هـ/ ٩٤١م وحتى وفاته سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م، ووضع بها أكثر كتبه، ولا ريب أن أبا على القالى كان موسوعة لغوية فى زمانه، فقد "كان أحفظ أهل زمانه للغة، وأرواهم للشعر الجاهلى، وأحفظهم له، وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين، وأكثرهم تدقيقا فيه"[١٤٨]. وقد استقبل الخليفة الناصر أبا على أحسن استقبال وأوسع عليه، وأقطعه وشجعه على نشر علمه، فانتفع به طلاب العلم فى الأندلس أيما انتفاع[١٤٩].

وكان لأبى على القالى مجلس علم فى جامع الزهراء، درس فيه العديد من كتبه فى اللغة والنحو والأدب منها "النوادر والأمالى" و"المقصور والممدود" و"فعلت وأفعلت" وكتاب "تفسير القصائد والمعلقات السبع وتفسير إعرابها ومعانيها" وكتاب "البارع فى اللغة" وكان يشتمل على خمسة آلاف ورقة، وأثنى عليه الزبيدى بقوله: "ولا نعلم أحدا من العلماء المتقدمين والمتأخرين ألف نظيره فى الإحاطة والاستيعاب"[١٥٠]. وكان كثير من الطلبة الريفيين يختلفون إلى مجلسه لتلقى علوم اللغة والأدب والنحو.

أما علم النحو فقد رحل الطلبة الريفيون الأندلسيون فى طلبه منذ وقت مبكر، وكان من أوائلهم "جودى بن عثمان النحوى" من كورة مورور (ت ١٩٨هـ/٨١٣م)، الذى تلقى أصول علم النحو على أيدى أئمته فى المشرق مثل الكسائى والفراء[١٥١]، وكان أول من أدخل كتاب الكسائى إلى الأندلس، وألف فى النحو كتابًا سماه "منبه الحجارة"[١٥٢].

وتخصص بعض أهل الريف فى التأديب بالنحو منهم محمد بن سليمان الأنصارى المكفوف الملقب بالجرفى -نسبة إلى جرف مواز، قرية من جبل قرطبة- "أنجب على يديه خلق كثير"، وألف كتابًا شرح فيه كتاب الكسائى فى النحو، وتوفى سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م[١٥٣].

ومن أبرز علماء النحو الذين كانوا ينتمون إلى أصول ريفية محمد بن يحيى الرباحى (ت ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)، وكانت له رحلة مشرقية درس فيها كتاب سيبويه[١٥٤] "وقدم قرطبة فلزم التأديب بها فى داره، فانجفل الناس عليه"[١٥٥].

وكان عبيد الله بن فرج الطوطالقى[١٥٦] النحوى من أبرز علماء النحو الريفيين أيضا، وقد تلقى أصول هذا العلم على أيدى أبى على القالى، وأبى عبد الله الرباحى، وابن القوطية، ونظرائهم، وكانت وفاته سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م [١٥٧].

ومن العلوم اللسانية التى كان يدرسها الطلبة الريفيون أيضا، الأدب، وكان يشمل آنذاك العديد من الفنون والعلوم التى يمكن تقسيمها إلى مجموعتين: المجموعة النثرية وتشمل النثر الفنى والتاريخ والقصص، والمجموعة الشعرية وتشمل الشعر والزجل والموشحات[١٥٨].

وكان الطلبة الأندلسيون يدرسون أمهات كتب الأدب المشرقية التى أشار إلى بعضها ابن خلدون وجعلها أصولا لفن الأدب وأركانه "وسمعنا من شيوخنا أن أصول هذا الفن (يعنى الأدب) وأركانه أربعة دواوين وهى: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى"[١٥٩].

ودخلت كتب الأدب الأندلسى عن طريق الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق، فعلى سبيل المثال رحل "أبو عبد الملك عثمان بن المثنى" (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) إلى المشرق "فلقى حبيب بن أبو أوس الطائى، فقرأ عليه شعره، وأدخله الأندلس[١٦٠]، وسمع إبراهيم بن موسى بن جميل (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) كتب ابن قتيبة، وتاريخ ابن أبى خيثمة، وعنه نقل بعض الأندلسيين هذه الكتب[١٦١]. والأمثلة على ذلك كثيرة.

وكان دخول بعض الشرقيين إلى الأندلس سببًا فى ازدهار الدراسات الأدبية بها، من ذلك أشرنا إليه سابقا من دخول أبى على القالى، ثم دخل أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادى سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، فأثرى الدراسات الأدبية فى الأندلس آنذاك،

وألف للمنصورين أبى عامر كتاب "الفصوص فى الأدب والأشعار والأخبار"، فأثابه عنه بخمسة آلاف دينار، وأمره أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة، فاحتشد للسماع منه جماعة أهل الأدب ووجوه الناس(١٦٢).

كما أدخل بعض الشرقيين بعض كتب الأدب كما فعل أحمد بن محمد بن هارون البغدادى، الذى أدخل كتب ابن قتيبة، وبعض كتب الجاحظ، وعنه أخذها بعض الأندلسيين(١٦٣).

ومن أشهر مؤلفات الأندلسيين فى الأدب، والتى كان يدرسها الطلبة آنذاك كتاب "العقد الفريد" لأحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) الذى نهج فيه نهج مؤلفى الأدب المشرقيين من حيث التبويب والمحتوى(١٦٤) وتتضح قيمة هذا الكتاب – كما يذكر بالنثيا– فى أنه يقدم لنا ما كان ينبغى أن يحيط به المتعلم أو المهتم بالأدب آنذاك(١٦٥).

(جـ) العلوم العقلية: (١٦٦)

ويأتى على رأسها الطب، حيث رحل الطلبة الأندلسيون –فى طلبه– إلى المشرق، ومن الطلبة ذوى الأصول الريفية الذين اهتموا بعلم الطب محمد بن عبدون الجبلى – والجبلى نسبة إلى أحد الجبال لعله جبل قرطبة– الذى رحل إلى المشرق سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، ودخل البصرة وتميز فى علم الطب لدرجة أنه دبر مارستان الفسطاط، وأداره، ثم عاد إلى الأندلس سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، وخدم بالطب المستنصر وهشام المؤيد، وكان فى قرطبة وأحد عصره فى علم الطب، درس على يديه الطب كثير من الطلبة الأندلسيين(١٦٧).

وكانت أهم كتب الطب التى كان يدرسها الطلبة قبل القرن الرابع الهجرى، كتاب "الأبريشم" أو الأبريسم Aphorismi لأبقراط، ويعنى "المجموع أو الجامع" أو "الفصول". وكان بعض نصارى الأندلس يمارسون الطب، معتمدين على بعض الكتب الفرعية دون الأصول، وظهر من بينهم عدة أطباء(١٦٨).

وتقدمت الدراسات الطبية في الأندلس منذ بداية القرن الرابع الهجرى، حيث دخلت كثير من كتب الطب المشرقية، والكتب اليونانية التى ترجمت فى المشرق[١٦٩]، واهتم خلفاء الأندلس بتشجيع الدراسات الطبية وتقريب الأطباء، وإتحافهم بالولايات والعمالات[١٧٠]. كل ذلك أدى فى النهاية إلى ازدهار الدراسات الطبية، وظهور أعداد كبيرة من الأطباء الأندلسيين لدرجة أن حكومة الخلافة قد أفردت ديوانا عرف بـــ"ديوان المطببين" أو ديوان الأطباء، اقتصر على أولئك الذين يخدمون الحكومة فقط[١٧١].

ومن الأطباء المشهورين الذين كانوا ينتمون إلى أصول ريفية أبو موسى هارون الأشونى– نسبة إلى حصن أُشُونَة من أعمال إستجة[١٧٢]– وخدم بالطب الناصر والمستنصر، وكان من شيوخ الأطباء وخيارهم[١٧٣].

ومن العلوم العقلية أيضا العلوم الرياضية، وتشمل علوم العدد وفروعها –مثل الحساب، والفرائض وغيرهما– وعلوم الهندسة والفلك[١٧٤].

وكان الطلبة يدرسون بعض الكتب المؤلفة فى هذه العلوم مثل كتاب فى الفرائض ألفه "أبو غالب حباب بن عبادة الفرائضى"، ظل الطلاب يدرسونه حتى أوائل القرن الخامس الهجرى، وكتاب آخر فى الفرائض لأبى أيوب بن عبد الغافر بن محمد، الذى كان أستاذاً لمسلمة المجريطى. وكان أبو بكر بن ابى عيسي يجلس لتعليم علوم العدد والهندسة والنجوم فى عصر الحكم المستنصر، وكان أستاذاً لمسلمة المجريطى أيضا[١٧٥].

على أن أشهر من عنوا بالعلوم الرياضية، ونشروها فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، كان مسلمة بن أحمد المجريطى[١٧٦] (ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) "إمام الرياضيين بالأندلس فى وقته، وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم[١٧٧]"، عنى بكتاب بطليموس المعروف "بالمجسطى"" وألف كتابا حسنا فى ثمار علم العدد، وهو المعروف فى الأندلس بالمعاملات، واختصر كتاب تعديل الكواكب من زيج البتانى، وعنى بزيج محمد بن موسى الخوارزمى، ونقل تاريخه الفارسى إلى التاريخ العربى، وزاد فيه جداول حسنة، وكان له تلاميذ كثيرين، أنجبوا على يديه، لم ينجب لعالم بالأندلس مثلهم[١٧٨].

وليس من شأننا هنا التأريخ للحياة الفكرية فى الأندلس، بل كان اهتمامنا بإعطاء نبذة عن أصناف العلوم التى كان يدرسها الطالب الريفى، مع الإشارة إلى بعض الأساتذة والعلماء خاصة من كان منهم ينتمى إلى أصول ريفية، لذا اقتصرنا على المعلومات المتاحة عن بعض الطلبة والأساتذة الريفيين، وحاولنا بقدر الإمكان التركيز على ذلك، وعدم الخروج عن الموضوع.

٤- حركات ثقافية أثرَتْ الحياة الفكرية فى الريف:

(أ) الزهد والتصوف:

كانت نزعة الزهد والتصوف فى الأندلس نزعة إيجابية نشيطة، فقد اهتم الزهاد – من خلالها– بشئون مجتمعهم، وأسهموا فى الحياة العامة إسهامًا كبيرًا، فمالوا إلى نشر الدين والعلم، وحرصوا على أن يكونوا قدوة حسنة ليتأسى بهم الناس، فدعوا إلى إجهاد ورابطوا فى الثغور[١٧٩]، وساعدوا الفقراء، وأفتكوا الأسرى[١٨٠].

وبغض النظر عن الأسباب التى أدت إلى نشوء حركة الزهد والتصوف فى الأندلس[١٨١]، فإنها كانت نزعة ثقافية، فالزهاد والمتصوفة –فى غالبيتهم– كانوا متعلمين وعلماء، نشأوا طلابا للعلم فى مواطنهم، ورحلوا فى طلبه وعادوا يبثون علومهم أينما حلوا. والأمثلة على ذلك كثيرة، فمن الزهاد الريفيين الذين تنطبق عليهم هذه الصفات: "هرمة بن سمك" من أرياف إلبيرة، كان من أهل العلم والورع، والزهد والانقباض، توفى سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م[١٨٢]، "دينار بن واقد بن رجاء بن عامر بن مالك الغافقى، نزيل قرية الغافقيين بإشبيلية، كان عالما، زاهدا، فقيها، وهو والد الفقيه عيسى بن دينار[١٨٣]، ومنهم أيضا جابر بن مسعود من ساكنى جبل سهيل أيضا، كان عالما متفننا منقبضا، ويوسف بن أبى تليد من ساكنى مشرقيه لطلب العلم[١٨٤].

وقد شارك الزهاد الريفيون فى الحركة الثقافية فى الأندلس مشاركة فعالة تمثلت فى قيامهم بالتدريس ونشر العلم فى مواطنهم، وفى غير مواطنهم فعلى سبيل المثال كان "محمد بن سعدون" من ساكنى حصن مورة من عمل باجة ويعرف بابن الزنونى

رجلاً صالحًا، فاضلاً زاهدًا ورعًا، قام برحلة مشرقية لطلب العلم سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، زار خلالها مصر ومكه، وسمع من علمائها وعاد إلى الأندلس ليبث علمه، فحدث "بكتاب السنن لابن السكن والتفسير المنسوب إلى ابن عباس، وغير ذلك[١٨٥]. أما عبد الله بن عاصم من أرياف قرطبة، فكان من أهل الورع والتقشف وكان مع هذا "عالمًا عارفًا باللغة والشعر والتفنن في العلوم مع التقدم في الحفظ للفقه" أثنى عليه محمد بن عمر بن لبانة، ووصفه بحفظ المسائل والرأى، وكان إلى جانب ذلك من أهل الحديث، روى عنه محمد بن عبد الملك بن أيمن[١٨٦].

ومن الزهاد الذين شاركوا في الحياة الثقافية أيضا: أبو عمرو معوذ بن داود بن دلهاث الأزى (ت ٤٣١هـ/ ١٠٢٩م) من "حفرة وندة" من أعمال تاكرنا، سمع العلم على كثير من علماء الأندلس "وكان مفتيًا جليلاً، وعابدًا مجتهدًا وعالمًا يكثُر الحديث. وكان من أهل الخير والصلاح والزهد والورع والتواضع، وعنى بالعلم والأثر وكان مجاب الدعوة وقد حدث عنه القاضي يونس بن عبد الله، وأبى عبد الله محمد بن عتاب الفقيه وغيرهما"[١٨٧]، وأبى الأصبغ عيسى بن محمد بن موسى بن خلف الكنانى من قرية إطابة من عمل تاكرنا، كان من العباد الزهاد الفضلاء، عنى بطلب العلم، وصحب أبا عمرو معوز بن داود الفقيه العابد زمانا وروى عنه، وسمع بقرطبة وغيرها. وقد روى عنه علم كثير من الطلاب منهم: أبى المطرف بن جرج، وأبى عبد الله بن عتابن وأبى العاص بن فرانك، وغيرهم[١٨٨].

ومما ضاعف من التأثير الثقافي للزهاد في الريف، تفضيل معظمهم للإقامة في النواحي الريفية، بعيدًا عن صخب المدن، لأن حياة الريف الهادئة، توافق إلى حد كبير طبيعة الزهاد، فعلى سبيل المثال كان محمد بن سلمى الكلابى من الزهاد المتنكسين الذين آثروا الإقامة في الريف[١٨٩]، ومثله في ذلك عبد الله بن محمد بن ربيع من أهل قرطبة، كانت له رحلة مشرقية في طلب العلم "وكان رجلاً منقبضًا ملازمًا للبادية أكثر وقته"[١٩٠]، وعلى شاكلتهما كان محمد بن الفرج من أهل ريه- من الزهاد الناسكين الورعين "وكان ينزل بشرقى الحاضرة على رأس سبعة أميال"[١٩١].

وكان بعض الزهاد يستقرون -أحيانا- فى أماكن مخصوصة عبارة عن زوايا أو متعبدات، يجتمع فيها أهل الزهد للعبادة والتذاكر. وانتشرت هذه الزوايا أو الربط فى أنحاء الريف المختلفة، مثل سهل المدور من أعمال قرطبة، وأرياف ببشتر، وأرياف فحص البلوط، وغيرها. وكانت هذه الزوايا والرُبَط ينزلها الفقراء والغرباء أيضا، وتحبس عليها الأموال والعقارات والأراضى للصرف عليها، وقد زادت أعدادها بعد عصر الخلافة بشكل ملحوظ، نتيجة لازدهار حركة الزهد والتصوف(١٩٢). ويبدو أن رابطة المرية كانت من هذا النوع، إذ كان يستقر بها بعض الزهاد والصالحين للتعبد(١٩٣).

وكانت بعض الحصون مستقرًا لبعض الزهاد والمتعبدين، فإبراهيم بن خصيب بن عاصم الثقفى الزاهد، الذى "سرد الصوم نحوا من خمس عشرة سنة، وكان ملازما فى حصن بلى من عمل قرطبة"(١٩٤).

وقام الزهاد والصلحاء فى الريف بنشر فكر الجهاد قولاً وفعلاً، فقد ساهموا مساهمة فعالة فى حركة الجهاد ضد الممالك النصرانية فى الشمال، حيث تجول الكثيرون منهم فى الثغور الشمالية مرابطين ومجاهدين، من ذلك عيد بن موسى الغسانى من قرية فرخشنيط من عمل إلبيرة؛ الذى كانت له رحلة مشرقية دخل فيها بغداد، وسمع بها العلم على أيدى علمائها، وعاد إلى الأندلس، فلزم ثغر تطيله مرابطًا حتى استشهد سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م "وكان فقيهًا عالمًا زاهدًا ورعًا يصوم الدهر"(١٩٥). وكان أبو على الحسن بن محمد بن عبد الله بن طوق التغلبى من قرية باغة التغلبيين من أعمال جيان من الصلحاء، رابط بثغر طليطلة حتى توفى سنة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م(١٩٦). والأمثلة على ذلك كثيرة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن حركة التصوف فى الأندلس، تنسب فى نشأتها إلى متصوفين من أهل الريف أولهما: أبو عبد الله معاذ بن عثمان الشعبانى (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م) الذى كان تصوفه – فى رأى الدكتور محمد بركات البيلى – إرهاصة بظهور نزعة التصوف فى الأندلس(١٩٧). وثانيهما: أبى بكر يمن بن رزق التطيلى، الذى يعتبره الدكتور محمود على مكى الممهد الرئيسى للتصوف بمعناه الحقيقى فى الأندلس، وكان قد ولد فى أوائل القرن الثالث الهجرى(١٩٨).

ومن المتصوفين الريفيين أيضا "الخضر بن زكريا بن عبيد"، كان أحد "بدلاء" قرية "برجة" من أعمال إلبيرة[١٩٩].

وتشابهت حركة التصوف مع نزعة الزهد، فى اتجاه المتصوفين إلى الاستقرار فى الريف، والاهتمام بالعلم، والجهاد والرباط فى سبيل الله، وحب العمل وعدم التواكل من ذلك سليمان بن العباس بن سعيد الخير "وكان زاهدا، متبتلا، صوفيا، ملازما ضيعته بترجالة من قبرة"[٢٠٠]، أما أبى عبد الله محمد بن طاهر القيسى التدميرى، فكان من العلماء الصالحين، والأخبار النساك، طلب العلم فى قرطبة، ورحل إلى المشرق، فزار مصر وأقام بالحرمين ثمانية أعوام، ودخل العراق، وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم، ولبس الصوف، وتورع، وأعرض عن الشهوات، وكان يشتغل بنسخ الكتب ليكسب قوته، ويوآجر نفسه فى الخدمة رياضة لها، ولما عاد إلى الأندلس رفض الإقامة بمدينة مرسية، وفضل الإقامة بقرية خارجها، فاتخذ بيتا سقفه من حطب السدر، واعتمر جنينه بيده، يقتات منها، وصار يغزو مع المنصور بن أبى عامر، ثم تحول إلى الثغر، وواصل الرباط والجهاد، حتى استشهد مقبلا غير مدبر فى سنة ٣٧٨هـ/ أو ٣٧٩هـ/ ٩٨٨م أو ٩٨٩م[٢٠١].

وكان الزهاد والمتصوفة عموما مسؤولين عن شيوع ثقافة الكرامة فى الريف، وفى الأندلس عموما، إذ نسب إلى بعضهم بعض الكرامات مثل التنبؤ بأحداث المستقبل -الذى يعد من الكرامات التى ينسبها الخيال الشعبى إلى الصالحين والزهاد[٢٠٢]- واستجابة الدعوة، فقد كان الناس يستشفعون بدعائهم فى صلوات الاستسقاء طلبا لنزول المطر[٢٠٣]. ويُحكى عن يمن بن رزق الزاهد أنه لم يكن يملك من حطام الدنيا شيئا سوى مصحفه، وكتابه فى الزهد[٢٠٤]، فإذا "أراد شراء شئ أو أن يتصدق بشيء، أدخل يده تحت الحصير فيخرج دراهم صحاحًا كبارًا"[٢٠٥].

وهكذا يتضح مدى تأثير حركة الزهد والتصوف فى الريف، تلك الحركة التى كان معظم أعلامها يقيمون فى النواحى الريفية مما ضاعف من تأثيرهم فى الثقافة الريفية بشكل عام.

(ب) الحركة المسرية:

تنسب الحركة المسرية إلى محمد بن عبد الله بن مسرة (٢٦٩هـ-٣١٩هـ/ ٨٨٢م-٩٣١م). وبصرف النظر عن حقيقة كنة هذه الحركة التى اختلف حولها الأقدمون والمحدثون على السواء، فإنها كانت من الحركات الثقافية التى أثرت فى الريف، لأن مؤسسها، محمد بن عبد الله بن مسرة استقر فى ضيعته بإحدى قرى قرطبة، ومن هنالك أخذ يبث علمه ودعوته إلى أتباعه ومريديه، الذين انجلفوا عليه من نواحى الأندلس(٢٠٦).

وتحمل الحركة المسرية بين طياتها جوانب ثقافية عدة منها الزهد، فقد كان محمد بن عبد الله بن مسرة "على طريقة من الزهد والعبادة سبق فيها، وافتتن جماعة من أجلها"(٢٠٧). وتبدو أهمية الجانب الزهدى- وأثره الثقافى- عند ابن مسرة فى أنه كان جانبا عمليا سلوكيا، إذ كان أحد ركنين تكون منهما مذهبه كما ذكر الخشنى (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م): "كان مذهب محمد بن مسرة فى عمله الزهد والانقباض، وفى عمله النظر والاستنباط(٢٠٨). ويبدو أن جانب الزهد والورع- عند ابن مسرة- قد جذب إليه الكثير من الأتباع والمريدين، على ما ذكر ابن الفرضى: "فأظهر (يعنى ابن مسرة) نسكا وورعًا، واغتر الناس بظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه"(٢٠٩).

ومثل الجانب العقلى الركن الثانى، والأهم فى حركة ابن مسرة، فقد كان مذهبه "فى عمله النظر والاستنباط، تصرف فى العلوم تصرف الحاذق، ونظر فيها نظر الماهر"(٢١٠). وهذا الجانب العقلى فى فكر ابن مسرة يشتمل على عدة عناصر ثقافية مثل العناصر الاعتزالية، والصوفية والفلسفية، والباطنية الشيعية، فقد كان مذهبه على حد رأى الدكتور محمد بركات البيلى، نوعًا من التصوف الفلسفى جمع فيه بين آراء الصوفية، وكلام المعتزلة، وآراء الفلاسفة(٢١١).

وقد أثرت العناصر الفكرية فى حركة ابن مسرة الحياة الثقافية فى الأندلس عامة، لدرجة أن الناس انقسموا حوله فرقتين "فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة فى العلم والزهد، لما ظهر لها من براعته فى العلم، وصدقه فى الزهد، وفرقة تطعن عليه فى البدع لما ظهر لها من كلامه فى الوعد والوعيد، ولتأويله فى أى القرآن... وخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم"(٢١٢).

وواضح أن حركة ابن مسرة قد أثارت جدلاً فكريًا فى كل الأندلس، بفضل دعاته الذين نشطوا -حتى بعد وفاته- فى نشر أفكاره فى طول الأندلس وعرضها، حتى استطاعوا جذب، واستقطاب الكثيرين فى أنحاء الأندلس إلى أفكاره وإلى حركته، كما أشار إلى ذلك ابن حيان: "ولم يلبث دعاته مع انتشارهم فى البلاد أن تلبسوا بعده بما أوعزهم من مكنون علمه وأخذ عليهم من بثه... وصغت إليه أفئدة جماعة من الناس من خاصة وعامة أذاعوه سرًا، وأفشوا مذهبه، وغبطوا من فاء إليه واعتقده، فانتشر بقرطبة وطرأ إلى بلاد سواها، وزن به جماعة"[٢١٣].

ويبدو أن هذا الجدل الفكرى حول المسرية لم يحتدم إلا عندما أدركت حكومة الناصر خطورة الحركة المسرية، التى -يبدو أنها- كان لها جانبها السياسى، خاصة أنها كانت تحمل فى طياتها عناصر باطنية - شعبية، رأت فيها حكومة الناصر نذير خطر يهددها فى ظل ازدهار الفكر السياسى الشيعى على الجانب الآخر من العدوة المغربية، واستيلائه على كثير من الأقاليم، وتهديده للخلافة الأندلسية، لذا هب الناصر لدفع خطر المسرية، فأنفذ كتابًا طويلاً فنَّد فيه آراء هذه الفرقة، واتهمها بالخروج على الدين، وأظهر نفسه فى صورة الحامى للسُّنَّة والشريعة ضد الخارجين والمبتدعين، وأمر بتتبع أنصارها فى كل مكان، كما أمر أن يُقرأ الكتاب على جميع منابر الأندلس، وهو ما يدل على شيوع الحركة وانتشارها فى أنحاء الأندلس[٢١٤].

وانتعشت المسرية نسبيًا بموت الناصر، وتسامح الحكم المستنصر؛ وإن كان قد تنبه إليها الفقهاء المالكية، فهبوا لمقارعتها فكريًا، ثم ما لبثت الحركة أن تراجعت فى أواخر عهد الحكم وطوال عهد المنصور بن أبى عامر، الذى تظاهر بحماية السنة، فلاحق المسرية وأتباعها مما أدى إلى إضعافها، ولكنها لم تمت[٢١٥].

وظلت المسرية موجودة حتى عصر ابن حزم، وكان عميدها فى عصره إسماعيل بن عبد الله الرعينى، وكان أهل بيته كلهم مسريين، وإن كانت قد ضعفت لانقسامها على نفسها، ولكنها لم تندثر، إذ ظلت بعض الآراء المسرية يتردد صداها بين متصوفة المرية التى كانت آنذاك من المراكز الرئيسية للصوفية فى الأندلس[٢١٦].

(جـ) الفكر الشيعى فى الأندلس وأثره فى الريف:

ظهر الفكر الشيعى فى الأندلس منذ وقت مبكر فى صورة سياسية، وكانت أول الثورات العربية فى الأندلس ذات الصلة بالعلويين ثورة عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر، وثورة الحسين بن يحيى بن سعيد بن عبادة الخزرجى (سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م) على عبد الرحمن الداخل[٢١٧].

ولكن الفكر الشيعى تركز بصورة أوضح بين القبائل البربرية، التى انتشرت فى نواحى الريف المختلفة، وكانت ثورة شقنا بن عبد الواحد المكناسى البربرى من أخطر الثورات البربرية ذات الطابع الشيعى من حيث أنها استمرت فترة طويلة، وشملت منطقة كبيرة[٢١٨].

ومن الثورات البربرية الشيعية التى حملت أفكارًا خطيرة على المستوى الثقافى ثورة قام بها "معلم كتاب" فى شرق الأندلس سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م، وقد ادعى ذلك الرجل النبوة، وأوّل القرآن، وشرّع لأتباعه بعض الشرائع منها النهى عن قص الشارب والأظافر استنادًا لمقولة "لا تغيير لخلق الله"[٢١٩]، وتجلت خطورة هذه الثورة فى نجاح هذا المتنبىء فى التغرير بكثير من العامة فى الريف، وحملهم على اتّباعه[٢٢٠].

ومن الثورات التى استغلت الدعوات والأفكار الشيعية ثورة عمر بن حفصون، الذى خطب فى أعماله برية لإبراهيم بن القاسم بن إدريس العلوى صاحب البصرة[٢٢١]، ثم خطب لعبيد الله الشيعى صاحب إفريقية، وأذن فى جميع أعماله يحيا على خير العمل[٢٢٢]، ويبدو أن ابن حفصون لم يكن مخلصا للدعوة الفاطمية الشيعية، وإنما كان يتخذها مطية لتحقيق أغراضه نكاية فى الأمويين فى الأندلس[٢٢٣].

وحملت ثورة أحمد بن معاوية القط سنة ٢٨٨هـ/ ٩١٠م، العديد من عناصر الفكر الشيعى من ذلك تلقب زعيمها بلقب "المهدى" ولقب "فائز الدين وعاصم المسلمين"، واتخاذه داعية له هو أبى على السراج، الذى نشط فى دعوته، منتهجًا

أسلوب "التقية"، فظهر فى مظهر الزاهد، يلبس الصوف، وينتعل الحلفاء، وينتقل ممتطيًا حمارًا، ونجح فى بث دعوته بين صفوف القبائل البربرية والعربية فى منطقة "الجوف" فى الثغر الأدنى، وفى منطقة الحدود بين المسلمين والنصارى، ولجأ إلى التأثير فى أتباعه بإظهار بعض الكرامات، حتى فتن به أتباعه وكادوا يقدسونه، واستطاع هذا الداعى استقطاب أعداد كبيرة من العرب والبربر فى تلك المنطقة، ولكن الثورة انتهت بالفشل(٢٢٤).

وفى سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م ادعى رجل من أشبونة- بغرب الأندلس- أنه من ولد عبد المطلب وأن أمه مريم ابنة فاطمة، وزعم أنه نبى، "وسن لأتباعه سننا، وشرع لهم شرائع، منها حلق الرأس وغير ذلك مما لا يعقل، ثم وقع عليه البحث فخفى أثره".(٢٢٥).

وحوالى منتصف القرن الرابع الهجرى، ظهرت محاولة جادة لنشر الفكر الشيعى فى الأندلس قام بها داعى شيعى يدعى أبو الخير الشيعى، ويبدو أنه نجح فى بث دعوته فى نواحى عديدة من الأندلس، يتضح ذلك من كثرة الشهادات التى أدانته، والتى جاءت من نواحى الأندلس المختلفة. وتبدو خطورة هذا الداعى ودعوته من أنه كان -فيما يبدو- أندلسيا لإجادته التحدث بالعجمية (الرومانثية)، وشهادات الكثيرين ضده، ممن كانوا يعرفونه أثناء تنقلاته فى أنحاء الأندلس، هذا فضلا عن ظهوره فى وقت حرج، عقب الخليفة الناصر، وولاية الحكم المستنصر، وبالتحديد فى السنتين الأوليين من حكم الحكم المستنصر، لأن وفاة الفقيه إسحاق بن إبراهيم -الذى بعث بكتابه إلى الخليفة الحكم المستنصر بمناسبة التخلص من هذا الداعية- كانت فى سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م، وكان هذا الداعية يدعو إلى الخليفة الفاطمى أبى تميم معد، وهو المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٢- ٩٧٥م) وكان من أقوى الخلفاء الفاطميين، وهو الذى استولى على مصر. وتكمن خطورة دعوة أبى الخير الشيعية أيضا فى اشتماله على كثير من الأفكار الشيعية المتطرفة، والأفكار الغريبة الهدامة مثل سبه لأبى بكر وعمر وعثمان وعائشة -رضى الله عنهم- وتحليله للخمر، وعدم

اعترافه بشرعية حكم بنى أمية فى الأندلس، وعدم إيمانه بالبعث والحساب، والطعن فى القرآن، والحديث وتأويلهما، ودعوته لترك الصلاة والحج ، وتحريمه ما أحل الله، وإقراره للفواحش، وادعائه العلم بالغيب إلى غير ذلك من الافتراءات. وانتهى الأمر بصلبه، بعد محاكمة عادلة[٢٢٦].

ولم تمت الدعوة الشيعية فى الأندلس، وظلت موجودة يعتنقها بعض الأفراد والجماعات حتى عصر ابن حزم الذى أشار إلى أن أهل "بلفيق" بغرب المرية،- وكانوا من العرب الهمدانيين- كانوا شيعة[٢٢٧].

٥- البارزون من أهل الريف فى العلوم والفنون المختلفة:

(أ) البارزون فى العلوم الدينية:

هناك العديد من العلماء الريفيين الذين برزوا فى العلوم الدينية، ففى علوم القرآن كان هناك "أحمد ابن هشام بن أمية بن بكير الأموى"، الساكن بقرية إختيانة من عمل قبرة (ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م)، "وكان فاضلا من أهل القرآن والعلم مع الصلاح والفهم"، و"خلف بن موسى بن فتوح المقرىء" من قرية أشبرة من أعمال سرقسطة، تصدر لاقراء القرآن، فقرأ عليه كثير من الأندلسين[٢٢٨]، ومن البارزين فى علوم القرآن أيضا: "أبى عبد الله بن موسى الشارقى" -نسبة إلى حصن شارقة من أعمال بلنسية[٢٢٩].

ومن علماء الحديث الريفيين الفرج بن الحارث بن أبى الأسد الساكن بقرية أبطلش من أعمال قرطبة كان معتنيا بالحديث سمع منه محمد بن عبد الملك بن أيمن وغيره[٢٣٠]، و"بكر بن رداد" من أرياف إلبيرة "كان من أهل الحديث، وبصيرا بالفقه[٢٣١]" و"مكى بن صفوان بن سليمان بن سليم" (ت ٣١٨هـ/ ٩٣٠م) من "بيرة"[٢٣٢]، سمع الحديث من بقى بن مخلد، ومحمد بن وضاح ومن نظرائهما من رجال الحديث[٢٣٣].

ومن علماء الفقه المنتمين فى الريف "أبى عمر بن يحيى المغامى -نسبة إلى قرية مغامة من أعمال طليطلة، سمع من يحيى بن يحيى الليثى، وكان تلميذًا لعبد الملك بن حبيب "كان رأسا فى الفقه لا يجارى"، ألف كتابًا فى الرد على الإمام الشافعى فى عشرة أجزاء، وصف كتاب "فضائل مالك" تفقه على يديه كثير من الأندلسيين وغيرهم[٢٣٤]. وكانت له أخت تسمى فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامى "كانت خيرة فاضلة عالمة فقيهه" استوطنت قرطبة وبها توفيت سنة ٣١٩ هـ/ ٩٣١م[٢٣٥].

ومن فقهاء الريف البارزين أيضا "سعيد بن نمر بن سليمان الغافقى" من أهل قرية بيرة من أعمال إلبيرة، كان أحد السبعة الذين رووا عن سحنون بإلبيرة[٢٣٦] و"حامد بن أبى هله من أهل أشونة– من أعمال إستجة[٢٣٧]– كان من العلماء الفقهاء الفضلاء[٢٣٨]. ومنهم أيضا "حى بن طاهر" أرياف إلبيرة، "وسعيد بن أبيض من حصن فيشاطة من أعمال رية، و"يوسف بن مرحب" من أهل أشونة[٢٣٩].

(ب) البارزون فى الأدب واللغة والشعر:

من مشاهير الأدباء الريفيين "سعيد بن محمد بن شعيب الأنصارى" (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) أديب، وخطيب قرية قبتور من أعمال إشبيلي" وكان شيخًا صالحًا من أئمة أهل القرآن، عالمًا بمعانيه وقراءاته، عالما بفنون العربية .... وكان طريف الحكايات والأخبار"[٢٤٠].

ومن الأدباء واللغويين البارزين "ابن رفاعة الإلبيرى"، وهو محمد بن يزيد بن رفاعة الأموى، أصله من قرية طرش من أعمال إلبيرة "كان لغويًا شاعرًا" توفى سنة ٤٠٣ أو ٤٠٤هـ/ ١٠١٢ أو ١٠١٣م[٢٤١]، وهو الذى خطأ أبا على القالى فى روايته لأحد الأبيات الشعرية، وكان ضمن الوفد الذى بعثه الناصر لاستقبال القالى[٢٤٢]. ومنهم أيضا "عبد الله بن شعيب" (ت ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م) من أهل أشونة "كان شيخًا أديبًا له بصر باللغة العربية"[٢٤٣].

ومن الأدباء الشعراء والخطباء البلغاء "أحمد بن محمد بن أضحى الهمدانى" من قرية همدان من فحص غرناطة "كان من أهل البلاغة، والبيان والأدب والشعر البارع" وكان خطيبًا مفوهًا[٢٤٤].

وفى مجال الشعر لدينا طائفة من الشعراء الريفيين منهم "أبى المخشى عاصم بن زيد التميمى" من قرية شُوْش من أعمال إلبيرة، كان من أكابر شعراء الهجاء برز فى عهد الأمير عبد الرحمن الداخل لدرجة أن البعض يعده شاعر الأندلس الأول فى عصره وكانت له محنة مع الأمير هشام –بسبب ميله إلى أخيه سليمان– انتهت بأن سَمَلَ الأمير عينيه فكان لذلك أثره فى جودة شعره، الذى رثى فيه عينيه، إذ صدر عن عاطفة صادقة وشعور حزين[٢٤٥].

ومن مشاهير الشعراء الريفيين أيضا "عبيد يس بن محمود أبو القاسم السمنتانى" –نسبة إلى جبل سمنتان من أعمال جيان– اختص بخدمة الثائر عبد الله بن أمية بن الشالية –الثائر على الأمير عبد الله– وكان قبل ذلك من جملة كتاب الأمير عبد الله، وشعره الوارد إلينا ينصرف إلى المدح[٢٤٦].

ومن الشعراء الريفيين الفوارس "سوار بن حمدون القيسى المحاربى الذى تزعم ثورة العرب فى عهد الأمير عبد الله بناحية "البراجلة" من أعمال إلبيرة وشعره يدور حول الفخار بنفسه وقومه من قيس. ومنهم "سعيد بن سليمان بن جودى السعدى أبو عثمان" (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، وينتمى إلى وادى القصب من أعمال إلبيرة أيضا، وتزعم ثورة العرب بعد مقتل سوار بن حمدون. وشعره يدور حول الفخر بنفسه وقومه من العرب، وهجاء المولدين والعجم، وله أشعار جيدة فى الغزل والرثاء. ومن شعراء المولدين "العبلى" – نسبة إلى قرية عبلة من أعمال إلبيرة– وهو عبد الرحمن بن أحمد، شاعر المولدين المحامى عنهم ضد العرب[٢٤٧].

ومن شعراء عصر الخلافة الريفيين "أبى عبد الله الغابى"[٢٤٨]، و"أبى بكر المغيلى" وكان ينتمى إلى قرية مغيلة من أعمال إشبيلية، اختص بجعفر الصحفى الحاجب، وشعره الذى ورد إلينا من النوع الحكمى الذى ينحو نحو العظة والاعتبار بحوادث الدهر[٢٤٩].

على أن أشهر الشعراء الريفيين في عصر الخلافة كان "أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي"[٢٥٠] -نسبة إلى قرية "رمادة" إحدى قرى شلب[٢٥١] وكان انتسابه لقبيلة "كندة" قد جعل كثيرين من شيوخ الأدب في عصره يقولون: فتح الشعر بكندة وختم بكندة، يعنون "امرؤ القيس" و"المتنبي"، "ويوسف بن هارون الرمادي"، وكان الآخران متعاصرين.

برز الرمادي في عهد الحكم المستنصر، وقيل إنه هجا دولة الخلافة فسجنه الحكم، وكان ذلك من أسباب تفجر عاطفته الشعرية، نظم الرمادي في فنون الشعر المختلفة، فكانت له أشعار في المدح وفي الخمريات والمجون، وله شعر جيد يتعلق بفترة سجنه، ولكن أجود ما كتب ذلك الشعر الذي نظمه في الغزل، إذ يتميز بالرقة والمبالغة في الوقت نفسه. وقد ألف الرمادي -أثناء سجنه- كتابا في الطير وصف فيه كل طائر معروف، وذكر صفاته بأبيات من شعره، وختم حديثه عن كل طائر بأبيات مدح فيها الحكم المستنصر وولي عهده هشام عله يعفو عنه، وخرج من السجن في تاريخ غير معروف ومدح المنصور بن أبي عامر وكبار معاصريه، ومات في الفتنة سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.[٢٥٢]

وكان "أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي" -نسبة إلى قرية قَسْطَلَّة دراج من أعمال جيان- (٣٤٧- ٤٢١هـ/ ٩٥٨- ١٠٣٠م)، خاتمة الشعراء الريفيين البارزين في عصر الخلافة.

وقد رحل ابن دراج إلى قرطبة بعد أن نضجت موهبته الشعرية، لعله يصيب هناك الشهرة والمال الذي كان يبحث عنهما كل شعراء عصره وهناك مدح المنصور بن أبي عامر، فأعجب به وبموهبته الشعرية، مما أحنق عليه شعراء البلاط الآخرين، فاتهموه بالسرقة والانتحال، ورفضوا قبوله عضوا في ديوان الشعراء الذي أنشأه المنصور بن أبي عامر لرعاية الشعراء البارزين، وكان ذلك سببا في امتحانه بحضرة المنصور، فاجتاز الامتحان بتفوق، ووصله المنصور بمائة دينار، وأثبته في ديوان الشعراء. وقد انطلق ابن دراج منذ ذلك، وكان أكثر شعره في المدح حتى أنه مدح معظم حكام الأندلس في عصره. وقد أثنى عليه الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

بقوله: "وكان يجيد ما ينظم" أما ابن حزم وكان عالمًا بنقد الشعر فقد قال عنه: "لو قلت: إنه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد "وتولى ابن دراج -لبراعته اللغوية، وموهبته الشعرية- منصب كاتب الإنشاء فى أيام المنصور بن أبى عامر(٢٥٣).

وقد ساهم الشعراء الريفيون فى النهضة الأدبية والشعرية التى عمت الأندلس فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادى عشر الميلاديين) وكانوا علامة بارزة نبه إليها" هنرى بيريس وأشاد بهم قائلا: ولكن إضافة الفلاحين إلى الحياة الأدبية هى الأكثر أهمية دون شك، فالشعراء الريفيون هم الذين أضفوا على الشعر الأندلسى هذه الظلال الريفية أو الرعوية ويضارع ما كتبوه أروع ما كان يكتب فى اليونان أو روما من أدب صادق(٢٥٤).

الهوامش

١- يرى بعض المستشرقين الغربيين أن الأيبيريين اعتنقوا الإسلام مدفوعين بدوافع مادية أو على الأقل كانوا مدفوعين بخليط من الدوافع المادية والدينية

Simonet: Hist. de los Moz. P. 238, watt: op.cit.pp. 54-55.

٢- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٣٨.

٣- ابن عذارى: المصدر السابق حـ٢ ص ٢٦.

٤- من المعترضين على ذلك أغناسيوأولاغى الذى يتطرف فى رأيه كثيرًا عندما ينفى عملية فتح المسلمين عسكريًا للأندلس، ويرفض فكرة أن المسلمين قد سيطروا على كامل الأندلس، ونشروا بها لغتهم ودينهم، وقوانينهم خلال ثلاث سنوات ونصف، هى عمر الفتح الإسلامى للأندلس: انظر: أغناسيوأولاغى: العرب لم يغزو الأندلس، ترجمة إسماعيل الأمين، لندن، ط١، ١٩٩١ ص٢٨٠.

٥ – عن أخبار التابعين فى الأندلس، انظر: عبد الملك بن حبيب: كتاب التأريخ ص ١٣٨، الحميدى: المصدر السابق، ق١، ص ٣٥، الحميرى: المصدر السابق ص ٣-٤، الغسانى: المصدر السابق ص ١١٠-١١١.

٦- الخشنى: قضاة قرطبة ص ٣٨.

٧- ابن عذارى: المصدر السابق حـ٢ ص ٢٩.

٨- ولصاحب أخبار مجموعة رواية مهمة فى هذا الصدد يتضح منها خطورة موقف الإسلام والتعريب فى الأندلس آنذاك، يقول: "حتى كانت فتنة أبى الخطار وثوابه، فلما كان فى سنة ثلث وثلثين هزمهم (يعنى بلاى) وأخرج (يريد إخراجهم) عن جليقية كلها وتنصر كل مذنب فى دينه، وضعف عن الخراج، وقتل من قتل وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى إستورقة حتى استحكم الجوع فأخرجوا أيضا المسلمين عن إستورقة وغيرها، وانضم الناس إلى ما وراء

الدرب الآخر إلى قورية ومارية فى سنة ست وثلثين واشتد الجوع، فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف البربر ممتارين ومرتحلين... فخف سكان الأندلس وكاد أن يغلب عليهم العدو إلا أن الجوع شملهم". مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ص ٦٢. وانظر عن أحوال الأندلس فى تلك الفترة أيضا: العذرى: المصدر السابق ص ١١٨، ابن الشباط: المصدر السابق ص ١٠٨، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص ٣٨، الحميرى: المصدر السابق ص ١٠٠.

٩- انظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٣٨٩-٣٩٠، ٣٩٥-٣٩٦، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين ص ١٢٥. وانظر أيضا:

Levi-provencal :Hist. de l'Esp. Mus. T III. P. 88.:

١٠- ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٨٩.

١١- أغناسيوأولاغى: المرجع السابق ص ٢٦٢ ويبالغ أغناسيوأولاغى كثيرا عندما يذكر أن ابن حفصون تمكن من تكوين إمارة نصرانية فى قلب الدولة الإسلامية فى الأندلس، لأنه من الثابت أن معظم أنصاره: كانوا من المسلمين، وأن تنصره قد تم فى أواخر حياته، بل إن البعض ينكر ارتداده ويقول بأن حكومة الإمارة هى التى روجت ذلك لتنفير الناس منه، كما كانت ثورته فى الأساس بفعل دوافع سياسية اجتماعية.

١٢- ابن حوقل: المصدر السابق ص ١٠٦. ومن الطريف أن ابن العطار (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) يورد فى كتابه نماذج لوثائق إسلام أهل الذمة. معنى ذلك أنه حتى قبيل نهاية القرن الرابع الهجرى كان الناس فى الأندلس يدخلون فى الإسلام. انظر: ابن العطار: المصدر السابق ص ٤٠٥ وما يليها.

١٣- ابن حزم: الإحكام فى أصول الأحكام، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٨٣، جـ٢ ص٨٨.

١٤- عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس، القاهرة، ١٩٥٧، ص٤٧.

١٥- كانت هذه العبارة محل استشهاد كثير من الباحثين: انظر

Simonet: Hist. de los Moz. PP. 369-371, Levi-provencal: Hist. de l'Esp. Mus. T: III. P. 217, Watt: op. cit. p. 56,

بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ب. ت ص ص ٤٨٥-٤٨٦، ريبيرا: المرجع السابق ص ٢٠٨.

١٦- انظر: ابن سهل: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة ص ٥٧.

١٧- ابن بسام: المصدر السابق، ق١، م٢ ص ٦٨٤- ٦٨٥.

١٨- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب. ص ٤٤٣.

١٩- ولدينا العديد من الشواهد على أن كثيرا من الأندلسيين كانوا يتحدثون "اللطينية" أو العجمية من ذلك والد نصر الفتى- وزير عبد الرحمن الثانى - وأصحابه. ومن الفقهاء الذين كانوا يتحدثونها شيخ اسمه "ينير" كان من الفقهاء المشاورين فى قرطبة فى أوائل القرن الثالث، ويفهم من كلام القاضى عياض عن مشيخة الفقهاء المشاورين فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى أنهم كانوا يجيدون التحدث بالعجمية، هذا فضلا عن أن بعض القضاة كان يجيد التحدث بها مثل القاضى سليمان بن أسود الذى تولى القضاء للأمير محمد مرتين، ويبدو أن الخليفة الناصر نفسه كان يعرف العجمية. انظر: الخشنى: قضاة قرطبة، ص ١٢٣، ١٣٩، ١٦٧، القاضى عياض: ترتيب المدارك جـ٤ ص ٢٤٧، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص ٢٢٦- ٢٢٧.

٢٠- محمد بركات البيلى: البربر فى الأندلس ص ١٩٨-٢٠٠، وانظر أيضا:

Guichard: the social. Hist. of Mus. Sp. P. 686

٢١-

Guichard: Struc. Soca. Orient. Et occid. P.133.

٢٢- من الألفاظ التى تنسب فى أصولها إلى عرب الشام لفظا: "أندر" و "أصطبل"، والإمالة التى غلبت على لسان أهل الأندلس ربما تكون من تأثير بنى تميم الذين

كانوا أشد العرب حرصا عليها، ولفظ "القطاع" – بمعنى النقود– من لغة هذيل. انظر: الزجالى: المصدر السابق ق١ ص ٢٤٠-٢٤١.

٢٣- انظر

J. O. Asin : Hist. del. Nomb. "Madrid" . P. 81

أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس ص ١٠٠، فدريكو كورينتى قرطبة: خصائص كلام أهل الأندلس نثرا ونظما، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، ٢٣، ١٩٨٥-١٩٨٧ ص ٦٧. ويظهر تأثير العجمية فى العامية العربية الأندلسية فى النطق، فإذا "تعرب الجليقى أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمدا إذا أراد، يقول محمدا" ابن حزم: الإحكام. حـ١ ص ٣٦.

٢٤- مثل "كرانة" بمعنى الضفدع و"أسمس" بمعنى المأدبة، "وهراكس" بمعنى نعال، و"ترخص" بمعنى البيسارة. الزجالى: المصدر السابق ق١ ص ٢٤٥.

٢٥- ابن حزم: الأحكام فى أصول الإحكام حـ١ ص ٣٢.

٢٦- انظر أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس ص ١٠٣-١٠٥

٢٧- المقدسى: المصدر السابق ص ٢٤٣.

٢٨- المقرى: نفح الطيب م١ ص ٢٢١-٢٢٢.

٢٩- ابن حزم: الإحكام فى أصول الأحكام حـ١ ص ٣٢.

٣٠- ذكر الزبيدى فى مقدمة كتابه "لحن العامة" : "ثم نظرت فى المستعمل من الكلام فى زماننا وبأفقنا، فألفيت جملا لم يذكرها أبو حاتم ولا غيره من اللغويين فيما نبهوا عليه، وذكروا مما أفسدته العامة عندنا، فأحالوا لفظه أو وضعوه فى غير موضعه وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة حتى ضمنه الشعراء أشعارهم، واستعمله جلة الكتاب وعلية الخدمة فى رسائلهم، وتلاقوا به فى محافلهم فرأيت أن أنبه عليه، وأبين وجه الصواب فيه، وأن أفرد لما يحضرنى منه كتابا أحصره به وأجمعه فيه". الزبيدى: لحن العامة ص ٤٤. ومن الذين ألفوا فى لحن العامة

بعده ابن هاشم اللخمى (ت ٥٧٧هـ/ ١١٨١م) صاحب "المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان".

٣١- المقرى: نفح الطيب م١ ص ١٢٥.

٣٢- ابن حزم: الإحكام فى أصول الأحكام حـ١ ص ٣١.

٣٣- أول من أدعى ذلك خوليان ريبيرا وتابعه بعض المؤرخين المحدثين. انظر: بالنثيا: المرجع السابق ص ١٤٢ حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٣٧٧، ٤٣١-٤٣٢. وانظر أيضا: الطاهر مكى: دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة ص ١٨٦.

Imamuddin: asm . asp. P. 29.

٣٤- تقع إلى الغرب من فحص البلوط بين الجوف والغرب من قرطبة انظر: ياقوت: المصدر السابق، حـ٤ ص ٢٩٥، الحميرى: المصدر السابق ص ١٤٣.

٣٥- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ٢، ص ٥٦٨، ٧٢١.

٣٦- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١ ص ٣٢١-٣٢٢.

٣٧- ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١ ص١٩.

٣٨- ابن الآبار: التكملة. حـ١ ص ١٩٣.

٣٩- انظر: الخشنى قضاة قرطبة ص ١٤٩-١٥٠، المالقى: المصدر السابق ص ٢٢٦-٢٧، الحميدى: المصدر السابق حـ١ ص ١٦٥، وانظر أيضا: محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم فى الأندلس، دار الفكر العربى، ط١ ١٩٨٢ ص ٢٢٠-٢٢٢.

٤٠- وترجم الزبيدى للعديد من الذين اشتغلوا بالتأديب فى الأندلس. انظر: الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ص ٢٥٣-٣١٤.

٤١- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون حـ٣ ص ١٢٤٩.

٤٢- أبو بكر بن العربى: أحكام القرآن، القاهرة، ١٩٥٧، حـ٤ ص ١٨٨٣.

٤٣- ابن حزم: رسائل ابن حزم حـــ٤، ص ٦٥-٦٦.

٤٤- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق ص ٢٢٧.

٤٥- ابن حزم: رسائل ابن حزم: حـــ٤ ص ٧٦.

٤٦- الحميرى: المصدر السابق ص ٦٥.

٤٧- الزبيدى: طبقات النحويين. تر ٢٣٨ ص ٧٨١.

٤٨- ابن الفرضى: المصدر السابق حـــ٢، تر ١٣٦٨ ص ٧٨١.

٤٩- الزبيدى: طبقات النحويين. تر ٢٥٦ ص ٢٩١. ويلاحظ كثرة المؤدبين الذين اشتغلوا بالتأديب بالعربية، وهو ما يعاكس الإقبال على دراسة اللغة العربية فى الأندلس خاصة من جانب أهل البلاد الأصليين. انظر الزبيدى: نفس المصدر ص ٢٥٣-٣١٤.

٥٠- ويذكر ابن خلدون فى مبررات تعليم القرآن، للصبيان "أعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذى ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات "ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـــ٣ ص ١٢٤٩.

٥١- ابن حزم: رسائل ابن حزم حـــ٤ ص ٦٥-٦٧، ٦٩. وفى هذا الصدد يذكر ابن عبدون: "ومعنى التأديب أن يعلمه حسن الألفاظ فى القراءة، والخط الحسن، والهجاء، ويأمر من كان كبيرا بالصلاة ويكتب له التشهد وما يقون فى الصلاة... وليس شىء فى الدنيا أنفع من شيئين: إما لمن يكتب ويقرأ فإقامة الهجاء، وإما لمن يبيع ويشترى فمعرفة الحساب "ابن عبدون: المصدر السابق ص ٢٥.

٥٢- محمد فوزى العنتيل: التربية عند العرب، مظاهرها واتجاهتها، المكتبة الثقافية ١٥٧، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٥ مايو ١٩٦٦ ص ٣٣.

٥٣- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق ص ٢٤٢.

٥٤- محمد عبد الحميد عيسى: نفس المرجع ص ٢٤٣-٢٤٤.

٥٥- ريبيرا: المرجع السابق ص ٤٧-٤٨.

٥٦- انظر: ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون حـ٣ ص ١٢٥٣- ١٢٥٤.

٥٧- انظر: ابن عبدون: المصدر السابق ص ٢٥، السقطى: المصدر السابق ص ٦٨، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون.

٥٨- ابن بسام: الذخيرة ق١ ، م١ ص ٢٠٦-٢٠٩.

٥٩- انظر أمثلة لبعض المؤدبين فى طبقات النحويين. ص ٢٥٣-٣١٤، وانظر أيضا: ابن القرضى: المصدر السابق حـ١، ص ٣٢١- ٤٠٨، حـ٢ ص ٧٨١، ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١ ص ٣٧٦، حـ٢ ص ٤٧٦، ٥٧٤.

٦٠- حاكر بمعنى خاصم.

٦١- هى ما يدفع للمؤدب عند تمام حفظ الصبى للقرآن.

٦٢- الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٦. وقد أجاز ابن حزم للمعلم أو المؤدب أخذ الأجرة على التعليم، كما أجاز المذهب المالكى ذلك، كما ورد عند ابن رشد (الجد) (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) انظر: ابن حزم: رسائل جـ٤ ص٧٦، ابن رشد مسائل أبى الوليد بن رشد، م١ ص١٨٢- ١٨٣، وانظر أيضًا الونشريسي: المصدر السابق حـ٨ ص ٢٥٢. وانظر ما ذكره ريبيرا عن تطور أخذ الأجر على التعليم عند المسلمين. ريبيرا: المرجع السابق ص ٤٣.

٦٣- المالقى: المصدر السابق ص ٢٩٠.

٦٤- انظر: الونشريسي: المصدر السابق حـ٨ ص ٢٤٨، ٢٦٣-٢٦٤.

٦٥- المالقى: المصدر السابق ص ٢٩٠، الونشريسى: المصدر السابق ج٨ ص ٢٥٤.

٦٦- غير واضح بالأصل.

٦٧- ابن عبد الملك: المصدر السابق س٥، ق٢، تر ٩٨ ص ٥١٧-١٨، الذهبى: المصدر السابق حـ١٨، تر ١٥٠ ص٣٢٧.

٦٨- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ٢، تر ٨٣٩ ص ٤٨٥.

٦٩- الذهبى: المصدر السابق حـ١٨، تر ٣٦ ص ٧٧، المقرى: نفح الطيب، م٢ ، تر ٧٦ ص ١٣٥.

٧٠- انظر على سبيل المثال: ابن الفرضى: المصدر السابق حـ٢، تر ١٢٥٦ ص ٧٢١، ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١، تر ٩٧، ٥٩٣، ص ٥١، ٢٦٢.

٧١- ابن بشكوال: نفس المصدر حـ١، تر ٧١ ص ٤١.

٧٢- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ٢٦١.

٧٣- القاضى عياض: ترتيب المدارك، حـ٤ ص ٤٥، ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١، تر ٥٣، ص ٣٣-٣٤.

٧٤- المقرى: نفح الطيب م١ ص ٢٢٠.

٧٥- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، تر ٥٣١ ض ٣١٤.

٧٦- ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١، تر ٣٧ ص ٢٥- ٢٨.

٧٧- ويقرر ابن خلدون حتمية الرحلة فى طلب العلم بالنسبة للطالب الريفى بقوله: "ومن تشوف بفطرته إلى العلم ممن نشأ فى القرى والأمصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذى هو صناعى... لابد له من الرحلة فى طلبه إلى الأمصار المستبحرة شأن الصنائع كلها". ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون حـ٣ ص ١٠٢٤.

٧٨- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، تر ٣٩١ ص ٢٣٥.

٧٩- ابن بشكوال: المصدر السابق حـ٢ ، تر ٩٣٢ ص ٤١٢.

٨٠- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، تر ٤٧ ص ٢٩١، الضبى: المصدر السابق حـ٢، تر ٨٢٣ ص ٤٠١.

٨١- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، تر ٧٥١ ص ٤١٩-٤٢٠.

٨٢- المقرى: نفح الطيب م١ ص ١٥٣.

٨٣- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ٢، تر ١٣٨٦ ص ٧٩١.

٨٤- ابن بشكوال: المصدر السابق حـ٢، تر ١٤١٥ ص ٦١٠.

٨٥- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق حـ٤٦، المقرى: نفح الطيب م١ ص ٣٩٩.

٨٦- عن القيروان انظر: البكرى: كتاب المسالك والممالك، ت. أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢، حـ٢ ص ٦٧٥- ٦٧٨.

٨٧- سحنون هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى، قرأ على بن القاسم، وابن وهب ، وأشهب، وانتهت إليه رياسة العلم بالمغرب، تولى قضاء القيروان وصنف كتاب "المدونة" فى مذهب الإمام مالك، وعنه انتشر علم الإمام مالك بالمغرب وتوفى سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م. انظر: ابن خلكان: المصدر السابق م٣، تر ٣٨٢ ص ص ١٨٠-١٨٢.

٨٨- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، تر ٤٧ ص ٢٩١، الحميد: المصدر السابق ق١، تر ٤٨٤ ص ٣٦٤.

٨٩- هو الإمام الحافظ الفقيه، عالم المغرب، أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافرى القروى القابسى المالكى (٣٢٤-٤٠٣ هـ/ ٩٣٥-١٠١٢م) صاحب كتاب "المُلَخَص". انظر عنه: الذهبى: المصدر السابق، حـ١٧، تر ٩٩ ص١٦٠.

٩٠- ياقوت: المصدر السابق حـ٥ ص ١٢٩.

٩١- انظر: ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، تر ٢٢٥، ٦٥٥ ص ١٤١، ٣٧٩، ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ١، تر ١٤١٥ ص ٦١٠، ياقوت: المصدر السابق حـ٣ ص ٤١٧، المقرى: نفح الطيب م٢، تر ٧٦ ص ١٣٥- ١٣٦.

٩٢- الضبى: المصدر السابق حـ٢، تر ١٤٥٧ ص ٦٦٧.

٩٣- ابن فرحون: المصدر السابق، حـ١، تر ١ ص ٣٩٥.

٩٤- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، تر ٧٧٦ ص ٤٣٩، القاضى عياض: ترتيب المدارك حـ٣، ص٤٤٣.

٩٥- الحميدى: المصدر السباق ق٢، تر ٦٠٧ ص ٤٣٧، الضبى: المصدر السابق، حـ٢، تر ١٠٣٠ ص ٤٧٨.

٩٦- انظر عنه ابن خلكان: المصدر السابق م٤، تر ٦٢٣ ص ٢٩٢- ٢٩٣.

٩٧- ياقوت: المصدر السابق حـ٤ ص ٤٥.

٩٨- نسبة إلى "شنتجالة" من أعمال تدمير. الحميرى : المصدر السابق ص ١١٢.

٩٩- ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١، تر ٥٩٧ ص ٢٦٣- ٢٦٥، ياقوت: المصدر السابق حـ٣ ص ٤١٦.

١٠٠- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٥٣١ ص ٣١٤.

١٠١- نسبة إلى أقليش من أعمال طليطلة. ياقوت: المصدر السابق حـ١ ص ٢٨٢.

١٠٢- الحميدى: المصدر السابق ق١، تر ٢٤٣، ص ٢٢١، ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ١، تر ٦٠ ص ٣٦.

١٠٣- انظر ما ذكره ابن خلدون عن منشأة هذا العلم وتطوره. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون حـ٣ ص ١٠٢٨.

١٠٤- انظر: الزبيدى: طبقات النحويين. تر ١٩٢ ص ٢٥٣ -٢٥٤، ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٧٧٦ ص ٤٣٩-٤٤٠، القاضى عياض: ترتيب المدارك حـ٣ ص ٣٤٣.

١٠٥- ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١ ، تر ٦٠ ص ٣٦.

١٠٦- ابن الآبار: التكملة، حـ١، تر ٨٢٠ ص ٢٩٥.

١٠٧- انظر عن علم التفسير وتطوره وأصنافه ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون حـ٣ ص ١٠٣١- ١٠٣٢.

١٠٨- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تر ٣٨٨ ص ٢٨٧.

١٠٩- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، تر ١٣٨٦ ص ٧٩١.

١١٠- انظر: الزبيدى: طبقات النحويين. تر ٢٦٢ ص ٢٩٥، الحميرى: المصدر السابق ص ١٤٠.

١١١- انظر عن علم الحديث والعلوم المتفرعة منه ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، حـ٣ ص ١٠٣٣-١٠٤٥.

١١٢- كان بقى بن مخلد من أعظم مفسرى الأندلس فى عصره، رحل إلى المشرق، وقابل أئمة المحدثين والمسندين ووضع مصنفا فى الحديث أثنى عليه ابن حزم. ويقال أنه روى عن مائتين وأربعة وثمانين رجلا غالبيتهم من الأعلام المشاهير. انظر: ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر٢٨١، ص ١٦٩-١٧٠، الحميدى: المصدر السابق، ق١، تر٣٣٢ ص ٢٧٤- ٢٧٥.

١١٣- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٢٨٧ ص ١٧٣- ١٧٤.

١١٤- ابن الفرضى: نفس المصدر حـ١، تر ٦٥٥ ص ٣٧٩.

١١٥- من أئمة علماء الحديث فى الأندلس. انظر: الحميدى: المصدر السابق ق١ ، تر ١٢٥ ص ١٥٣-١٥٤.

١١٦- الخشنى : أخبار الفقهاء. تر ١١٧ ص ١٠١، ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٤٦٠ ص ٢٨٢.

١١٧- ابن الفرضى: نفس المصدر، حـ٢، تر ١٦١٦ ص ٩٣٥- ٩٣٦.

١١٨- الضبى : المصدر السابق، حـ٢، تر ١٤٠٤ ص ٦٤٠.

١١٩- انظر عنه: الحميدى: المصدر السابق ق٢، تر ٧٦٩ ص ٥٢٦- ٥٢٨.

١٢٠- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١ ، تر ٨٣٠ ص ٤٧١، حـ٢، تر ١٤٧٥ ص ٨٥٩.

١٢١- ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١ ، تر ٢٠ ص ١٩.

١٢٢- عن تعرف علم الفقه انظر: ابن خير: المصدر السابق ص ٩، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، حـ٣ ص١٠٤٥.

١٢٣- الأوزاعى هو أبو عمرو بن يحمد الأوزاعى – نسبة إلى الأوزاع إحدى قرى دمشق –إمام أهل الشام سمع من الزهرى وعطاء، وروى عنه الثورى، وجماعة كبيرة. انظر: ابن خلكان: المصدر السابق، م٣ تر ٣٦١ ص ١٢٧، الذهبى: المصدر السابق حـ٧ ، تر ٤٨ ص ١٠٧ – ١٣٤.

١٢٤- الخشنى: قضاة قرطبة ص ٦٧- ٧٢، النباهى: المصدر السابق ص ٤٥- ٤٧.

١٢٥- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تر ٥٣ ص ٤٧.

١٢٦- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٤٥٤ ص ٢٧٧.

١٢٧- انظر بعض الآراء الخاصة بالتاريخ لدخول المذهب المالكى الأندلسى عند كل من : ابن القوطية: المصدر السابق ص ٥٦، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٣، القاضى عياض: ترتيب المدارك، حـ١، ص ٢٦ -٢٧ وانظر أيضا: بالنثيا: المرجع السابق ص ٤١٧- ٤١٨.

١٢٨- القاضى عياض: ترتيب المدارك، حـ١ ص٢٧. ولاشك أن عداء مالك للعباسيين، وفتواه ببطلان خلافتهم كان من أقوى الأسباب التى دعت الأمويين فى الأندلس على اعتناق مذهبه، نكاية فى العباسيين.

١٢٩- محمد بركات البيلى: الزهاد والمتصوفة فى بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجرى، دار النهضة العربية، ١٩٩٣، ص ١٣٠.

١٣٠- ذكر ابن القوطية أن الغازى بن قيس كان أول من أدخل كتاب الموطأ إلى الأندلس، على حين ذكر ابن حزم أن أول من أدخل الموطأ زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م). وذكر صاحب كتاب "نبذ تاريخية فى أخبار البربر" أن يحيى بن يحيى الليثى (ت٢٣٤هـ/ ٨٤٨م). هو الذى أدخل الموطأ إلى الأندلس. ويبدو أن كلامه ليس صحيحا بدليل أن ابن الفرضى - الأقدم تاريخيا منه- ذكر أن يحيى بن يحيى الليثى روى الموطأ عن زياد شبطون. انظر: ابن القوطية: المصدر السابق ص ٥٦، ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١ ص ٢٨٠، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٣، مؤلف مجهول: نبذ تاريخية فى أخبار البربر ص ٦٠.

١٣١- ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ١، تر ٣٨٣ ص ١٦٦.

١٣٢- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١ ص ٤٥٩.

١٣٣- الحميدى: المصدر السابق، ق٢، تر ٨٧٩ ص ٥٩٣- ٥٩٤.

١٣٤- وتنسب لمؤلفها محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبه القرطبى (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) انظر: الحميدى: نفس المصدر، ق١، تر ٥ ص ٧٤-٧٥، الذهبى: المصدر السابق، جـ١٢، تر ١٣٢ ص ٣٣٥-٣٣٦.

١٣٥- ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ١، تر٦١٥ ص ٢٧١- ٢٧٢.

١٣٦- للمزيد انظر بالنثيا: المرجع السابق ص ٤١٩- ٤٢٨.

١٣٧- ينسب المذهب الشافعى إلى محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م). انظر: ابن خلكان: المصدر السابق، م٤، تر ٥٥٨ ص ١٦٣- ١٦٩.

١٣٨- الحميدى: المصدر السابق، ق٢، تر ٧٦ ص ٥٢٤-٥٢٥.

١٣٩- ويذكر الدكتور شوقى ضيف أن بقى بن مخلد لم يكن يتبع لمذهب الشافعى مثل قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار، غير أنه كان يدعو إلى النظر فيه، بجانب مذهب مالك والمذاهب الفقهية الأخرى. انظر: شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى، عصر الدول والإمارات، الأندلس/ دار المعارف، ١٩٨٩، ص ١١٧.

١٤٠- عن مذهب الشافعى فى الأندلس وأساتذته انظر: بالنثيا: المرجع السابق ص ٤٣١ – ٤٣٩، شوقى ضيف: المرجع السابق ص ١١٧- ١١٨.

١٤١- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، تر ٨٩٤ ص ٥١٥- ٥١٦.

١٤٢- ابن بشكوال: المصدر السابق حـ١، تر ٦١٤ ص ٢٧١، ياقوت: المصدر السابق، حـ١، ص ٥٠٨.

١٤٣- ينسب المذهب الظاهرى إلى أبى سليمان داود بن على بن خلف الأصبهانى (ت٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)، اشتهر بالزهد والورع، وكان من المتعصبين للإمام الشافعى، ولكنه أنشأ مذهبا مستقلا تبعه فيه الكثيرون. انظر: ابن خلكان: المصدر السابق، م٢، تر ٢٢٣ ص ٢٥٥- ٢٥٧.

١٤٤- انظر: الزبيدى: طبقات النحويين. تر ٢٦٢ ص ٢٩٥-٢٩٦، ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، تر ١٤٥ ص ٨٤٥- ٨٤٧، الحميدى: المصدر السابق ، ق٢، تر ٨١١ ص ٥٥٥- ٥٥٧.

١٤٥- انظر: صاعد الأندلس: طبقات الأمم، ت. حياة بوعلوان، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥ن ص ص ١٨١- ١٨٢، ابن خلكان: المصدر السابق، م٣ ص ص ٣٢٥- ٣٣٠. ومنت لشم هى فى الإسبانية الحديثة Montijar أو Montija فى مقاطعة ولبه Huelva جنوب غربى الأندلس. انظر: ابن حزم: الأخلاق والسير مقدمة المحقق ص١.

١٤٦- الزبيدى: نفس المصدر، تر ١٩٩ ص ٢٥٩.

١٤٧- هو أبو على إسماعيل بن قاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالى، ولد بمناز كرد من إرمينية، ودخل بغداد لطلب العلم فى صحبة أهل قاليقلا، فنسب إليهم، ودرس فى بغداد على أئمة اللغة والأدب ثم انتقل إلى الأندلس وبقى بها حتى وفاته. انظر: ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٢٢١ ص ١٣٨، ابن خلكان: المصدر السابق، م١، تر ٩٥ ص ٢٢٦-٢٢٧.

١٤٨- الزبيدى: طبقات النحويين، تر ١١١ ص ١٨٥.

١٤٩- ابن حيان: المقتبس، حـ٥ ص٤٧٩- ٤٨٠.

١٥٠- الزبيدى: طبقات النحويين، ص ١٨٥ – ١٨٦. وتتلمذ على القالى كثير من علماء اللغة والنحو الأندلسيين نذكر منهم الزبيدى (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) صاحب المؤلفات الكثيرة فى اللغة والنحو منها اختصار كتاب "العين" وكتاب "الأبنية" و"لحن العامة" و"طبقات النحويين واللغويين" وكتاب "الواضح" وغيرها.

انظر: الحميدى: المصدر السابق ق١، تر ٣٤ ص ٨٥- ٨٦.

١٥١- الكسائى هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائى، يمثل الطبقة الثانية من نحاة الكوفة/ توفى سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٤م أو سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م. أما الفراء فهو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور، أول الطبقة الثالثة من نحاة

الكوفة، توفى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. الزبيدى : طبقات النحويين تر ٥٩، ٦٠ ص ١٢٧-١٣٣.

١٥٢- الزبيدى: نفس المصدر، تر ١٩٤ ص ٢٥٦- ٢٥٧.

١٥٣- الزبيدى: نفسه، تر ٢٣٨ ص ٢٨٥، الحميدى: المصدر السابق، ق٢ تر ٩٧٨ ص ٦٤٥.

١٥٤- سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر، جعله الزبيدى فى الطبقة السادسة من نحاة البصرة، وتوفى سنة ١٠٨هـ/ ٧٩٦م الزبيدى : طبقات النحويين، تر ٢٢ص ص ٦٦- ٧٢.

١٥٥- الزبيدى : نفس المصدر، ص ٣١١. ويفهم من كلام الزبيدى فى نفس الصفحة أن محمد بن يحيى الرباحى قد أحدث تطورًا كبيرًا فى دراسات علم النحو فى الأندلس آنذاك.

١٥٦- الطوطالقى: نسبة إلى بلدة طوطالقة Totalica من أعمال باجة، وتعرف اليوم باسم "توكانيك" Toucanique وتقع فى البرتغال الحالية. انظر : ابن حيان: المقتبس ت. مكى، التعليق رقم ٢١ ص ٤١٧-٤١٨ ، ياقوت: المصدر السابق، حـ٤ ص ٥٧.

١٥٧- ابن بشكوال: المصدر السابق،حـ١، تر ٦٦٢ ص ٢٨٩.

١٥٨- انظر عن مفهوم الأدب عند المسلمين آنذاك. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: حـ٣، ص ١٢٧٧، وانظر أيضا: ريبيرا: المرجع السابق ص ٧٨.

١٥٩- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، حـ٣ ص ١٢٧٧- ١٢٧٨.

١٦٠- الزبيدى: طبقات النحويين، تر ٢١٠ ص ٢٦٦.

١٦١- الزبيدى: نفس المصدر، ص ٨٢، ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١ ص ٤٣.

١٦٢- وكانت لصاعد البغدادى مؤلفات أدبية أخرى منها كتاب "الهجفجف"، وكتاب "الجواس". انظر: الحميدى: المصدر السابق، ق١، تر ٥١٠ ص ٣٧٣ – ٣٧٩،

ابن بشكوال: المصدر السابق، حــ١، تر ٥٤٠ ص ٢٣٢- ٢٣٣، القفطى: المصدر السابق، حــ٢، تر ٣٠٤ ص ٨٥- ٩٠.

١٦٣- ابن الفرضى: المصدر السابق، حــ١، تر ١٩٩ ص ١٢٥.

١٦٤- انظر طريقة تبويب ومحتويات كتاب العقد الفريد، وقارن ذلك بكتب الأدب المشرقية التى أشرنا إليها. ومن المؤلفات الأندلسية الشهيرة فى مجال الأدب آنذاك أيضا "كتاب الحدائق" لأبى عمر أحمد بن محمد بن فرج الجيانى، الذى ألفه للحكم المستنصر، وعارض فيه "كتاب الزهرة" لأبى بكر محمد بن داود بن على الأصبهانى. الحميدى: المصدر السابق، ق١، تر ١٧٦ ص ١٦٩.

١٦٥- بالنثيا: المرجع السابق ص ١٧٢.

١٦٦- استخدمنا هذا المصطلح اقتداء بابن خلدون، وجريًا على نهجه فى تصنيف العلوم فى عصره. انظر: ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون حــ٣ ص ١١١٩.

١٦٧- ابن جلجل: المصدر السابق ص ١١٥، صاعد الأندلسى: المصدر السابق ص ١٩١ – ١٩٢.

١٦٨- ابن جلجل: المصدر السابق ص ٩٢-٩٧، صاعد الأندلسى:المصدر السابق ص ١٨٥ – ١٨٧.

١٦٩- انظر: ابن جلجل: المصدر السابق، مقدمة المحقق ص يع – لز.

١٧٠- ولى الناصر الطبيب يحيى بن إسحاق الوزارة، كما جعله قائدا على بطليوس "وكان له من أمير المؤمنين الناصر محل كبير، ينزله منزل الثقة، ويتطلع على الكرايم والحرم"، كما ولى الطبيب محمد بن تمليخ "خطة الرد"، وقضاء شذونه. ابن جلجل: نفس المصدر، ص ١٠٠، ١٠٩.

١٧١- ولا نعرف على وجه اليقين متى أنشأ هذا الديوان الخاص بالأطباء؟ هل أنشأ فى عهد الناصر أم الحكم المستنصر؟ كل ما هنالك أن الخبر المتعلق به يرجع إلى عهد الحكم المستنصر. انظر: ابن جلجل: نفسه، ص ١١٠، صاعد الأندلسى: المصدر السابق ص ١٨٩.

١٧٢- ياقوت: المصدر السابق، حـــ١، ص ٢٣٩، الحميرى: المصدر السابق ص ٢٣.

١٧٣- ابن جلجل: المصدر السابق ص ١١٢.

١٧٤- انظر: ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، حـــ٣ ص ١١١٩ وما يليها.

١٧٥- صاعد الأندلسى: المصدر السابق، ص ١٦٦ - ١٦٧.

١٧٦- المجريطى نسبة إلى حصن مجريط الذى بناه الأمير محمد، بالقرب من طليطلة، وتحول هذا الحصن فيما بعد إلى مدينة صغيرة، ثم أصبح فى الوقت الحاضر عاصمة إسبانيا باسم "مدريد" انظر: الحميرى: المصدر السابق ص ١٧٩- ١٨٠.

١٧٧- صاعد الأندلسى: المصدر السابق ص ١٦٩.

١٧٨- انظر: صاعد الأندلسى: نفس المصدر ص ١٦٨ - ١٦٩، القفط: تاريخ الحكماء. نشر جوليوس ليبرت، ليبزج ١٩٠٣، بغداد، مكتبة المثنى، القاهرة، مؤسسة الخانجى، ب. ت ص ٢١٤، ابن أبى أصيبعه: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ت. نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٥ ص ص ٤٨٢ - ٤٨٣. وإلى جانب ما ذكرناه من مؤلفاته نسب إليه كتاب غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم "وهو المعروف فى الترجمات الإسبانية باسم: بكتاريش Pictarix، وله أيضا كتاب "رتبة الحكيم" فى الكيمياء جعله قريبًا لكتابه السابق فى السحر والطلسمات، كما ترجم كتاب "قبة الفلك" Planisphaerium لبطليموس، وكانت له مدرسة رياضية فلكية طبية، وتلاميذ ساروا على نهجه بعد وفاته. انظر: ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، حـــ٣ ص ١١٩٨، بالنثيا: المرجع السابق ص ٤٤٨- ٤٥٠

J. o. Asin: op. cit. PP. 253 – 254.

١٧٩- محمد بركات البيلى: الزهاد والمتصوفة، ص ١٣٢- ١٣٣.

١٨٠- ليفى بروفنسال: المرجع السابق، ص ١٧٠.

١٨١- انظر أسباب ظهور حركة الزهاد والتصوف، كما أوضحها الدكتور محمد بركات البيلى فى كتابه "الزهاد والمتصوفة" ص ١١٧- ١٣٢، ١٧٤-١٧٧.

١٨٢- الخشنى: أخبار الفقهاء، تر ٤٨٢ ص ٣٤٢، ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، تر ١٥٤٦ ص ٨٩٣

١٨٣- ابن الآبار: التكملة، حـ١ تر ٨٥٨ ص ٣١٩.

١٨٤- ابن الفرضى المصدر السابق، حـ١ تر ٣١٥ ص ١٨٨، حـ٢، تر ١٦٣٠ ص ٩٤٠- ٩٤١.

١٨٥- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تر ٤٢٠ ص ٣١٠- ٣١١

١٨٦- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، تر ١٣٨٦ ص ٧٩١.

١٨٧- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تر ٢٨٠ ص ٢١٩.

١٨٨- ابن بشكوال: نفس المصدر، حـ٢، تر ٩٣٤ ص ٤١٣.

١٨٩- الخشنى: قضاة قرطبة، ص ١٢٢.

١٩٠- ابن الفرضى : المصدر السابق، حـ١، تر ٧٥٤ ص ٤٢٢.

١٩١- ابن الفرضى: نفس المصدر، حـ٢، تر ١٢٦٥، ص ٧٢٥ – ٧٢٦.

١٩٢- انظر: الخشنى: قضاة قرطبة، ص ٧٤، الونشريسى: المصدر السابق، حـ٧، ص ١١٥، محمود على مكى: بدايات التصوف الأندلسى ما قبل ابن مسرة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع ٥٣، مارس ١٩٩٢ (٩-١٨)، ص ١٣.

١٩٣- انظر: ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ١، تر ٨٥١ ص ٣٧٦.

١٩٤- ابن الآبار: التكملة، حـ١، تر ٣٣٣ ص ١٣١ – ١٣٢.

١٩٥- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٥٣١ ص ٣١٤.

١٩٦- ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ١، تر ٣٠٥ ص ١٣٤.

١٩٧- محمد بركات البيلى: الزهاد والمتصوفة ص ١٧٧. وينتمى أبو عبد الله معاذ بن عثمان الشعبانى إلى قلعة الأشعث من أعمال جيان، وهو أخو يخامر بن

عثمان الشعبانى الذى تولى قضاء الجماعة فى قرطبة سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م. الخشنى: قضاة قرطبة ص ١٢١.

١٩٨- محمود على مكى: بدايات التصوف الأندلسى ما قبل ابن مسرة ص ١٥-١٦. وينتمى يمن بن رزق إلى إحدى قرى الثغر الأعلى المجاورة لتطيلة . ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، ص ٩٣٢.

١٩٩- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تر ٩٦ ص ٨٥. و"بدلاء" و"إبدال" من مصطلحات الصوفية، انظر:التعليق رقم ١٧٨ من تعليقات الدكتور محمود على مكى على مقتبس ابن حيان ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

٢٠٠- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٩٧.

٢٠١- الضبى: المصدر السابق، حـ١، تر ١٥ ص ١١٥ - ١١٦، المقرى: نفح الطيب، م٢، تر ١٤٥ ص ٢٣٤- ٢٣٥.

٢٠٢- محمود على مكى: بدايات التصوف الأندلسى ما قبل ابن مسرة ص ١١.

٢٠٣- انظر: ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، تر ٩١٠ ص ٥٢٤، ابن الآبار: التكملة، حـ١، تر ٥٢٤، ص ١٩٨، حـ٢، تر ٨٦١ ص ٧٤٩ - ٧٥٠، ابن سعيد: المغرب، حـ١، ص ١٤٦- ١٤٧.

٢٠٤- عن هذا الكتاب وتأثيره انظر: محمود على مكى: بدايات التصوف الأندلسى ص ١٧- ١٨.

٢٠٥- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، تر ١٦١١ ص ٩٣١.

٢٠٦- ابن حيان: المقتبس، حـ٥، ص ٢٠.

٢٠٧- الحميدى: المصدر السابق، ق١، تر ٨٣ ص ١٠٩.

٢٠٨- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تر ٢٠٩ ص ١٧٨.

٢٠٩- ابن الفرضى: المصدر السابق/ حـ٢، تر ١٢٠٢ ص ٦٨٧. ونص ابن حيان صراحة على أن ابن مسرة قد استهوى الناس من هذه الناحية "واستهواهم بفضل ما أظهره من الزهد وأبدى من الورع" وفى موضع آخر يقول عن أتباعه:

"فاختدعوا العوام بما أظهروه من التقشف فى الزى والتشظف فى المعيشة". ابن حيان: المقتبس حـ٥، ص ٢٠، ٢٥.

٢١٠- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ١٧٨.

٢١١- محمد بركات البيلى: الزهاد والمتصوفة ص ١٨٣، محمد بن عبد الله بن مسرة ونزعته المسرية فى الأندلس، مجلة المؤرخ المصرى، ع ١٥، يوليو ١٩٩٥ (٢٧٥- ٣١٤) ص ٢٩٠.

٢١٢- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين ص ١٧٨.

٢١٣- ابن حيان: المقتبس حـ٥، ص ٢١- ٢٢.

٢١٤- ابن حيان: نفس المصدر، حـ٥، ص ٢٥- ٢٩.

٢١٥- بالنثيا: المرجع السابق ص ٣٣٠ - ٣٣١، محمد بركات البيلى:محمد بن عبد الله بن مسرة ص ٣٠٠- ٣٠٢.

٢١٦- انظر: ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، حـ٥، ص ٦٦- ٦٧، وانظر أيضا: بالنثيا: المرجع السابق ص ٣٣١- ٣٣٢، محمد بركات البيلى: محمد بن عبد الله بن مسرة ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

٢١٧- محمود على مكى: التشيع فى الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ع١ -٢ ، ١٩٥٤، ص ٩٧.

٢١٨- انظر ما ذكرناه عن تلك الثورة فى الفصل الأول.

٢١٩- لعل هذه المقولة تستند إلى قوله تعالى: "لا تبديل لخلق الله". الروم، آية ٣٠.

٢٢٠- انظر: مؤلف مجهول: كتاب ذكر بلاد الأندلس ص ١٦٨- ١٦٩، ابن حيان: المقتبس، ت. مكى: ص ١٦، ابن الأثير: المصدر السابق، م٧ ص ٦٦، ابن عذارى: المصدر السابق، حـ٢ ص ٩٠.

٢٢١- تقع البصرة على الطريق من مدينة طنجة إلى مدينة فارس. انظر البكرى: المسالك والممالك، حـ٢ ص ٧٨٨- ٧٨٩.

٢٢٢- ابن حزم: رسائل ابن حزم حـ٢، ص ٨٤.

٢٢٣- محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ص ١٠١.

٢٢٤- ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ١٥٥- ١٦٠. وانظر أيضا: محمود على مكى: التشيع فى الأندلس: ص ١٠١- ١٠٣.

٢٢٥- ابن عذارى: المصدر السابق، حـ٢، ص ٢١١.

٢٢٦- انظر عن دعوة أبى الخير الشيعى: ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام ص ٨٨٧ – ٩٠٥، ثلاث وثائق فى محاربة الأهواء والبدع فى الأندلس، ت. محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود على مكى، مصطفى كامل إسماعيل، المركز العربى الدولى للإعلام، ١٩٨٠، ص ٤٣ وما يليها، ٧٦ وما يليها. وانظر أيضا F. Dachraoui : tentative d'infiltration si'ite en: Espagne Muslman sous le regene d' Al-Hakam II. Al-Andalus. Vol. xx III. Fasc. I. Madrid. 1958. PP. 97-106.

٢٢٧- ابن حزم: رسائل ابن حزم، حـ٢، ص ١١٥. ويبدو أن الفكر الخارجى انتشر فى الريف. أيضا يشير إلى ذلك قول ابن حزم : "وشاهدنا الإباضية عندنا بالأندلس يحرمون طعام أهل الكتاب، ويحرمون أكل قضيب التيس، والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهارا فى رمضان فاحتلم، ويتيممون وهم على الآبار التى يشربون منها إلا قليل منهم". ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل حـ٥، ص ٥١.

٢٢٨- ابن الآبار: التكملة، حـ١، تر ٨٠٢ ص ٢٩٥.

٢٢٩- ياقوت: المصدر السابق، حـ٣ ص ٣٤٩.

٢٣٠- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تر ٣٩٨ ص ٢٩٥.

٢٣١- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٢٨٧ ص ١٧٣ – ١٧٤.

٢٣٢- بيرة: بلدة قريبة من ساحل البحر المتوسط، بين مرسية والمرية. ياقوت: المصدر السابق، حـ١ ص ٦٢٤. ويبدو أنها كانت من أعمال إلبيرة.

٢٣٣- الخشنى: أخبار الفقهاء، تر ٢٥٨ ص ٢٠١، الحميدى: المصدر السابق، ق٢، تر ٨٢١ ص ٥٦١.

٢٣٤- الخشنى: أخبار الفقهاء، تر ٥١٥ ص ٣٨٢، ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ٢، تر ١٦١٣ ص ٩٣٣- ٩٣٤، الحميدى : المصدر السابق، حـ٢، تر ٩٧٨ ص ٥٩٣- ٥٩٤.

٢٣٥- ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ٢ ، تر ١٥٢٧ ص ٦٥٣.

٢٣٦- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين تر ٤٣٥ ص ٣٢٠.

١٣٧- ياقوت: المصدر السابق، حـ١ ص ٢٣٩، الحميرى: المصدر السابق ص ٢٣.

٢٣٨- الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تر ٨٣ ص ٧٨.

٢٣٩- ابن الفرضى: المصدر السابق حـ١، تر ٣٩١، ٥٢٠ ص ٢٣٥، ٣١٠، حـ٢، تر ١٦١٧ ص ٩٣٦.

٢٤٠- ابن بشكوال المصدر السابق، حـ١ تر ٣٨٥ ص ٢١٢.

٢٤١- ابن الخطيب: الإحاطة، م٣ ص ١٨٣- ١٨٤.

٢٤٢- وقد اختل ابن رفاعة الإلبيرى مع القالى، وانتهى الأمر بانصرافه مغاضبا عن مرافقة القالى فى رحلته للناصر، مما أغضب العامل بن رماحس، الذى كتب للأمير الحكم يشكو ابن رفاعة فأجابه الحكم على ظهر كتابه: "الحمد لله الذى جعل فى بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق إلينا، وابن رفاعه أولى بالرضى من السخط، فدعه لشأنه" المقرى: نفح الطيب: م٣ ص ٧٠- ٧١.

٢٤٣- ابن الفرضى: المصدر السابق، حـ١، تر ٧٥٣ ص ٤٢١- ٤٢٢.

٢٤٤- ابن حيان المقتبس ت. العربى، ص ٥١- ٥٢، ابن عبد الملك: المصدر السابق، ق١، تر ٥٨١، ص ٤٠٠- ٤٠٣، ابن الخطيب: الإحاطة، م١ ص ١٥٠- ١٥٣.

٢٤٥- ابن القوطية: المصدر السابق ص ٥٦- ٥٧، الحميدى: المصدر السابق، ق٢ تر ٩٥٣ ص ٦٣٥، ابن ظافر: بدائع البدائة، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم من مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، تر ٢٧ ص ٣٨- ٣٩.

٢٤٦- انظر: ابن حيان المقتبس ت. العربى ص ٢٥- ٢٦، ٦٦،الحميدى: المصدر السابق، ق٢، تر ٦٧٣، ص ٤٦٩ - ٤٧٠، ابن سعيد: المغرب، حـ٢، تر ٣٨٦ ص ٦٩-٧٠.

٢٤٧- انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٠، ابن حيان: المقتبس ت. العربى ص ٧٨ وما يليها، ابن الآبار: الحلة، حـ١، ص ١٤٧- ١٦٠، ابن سعيد: المغرب حـ٢ ص ١٠٥ - ١٠٦، ١٢٥.

٢٤٨- ذكره الزبيدى وأورد له بعض أبيات يمدح فيها الناصر. الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين، تر ٢٥٤ ص ٢٩٠ - ٢٩١.

٢٤٩- الحميدى: المصدر السابق، ق٢، تر ٩٢٤ ص ٦٢٢، ابن سعيد: المغرب، حـ١، تر ٢٢٤ ص ٣١٣- ٣١٤.

٢٥٠- ذكر ابن بشكوال فى "الصلة" أن لقب الرمادى هو تعريب لكنية أسبانية هى: "أبو جنيش" بينما ذكر الدكتور شوقى ضيف أن الرمادى نسبة إلى قرية رمادة - كما ذكر ابن سعيد الذى كان أعرف بشلب وقراها. وأضاف أنه لو كانت الكلمة نقلا لكنية "أبى جنيش" الإسبانية لقيل: "أبو الرمادى" لا الرمادى. انظر: ابن بشكوال: المصدر السابق، ص ٦٣٨ ، شوقى ضيف: المرجع السابق ص ٢٧٧- ٢٧٨.

٢٥١- وكان أهل شلب وقراها عرب من اليمن اشتهروا الفصاحة وقول الشعر، قل منهم "من لا يقول شعرا، ولا يعانى الأدب، ولو مررت الحراث خلف فدانه وسألته الشعر لقرض من ساعته ما اقترحت عليه وأى معنى طلبت منه" انظر: الأدريسى: المصدر السابق م٢ ص ٥٤٣، ياقوت: المصدر السابق، حـ٣ ص ٤٠٦، القزوينى: آثار البلاد

٢٥٢- الحميدى: المصدر السابق، ق٢ تر ٨٧٨ ص ٥٨٩- ٥٩٣، ابن خاقان: المصدر السابق، ص ٣١١- ٣٢١، ابن بشكوال: المصدر السابق/ حـ٢، تر ١٤٩١ ص ٦٣٧- ٦٣٨، الضبى: المصدر السابق، حـ٢، تر ١٤٥٦ ص ٦٦٤- ٦٦٧، ابن سعيد: المغرب، حـ١، تر ٢٨٠ ص ٣٩٢- ٣٩٤، ابن دحية : المصدر السابق ص ٣- ٦. وانظر أيضا: شوقى ضيف: المرجع السابق، ص ٢٧٧- ٢٧٩.

٢٥٣- انظر عن ابن دراج القسطلى المصادر الآتية: ابن دراج: المصدر السابق، مقدمة المحقق، الثعالبى: يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، ت. مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣، حـ٢ ص ١١٩، الحميدى: المصدر السابق، ق١، تر ١٨٦ ص ١٧٧- ١٨١، ابن بشكوال: المصدر السابق، حـ١ تر ٧٧ ص ٤٤، الضبى: المصدر السابق حـ١ تر ٣٤٣ ص ٢٠١- ٢٠٤، ابن دحيه: المصدر السابق ص ١٥٦، ابن خلكان: المصدر السابق، م١ تر ٥٦ ص ١٣٥- ١٣٩، ابن سعيد: المغرب حـ٢، تر٣٩٧ ص ٦٠- ٦٠.

٢٥٤- هنرى بيريس: المرجع السابق ص ٥٩.

الخاتمة

الخاتمة

نخلص من هذه الدراسة بعدة نتائج، لعل أهمها خضوع المجتمع الريفى الأندلسى لعدة تأثيرات طبيعية وبشرية، إلا أنه لم يقف عاجزًا أمامها، ونجح فى التكيف مع بعضها، وجابه البعض الآخر، فاستغل المعطيات الجغرافية والطبيعية الصعبة لصالحه، باستخدام أنظمة وأساليب فى الرى، ملائمة لوعورة التضاريس، وقلة المياه. وحافظ الفلاحون فى الريف على خصوبة الأراضى الجيدة، وداوموا على زيادة خصوبتها، كما حرصوا على استغلال كافة الأراضى القابلة للزراعة، ساعدهم فى ذلك استخدام أساليب وتقنيات مختلفة فى الزراعة والرى، تلائم معظم أنواع التربة. ونجح الفلاحون إلى حد كبير فى التغلب على تقلبات الطقس، وخطر الآفات باستخدام العديد من الأساليب والتقنيات الزراعية الذكية. وكان اتباعهم لدورة زراعية مكثفة فى بعض الأراضى، ودورة زراعية غير مكثفة فى بعض الأراضى الأخرى عاملاً مساعدًا على الحفاظ على التربة، وزيادة الإنتاج فى نفس الوقت.

وقد أفضت هذه العوامل السابقة –بالإضافة إلى مهارة الفلاح الأندلسى– فى النهاية إلى زيادة الإنتاج الزراعى، وتحقيق قدر كبير من الاكتفاء الذاتى، ساعد الفلاحين فى الريف على مواجهة مختلف الأزمات الاقتصادية، كما ساعد الحكومة فى تمويل معظم مشروعاتها الداخلية والخارجية، وأعان على الازدهار الصناعى والتجارى.

ولزامًا علينا هنا أن نشير إلى أن نظم الزراعة والرى التى أدخلها المسلمون من العرب والبربر، كان مردودها أكيدًا فى زيادة الإنتاج، لأن نظام الرى الدائم الذى أدخله العرب، قد ساعد على اتباع دورة زراعية مكثفة، واستغلال دائم

للأراضى الزراعية طوال العام، وبالتالى إنتاج آمن للطعام لا يخضع لقلة المياه أو كثرتها. كما يجب أن نشير أيضًا إلى مهارة الفلاح الأندلسى الذى استطاع أن يستوعب الأساليب، والتقنيات الوافدة، ويضيف إليها بعض الأساليب والتقنيات المحلية الإسبانية، ليزيد من فاعليتها، حتى أضحى للفلاح الأندلسى أسلوبه الزراعى المميز، هذا الأسلوب الذى أنتج فى القرن الخامس الهجرى ما يسمى "بالمدرسة الزراعية الأندلسية" بأعلامها المشهورة، التى تضارع أحسن المدارس الزراعية فى العصور الوسطى آنذاك.

والواقع أن ثراء الشخصية الريفية الأندلسية، وذكاءها، كان نتيجة لذكاء فطرى مكتسب من البيئة المحلية، وذكاء مكتسب من العناصر الحضارية الوافدة، التى استطاعت بفعل تميزها أن تطبع الشخصية الريفية بالطابع الإسلامى الشرقى إلى حد كبير، وإن لم تقضى نهائيًا على مكوناتها المحلية.

وتجلى ذكاء الشخصية الريفية فى العديد من المواقف، منها استغلال المعطيات التضاريسية الصعبة من جانب المناوئين للحكومة فى التخفى، وإقامة الحصون مما كان يطيل أحيانًا أمد الصراع بين الفريقين. كما لجأ الفلاحون إلى استغلال سفوح الجبال، بتسويتها وزراعتها، رغم أن ذلك كان يتطلب بذل مجهودات كبيرة، وإقامة أنظمة مناسبة للرى فى هذه الجبال.

وظهرت مهارة الفلاحين الأندلسيين أيضًا، فى استغلالهم الجيد للموارد الطبيعية فى بيئتهم، فإلى جانب استغلالهم الجيد لمختلف الأراضى الزراعية، مارسوا أنشطة أخرى مثل الرعى والصيد، فاستغلوا كثيرًا من المساحات التى لا تصلح للزراعة فى الرعى، والصيد البرى، وقطع الأخشاب، والتقاط الأعشاب البرية النافعة، وفى مجال الرعى يمكن أن نتحدث عن مدرسة أندلسية فى الرعى امتزجت فيها التقاليد المحلية الإسبانية بالتقاليد الوافدة خاصة التقاليد البربرية، فالبربر كانت لهم تقاليدهم المميزة فى الرعى، تلك التقاليد التى نقلوها معهم إلى الأندلس، بل إنهم أدخلوا بعض سلالات الأغنام والخيول إلى الأندلس. وتبلور كل

ذلك فى نظام "المشتى"، الذى بفضله تبوأت إسبانيا فيما بعد مكانًا مرموقًا فى مجال الاقتصاد الرعوى.

ولجأ الفلاحون أمام مشكلة المياه إلى العديد من الحلول منها إنباط الآبار، وتجميع مياه الأمطار، واستغلال مياه العيون الاستشفائية على عدة مستويات، إذ كانوا يستخدمونها فى الاستشفاء، ثم فى الزراعة، وواجهوا أخطار السيول بإقامة العديد من السدود، والجسور، والمعابر.

وقام الفلاحون باستغلال وفرة الإنتاج الزراعى، وبعض الموارد الطبيعية فى تصنيع العديد من المنتجات الغذائية، وغير الغذائية ــ التى تتطلبها البيئة الريفية. ولم ينسوا أن يمارسوا هوايتهم فى تخزين الطعام، تحسبًا لما قد يحدث فى مستقبل الأيام من أزمات حادة.

وقد ساعد وفرة الموارد الطبيعية والزراعية، وجود بعض الصناعات الريفية على وجود حركة تجارية نشطة، بفضل الاستقرار الذى نعمت به الأندلس فى فترات كبيرة من حكم بنى أمية، ولعبت الأسواق الريفية دورًا كبيرًا فى ازدهار التجارة، وربط النواحى الريفية ببعضها، ساعدها فى ذلك توفر شبكة لا بأس بها من طرق المواصلات الداخلية المتنوعة، التى ساعدت على تيسير الاتصال والانتقال الداخلى، وهيأت الظروف لوجود علاقات تجارية قوية بين مجتمع الريف ومجتمع المدينة.

ووضح الثراء الحضارى المتنوع الذى امتازت به الشخصية الريفية الأندلسية، جليًا فى العديد من النواحى الاجتماعية، وكان التصنيف الطبقى الذى ضم مختلف العناصر شاهدًا على هذا الامتزاج الحضارى الذى جمع بين مختلف العناصر السكانية فى الريف، فلم يحتل عنصر واحد طبقة واحدة، ولكن رأينا كيف ضمت الطبقة الواحدة مختلف العناصر، وهو دليل قوى على الامتزاج الحضارى الذى تم بصورة متأنية ولكن بفاعلية أكبر.

وكانت مظاهر الحياة الاجتماعية معبرة عن الشخصية الريفية الأندلسية أصدق تعبير لتلك الشخصية التى تحمل فى طياتها مكونات حضارية مختلفة، وعلى قدر اختلاف مكوناتها، جاء الثراء والتنوع فى مظاهر الحياة الاجتماعية، لدرجة أن الملاحظ يرى ذلك فى اختلاف أنماط المنازل الريفية، التى تداخلت فيها العناصر المشرقية والمحلية الإسبانية، وكذا فى ثراء الحياة العائلية والأسرية، كما ظهر هذا التنوع والثراء فى طقوس الحياة الأسرية من زواج وميلاد وموت، حيث تظهر التقاليد الإسلامية واضحة، وتبرز إلى جانبها بعض المؤثرات المحلية النابعة من البيئة الإسبانية الغربية، بحيث تصبح هذه الطقوس- فى النهاية- أندلسية لا هى شرقية ولا غربية، ولكن أندلسية متميزة عن بقية الطقوس المشرقية والغربية.

كما يظهر هذا التنوع والثراء والتميز فى وسائل التغذية، والابتكارات فى وسائل تخزين الطعام لفترات طويلة، وفى الطب والعلاج، وفى الأزياء والملابس ووسائل الزينة، ووسائل التسلية واللهو. ويظهر ذلك جليًا أيضًا فى الاحتفال بكثير من الأعياد الدينية والوطنية، تلك الاحتفالات التى كان يشترك فى إحيائها مختلف العناصر السكانية، لدرجة أن الفقهاء انتقدوا مشاركة المسلمين للنصارى فى الاحتفال بأعيادهم، ولم تغير هذه الانتقادات من الواقع شيئًا. وتبلورت كل هذه العناصر، والمكونات المختلفة للشخصية الريفية المتفاعلة مع البيئة الأندلسية لتفرز فى النهاية مجموعة من العادات والتقاليد المعبرة عن ثراء وتناقضات الشخصية الريفية الأندلسية، التى تميزت بالقلق المشوب الحذر، وكانت فى صراع دائم مع العوامل المضادة، ونجحت فى كثير من الأحيان فى التغلب على كثير من تلك المعوقات، وتكيفت مع بعضها.

وساعد التنظيم الإدارى المستقر، الذى توفر للمجتمع الريفى، على استقرار العلاقة بين الفلاحين والحكومة إلى حد كبير، فقد كان الريف الأندلسى مقسمًا إلى عدة وحدات إدارية واضحة ومعروفة، كما استعانت الحكومة الأندلسية -فى إدارة شئون الريف- بجهاز بيروقراطى محكم، قام على توزيع الأدوار والاختصاصات

بدقة كبيرة، فكان هناك موظفون للإشراف على الشئون المالية، وموظفون مختصون بالنصارى، وموظفون للإدارة الدينية، وهكذا.

ورغم أن فئة من الملاك سيطرت على أراضى شاسعة إلا أنه من الثابت أن الملكيات الصغرى ما لبث أن تزايدت بمرور الوقت، كما أن نظام حيازة الأرض من زراعة، ومغارسة ومساقاة، قد أتاح للعديد من الفلاحين استغلال كثير من الأراضى كما لو كانوا يملكونها، وقد رأينا كيف أن الفلاحين المزارعين قد تمتعوا بكثير من الحقوق العينية والمادية، التى كلفها لهم الشرع والعرف.

ولم يكن المجتمع الريفى موصدًا أمام التيارات الثقافية، فقد نشطت فى ربوعه حركة نشر الإسلام والتعريب منذ الفتح، ولعبت الكتاتيب فى ذلك دورًا رائدًا، وكان التعليم فى المكتب بمثابة مرحلة أولى من التعليم لابد لكل طالب أن يجتازها إذا أراد أن يكمل تعليمه العالى. كما لم يعدم المجتمع الريفى، وجود بعض العلماء الذين كانوا يبثون مختلف علومهم فى ربوعه، وأقبل بعض الطلبة الريفيين على مواصلة تعليمهم العالى، فرحلوا فى طلب العلم إلى الحواضر المجاورة لقراهم، وذهبوا إلى قرطبة لتلقى العلم ومنهم من رحل إلى خارج الأندلس لنفس الغرض.

وكانت هناك حركات ثقافية أثرت الفكر الثقافى فى الريف مثل حركة الزهاد والمتصوفة والحركة المسرية والفكر الشيعى وغيرها. كل ذلك قد أفضى فى النهاية إلى بروز عدد من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ينتمون إلى أصول ريفية أثروا الحياة الفكرية الأندلسية.

الملاحق

الملاحق

ملحق رقم (١)
بعض الآلات والأدوات الفلاحية

كان "المحراث أو السكة" من أدوات الفلاح الأندلسى الرئيسية، وكان يصنع من الحديد والأخشاب، وتجره الثيران أو الأبقار، يستخدم فى حرث التربة. أما "المجرد": فكان يصنع من خشب البلوط على هيئة مستطيل به أربعة عيدان ذات أسنان رأسية متجهة الأسفل، وكان المجرد يستخدم فى تنعيم التربة، وتجره الثيران أو الأبقار أيضًا.

وفى تسوية التربة استخدمت عدة آلات منها "المرجيقل" – هو مثلث من خشب فى وسطه خط وعليه خيط فى طرفه ثقالة– والميزان والقبطال والجفنة وميزان البنائين، والإسطرلاب، والجارف الذى تجره الثيران.

ومن الأدوات الفلاحية أيضًا "الشنجول" وهو على شكل يد الإنسان، ذو أصابع من حديد، وكان يستخدم فى الحفر حول جذور النباتات والأشجار المراد نقلها للغراسة، وتنظيف ما يحيط بجذور النباتات المغروسة. هذا فضلاً عن الفؤوس والمعاول.

ومن أدوات الحصاد" المناجل"، وكانت تصنع من الحديد، أما العصى والمرازب الخشبية فكانت تستخدم فى درس الأرز. واستخدمت "المذرى" – وهى خشبة ذات أصابع فى تذرية المحاصيل بعد درسها.

ومن أدوات قياس الأرض "الذراع الرشاشية" وهو ثلاثون إصبعًا وصنعه قسام قرطبة محمد بن فرج الرشاش.

وهناك طائفة من الأدوات الفلاحية الأخرى نذكر منها "القادوم" أو "قيدوم البناء" المسمى "أخلحى" وهو مشهور معروف لدى فلاحى الأندلس، كانوا يستخدمونه فى فتح أسافل القواديس، والقدور والقصارى. أما "الأشفار" أو "الأشفات" الرقيقة والغليظة، فكانت تستخدم فى عمليات التركيب والترقيع للأشجار المختلفة، و"البرنية"، وكانت تستخدم فى عمليات الثقب لتركيب بعض الأشجار على بعض. هذا فضلاً عن أنواع عديدة من السكاكين الحادة، كانت تستخدم فى مختلف العمليات الزراعية.

ومن الأدوات الفلاحية أيضًا "السرند"، وهى أداة كانت تستخدم فى غربلة بعض أنواع من الزبول، و"الشاقور" وهى آلة قطع، كانت تستخدم فى قطع الأشجار وغيرها من النباتات. واستخدمت "الغرابيل" بأنواعها لغربلة العديد من المواد.

أما "المخطاف": فكان يستخدم فى تنظيف التراب حول البذور والشتلات المراد نقلها للغراسة، و"المساحى" – ومفردها "مسحاة" فاستخدمت فى قلع الشتلات المراد غراستها، و"المسن" استخدم فى سن بعض الأدوات التى تحتاج للسن كالمناجل والسكاكين وغيرها، و"المشرط" استخدم فى تشريط بعض سيقان النبات عند عملية التركيب أو الترقيع، و"المشعب" استخدم فى عمليات الثقب عند التركيب والترقيع، كما استخدم فى عمليات الثقب والحفر والشق المختلفة، و"المنقاش" استخدم فى نقش التربة، و"الميجم" استخدم فى الطرق على السكين عند شق الأغصان، و"المزابر" وهى تشبه المناجل والمناشير.

وهناك طائفة أخرى من الأدوات والأوعية التى كان يستخدمها الفلاحون فى الريف مثل "البليش"، "التليس"، و"العدل". وكانت تستخدم كأوعية لحمل الزروع والثمار والأتبان.[1]

---

(١) اعتمدنا فى الحديث عن الأدوات الفلاحية على كتب الفلاحة المختلفة، وكتب الفتاوى والنوازل، وكتب اللغة والأزجال والأمثال، وكتب الأدب.

ملحق رقم (٢)

نموذج لأحد المنازل الريفية كما وصفه الوزير الكاتب أبو حفص عمر بن الشهيد (كان حيًا سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) أثناء زيارته لأحد الريفيين

"وملنا إلى منزل بدوى، ذى هيئة وزى:

له منزل رحب عريض مزرب

بأعواد بلوط وطوج مفتـــل

ترى بعر الآرام فى عرصاته

وقيعانـــه كأنه حب فلفـــل

فهش وبش، وكنس منزله ورش، وصبر عياله إلى ناحية، وجمع أطفاله فى زاوية، ثم مال بنا إلى بيت مكنس، منوع مجنس، قد جلله حصرًا بلدية، وغشاه بسطًا بدوية، ومد فيه شرائط وحبالاً وكأنه يريد أن يخرج خيالاً، وعلق منها غلائل وملاءات،وهمايين وسراويلات، وكم شئت من خرق معصفرة، وعصائب مزعفرة حتى المقنعة والخمار والدلال المستعار، وقد اتخذ فى الحائط كوة ثانية وملأها حقاقًا وآنية، وأودعها من عتاد العروس فاخرة، ومن طيب البادية أوله وآخره مثل حراقة الورد بالبان وعصارة العصفر بالزعفران، وشىء من الإثمد والإسفيذاج، ومراود الزجاج، وحبات المصطكى واللبان، وغبار العفص وقشور الرمان وكثير من سنون ذلك المكان .... فقلت يا صاحب المنزل ... من أين للبداوة بهذا الرونق والطلاوة وكيف حتى أغرت على حانوت العطار، ومتى نقل سوق البز إلى هذه الدار؟ لقد قرت بك الأعين، وسرت الأنفس، هذا زى العروس فأين العرس؟".(1)

---

(١) ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، ق١، م٢ ص٦٧٦– ٦٧٨.

ملحق رقم (٣)

نموذج زجلي ليحيى بن عبد الله بن البحبضه (القرن السابع الهجرى)

على شاكلة ما كان يتغنى به أهل الريف على البوق

دَعْـــنَ نشـــربْ قَطيـــعْ صاحِ

مـــن ذُنًّـــا ســـت المـــلاحِ

دعـــنَ نشـــربْ ونـــرخى شُفـــا

ونصـــاحب مـــن لـــس فيه عفـــاً

يـــا زُغَـــلاَ شـــدّوا الأكُـــفَـــا

مـــن بـــاب الجُـــوز يســـمـــع صـــيـــاحى

والـــلـــه إنـــك صَـــرَف مُـــلجِـــلاَ

وســـمـــيـــنـــا بـــحـــالَ بِـــخِـــلاَ

وخـــفـــيـــفـــاً بـــحـــالَ بُولِـــلاًّ

حـــن يَـــطِـــرْ لـــى مـــع الـــرِيـــاحِ

والـــلـــه ذُنـــا أنـــى مـــشـــاكِـــلْ

وحـــزامـــى مـــلـــيـــح وكـــامـــل

حِـــن تـــرانى نـــرخـــى الـــســـروال

عـــلـــى وجـــه الـــقُـــرْق الصـــيـــاًح

يـــازغـــلّه درب الـــزجالـــى

مـــنه فـــيـــكم زغـــلْ بـــحـــال

أو دلالُ بـــحـــال دلالـــى

أو رمـــــاح بـــحـــــال رمـــاحـــــى

غَـدًا قـــالـــت تجــيـــنى ذُنــًـا

بـــتـــحـــنـــفـفْ مـــليخْ وحِــنـــًا

نشرب الــكأس مـــعهـــا مُـــهنــًا

حـــــن تجيـــنـــى بـــيـــاض صـــبـــاحـــى[1]

(١) ابن سعيد: المغرب، جـ١، ص ١٧٧ – ١٧٨.

ملحق رقم (٤)

أعياد محلية كان النصارى يحتفلون بها فى الأندلس دون سائر نصارى العالم

وقت العيد	اسم العيد
٢٢ يناير	عيد بنجيت الشماس المقتول بمدينة بلنسية.
٢ مايو	عيد فلج الشماس المقتول بإشبيلية.
١٧ يونية	عيد شريان وبوله المقتولين بمدينة المرية.
١٩ يونية	عيد جرواش وبروطش المقبورين بحصن مديلان.
١٧ يوليه	عيد يوشته وروفينه المقبورتين بإشبيلية.
٦ أغسطس	عيد يشتش وبشتر المقتولين بمدينة وادى الحجارة.
١٣ أكتوبر	عيد الثلاثاء الشهداء المقتولين بقرطبة ومقابرهم بربض البرج.
٢٣ أكتوبر	عيد شر بند وجرمان الكاتبين المقتولين على يد فياطر.
٢٨ أكتوبر	عيد بنجيت وشبينة وقرسطاسا المقتولين بوادى الحجارة.
٤ نوفمبر	عيد شويلش المقتول بقرطبة ومقبرته بكنيسة الطرازين.
١٨ نوفمبر	عيد أجلح المقتول على يدى ديون الوالى بقرطبة ومقبرته بكنيسة الأسرى.
٢٠ نوفمبر	عيد قرشبين المقبور فى الدير بجوفى إستجة.
٩ ديسمبر	عيد لقيادة المقبورة بطليطلة.
١٠ديسمبر	عيد أولالية المقتولة وقبرها بماردة.[١]

---

(١) عريب بن سعد: تقويم قرطبة ص ٣٣، ٨١، ٩٩، ١١٣، ١٢٥، ١٥١، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩.

ملحق رقم (٥)

أقاليم قرطبة وأقسامها الإدارية

رقم	الأقاليم	عدد القرى	عدد الحصون	عدد الأبراج
١	إقليم المدور	٩٠ قرية	–	–
٢	إقليم القصب	٨٧ قرية	٧ حصون	٣٠ برجًا
٣	إقليم لورمر	٦٤ قرية	٣ حصون	١٦ برجًا
٤	إقليم الصدف	٢٨ قرية	٨ حصون	٢٠ برجًا
٥	إقليم بنى مسرة	١٧ قرية	١٣ حصنًا	٦ أبراج
٦	إقليم منيانة	٢٦ قرية	٤ حصون	١٣ برجًا
٧	إقليم كرتش	٦٠ قرية	١٠ حصون	٢٦ برجًا
٨	إقليم القشتل	٤٨ قرية	٣ حصون	٧ أبراج
٩	إقليم الهرهار	٧٣ قرية	١٣ حصنًا	١٦ برجًا
١٠	إقليم الملاحة	٨٤ قرية	٦ حصون	١٧ برجًا
١١	إقليم الشعر	٩٠ قرية	٢٠ حصنًا	٤٠ برجًا
١٢	إقليم السهلة	١٠٢ قرية	٢٦ حصنًا	٣٥ برجًا
١٣	إقليم أولية	٨٦ قرية	٦ حصون	٢٠ برجًا
١٤	إقليم الوادى	١١١ قرية	١٧ حصنًا	٣٢ برجًا
١٥	إقليم أى مريم	١١٣ قرية	١٢ حصنًا	١٦ برجًا(١)

(١) مؤلف مجهول: كتاب فى ذكر بلاد الأندلس، ص ٤٣- ٤٤، مؤلف مجهول: وصف جديد لقرطبة، ص ١٧٩- ١٨١. والملاحظ أن هذين المؤلفين قد ذكرا لقرطبة خمسة عشر إقليمًا بينما ذكر لها العذرى اثنا عشر إقليمًا فقط رغم أنه نص على أن عدد أقاليم قرطبة خمسة عشر إقليمًا، كما سيتضح من البيان الذى سنعرضه فيما بعد.

ملحق رقم (٦)

بعض الأقسام الإدارية فى الريف

الأقاليم والحصون

م	أقاليم كورة تدمير	أقاليم إشبيلية	أقاليم مدينة لبلة	بعض حصون ماردة
١	إقليم لورقة	إقليم المدينة	إقليم المدينة	حصن مدلين
٢	إقليم مرسية	إقليم ألية	إقليم وشتر	حصن مورش
٣	إقليم العسكر	إقليم السهل	إقليم بشنيانة	حصن أم غزالة
٤	إقليم سنتجيالة	إقليم لليو	إقليم برشليانة	حصن الأرش
٥	إقليم إلش	إقليم البصل	إقليم وانية	حصن أم جعفر
٦	إقليم إية	إقليم طالقة	إقليم الجبل	حصن الجزيرة
٧	إقليم جبل بقصرة القاعة	إقليم الشرف	إقليم تركونة	حصن الجناح
٨	إقليم طيبالية	إقليم الوادى	إقليم قاشترة[٢]	حصن الصخرة
٩	إقليم تونتية	إقليم طشانة		حصن لقرشان
١٠	إقليم ابن الجايع	إقليم الفحص		حصن سنت أقروج[٣]
١١	إقليم بقصرة أخرى	إقليم قشطانة		
١٢	إقليم مورة	إقليم المنستير[١]		

(١) العذرى: نصوص عن الأندلس، ص١٠٠.

(٢) العذرى: نفس المصدر، ص ١٠٩.

(٣) العذرى: نفسه، ص ١١.

١٣	إقليم بالش			
١٤	إقليم بيرة			
١٥	إقليم طوطانة			
١٦	إقليم لقور			
١٧	إقليم فرقصة[١]			

(١) البكرى: جغرافية الأندلس، ص ١٢٠.

ملحق رقم (٧)

بيان بعدد أقاليم قرطبة وما عليها من ضرائب

كما ورد عند العذرى

"عدد أقاليم قرطبة، وهى خمسة عشر إقليما":

١- إقليم المدور:

- عدد قراه فى المغارم ٩٠ قرية، منها فى العشور ثلث (...)
- القمح: ٨٥ مديًا، ٤ أقفزة.
- الشعير: ١٥١ مديًا و ٨ أقفزة.
- الناض: ٣٩٨٠ مثقالاً.
- الطبل للعام: ٤١٤٠ دينارًا.
- الصدقة البيزرة: ٤١٢ دينارًا و٤ دراهم.

٢- إقليم القصب:

- القرى فى الوظائف ٨٧، منها فى العشور ٥٦ قرية.
- القمح: ١٤٢ مديًا.
- الشعير: ١١١ مديًا.
- الطبل للعام: ٢٧٠٠ دينارًا و٤ دراهم.
- الناض للحشد: ٤٧٧٢ مثقالاً.[1]

---

(١) فى الأصل: "أربعة آلاف وسبعمائة واثنان وس..." والتكملة من حسين مؤنس: فجر الأندلس ٥٨١.

- الصدقة البيزرة: ٢٠٣ دينارًا و ٤ دراهم.

٣- إقليم لورة:

- القرى: ٦٤ قرية، منها للعشور...
- القمح: ١٧٣ مديًا، ١٠ أقفزة.
- الشعير: ٣٠٠ (...) و (...) قفيز.
- الناض للحشد: ٢٤٧٢ مثقالاً.

٤- إقليم الصدف:

- القرى: ٢٨ قرية، منها للعشور (...)
- القمح: ٨٩ مديًا، ١١ قفيز.
- الشعير: ١٩٣ مديًا (...)
- (الناض): (...) ٤٧٥ مثقالاً.
- الطبل للعام: (...) ٥٥ (...) و ٢/٧.

٥- إقليم بنى مسرة:

- القرى: ١٧ قرية.
- القمح: ١١٧ مديًا و (...) أقفزة.
- الشعير: ٢٥٤ مديًا، و ٣ أقفزة.

٦- إقليم منيانة:

- القرى: ٢٦ قرية.

- القمح: ١٢١ مديًا (...) قفيزًا.
- الشعير: ٢٢٨ مديًا و٦ أقفزة
- الناض للحشد: ٧٠٠ مثقال.

٧- إقليم كرتش:
- القرى ٦٠ قرية، منها للعشور ٣٠ قرية.
- القمح: ٢٢٠ مديًا(...) أقفزة.
- الشعير: ١١٦ مديًا و ٦ أقفزة.
- الناض للحشد: ٧٣٠ مثقال
- الطبل للعام: ١٧٨٢ دينارًا و٤ دراهم.
- الصدقة البيزرة: ٤٩ دينارًا و٤ دراهم.

٨- إقليم القتل:
- القرى: ٤٨ قرية.
- القمح: ١٢١ مديًا (...) أقفزة.
- الشعير: ١١٨ مديًا و١٠ أقفزة.
- الناض للحشد: ٨٠٠ (...) دينارًا.

٩- إقليم الهزهاز:
- القرى ٧٣ قرية.
- القمح: ١٢١ و٧ أقفزة.
- الشعير: ٢٢٦ مديًا و ٧ أقفزة.

- الناض للحشد: (...) ٦٨ مثقالاً

- الطبل: ٤٤٨٩ دينارًا (...).

- الصدقة البزرة: ١٤٨ دينارًا و٤ دراهم.

١٠- إقليم وابة الملاحة:

- القرى ٨٤ قرية.

- القمح: ٦١٤ مديًا و٥ أقفزة.

- الشعير: ٧٢٠ مديًا و ٦ أقفزة.

- الناض للحشد: (...) ٧٢٢ مثقالاً.

- الصدقة الطبل للعام: ١٢١ (...) دراهم و٥/٧.

١١- إقليم وابة الشعراء:

- القرى ٨٤ قرية.

- القمح: ٨٣٠ مديًا.

- الشعير: ١٠٥١ مديًا و ١١ قفيزًا.

- الناض للحشد: ٧٣٠(...) ٩٩٨ مثقالاً.

١٢- إقليم أولية السهلة:

- القرى: ١٠٢ قرية.

- القمح: ٧٠٠(...) مديًا و٤ أقفزة.

- الشعير: ١٢٢٢ (...)

- الناض للحشد: ٧٣٣٨ مثقالاً.

- الصدقة: (...) و ١٨٤ دينارًا و٧/٣.

- البيزرة: ٥١١ دينارًا.[١]

(١) العذرى: المصدر السابق ص ١٢٤- ١٢٧. ونلاحظ أن العذرى ذكر أن عدد أقاليم قرطبة "خمسة عشر إقليمًا" ولكنه لم يورد إلا اثنا عشر إقليمًا فقط.

ملحق رقم (٨)

بيان بما كانت تقدمه بعض النواحي من فرسان الجيش في عهد الأمير محمد

١- كورة إلبيـــرة: ٢٩٠٠ فارس

٢- جيـــــــان: ٢٠٠ فارس

٣- قبـــــــرة: ٨٠٠ فارس

٤- بـــاغـــــة: ٩٠٠ فارس

٥- تاكـــرنـــا: ٢٦٩ فارس

٦- الجـــزيـــرة: ٢٩٠ فارس

٧- إستجـــــة: ١٢٠٠ فارس

٨- قرمـــونـــة: ١٨٥ فارس

٩- شـــذونـــة: ٦٧٩٠ فارس

١٠- زيـــــة: ٢٦٠٧ فارس

١١- فريـــــش: ٣٤٢ فارس

١٢- فحص البلوط: ٤٠٠ فارس

١٣- مـــورور: ١٤٠٣ فارس

١٤- تدميـــــر: ٢٥٦ فارس

١٥- ربـــينـــة: ١٠٦ فارس

١٦- قلعة رباح وأوريط: ٣٨٧ فارس

١٧- حصن شندلـــة: ١١٣ فارس(١)

---

(١) ابن حيان: المقتبس ت. مكى ص ٢٧١ - ٢٧٢.

ملحق رقم (٩)

أمثلة لمقادير الجباية

- الجباية السنوية لأقاليم قرطبة أيام الحكم الربضى:

١- الحشد وناض الطبل وناض البيزرة[1]: ١٢٠,٠٠٠ دينار

٢- القمح: ٤٦٤٧ مدى

٣- الشعير: ٤٧,٠٠٠ مدى[2]

- جباية كورة لبلة أيام الحكم الربضى: ١٥,٦٢٧ دينار[3]

- جباية كورة إشبيلية أيام الحكم الربضى: ٣٥,٠٩٩ دينار، وخمسة دراهم.[4]

- جباية كورة إلبيرة أيام الحكم الربضى وابنه عبد الرحمن الثانى:

١- الجباية النقدية : ١٠٩,٦٠٣ دينار

٢- الجباية من الحرير: ٢٠٠٠ رطل

٣- الجباية من العصفر: ٢٠٠٠ رطل

---

(١) كان "الناض" فى الأندلس يعتبر ضريبة خاصة بالجيش، لذا كان يسمى أحيانًا "الناض للحشد"، أما الطبل، فكان ضريبة شخصية، تؤدى عينًا، فإذا دفعت نقدًا سميت "ناض الطبل"، وكانت تدفع فى مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية. حسين مؤنس: فجر الأندلس حاشية ص ٥٨٠.

(٢) البكرى: جغرافية الأندلس، ص ١٠٤- ١٠٥.

(٣) العذرى: المصدر السابق، ص ١١١.

(٤) العذرى: نفس المصدر، ص ١٠٩.

٤- الجباية من غلة المعادن: ٤٢,٠٠٠.

٥- الجباية من غلة الأرحية: ١٠٠٠ دينار+ ١٢٠٠ قسط زيت[(١)]

- جباية الأندلس فى عهد الناصر:

١- الكور والقرى: ٥,٤٨٠,٠٠٠ دينار

٢- السوق والمستخلص: ٧٦٥,٠٠٠ دينار[(٢)]

- مقدار الجباية النقدية فى الأندلس آخر أيام المنصور بن أبى عامر:
٤,٠٠٠,٠٠٠ دينار، سوى رسوم المواريث، وأموال السبى، والمغانم، والمصادرات وغيرها[(٣)]

---

(٥) العذرى: نفسه، ص ٩٣.

(١) المقرى: نفح الطيب م١ ، ص ٣٧٩.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٩٨.

ملحق رقم (١٠)

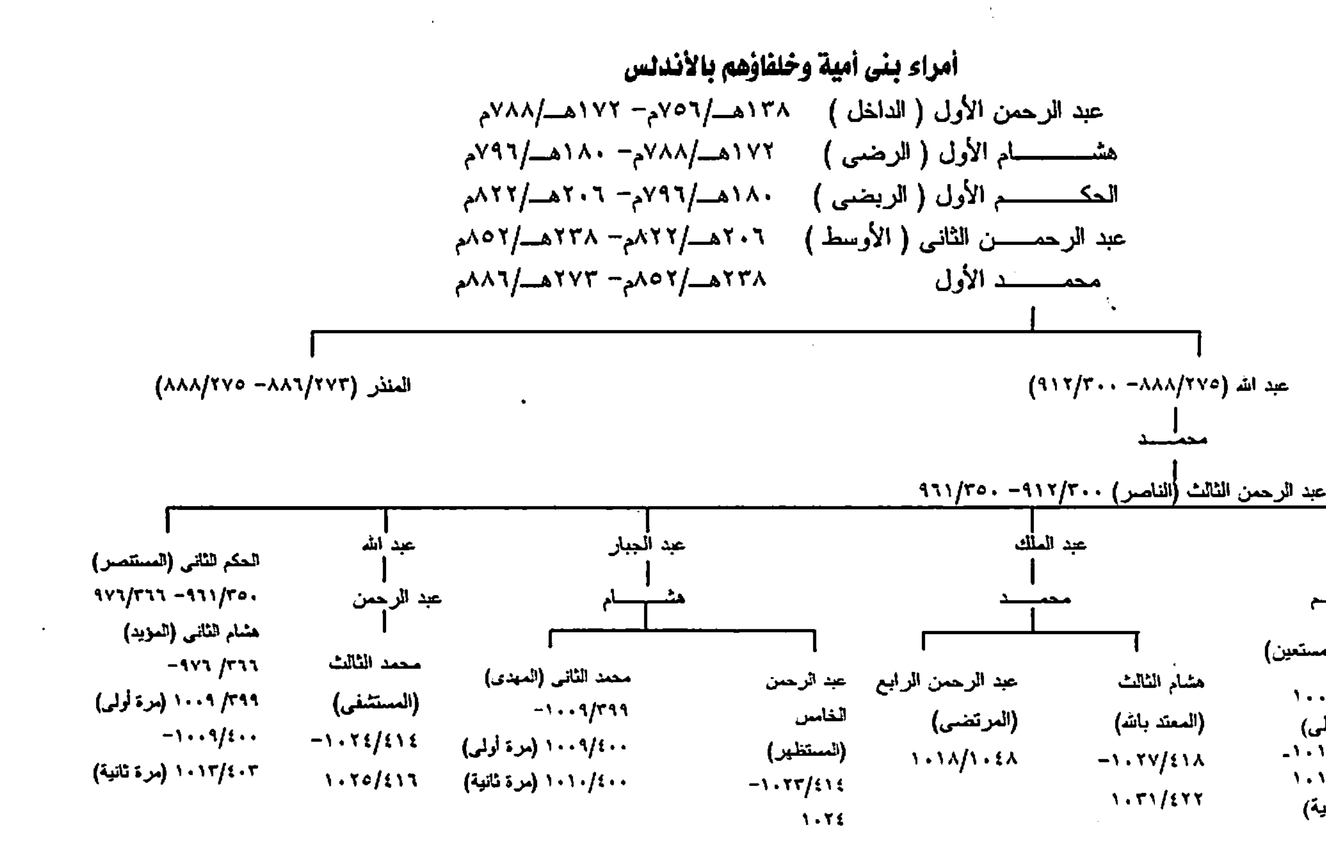
كتاب الصلح بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير صاحب مرسية

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس إذ نزل على الصلح أن له عهد الله وميثاقه وما بعث به أنبياءه ورسله، وأن له ذمة الله عز وجل، وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له وألا يؤخر من أصحابه بسوء، وأن لا يسبون ولا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم، ولا يقتلون، ولا تحرق كنائسهم، ولا يكرهون على دينهم، وأن صلحهم على سبع مدائن: أوريولة، ومولة، ولورقة، وبلنتلة، ولقنت، وإية، وإلش، وأنه لا يدع حفظ العهد، ولا يحل ما انعقد، ويصحح الذى فرضناه عليه وألزمناه أمره، ولا يكتمنا خبرًا علمه، وأن عليه وعلى أصحابه غرم الجزية، من ذلك على كل حر: دينار، وأربعة أمداد من قمح، وأربعة أمداد من شعير، وأربعة أقساط خل، وقسطا عسل، وقسط زيت. وعلى كل عبد نصف هذا.

شهد على ذلك: عثمان بن عبيدة القرشى، وحبيب بن أبى عبيدة القرشى، وسعدان بن عبد الله الربعى، وسليمان بن قيس التجيبى، ويحيى بن يعمر السهمى، وبشر بن قيس اللخمى، ويعيش بن عبد الله الأزدى، وأبو عاصم الهذلى وكتب فى رجب سنة أربع وتسعين".[1]

---

(١) العذرى: المصدر السابق، ص ٤-٥ ، وورد كتاب الصلح أيضًا عند الضبى والحميرى. انظر الضبى: بغية الملتمس، تر ٦٧٧ ص ٣٤٠- ٣٤١، الحميرى: صفة جزيرة الأندلس، ص ٦٢- ٦٣.


أمراء بنى أمية وخلفاؤهم بالأندلس
عبد الرحمن الأول (الداخل) ١٣٨هـ/٧٥٦م- ١٧٢هـ/٧٨٨م
هشـــام الأول (الرضى) ١٧٢هـ/٧٨٨م- ١٨٠هـ/٧٩٦م
الحكـــم الأول (الربضى) ١٨٠هـ/٧٩٦م- ٢٠٦هـ/٨٢٢م
عبد الرحمـــن الثانى (الأوسط) ٢٠٦هـ/٨٢٢م- ٢٣٨هـ/٨٥٢م
محمـــد الأول ٢٣٨هـ/٨٥٢م- ٢٧٣هـ/٨٨٦م
عبد الله (٨٨٨/٢٧٥- ٩١٢/٣٠٠)
المنذر (٨٨٦/٢٧٣- ٨٨٨/٢٧٥)
محمـــد
عبد الرحمن الثالث (الناصر) ٩١٢/٣٠٠- ٩٦١/٣٥٠
سليمـــان
الحكـــم
سليمان (المستعين)
١٠٠٩/٤٠٠
(مرة أولى)
١٠١٣/٤٠٣-
١٠١٦/٧٠٤
(مرة ثانية)
عبد الملك
محمـــد
هشام الثالث
(المعتد بالله)
١٠٢٧/٤١٨-
١٠٣١/٤٢٢
عبد الرحمن الرابع
(المرتضى)
١٠١٨/١٠٤٨
عبد الجبار
هشـــام
عبد الرحمن
الخامس
(المستظهر)
١٠٢٣/٤١٤-
١٠٢٤
محمد الثانى (المهدى)
١٠٠٩/٣٩٩-
١٠٠٩/٤٠٠ (مرة أولى)
١٠١٠/٤٠٠ (مرة ثانية)
عبد الله
عبد الرحمن
محمد الثالث
(المستكفى)
١٠٢٤/٤١٤-
١٠٢٥/٤١٦
الحكم الثانى (المستنصر)
٩٦١/٣٥٠- ٩٧٦/٣٦٦
هشام الثانى (المؤيد)
٣٦٦/ ٩٧٦-
٣٩٩/ ١٠٠٩ (مرة أولى)
١٠٠٩/٤٠٠-
١٠١٣/٤٠٣ (مرة ثانية)

تخلل هذه القائمة عدد من خلفاء بنى حمود الأدارسة وهم علي بنى حمود ٤٠٧/ ١٠١٦- ٤٠٨/ ١٠١٨، القاسم بن حمود ٤٠٨/ ١٠١٨- ٤١٢/ ١٠٢١، يحيى بن على بن حمود ٤١٢/ ١٠٢١- ٤١٣/ ١٠٢٣، القاسم بن حمود (مرة ثانية) ٤١٣/ ١٠٢٣- ٤١٤/ ١٠٢٣، يحيى بن على بن حمود (مرة ثانية) ٤١٦/ ١٠٢٥.

المصادر والمراجع

المصادر

(أ) مصادر مخطوطة:

١- ابن أبى زمنين: محمد بن عبد الله بن أبى زمنين (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) كتاب فى الأقضية والأحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ١/١، فقه مالكى.

٢- ابن سهل: أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدى الجيانى (ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م). نوازل الأحكام لأبى الحسن الجيانى، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ١٦٠، فقه مالكى.

٣- الطغنرى: محمد بن مالك الطغنرى (كان حيًا سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م). زهر البستان ونزهة الأذهان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٦، الزراعة والأعشاب.

٤- مؤلف مجهول: كتاب فى الجغرافية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٤٦، جغرافية.

٥- مؤلف مجهول: (عاش فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى) كتاب فى ذكر بلاد الأندلس وصفاتها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ١٧٦، جغرافية.

٦- مؤلف مجهول: منظومة فى الفلاحة لأندلسية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٨، فلاحة.

(ب) مصادر مطبوعة:

٧- القرآن الكريم.

٨- الإنجيل.

٩- ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م). التكملة لكتاب الصلة (جزءان) عنى بنشره، وصححه، ووقف على طبعه، السيد عزت العطار الحسينى، القاهرة ١٩٥٦، (تراث الإسلام- ٥)

١٠- الحلة السيراء، (جزءان) تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥، (ذخائر العرب- ٥٨).

١١- المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط٢، ١٩٨٢.

١٢- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

الكامل فى التاريخ (م٥، ٦، ٧)، بيروت دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٢.

١٣- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م). بيوتات فاس الكبرا، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٢.

١٤- الإدريسى: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسنى (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).

كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (مجلدان)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ب. ت.

١٥- إسحاق بن الحسين: (عاش فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى)

أكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان، تحقيق فهمى سعد، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨.

١٦- الإصطخرى: أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى الكرخى (ت٣٦٤هـ/ ٩٥٧م).
المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، مراجعة شفيق غربال، القاهرة، ١٩٦١.

١٧- ابن أبى أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م).
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

١٨- ابن بسام: أبو الحسن على بن بسام الشنترينى (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م).
الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة (أربعة أقسام فى ثمانية مجلدات)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩.

١٩- ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م).
كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، (جزءان)، نشر السيد عزت العطار الحسينى، القاهرة، ١٩٥٥م (تراث الأندلس-٤).

٢٠- ابن بصال: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلى (كان حيًا فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى).
كتاب الفلاحة. نشره وترجمه وعلق عليه خوسى ماريه مياس بييكروسا، ومحمد عزيمان، تطوان، معهد مولاى الحسن، ١٩٥٥م.

٢١- البكرى: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكرى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).

جغرافيا الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجى، بيروت، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٨م.

٢٢- الثعالبى: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر (الجزء الثانى) شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م.

٢٣- الجرسيفى: عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفى كان حيًا فى القرن السادس الهجرى/ ق ١٢م) رسالة فى آداب الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفى بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٥٥م.

٢٤- ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى (ت. بعد سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م).

طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٥٥م.

٢٥- أبو حامد الغرناطى: (ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩م).

المعرب عن بعض عجائب المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق إينغرد بيخارانو، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربى، ١٩٩١م.

٢٦- ابن حزم: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).

الأخلاق والسير فى مداواة النفوس، تحقيق الطاهر أحمد مكى، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٢م.

٢٧- الإحكام فى أصول الأحكام (ثمانية أجزاء)، بيروت دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٨- جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣.

٢٩- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٧م.

٣٠- طوق الحمامة فى الإلفة والآلاف. تحقيق الطاهر أحمد مكى، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٥م.

٣١- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، السعودية، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢م.

٣٢- المحلى، (الجزء الخامس)، بيروت، المكتب التجارى للطباعة والنشر، ب، ت.

٣٣- الحميدى: أبو عبد الله محمد بن أبى نصر، فتوح بن عبد الله الأزدى (ت٤٤٨هـ/ ١٠٩٥م) جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس (قسمان)، تحقيق إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط٢، ١٩٨٣م.

٣٤- الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله عبد المنعم الحميرى (ت. ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض العطار فى خبر الأقطار، نشر ليفى بروفنسال، بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٨م.

٣٥- ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن على النصيبى (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).
كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ب. ت.

٣٦- ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)
المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود على مكى، بيروت، دار الكتاب العربى، ١٩٧٣.

٣٧- كتاب المقتبس فى تاريخ الأندلس، عهد الأمير عبد الله، تحقيق إسماعيل العربى، المغرب، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٩٠م.

٣٨- المقتبس، ج٥، اعتنى بنشره وتحقيقه ب. شالميتا، ف. كورينطى، و م. صبح، مدريد ١٩٧٩م.

٣٩- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣ (المكتبة الأندلسية- ٤).

٤٠- ابن خاقان: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسى الإشبيلى (ت ٥٢٩ أو ٥٣٥هـ/ ١١٣٤ أو ١١٤٠م).
مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق محمد علي شوابكه، بيروت، دار عمار، ط١، ١٩٨٣م.

٤١- الخشنى: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م).
أخبار الفقهاء والمحدثين. دراسة وتحقيق ماريا لوسيا آبيلا، ولويس مولينا، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربى، ١٩٩٢م.

٤٢- قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط١، ١٩٨٢.

٤٣- ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمانى (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) الإحاطة فى أخبار غرناطة (أربعة مجلدات)، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجى ١٩٧٣- ١٩٧٧م.

٤٤- تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م.

٤٥- ابن خفاجة: أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة (ت ٥٣٣هـ/ ١١٣٧م).
ديوان ابن خفاجة، بيروت، دار صادر، ١٩٦١م.

٤٦- ابن خلدون: أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلـدون الحضرمى (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصرهم من ذوى السلطات الأكبر، (القسم الأول- المجلد الرابع)، بيـروت، دار الكتاب اللبنانى لطباعة والنشر، ١٩٦٨م.

٤٧- مقدمة ابن خلدون (ثلاثة أجزاء)، تحقيق على عبد الواحد وافى، القاهرة، دار نهضة مصر، ب. ت.

٤٨- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بـن خلكـان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ب. ت.

٤٩- الخوارزمى: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٧هـ/ ٩٧٧م)
مفاتيح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ب. ت.

٥٠- أبو الخير الإشبيلى: (كان حيًا فى القرن الخامس الهجرى/ الحـادى عـشر الميلادى).
كتاب الفلاحة، نشر خوليام. كارا باسا، مدريد، ١٩٩١م.

٥١- ابن خير: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأمـوى الإشـبيلى (ت ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م).
فهرسة مارواه عن شيوخه، نشر فرنسشكه قـداره زيـدين، وخليـان ربـاره طرغوه، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٦٣م.

٥٢- الداودى: أبو جعفر أحمد بن نصر الداودى (ت ٤٠٢هـ/ ١٠١١م).
كتاب الأموال، تحقيق رضا محمد سالم، الرباط، مركز إحياء التراث المغربى، ١٩٨٨م.

٥٣- ابن حية: أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية (ت ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م).
المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى، حامد عبد المجيد، وأحمد أحمد بدوى، مراجعة طه حسين، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م.

٥٤- ابن دراج القسطلى: أحمد بن محمد بن دراج القسطلى (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م).
ديوان ابن دراج القسطلى، تحقيق محمود على مكى، دمشق، ط١، ١٩٦١م.

٥٥- الذهبى: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م).
سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٩٩٢م.

٥٦- الرازى: أحمد بن محمد الرازى (ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م)
وصف إسبانيا، نشره ليفى بروفنسال بعنوان:
La "Description de l'Espagne" d'Ahmed Al-Ṛazi. Al-Andlus. Vol. XVIII. Madrid 1953. PP. 51- 108.

٥٧- ابن رشد (الجد): أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)
البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل فى المسائل المستخرجة من الأشعة المعروفة بالعتبية (٢٠مجلد) بعناية الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصارى، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٤- ١٩٨٦م.

٥٨- مسائل أبى الوليد بن رشد (مجلدان)، تحقيق محمد الحبيب التجكانى، المغرب، منشورات دار الآفات الجديدة، ط١، ١٩٩٢م.

٥٩- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات (ثلاثة أجزاء)، تحقيق محمد حجى، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٨٨م.

٦٠- ابن رشد (الحفيد): أبو الوليد محمد بن محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ/ ١٢٠١م)
بداية المجتهد ونهاية المقتصد، راجع أصوله وعلق عليه عبد الحليم محمد عبد الحليم، تقديم الشيخ سيد سابق، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٩٨٣م.

٦١- الرقيق القيروانى، أبو إسحق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م)
تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق وتقديم المنجى الكعبى، تونس، ١٩٦٨م.

٦٢- الزبيدى: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبيد الله بن مذحج (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)
طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ب. ت.

٦٣- لحن العامة، تحقيق عبد العزيز مطر، الكويت، مكتبة الأمل، ١٩٦٨م.

٦٤- الزجالى: أبو يحيى الزجالى (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م).
أمثال العوام فى الأندلس، مستخرجة من كتاب: رى الأوام، ويرعى السوام، فى نكت الخواص والعوام، تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٨م.

٦٥- الزهرى: أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزهرى (ت. أواسط القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى).
كتاب الجغرافيا، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، ب. ت.

٦٦- ابن زيرى: الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصنهاجى (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م).
مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفى بروفسنال، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٥ (ذخائر العرب – ١٨).

٦٧- ابن سعيد: أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سـعيد (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
كتاب بسط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، تطوان، معهد مولاى الحسن، ١٩٨٥م.

٦٨- المغرب في حلى المغرب (جزءان)، تحقيق شـوقى ضـيف، القـاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٣م.

٦٩- السقطى: أبو عبد الله محمد بن أبى محمد السقطى المالقى (ت. فـى القـرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى).
كتاب فى آداب الحسبة، نشر ليفى برفسنال، وج. س. كولان، باريس، أرنـى ليرو، ١٩٣١م).

٧٠- ابن سلام: أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م).
كتاب الأموال، شرح عبد الأمير علـى مهنـا، بيـروت، دار الحداثـة، ط١، ١٩٨٨م.

٧١- ابن السهل: أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبـد الله الأسـدى الجيـانى (ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م).
الإعلام بنوازل الأحكام، ت. نورة محمد عبد العزيز التـويجرى، الـسعودية، ط١، ١٩٩٥م.

٧٢- ثلاث وثائق فى محاربة الأهواء والبدع فى الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود على مكى، مستشار مصطفى كامل إسماعيل، القاهرة، المركـز العربـى الـدولى للإعلام، ط١، ١٩٨١م.

٧٣- وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس، مـستخرجة مـن مخطـوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود على

مكى، مستشار مصطفى كامل إسماعيل، القاهرة، المركــز العربــى الــدولى للإعلام، ط١، ١٩٨٠م.

٧٤- وثائق فى أحكام القضاء الجنائى فى الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود على مكــى، مستشار مصطفى كامل إسماعيل، القاهرة، المركز العربى الــدولى للإعــلام، ط١، ١٩٨٠م

٧٥- وثائق فى شئون الحسبة فى الأندلس، مــستخرجة مــن مخطــوط الأحكــام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود على مكــى، مستشار مصطفى كامل إسماعيل، القاهرة، المركز العربى الــدولى للإعــلام، ط١، ١٩٨٥م

٧٦- وثائق فى شئون العمران فى الأندلس "المساجد والــدور"، مــستخرجة مــن مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعــة وتقــديم محمود على مكى، مستشار مصطفى كامل إسماعيل، القاهرة، المركز العربى الدولى للإعلام، ط١، ١٩٨٣م

٧٧- ابن سيده: أبو الحسن على بن إســماعيل النحــوى اللغــوى الأندلــسى (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) المخصص، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ب. ت.

٧٨- ابن الشباط: محمد بن على بــن محمــد الــشباط المــصرى التــوزرى (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٣م).

قطعة فى وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المــرط لابــن الشباط، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريــد، م١٤، ١٩٦٧- ١٩٦٨م، ص ٩٩- ١٦٣.

٧٩- ابن شهيد: أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م).

ديوان ابن شهيد الأندلسى، تحقيق يعقوب زكى، مراجعة محمود علـــى مكـــى، القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ب. ت.

٨٠- صاعد الأندلسى: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبى (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م).

طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، بيروت، دار الطليعة للطباعـــة والنـــشر، ط١، ١٩٨٥م.

٨١- الضبى: أحمد بن يحيى بن أحمد بـــن عميـــرة بـــن يحيـــى (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م).

بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس (جزءان)، تحقيق إبـــراهيم الإبيـــارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط١، ١٩٨٩م.

٨٢- الطرطوشى: أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن أبى خلف بن سليمان بـــن أيوب الفهرى (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م).

سراج الملوك، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٨٧٢م.

٨٣- كتاب الحوادث والبدع، تحقيق محمد الطالبى، تونس، ١٩٥٩م.

٨٤- ابن ظافر: على بن ظافر الأزدى

بدائع البداة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

٨٥- ابن عاصم الغرناطى، أبو بكر محمد بـــن عاصـــم القيـــسى (ت ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)

نص أمثال ابن عاصم من كتابه "حدائق الأزهر"، نشر عبد العزيز الأهـــوانى، ضمن دراسات مهداة إلى طه حسين فى عيد ميلاده الـــسبعين، القـــاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م.

٨٦- ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م)

فتوح مصر وأخبارها، نشر شارل س. تورى، القاهرة، مكتبة مـــدبولى، ط١، ١٩٩١م.

٨٧- ابن عبد ربه: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)
العقد الفريد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م.

٨٨- ابن عبد الرءوف: أحمد بن عبد الله عبد الرءوف (عاش فى القرن الـسادس الهجرى/ ق١٢م)
رسالة فى آداب الحسبة، نشر ليفى بروفنسال ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٥٥م.

٨٩- ابن عبد الملك: أبو عبد الله محمد بـن عبـد الملـك الأنـصارى الأوسـى المراكشى (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)
الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة
بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٤.
السفر الخامس، القسم الثانى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ب. ت.

٩٠- عبد الملك بن حبيب: أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هـارون السلمى (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٦م)
كتاب التأريخ، دراسة وتحقيق خورخى أغوادى، مدريد، معهد التعـاون مـع العالم العربى، ١٩٩١م (المصادر الأندلسية، ١)

٩١- مختصر فى الطب، تقديم وترجمة وتحقيق كاميلو ألباريـث دى مـوراليس، وفيرناندو خيرون، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربى، ١٩٩٢م.

٩٢- عبد الملك بن زهر: أبو مروان عبد الملك بن زهر (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م)
كتاب الأغذية، تقديم وترجمة وتحقيق إكسبيراثيون غارثيـا، مدريـد، معهـد التعاون مع العالم العربى، ١٩٩٢م.

٩٣- عبد الواحد المراكشى: محى الدين عبد الواحد بن على التميمى (ت٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٩م.

٩٤- ابن عبدون: محمد بن أحمد بن عبدون التجيبى (كان حيًا فى القرن السادس الهجرى/ القرن الثانى عشر الميلادى).
رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفى بروفنسال، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة، ١٩٥٥م.

٩٥- ابن عذارى: أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشى (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٣م).
البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، (الجزء الثانى والثالث)، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وليفى بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط٣، ١٩٨٣م.

٩٦- العذرى: أحمد بن عمر بن أنس العذرى الدلائى (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)
نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م.

٩٧- ابن العربى: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعارفى الإشبيلى (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)
أحكام القرآن (أربعة أجزاء)، القاهرة، ١٩٥٧م.

٩٨- عريب بن سعد: أبو الحسن الكاتب(ت ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م).
تقويم قرطبة لسنة ٩٦١م. تحقيق دوزى، ليدن، بريل، ١٩٦١م.

٩٩- ابن العطار: محمد بن أحمد الأموى (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)

كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق ب. شالميتا، و ف. كورينطى، مدريد المعهد الإسبانى العربى للثقافة، ١٩٨٣م.

١٠٠- العمرى: أحمد بن يحيى بن فضل الله الكاتب الدمشقى (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)
وصف إفريقية والمغرب والأندلس، مقتطف من كتاب "مسالك الأبصار، فى ممالك الأمصار: عنى بنشره والتعليق عليه حسن حسنى عبد الوهاب، تونس/ مطبعة النهضة، ب. ت.

١٠١- ابن العوام الإشبيلى: أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد (كان حيًا فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى).
كتاب الفلاحة (جزئان)، نشر خوسيه أنطونيو بانكيرى، مدريد، ١٩٨٨م.

١٠٢- القاضى عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م).
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك.
- الجزء الأول، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى، الرباط، مطرفة الشمال الإفريقى، ١٩٦٥م.
- الجزء الثالث، تحقيق عبد القادر الصحراوى، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٨م.
- الجزء الخامس، تحقيق محمد بن شريفة، المحمدية، مطبعة مضالة، ب. ت.

١٠٣- مذاهب الحكام فى نوازل الأحكام، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٩٠م.

١٠٤- الغافقى أحمد بن محمد بن خليد الغافقى (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)
منتخب جامع المفردات، نشر ماكس مايرهوف، وجورجى صبحى، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ب.ت.

١٠٥- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب (عاش فى القرن السادس الهجرى/ ق ١٢م)
تعليق منتقى من فرحة الأنفس، نشر لطفى عبد البديع، القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، م١، ج١، مايو ١٩٥٥ ص ٢٨١- ٣١٠.

١٠٦- الغسانى: محمد بن عبد الوهاب الغسانى (ت ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م)
رحلة الوزير فى إفتكاك الأسير، تحقيق الفريد البستانى، مدريد/ منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو ١٩٤٠م.

١٠٧- ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين أبى عبد الله محمد بن فرحون المالكى اليعمرى (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م).
الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب (جزءان)، تحقيق وتعليق محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٢م.

١٠٨- ابن الفرضى: أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدى (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)
تاريخ علماء الأندلس (جزءان)، تحقيق إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط١، ١٩٨٣- ١٩٨٤ (المكتبة الأندلسية – ٣).

١٠٩- الفشتالى: أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدى (ت فى القرن السابع الهجرى/ ق ١٣م)
تحفة المغترب ببلاد المغرب، نشر وتحقيق فرناندودى لاجرانخا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، م١٧، ١٩٧٢- ١٩٧٣، ص ١- ١٨١.

١١٠- ابن الفقيه: أبو أحمد بن محمد الهمذانى (ت. أوائل القرن الرابع الهجرى/ ق ١٠م)
مختصر كتاب البلدان، ليدن، بريل، ١٨٨٤م.

١١١- ابن القاضى: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسى (ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)

جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٣م.

١١٢- درة الحجال فى أسماء الرجال (الجزء الأول)، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور القاهرة، دار التراث، ط١، ١٩٧٠م.

١١٣- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)

الإمامة والسياسة (جزءان فى مجلد) - منسوب إليه- القاهرة، مصطفى البابى الحلبى، ١٩٥٧م.

١١٤- الإمام القرطبى: شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م).

الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام (أربعة أجزاء)، تحقيق أحمد حجازى السقا، القاهرة، دار التراث العربى، ١٩٨٠م.

١١٥- ابن قزمان: أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان (ت ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)

ديوان ابن قزمان، نصًا ولغة وعروضًا، تحقيق ف. كورينطى، مدريد، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، ١٩٨٠م.

١١٦- القزوينى: أبو يحيى عماد الدين زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)

آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ب. ت.

١١٧- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بيروت، دار الشرق العربى، ب.ت.

١١٨- ابن القطان: أبو على حسن بن محمد بن عبد الملك بن يحيى (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)
جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ب.ت.

١١٩- القفطى: جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفعى (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)
إنباه الرواه على أنباه النحاه (الجزء الأول، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم، القاهرة، دار الفكر العربى، ط١، ١٩٨٦م.

١٢٠- تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزنى المسمى المنتخبات الملتقطـات مـن كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، نشر جوليوس ليبرت، ليبـزج، ١٩٠٣، القاهرة، مؤسسة الخانجى، ب. ت.

١٢١- القلقشندى: أبو العباس أحمد القلقشندى (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، (الجـزء الخـامس)، القـاهرة، المطبعـة الأميرية، ١٩١٥م.

١٢٢- ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيـسى بن مزاحم (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).
تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، بيروت، دار الكتاب اللبنـانى، ط٢، ١٩٨٩م.

١٢٣- ابن الكردبوس: أبو مروان عبـد الملـك بـن الكردبـوس التـوزرى (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).
تاريخ الأندلس، قطعة من كتاب "الاكتفاء فى أخبار الخلفاء"، صـحيفة معهـد الدراسات الإسلامية بمدريد، م١٣، ١٩٦٥- ١٩٦٦م ص ٧- ١٢٦.

١٢٤- المالقى: أبو المطرف عبد الـرحمن بـن قاسـم الـشعبى (ت ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م).

الأحكام تحقيق الصادق الحلوى، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٩٢م.

١٢٥- الإمام مالك: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م).
الموطأ برواية يحيى بن يحى الليثى (جزءان فى مجلد)، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ب. ت.

١٢٦- الماوردى: أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٥م.

١٢٧- المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن المسعودى (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
مروج الذهب ومعادن الجوهر (الجزء الأول)، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٢م.

١٢٨- المقدسى: محمد بن أحمد بن شمس الدين البشارى (ت. نحو سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، بريل، ط٢، ١٩٠٩م.

١٢٩- المقرى: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).
أزهار الرياض فى أخبار عياض (ثلاثة أجزاء)، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبيارى، وعبد الحفيظ شلبى، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩- ١٩٤٠م.

١٣٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.

١٣١- المقريزى: تقى الدين أحمد على بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (ثلاثة أجزاء)، القاهرة، دار التحرير للطبع والنشر، ١٩٦٧- ١٩٦٨م.

١٣٢- مؤلف مجهول: (عاش فى القرن الرابع أو الخامس الهجرى/ ق ١٠ أو ١١م).
أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، نشر لافوينتى الكنترا، دمشق، منشورات، دار أسامة، ب.ت.

١٣٣- مؤلف مجهول: تاريخ عبد الرحمن الناصر، ندم له عدنان محمد آل طعمه، دمشق، دار سعد الدين، ب. ت.

١٣٤- مؤلف مجهول: (ألف كتابه سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).
نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخرة البربر. نشر ليفى بروفنسال، رباط الفتح، معهد العلوم العليا المغربية، ١٩٣٤م.

١٣٥- مؤلف مجهول:
وصف جديد لقرطبة الإسلامية، نشر حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، م١٣، ١٩٦٥- ١٩٦٦م ص ١٦١- ١٨١.

١٣٦- مؤلف مجهول:
كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس، نشر هويثى ميرلندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، م٩- ١٠، ١٩٦١- ١٩٦٢ ص ١٥- ٢٥٦.

١٣٧- ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد المصرى (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)

لسان العرب (ستة أجزاء)، تحقيق عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م.

١٣٨- النباهى: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى (ت. قبل سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م).

تاريخ قضاة الأندلس، أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٥، ١٩٨٣م.

١٣٩- النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).

نهاية الأرب فى فنون الأدب (ج٢٣)، تحقيق أحمد كمال زكى، مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

١٤٠- هروشيش: Pauls orosius

تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة (منتصف القرن الرابع الهجرى)، تحقيق عبد الرحمن بدوى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٢م.

١٤١- ابن هشام اللخمى: محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمى (ت ٥٧٧هـ/ ١١٨١م)

المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان (مجلدان)، دراسة وتحقيق خوسيه بيريث لاثارو، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربى، ١٩٩٠ (المصادر الأندلسية،٦).

١٤٢- الونشريسى: أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، (١٤ مجلد) خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١ن ١٩٨١م.

١٤٣- ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)
معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٠م.

١٤٤- يحيى بن آدم القرشى: (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)
كتاب الخراج، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م.

١٤٥- يحيى بن عمر: أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكنانى الأندلسى (ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م)
- أحكام السوق ت. محمود على مكى، فصلة من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، م٤، ١٩٥٦، ص ١٠٣- ١٤٣.
- أحكام السوق، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، مراجعة فرحات دشراوى، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م.

١٤٦- اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكتاب (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).
كتاب البلدان، نشر دى خويه، ليدن، بريل، ١٨٩١م.

١٤٧- أبو يوسف: يوسف بن إبراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م).
كتاب الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م.

المراجع

١- أحمد: على فؤاد

علم الاجتماع الريفى، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٣، ١٩٩٦.

٢- أرسلان: الأمير شكيب.

الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية (ثلاثة أجزاء)، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ب. ت.

٣- إسماعيل: محمود.

سوسيولوجيا الفكر الإسلامى (جزءان فى مجلد)، مكتبة مدبولى، ط٣، ١٩٩٨م.

٤- آشتور: آ.

التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى. ترجمة عبد الهادى عبلة، مراجعة أحمد غسان سبانو، دمشق، دار قتيبة، ١٩٨٥.

٥- الأهوانى: عبد العزيز.

الزجل فى الأندلس، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٧م.

٦- أولاغو: إغناسيو.

العرب لم يغزو الأندلس، ترجمة إسماعيل الأمين لندن رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ١٩٩١م.

٧- بالنثيا: آنجل جو نثالث.

تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ب. ت.

٨- بشتاوى: عادل سعيد.
الأندلسيون المواركة، القاهرة، إنترناشيونال برس، القاهرة، ١٩٨٣م.

٩- برتشيش: إبراهيم القادرى.
أثر الإقطاع فى تاريخ الأندلس من منتصف القرن الثالث الهجرى حتى ظهور الخلافة، الرباط، منشورات عكاظ، ١٩٩٢.

١٠- بيرك: جيمس.
عندما تغير العالم، عالم المعرفة، الكتاب رقم ١٨٥، مايو ١٩٩٤م.

١١- البيلى: محمد بركات.
البربر فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الإمارة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٢م

١٢- الزهاد والمتصوفة فى بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجرى، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م

١٣- طليطلة فى عصرها الإسلامى، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م.

١٤- بيريس: هنرى.
الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ترجمة الطاهر أحمد مكى، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م.

١٥- ترند: ج. ب.
إسبانيا والبرتغال، ترجمة حسين مؤنس، تراث الإسلام، الجزء الأول، مكتبة الآداب، ١٩٨٣م

١٦- جرنفيل: فريمان.
التقويمان الهجرى والميلادى، ترجمة حسام محيى الدين الألوسى، بغداد، مطبعة الجمهورية، ١٩٧٠م.

١٧- جرينباوم: جوستاف فون.
حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة عبد الحميد الصاوى، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

١٨- جودة: جودة حسنين.
جغرافية أوروبا الإقليمية، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٠م.

١٩- الحجى: عبد الرحمن على.
التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، دمشق، دار العلم، ط١، ١٩٧٦م.

٢٠- الحريري: محمد عيسى.
ثورة عمر بن حفصون زعيم المولدين فى جنوب الأندلس فى عصر الإمارة الأموية بالأندلس، دار الكتاب الجامعى، ط١، ١٩٨٢م.

٢١- حمدان: جمال.
بين أوروبا وآسيا، القاهرة، عالم الكتب، ب. ت.

٢٢- خلاف: محمد عبد الوهاب.
تاريخ القضاء فى الأندلس من الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجرى، المؤسسة العربية الحديثة، ط١، ١٩٩٢م.

٢٣- قرطبة الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢٤- دوزرى: رينهات.
تاريخ مسلمى إسبانيا، الجزء الأول، الحروب الأهلية، ترجمة حسن حبشى، مراجعة جمال محرز، دار المعارف، ١٩٦٣م.

٢٥- المسلمون فى الأندلس، الجزء الأول، المسيحيون والمولدون، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

٢٦- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكـــرم فاضـــل، بغـــداد وزارة الإعلام، ب. ت.

٢٧- دياب: فوزية.
القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة، دار الكتاب العربـــى للطباعـــة والنـــشر، ١٩٦٦م.

٢٨- ريبيرا: خوليان.
التربية الإسلامية فى الأندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربيـــة، ترجمـــة الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، ١٩٨١م.

٢٩- الريس: محمد ضياء الدين.
الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، ط٤، ١٩٧٧م.

٣٠- سالم: السيد عبد العزيز.
تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس (من الفتح العربى حتى سقوط غرناطة)، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، ب. ت.

٣١- فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م.

٣٢- ضيف: شوقى.
تاريخ الأدب العربى، عصر الـــدول والإمـــارات، الأنـــدلس، دار المعـــارف، ١٩٨٩م.

٣٣- طه: عبد الواحد زنون.
الفتح والاستقرار العربى الإسلامى فى شـــمال إفريقيـــة والأنـــدلس، بغـــداد، ١٩٨٢م.

٣٤- عاشور: سعيد عبد الفتاح.
أوربا العصور الوسطى (الجزء الأول)، القاهرة، مكتبة الأنجلـــو المـــصرية، ط٦، ١٩٩١م.

٣٥- المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، ١٩٨٧م.

٣٦- العبادى: أحمد مختار.

تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط (بالاشتراك مع السيد عبد العزيز سالم)، البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، حـ٢، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م.

٣٧- دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ب. ت.

٣٨- الصقالبة فى أسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٥٣م.

٣٩- عبد العال: عبد المنعم سيد عبد العال.

معجم شمال المغرب، تطوان وما حولها، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٨م.

٤٠- عبد العزيز: سحر السيد.

مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس فى العصر الإسلامى، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م.

٤١- على: عبد اللطيف أحمد.

التاريخ الرومانى، عصر الثورة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م.

٤٢- عنان: محمد عبد الله.

دولة الإسلام فى الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية، العصر الأول، القسم الأول والثانى، القاهرة، مؤسسة الخانجى، ط٣، ١٩٦٠م.

٤٣- العنتيل: محمد فوزى

التربية عند العرب، المكتبة الثقافية، ١٥٧، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مايو ١٩٦٦م.

٤٤- أبو عيانه: فتحى

الجغرافية الإقليمية، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، ب. ت.

٤٥- عيسى: محمد عبد الحميد
تاريخ التعليم فى الأندلس، القاهرة، دار الفكر العربى، ط١، ١٩٨٢م.

٤٦- كولان: ج. س.
الأندلس، كتب دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، دار الكتاب اللبنانى ط١، ١٩٨٠م.

٤٧- لوبون: غوستاف.
حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط٣، ١٩٥٦م.

٤٨- لومبار: موريس
الإسلام فى مجده الأول من القرن ٢ إلى القرن ٥هـ (٨- ١١)، ترجمة وتعليق إسماعيل العربى، المغرب، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٩٩٠م.

٤٩- ليفى بروفنسال:
الحضارة العربية فى إسبانيا، ترجمة الطاهر مكى، دار المعارف، ط٣ ١٩٩٤م.

٥٠- لين بول: ستانلى.
قصة العرب فى إسبانيا، ترجمة على الجارم، مطبعة المعارف، ١٩٩٤م.

٥١- محرز: جمال
الرسوم الجدارية الإسلامية فى البرطل بالحمراء، مدريد ١٩٥١م.

٥٢- أبو مصطفى: كمال
الأحباس فى الأندلس فيما بين القرنين الرابع والتاسع للهجرة (١٠- ١٥م) الإسكندرية، دار نشر الثقافة، ١٩٨٩م.

٥٣- مكى: الطاهر أحمد.
دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٣م.

٥٤- دراسات عن ابن حزم كتابه طوق الحمامة، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٣م.

٥٥- مكي: محمود علي.
مدريد العربية، دار الكتاب العربى، ب. ت.

٥٦- موسى: عز الدين أحمد
النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجـــرى، دار الشروق، ط١، ١٩٨٣م.

٥٧- مؤنس: حسين
تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس، مكتبة مدبولى، ط٢، ١٩٨٦م.

٥٨- فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩م.

٥٩- ميكيل: أندريه
جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادى عشر، حـــــ٣، ق٢، دمشق، ١٩٩٣م.

٦٠- الهاشمى: التهامى الراجى
نظم وإدارة بنى أمية من خلال المقتبس لابن حيان، فصلة من مجلة المناهــل، ع٢٩، ١٩٨٤

Refrances in forign languages:

1- The Cambridge History of Islam (2 vols). Cambridge Univ. Press. 1970.

2-Diaz- plaja : F.

La vida cotidiana en la Espana Musulmana. Madrid. 1993.

3- Dozy : R.

A. Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les Arabes. Amsterdam. 1943.

4- B. Supplement aux dictionnares Arabes. Deuxiem edition. (2 tomes) leide. Paris. 1927.

5- Fernandes : L. S.

Historia de Espana Antigua Y media. Madrid. 1976.

6- Glick : T. F.

Islamic and Chirstian Spain in the early middle ages. Princeton univ. Press. Newgersy. 1979.

7- Guichard : P.

Structures Sociales "orientales" et "occidentals" dans l'Espagne Musulmane. Mouton. Paris. La Haye. 1977.

8- Imamuddin : S. M.

Some aspects of the socio-economic and cultural history of Muslim Spain. 711 – 1492. A. D. Leiden. E.j. Brill, 1965.

9- Levi – Provencal : E.

A. L'Espagne Musulmane, au Xeme Siecle; institutions et vie social. Paris, Larose, 1932.

10- B. Histoire de l'Espage Musulmane. (3 Tomes). Paris. 1953.

11- C. inscription Arabes d'Espagne. Leyde, Paris. 1931.

12- Maldonado :B.P.

Tratado de arquitectura Hispano Musulmana. I Agua. Madrid. 1990.

13- Mitre : E.

L'Espana Medieval. Sociedades. Estados. Culturas. Madrid. 1979.

14- Montgomery watt : W.

A history of Islamic Spain. Edinburgh. 1965.

15- Oliver Asin : J.

Historia del number "Madrid" . Madried. 1985.

16- Scott : S. P. :

History of the Moorish empire in Europ. vol. III. Philadelphia. London. 1904.

17- Simonet : D. F. J.

A. Glosario de voces Ibericas Y Latinas usadas entre los Mozarabes. Madrid. 1888.

18- B. Historia de los Mozarabes de Espana. Amsterdam. Oriental press 1967.

19- Vallve : J.

El califato de Cordova. Editorial Mapfre. 1992.

20- Viguera : M. J.

Aragon Musulmana. Zaragoza. 1981.

دوريــات:

مقالات باللغة العربية:

١- الأهوانى: عبد العزيز.

ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فــى لحــن العامــة، مجلــة معهــد المخطوطات العربيــة، م٣، جـــ١، مــايو ١٩٥٧م، ص ١٢٧- ١٥٧، م٣، جــ٢، نوفمبر ١٩٥٧م ص ٢٥٨- ٣٢٠

٢- إبراهيم: ناجية عبد الله.

المعايير المميزة للريف والحضر فى العصور الإســلامية، دراســة تاريخيــة مقارنة بالمعايير الحديثة، مجلة المجمع العلمى العراقى، م٣٩، جـــ٢، يونيــة ١٩٨٨م، ص ١٨٥- ٢٢٥.

٣- بلباس: ليوبولد توريس.

الأبنية الإسبانية الإسلامية. تعريب علية إبــراهيم العنــانى، صــحيفة معهــد الدراسات الإسلامية مدريد، ع١، ١٩٥٣م ص ٩٧- ١٢٨.

٤- البيلى: محمد بركات..

محمد عبد الله بن مسرة ونزعته المــسيرية فــى الأنــدلس، مجلــة المــؤرخ المصرى، ع ١٥، يوليو ١٩٩٥م ص ٢٥٧- ٣١٤.

٥- المرأة الأندلسية فى عصر أمويى الأندلس، مجلة المــؤرخ المــصرى، ع ١٦، يوليو ١٩٩٦م ص ٤٥- ١٠٤.

٦- خطاب: محمود شيت.

كتاب خطة الحسبة. مجلة المجمع العلمى العراقى، م ٣٩، جـ٢، ١٩٨٨م ص ٢٧١- ٣٣٠.

٧- خلاف: محمد عبد الوهاب.

خطة الأحباس فى الأندلس، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع ٥٣، مارس، ١٩٩٢م ص ١٨٧- ٢٣٥.

٨- زمامة: عبد القادر.

ذكر بعض مشاهير أعيان فاس فى القديم، مجلة تطوان، ع٧، ١٩٦٢م.

٩- سالم: السيد عبد العزيز.

صور من المجتمع الأندلسى فى عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة فى علب العاج، مدريد، فصلة من مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، م ١٩، ١٩٧٦- ١٩٧٨م ص ٦١-٨١.

١٠- العبادى: أحمد مختار.

الإسلام فى أرض الأندلس، المختار من عالم الفكر (١)، دراسات إسلامية، الكويت ١٩٨٤، ص ٩٣- ١٤٤.

١١- الزراعة فى الأندلس وتراثها العلمى، ندوة الأندلس، الدرس والتاريخ، ١٣-١٥/٤/١٩٩٤، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ب. ت ص ١٠٧- ١٢٩.

١٢- من التراث العربى الإسبانى، نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الاسبانية التى تأثرت بها، عالم الفكر، م٨، ع١، ١٩٧٧ ص ٣٩- ٨٨.

١٣- عبد العزيز: سحر السيد.

ملابس الرجال فى الأندلس فى العصر الإسلامى، ندوة الأندلس، الدرس والتاريخ ١٣-١٥/٤/١٩٩٤، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ب. ت ص ٢٤٧- ٢٧٤.

١٤- العمد: إحسان صدقى.

الخبز فى الحضارة العربية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ح١٢، ١٩٩٢م.

١٥- عنان: محمد عبد الله.

محكمة المياه ببلنسية، مجلة العربى، ع ١٥١، يونيه ١٩٧١م ص ٩٢- ٩٥.

١٦- كورينتى قرطبة: فدريكو.

خصائص كلام أهل الأندلس، نثرًا ونظمًا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، م٢٣، ١٩٨٥- ١٩٨٦م.

١٧- محرز: جمال

السجاد الإسلامى ومشتقاته فى إسبانيا، المجلة التاريخية المصرية، م١١، ١٩٦٣م. ص ١٨١١- ١٩٣.

١٨- مكى: محمود على.

بدايات التصوف الأندلسى ما قبل ابن مسرة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع٥٣، مارس ١٩٩٢، ص ٩- ١٨.

١٩- التشيع فى الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ع١-٢، ١٩٥٤م ص ٩٣- ١٤٩.

٢٠- قراءة جديدة لوثائق مستعربى طليطلة، مجلة كلية الآداب، م٥٥، ع٣، يوليو ١٩٩٥ ص ١- ٢٨.

٢١- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، م٧-٨، ١٩٥٩- ١٩٦٠ ص ١٠٩- ١٩٨.

٢٢- مؤنس: حسين

غارات النورمانيين على الأندلس بين سـنتى ٢٢٩و ٢٤٥هـــ - ٨٤٤ و ٨٥٩م وسفارة يحيى الغزال إلى ملك النورمند سنة ٢٣٠هــم ٨٤٥م، المجلـة التاريخيـة المصرية، م٢، ع١، مايو ١٩٤٩م ص ١٩- ٧٥.

- Periodicals. Essays in foreign Language :

1- Al – Alwani : G. k.

The network of irrigation diches in the Alpujarra of Granada. An example of the use water in order to strengthen the social and economic development of Al- Andalus. Al- Andalus: centures of upheavals and achievements. King Abdulazizi puplic Library, Riadh, Library, committee, 1993. pp. 1-22.

2- Asin Palacios:

Un Codice inexplorado del cordobes Ibn Hazm. Al-Andalus. Madrid 1934.II.PP. 1-56.

3- Bermejo: J. V.

Notas de metrologia Hispano – Arabe II. Al-Andalus. Madrid 1977. Vol. XLII. Fasc.1. PP. 61- 121.

4- Dachraoui: F.

Tentative d'infiltration Si ite en Espagene Musulmane sous Le regne d'Al-Hakam II. AL-Andalus. Madrid. 1957. vol. XXIII Fasc.1 PP. 97- 106.

5- Elias Teres:

Linajes Arabes en Al-Andalus, segun la "yamhara" de Ibn Hazm AL-Andalus. Madrid. 1957. vol. XXII. Fasc. 1pp. 55- 111. Fasc. 2. pp. 336. 376.

6- Garcia Gomez:

Al-Hakam IIy los Berberes segun un texyo inedito de Ibn Hayyan. Al- Andalus. Madrid. 1948. vol. XIII. Fasc. 1pp. 212-219.

7- Glick: T. F.

Hydraluic technology in Al-Andalus. The legacy of Muslim spain. Brill, Leiden. 1992. pp. 974- 987.

8- Guichard: P.

The social history of Muslim spain from the conquest to the end of the Almohad. The legacy of Muslim Spain. Leiden, brill, 1992. pp. 679- 708.

9- Imamuddin: S. M.

AL- Filahah in Muslim spain. Islamic studies (Pakistan) December 1962. vol. 1 No. 4. pp.51-89.

10- Makki: M. A.

Egiptoy los origenes de la Historiografia Arabigo – Espanola. Revista del instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid- Madrid 1957. vol.V. Fasc. 1-2. pp. 157- 248.

11- Mikle de Epalza:

Mozarabes: An emplematic Christian Minority in Islamic AL- Andalus. The legacy of Muslim Spain. Leiden, brill. 1992. pp. 149- 170.

12- Moreno (M. E) and others:

Hydric aspects in Islamic city planning: Granada and la vega (X1 –XV centures). AL- Andalus: centures of upheavals and Achievements. King Abdulaziz Puplic Library – Riadh. Library committee. 1993. pp. 1- 26.

13- Oliver Asin: J.

"Quercus" en I'Espana Muslmana. Al-Andlus. Madrid. 1959 vol. xxlv.pp.125-181.

14- Sanchez: E.G.

Agrculture in Muslim Spain. The legacy of Muslim Spain. Leiden Brill. 1992. pp. 987- 999.

15- Thami EL Azemouri:

Les Nawazil d'Ibn Sahl, Section relative AL'ihtisab.

Hespéris Tamuda. Vol xiv. Fasc. Unique. Pp. 7- 107.

16- Viguera Molins: J.

La censura de costumbres en El tanbih AL- hukkam de Ibn AL-Munasif (1168- 123). Instituto Hispano – Árabe de cultura. Madrid 1985. pp. 591- 611.

المحتويات

المؤلف فى سطور

حسن محمد قرنى عويس

المؤهلات والدرجات العلمية:

- ليسانس: درجة الليسانس الممتازة فى الآداب من قسم التاريخ دور مايو ١٩٩١م بتقدير عام جيد جدا- كلية الآداب- جامعة القاهرة.
- الماجستير فى الآداب من قسم التاريخ بتقدير ممتاز عام ١٩٩٨م- كلية الآداب- جامعة القاهرة.

موضوع رسالة الماجستير: المجتمع الريفى فى الأندلس فى عصر بنى أمية (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦- ١٠٣١م).

- الدكتوراه فى الآداب من قسم التاريخ بتقدير مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها مع الجامعات الأخرى عام ٢٠٠٥م- كلية الآداب- جامعة القاهرة.

موضوع رسالة الدكتوراه: الرقيق وأثرهم فى المجتمع الأندلسى منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الخلافة (٩٢- ٤٢٢هـ/ ٧١١- ١٠٣١م).

التخصص العام: التاريخ

التخصص الدقيق: التاريخ الإسلامى- تاريخ المغرب والأندلس

الوظائف والخبرات:

- معيد بقسم التاريخ بكلية الآداب اعتبارا من ٢٤/ ١٠/ ١٩٩١ شعبة التاريخ الإسلامى- جامعة القاهرة.

- مدرس مساعد بقسم التاريخ شعبة التاريخ الإسلامى- بكلية الآداب- جامعة القاهرة اعتبارًا من ١٩/ ٤/ ١٩٩٨م
- مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب- جامعة القاهرة اعتبارًا من ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٥م.

الخبرات التدريسية:

- تدريس مواد التدريبات فى فرع التاريخ الإسلامى اعتبارًا من العام الجامعى ١٩٩٢/ ١٩٩٣م وحتى العام الجامعى ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م.
- تدريس مواد التاريخ الإسلامى بقسم التاريخ بكلية الآداب- جامعة القاهرة اعتبارًا من العام الجامعى ٢٠٠٥- ٢٠٠٦ حتى الآن.
- تدريس مواد التاريخ الإسلامى بكلية التربية- جامعة القاهرة- فرع بنى سويف فى العام الجامعى ٢٠٠٥- ٢٠٠٦م.
- تدريس مادتى "السيرة النبوية" و"الحضارة الإسلامية" ضمن الدورات التدريبية التى تعقدها وزارة الأوقاف للدعاة وأئمة المساجد اعتبارًا من العام الجامعى ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م.
- تدريس الجزء التاريخى فى مادة "المجتمع المصرى" المقررة على الفرقة الأولى بأقسام الكلية المختلفة إعتبارًا من العام الجامعى ٢٠٠٥- ٢٠٠٦م وحتى الآن.

مواد التاريخ الإسلامى التى قام بتدريسها:

- تاريخ العرب قبل الإسلام- دراسة فى مصارد التاريخ الإسلامى- مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأخشيدى- الدولة العربية الإسلامية- الدولة العباسية- الدولة الفاطمية- السيرة النبوية- الحضارة الإسلامية- تاريخ المغرب والأندلس.

شهادات وخبرات أخرى:

- حاصل على شهادة TOEFL عام ٢٠٠٥م من مركز اللغات الأجنبية والترجمة التخصصية بجامعة القاهرة.
- اجتاز بنجاح دورة: مدخل إلى جودة البرامج التعليمية المقامة تحت إشراف: وحدة تقويم وتطوير الأداء الجامعى بكلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥- ٢٠٠٦م.

كتب وأبحاث منشورة:

- دراسة فى مصادر التاريخ الإسلامى، القاهرة، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٦م.
- عناق الهلال والصليب، ربيع بن زيد الأسقف نموذجًا، بحث منشور ضمن ندوة الغرب والعالم الإسلامى التى عقدتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، إبريل سنة ٢٠٠٧م.

كتاب: الدولة الفاطمية

- الهلالية ودورهم فى حركة الجهاد الإسلامى بالمغرب والأندلس فى عصر الموحدين، ضمن ندوة "البدو فى الوطن العربى عبر العصور"، ٦: ٨ أبريل ٢٠١٠م.

للتواصل مع المؤلف:

البريد الإلكترونى: hasankorany@yahoo.com